

الأساليب الفنية فى التحرير الصحفى

د . عبد العزيز شرف

الناشر

دار افباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)

محمده غريب

الكتاب : الأساليب الفنية في التحرير الصحفي

المؤلف : د. عبد العزيز شرف

رقم الإيداع : ٩٩/١٤٤٠٨

الترقيم الدولي : I. S. B. N.

977-303-207-8

تاريخ النشر: ٢٠٠٠ م

حقوق الطبع والترجمة والاقتباس محفوظة

الناشر: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (عبد غريب)

شركة مساهمة مصرية

الإدارة : ٥٨ ش الحجاز - عمارة برج آمون - الدور الأول - شقة ٦

☎ ٢٤٦٢٥٦٢ - فاكس / ٢٤٧٤٠٣٨

التوزيع : ١٠ شارع كامل صدقي الفجالة (القاهرة)

☎ ٥٩١٧٥٣٢ / ☒ : ١٢٢ (الفجالة)

المطابع : مدينة العاشر من رمضان ٠ - المنطقة الصناعية (C1)

☎ ٠١٥/٣٦٢٧٢٧

رئيس مجلس الإدارة / أحمد غريب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

محتويات الكتاب

الصفحة

المقدمة	٩
الفصل الأول	
فن التحرير ووسائل الاتصال الصحفي	١٧
الفصل الثاني	
الشكل والمضمون	٥٢
الفصل الثالث	
معايير التقويم الصحفي	٧٨
الفصل الرابع	
بناء الرسالة وتحرير الخبر الصحفي	١٤١
الفصل الخامس	
فن الحديث الصحفي	٢٠٦
الفصل السادس	
التحقيق الصحفي	٣٠٨
الفصل السابع	
المقال الصحفي	٣٢٨

مُقَدِّمَةٌ

نشر الأهرام . من ١٠٠ سنة - ما يلي :

من ١٠٠ سنة في الأهرام

● اختراع جديد :
حظينا من يومين بمقابلة النبيه الخواجا الياس
الساماني المخترع الشرقي وهو قادم من بيروت
ومتوجه الى باريس لعرض الثريا الفلكية التي
اتم اختراعها من عهد قريب واتينا مطلقا على
لمع من اخبارها وقد رأى أن يتفرج على فنونا
والعامة ويعرض اختراعه هذا للمشاهدة

وسينعين مما دليل محل العرض وثمة الدخول
ومحل بيع الاوراق ولقديان بان الجميع سيقتديون
الى التفريج على اختراع جليل شهد لمخترعه
افاضل العلماء من غربيين وشرقيين وحملوه على
التوجه الى أوروبا حيث يعرض اختراعه على
رجال الصناعة والعلم

[الأهرام في ٥ يناير ١٨٨٣]

وقد تطورت الصياغة الصحفية بعد ذلك تطورا كبيرا، كما أصبحت الصحافة تخضع لمتطلبات كثيرة .

والسؤال الآن هو:

- ١ - ما الذي تتطلبه التغطية الصحفية وكذلك الصياغة في الصحف الحديثة؟
- ٢ - إذا كان المقصود مما نشر من ١٠٠ سنة أن يكون نبأ، فكيف نعالجه بأسلوب اليوم. مع إعادة صياغته.
- ٣ - وإذا كان المقصود أن يكون تحقيقا صحفيا فما هو الإجراء الحديث الذي تتبعه الصحف كي تلتقط من الوقائع المذكورة ما يصح أن يكون أساسا لتحقيق صحفي، وكيف نخطط له؟
- ٤ - كيف نكتب مقدمة لهذا التحقيق مع مراعاة أن التحقيق محدود في عمودين من أعمدة الصفحات اليومية.

.. هذه الأسئلة تمثل محور الحديث في قاعة المحاضرات بالجامعة وحولها مئات التساؤلات التي يطرحها طلاب الإعلام في منهج التحرير الصحفي؛ والإجابة عن هذه التساؤلات إنما تمثل محور هذا الكتاب عن الأساليب الفنية في التحرير الصحفي؛ تواصلًا مع سابقه في السبعينات والثمانينات: فن التحرير الإعلامي؛ وفن المقال

— الأساليب الفنية في التحرير الصحفي —

الصحفي؛ ثم التفسير الإعلامي لأدب المقالة؛ وفنون المقال بين الصحافة والأدب في التسعينات. فإلى هؤلاء الدارسين؛ زملاء؛ يهدى المؤلف هذا الكتاب. الذي يقدم المؤلف فيه عرضاً للشكل وللمضمون في أساليب التحرير الصحفي؛ في الصحف والمجلات؛ تأسيساً على أن هذا الفن إنما يقوم في جوهره على جعل الأحداث والمعلومات والثقافة بل والفلسفة والعلم في متناول جميع القراء، بطريقة واضحة سلسلة درامية.

وكلمة التحرير كما تبين في كتابنا: فن التحرير الإعلامي، تختلف عن المعنى اللغوي الذي يجانس بينها وبين الكتابة، فكتابة الخبر هي إفراغه في قالب الكتابي، ونقله من باب الفكرة إلى باب التدوين على الورق وفقاً لأساليب الصياغة الإعلامية. أما تحرير الخبر مثلاً، فيعني مراجعته، مع احتمال إعادة كتابته ووضع العناوانات الملائمة له وإعداده للنشر أو الإذاعة في المكان الملائم له من الصحيفة أو نشرة الأخبار.

ومع ذلك، فإن عملية التحرير الإعلامي تشمل الكتابة كعنصر من عناصرها، وتمثل وجزئية من جزئيات الكل التحريري، لإبراز معطيات الشكل والمضمون في الكيان التحريري: كرؤيا واتصال. وهذه العملية التحريرية يتداخل فيها التفسير والتحليل والتقويم.. وهذه العوامل الثلاثة هي السبيل الذي يسلكه المحرر الإعلامي في طريقه إلى الاستكشاف وتكوين الرؤيا، التي تغدو بدورها من أهم أسباب نجاح العملية الاتصالية الأم، والتي يعتبر التحرير جزءاً لا يتجزأ منها. فالتحليل مثلاً يجعل الدارس للتحرير يستكشف موضوعه ليسبر أغوار المضمون الذي ينشد توصيله To communicate وليشيد العناصر التي تحتوى هذا المضمون في نسق اتصالي إعلامي، ثم ينتقل الدارس إلى مرحلة الكتابة ليتمرن على صياغة أفكاره، كخطوة أساسية للانتقال إلى مرحلة التحرير الإعلامي.

والعلاقة بين التحرير والكتابة إنما هي علاقة الكل بالجزء كما تقدم، وهي تشبه من قريب، علاقة التفكير بالكلمات، حيث الإعلام لا يتم بدون تحرير الرسالة الإعلامية المقصود نقلها وتلقيها كما أن التفكير لا يتم من غير استخدام للرموز، والتحرير كعملية تشمل التفكير والتعبير، إنما يعني بصياغة الأفكار من خلال الرموز، سواء كانت الرسالة الإعلامية مسموعة أو مطبوعة، فإنها تنقل الأفكار والمعلومات والحقائق من خلال الرموز ليتلقاها الآخرون بالأذن أو بالعين، أو بهما معاً.

ويمكننا اليوم أن نتحدث عن التحرير الإعلامى فى وسائل الاتصال بالجماهير، ونرى فيه اصطلاحاً أكثر دقة من اصطلاح التحرير الصحفى التقليدى عندما نشير إلى التحرير فى وسائل الإعلام الأخرى غير الصحف والمجلات.

وكل نوع من أنواع التحرير. التعبيرى أو الإقناعى أو الإعلامى - يستخدم وسيلة ما، أى أنه يلتزم باستعمال قناة للإرسال. وفى الإعلام - كما يذهب إلى ذلك علماء الاتصال. تصبح المؤسسة بأكملها حاملة للرسالة التى يدور حولها فن التحرير الإعلامى. كالصحيفة، أو المجلة. أو محطة الإذاعة - وهى تستطيع حمل رسائلها إلى الآلاف أو الملايين من الناس فى وقت واحد تقريباً. وهى تتعرض أيضاً للمشكلات التى تجابهها بوصفها مؤسسة اجتماعية، كالمراقبة، والقيود الحكومية، والدعم الاقتصادى وغيرها.

ويركز هذا الكتاب على الأساليب الفنية فى التحرير الصحفى بمعناه التقليدى؛ فيتناول تحرير الخبر؛ والحديث؛ والتحقيق؛ والمقال. ونذكر فى هذا السياق ما يذهب إليه أحد علماء التحرير الصحفى حين يشبّه هذا الفن بالكلمات المتقاطعة من حيث إثارته للمعرفة ودلالات الكتابة والصياغة والتقويم والتنقيح والإعداد للطبع، والتجميع والترتيب والتنظيم والملائمة، والإيجاز والتأليف، والتصور العام، والانتقاء والإعداد للنشر وطوعية القراءة والاستماع.

وعلى الرغم من أن الآلية الذاتية (Automation) توفر للصحف إدارة الأجهزة بالوسائل الميكانيكية والإلكترونية التى تحل محل حواس الملاحظة عند الإنسان وتوفر عليه العناء والجهد، وتيسر إصدار الصحيفة على نحو أفضل من مصادر معدة من قبل، فإن تلك الوسيلة تتطلب انتقاء أفضل، ومحاكمات عقلية وتمييزاً قاطعاً من القائمين على التحرير. فالآلية الذاتية تزودنا فوراً باسترجاع خلفية المادة التى تفسرها. وهى بذلك تكون قد أسهمت أكبر إسهام فى تزويد مكاتب التحرير Desks بالمعانى المنشودة لتحقيق الوضوح والتكامل فى التقارير الإعلامية، أى أنها تجعل فن التحرير فناً راسخاً متماسكاً، متوقد الذهن، سريعاً، وتمكن المحرر والمراجع من تحرير النصّ على شاشة مرئية. ومن هذه العملية يتضح أن العنصر البشرى فى التحرير جزء لا يتجزأ من العملية التحريرية The Editing Process، بل إنه يشكل صلبها ومنطقها.

وتفسير ذلك سوبرناتيفياً، أنك عندما تبعث برسالة فأنت الذى ألفتها وحررتها قبل إيداعها الآلة. وأن الحس السليم يعتبر أنك أصل الإعلام، وأن الآلة قناة نقل وقد لا

يجرؤ هذا الحس السليم على أن بضيف، بدون ارتياب، إذا ما تركنا له وقتا كافيا للتفكير بأن "أنا" هي المبدع المطلق للإعلام. فهو يعرف حق المعرفة أن الرسالة ليست إبداعا صرفا، حتى ولو لم يستعن المنشئ بـ "دليل" في الإنشاء التجارى ولا بكتاب متبادل من كتب التبصير فى السلوك الجيد فى الحياة. ولكن الحس السليم يعرف أن موضوعات موحية قد أسهمت فى إنشاء الرسالة وفق طراز خاص. فال "أنا" ليست الأصل المطلق، ولكنها فى الوقت ذاته ليست مجرد عضو ناقل، ونحن ندرك بجلاء أن أمر إعداد أكثر الرسائل تواضعا ليس لمجرد إفساح المجال أمام العقل ليعمل، بل إنه إقحام "غذاء" ما فى مجال ما، "غذاء" نقدمه للآلة، ولا يمكننا أن نستمد منه أى جزء من أجزاء مجال آخر.

وليس هناك من الناحية النظرية، ما يحول دون بلوغ مردود كامل مائة بالمائة، لأن استخدام الإعلام، من جهة أولى، بقراءة الرسالة، لا يشوهها، أو أنه لا يشوهها إلا تشويها متناهى الصغر، ولأن من الممكن من جهة أخرى، أن نقص بما يشبه حركة الخط المقارب، كل ضجيج القاع وكل الطفيليات المشوشة الطارئة على الإعلام أو أن ينزلها جميعا عندما تتعرض عناصر الرسالة لخطر الانحدار إلى ما دون عتبة أمن معينة. وهذا المردود الجيد، بل هذا المردود الكامل من الناحية النظرية، هو الذى يتيح نشر إعلام معطى إلى ما لا يحده حد. إن فى وسعنا أن نضاعف، بصورة غير محدودة تقريبا، نسخ جريدة أو صورة شمسية. وفى وسعنا أيضا توسيع بنية إعلامية. ولكن عادة نسخ بنية أو توسيعها لا يعنى زيادة الإعلام ذاته. ولئن خلصت آلات الإعلام من الرضوخ لمبدأ "كارنو" ولسقف المردود الذى يحدده، فإنها لا تخلص من مبدأ حفظ الإعلام. فليس فى قدرتها أن تخلق بالمجان إعلاما، كما أن الآلات البسيطة، تعجز عن خلق عمل بالمجان.

وعلى ذلك فإن المناهج الجديدة لم تغير فى الشكل والمضمون تغييرا جوهريا، كما يشير إلى ذلك أحد كتاب "النيويورك تايمز" حين يقول: إن هذه المناهج قد تستبدل الحبر الأحمر بحبر أسود على صفحات الجريدة المتوازنة، وهى حين تعاون الناشرين على الاستعمال الأفضل لخصائص "السلعة" فإنها فى المقابل لا يمكن أن تلغى العقول البشرية، أو بتعبير أدق لا يمكن أن تجبّ الجهد البشرى للمحررين الأكفاء^(١).

(1) Nathaniel M. Gerstenzang, "The Newspaper's Biggest Personnel Problem" "Columbia Journalism Review 4:40 (Winter 1960).


إن القدرات التحريرية لهؤلاء لا يمكن أن تستبدل بالحاسبات الإلكترونية ومن هذه القدرات مثلاً: القدرة على تحرير النصّ أولاً، ثم القدرة على تأليف العناوين بعد ذلك. ولا تقل الثانية عن الأولى في درجة الأهمية، إن لم تزد عليها، ذلك أن فن التحرير الإعلامي يتطلب بالضرورة الاعتماد على عنصر "التقويم" غير الملموس، وعلى رصيد من الثقافة كبير، واستخدام الذاكرة الإنسانية memory يتميز بالمبادأة وتحويل النص المراد تحريره إلى نصّ ممتع، يثير الخيال وحب الاستطلاع. وفن التحرير يقتضى من المحررين القدرة على التصرف والاختيار والتمييز والتعبير الساخر والنزوع إلى التأكد من الحقائق، وما يرتبط بهذه القدرات من صفات تميز هذا الفن الإعلامي.

وتأسيساً على هذا الفهم. فإن سكرتير التحرير المركزى بوسائل الإعلام **Daskman** يعتبر رجل الاتصال الأول **Prime Communicator**. ذلك لأنه ينوب عن القارئ مؤقتاً. وهو من أجل ذلك يلتزم بما يفرضه الضمير، من جهاد ونضال مع المادة التحريرية ليخلق منها قصة واضحة المعالم، ذات مغزى ومعنى، ومبنية على أساس منهجى، وفى أسلوب مباشر أمين، واضح، دقيق. فتقويم الأخبار يرمى أساساً إلى تيسير الفهم بالنسبة للقارئ، حتى يدرك مغزاها وآثارها. ثم إن المحرر يحاول جهده ملاطفة الجمهور عن طريق العنوان المنشود. وهنا نجد تقارباً واضحاً بين المحرر **editor** والكاتب الإبداعي **Creative writer** من حيث أن كليهما إنما يريد أن يتحدث إلى الجمهور بصورة صحيحة، ويطارحه الأفكار والعواطف، فى ألفة وإيناس.


وبعد؛ فلا نزعم لأنفسنا أننا قد أحطنا فى هذا الكتاب بماهى التحرير الصحفى؛ أوبأساليبه الفنية؛ بل نأمل أن نكون قد استطعنا تقديم صورة مجملة عن الأساليب الأساسية فى التحرير الصحفى، تواصلنا مع دراسات أساتذتنا وزملائنا فى هذا الفن، والذين أفدنا من عملهم؛ ورؤاهم الكثير؛ على نحو ما يتضح فى مراجع هذا الكتاب وهوامشه. ونسأل الله تعالى التوفيق؛ فجلّ من لا يخطئ تحيزاً أو قصوراً فى عالم البشر.

المؤلف

عبد العزيز شرف



إفصاح الأول



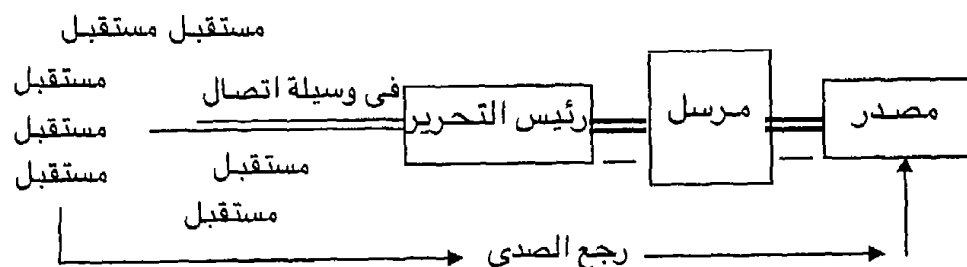
فن التحرير
و
وسائل الاتصال الصحفي

يتضح لنا موقع "التحرير الصحفي" من عملية الاتصال، حين يتولى المحرر وضع "رسالته" في شكل معين؛ أو صيغة محددة من الرموز أو الكلمات؛ لتُنشر في صحيفة أو مجلة.

فالصحف لكي تنشر تحرص الحرص كله على تحقيق تواصل فعال مع القارئ. ويتوقف ذلك بطبيعة الحال على مدى التناغم بين المرسل، والمستقبل. فإذا كان المرسل ضعيفا في كتابته أو غير واثق من نفسه، أو ليست لديه معلومات كافية عن موضوعه. فإن ذلك يؤثر على الاتصال، وإذا كانت الرسالة غير محررة بالطريقة الفعالة، فإنها تقف في سبيل نجاح الاتصال^(١)، وعنصر الرسالة في عملية الإعلام هو العنصر المحوري في دراستنا للتحرير الصحفي.

وهو عنصر غير منفصل - كما تبين مما تقدم - عن بقية العناصر الأخرى؛ ولكنه وثيق الصلة بالمرسل والمستقبل، ومعرفة الهدف، وفعالية وسيلة الاتصال الصحفي، وقدرة المستقبل على حل الرموز.

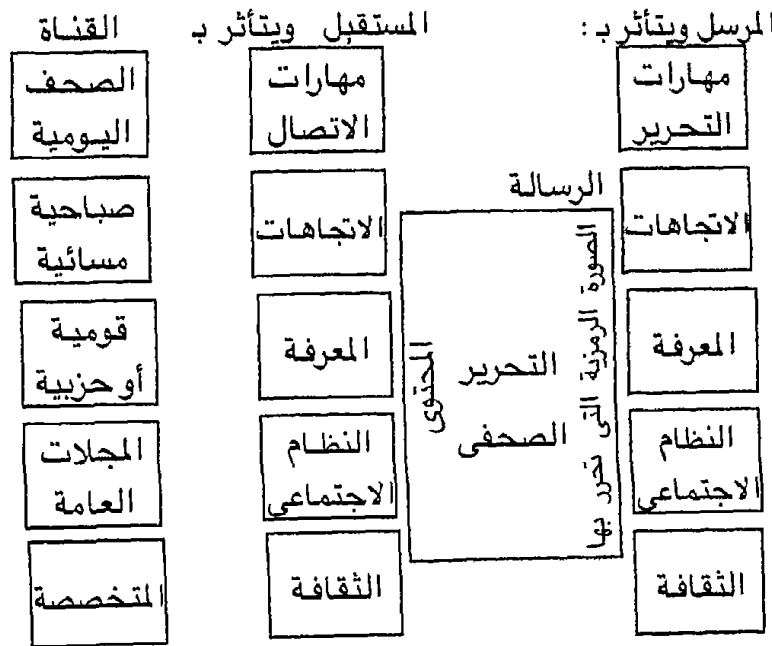
ويمكن تصوير انتقال الرسالة الصحفية من المصدر إلى الجماهير، من طريق المرسل، ووسيلة الاتصال التي يهيمن عليها المسئول كرئيس التحرير مثلا، لكي يتلقاها بعض الجماهير مباشرة، أو يتلقاها بعض القادة وحاملو المعلومات، لنقلها إلى أصدقائهم أو أتباعهم على النحو التالي :



ويبدل أسلوب التحرير الصحفي كما يفهم من المصطلح على المعاونة التي يقدمها المحرر لجمهوره مباشرة في القراءة في عملية نقل المعلومات والآراء والحقائق والوقائع.

(١) د. إبراهيم إمام : الإعلام والاتصال بالجماهير ص ١٣٥ .

على أن اللغة في نظرية التحرير، لا تنفصل عن القناة Channel أو الوسيلة الصحفية التي تنقل الرسالة، وهي عبارة عن وسيط، لابد من اختياره بدقة لنقل الرسالة بنجاح، وأن يقوم هذا الاختيار على أساس من تحقيق الارتباط الوثيق بين التحرير والجمهور، وضرورة التناغم والمشاركة بينهما. وهذا الجمهور هو الذي يستقبل رموز التحرير ويعمل على ترجمتها إلى آراء وأفكار، فعندما يقوم محرر ما في صحيفة من الصحف، بتحرير نص من النصوص؛ ينطلق من تصويره لجمهور يقرأ ما يكتبه هذا المحرر. وهذا الشخص الموجود عند الطرف الآخر من العملية التحريرية يمكن أن نستعير له من علم الاتصال. اصطلاح "المستقبل" الذي يمثل بدوره الهدف في عملية التحرير.



وتأسيساً على هذا الفهم، فإن التحرير الصحفي يمثل صلب العملية الإعلامية الاتصالية، .. والرسالة الإعلامية هي جوهر التحرير الصحفي الذي يمكن أن نميز فيه بين جانبين: العناصر التي تتكون منها الرسالة، ثم يأتي بعد ذلك البناء أو التركيب الخاص بوضع هذه العناصر معاً لتنتج لنا رسالة معينة مطلوب توصيلها إلى جمهور القراء.

التحرير عن طريق الوسائل :

وإذا كنا قد حاولنا تعريف التحرير الصحفي عن طريق الاتصال بال جماهير، فإن المحاولة الأخرى قد تتمم هذه المحاولة.. ذلك أن وسائل الاتصال الصحفي تمثل الوجه الآخر للاتصال بال جماهير. وعلى ذلك يغدو التحرير الصحفي ذا وجهين، الوجه الأول هو ما فرغنا من محاولة دراسته، والوجه الآخر هو محاولة التعرف على ماهيته عن طريق الأجناس الإعلامية التي طرحناها في كتابينا (المدخل إلى وسائل الإعلام) و(فن التحرير الإعلامي)^(١). إن "التحرير هو الوسيلة" بحيث لا تغدو "الرسالة" هي المضمون فحسب، وإنما تغدو "الرسالة" في التحرير الإعلامي هي "فن تطبيق الكلام المناسب للموضوع والحالة والجنس الإعلامي على حاجة القارئ أو السامع أو المشاهد". فالتحرير في كل وسيلة من وسائل الإعلام إنما ينطبع بطابع جنسها الإعلامي، الذي يوجهه إلى اختيار لغته وأسلوبه وبلاغته. فطبيعة الجنس الإعلامي هي التي تحدد طريقة وضع الفكر في رموز تتفق وخصائص هذه الوسيلة الإعلامية أو تلك، والتي ترتبط بدورها بقدرات المتلقي وقدرات المصدر في آن واحد. ولذلك فإن التحرير في الجنس *genre* الصحفي يختلف عنه في الجنس الإذاعي المسموع مثلاً. وليس ثمة تعارض بين الأجناس الإعلامية فالجنس الإذاعي المسموع لم يقض على الجنس الصحفي. وقد أثبتت دراسات عديدة أن الاستماع إلى الراديو لا يتنافس بالضرورة مع قراءة المادة المطبوعة، ولكنه كان يتكامل معها.

فالتحرير عن طريق وسيلة الإعلام، يعنى أن نظرية التحرير العامة تتفرع إلى فروع تطبيقية، في كل جنس إعلامي على حدة.. وتشير الأبحاث الإعلامية إلى أن المقدرة الإقناعية تختلف باختلاف الأجناس الإعلامية، كما تشير إلى أن لكل جنس إمكاناته وخصائصه ومميزاته.. فيذكر الباحث الأمريكي "ستوفر" مثلاً، أن المطبوع يصل إلى جمهور يرتفع مستواه التعليمي عن مستوى جمهور الجنس الإذاعي المسموع "بشكل عام". وإن كان الواقع يشير إلى أن الجماهير تقسم الوقت بين الأجناس الإعلامية، للحصول على الإعلام والترفيه والثقيف والتوجيه وفقاً لإمكانات كل جنس إعلامي ورغبات كل مستقبل.. وعلى ذلك تبين أهمية التحرير التطبيقي في كل جنس

(١) هيئة الكتاب ١٩٨٠ - ١٩٩٩.

على حدة، فالجنس الإعلامى المرئى فى التلفزيون والسينما يتميز عن الجنسَيْن الصحفى أو الإذاعى المسموع، لأن التحرير فى الأول يتوسل إلى العين والأذن معاً، الأمر الذى يزيد من قدرته على التعليم والإقناع، أوبعبارة أخرى فإن التحرير فى كل جنس إعلامى إنما يتوسل بخصائص الوسيلة ليقدّم رسالة تتميز بالحيوية والواقعية، فالتحرير الصحفى مثلاً، يسمح للقارئ بالسيطرة على ظروف العرض الإعلامى، وقراءة الرسالة أكثر من مرة، فضلاً عن أن لديه فرصة لتطوير الموضوع فى مساحة أكبر وفقاً لأهميته.. وتشير التجارب إلى أن المواد المعقدة من الأفضل تقديمها مطبوعة عن تقديمها شفوية. ومن الأفضل استخدام التحرير الصحفى فى مخاطبة الجماهير المتخصصة والجماهير صغيرة الحجم، لأنه يقتضى من القارئ جهداً أكبر من ذلك الذى يقتضيه فى الأجناس الإعلامية الأخرى.

فالقارئ لا يحس بأنه شخصياً جزء من عملية التحرير الإعلامى، كما يشعر مستمع الراديو أو المشاهد للسينما، لأنه لا يشعر بأن الحديث موجه إليه شخصياً، ولكنه فى نفسى الوقت جزء من العملية أو مشترك فيها أكثر؛ لأنه مضطرب إلى المساهمة الخلاقة فى نوع من أنواع الاتصال غير الشخصى. ويفترض بعض الباحثين أن مثل هذه المساهمة الخلاقة لها مزايا اقناعية.

وتأسيساً على هذا الفهم يتسنى لنا أن نقول إن تعريف التحرير الصحفى عن طريق الوسيلة يعنى أن التحرير فى الأجناس الصحفية لا يستقل عن تكنولوجيا الصحافة ذاتها، ذلك أن الكيفية التى يتم التحرير بها فى كل جنس على حدة، تؤثر وتتأثر بمضمون تلك الوسائل، وهذه الوسائل التى هى امتداد لحواسنا. كما يقول "ماكلوهان" هى فى رأينا أجناس إعلامية، لكل جنس منها فئة الإعلامى فى التحرير، ويقتضنا ذلك أن نعرف طبيعة كل جنس حتى نتمكن من السيطرة عليه واستخدامه الاستخدام الأمثل فى تطبيقات البلاغة الجديدة.

وبلاغة الاتصال الصحفى تتوسل بالكلمة المطبوعة كوسيلة فعالة للوصول إلى عقول وقلوب وعواطف الجماهير، وهى بالتالى تؤثر فى الفكر والفعل والسلوك. للصفحة المطبوعة جانب واحد ضعيف - من حيث أنها صامتة تخلو من الصوت - فإن هذا الضعف يمثل مصدر قوة لها. فهى الوحيدة من بين وسائل الإعلام التى تمكن القارئ من

تحديد سرعة القراءة وإيقاعها، وتتيح لها التمهّل وإعادة القراءة والتوقف ومعاودة القراءة والتذوق. هذا ما تتميز به الصفحة المطبوعة. (وإن كان الفيديو وشريط الكاسيت الآن يتنافسان للحصول على هذه المزايا). وستظل الصفحة المطبوعة ولكثير من الناس (ربما فى الألفية الجديدة أيضاً) هى المصدر الرئيسى للمعلومات (إن لم تقض عليها بنوك المعلومات). وهناك ضعف آخر فى الصفحة المطبوعة يعتبر مصدر قوة، إذ الكلمة المطبوعة تتطلب من القارئ جهداً أكبر من أى وسيلة إعلامية أخرى^(١).

أما مشكلة: جهد القراءة :

فتمثل فى نفس الوقت نقطة قوة يستند إليها فى التحرير الصحفى فى توجيه الاتصال؛ ذلك أن الكلمة المطبوعة تتطلب من جمهورها أكثر مما تتطلبه أية وسيلة أخرى للاتصال، فهى أولاً، تحتاج إلى جهد للقراءة، قد يراه الكثيرون أمراً عسيراً لأسباب تتعلق بعقبات نفسية أو عدم تدريب. وهى تحتاج من ناحية أخرى إلى خيال مستمر ومتصل، والقراء الذين لا يتمكنون من مواجهة هذه الحاجة نظراً لخبرتهم المحدودة، أو كفاءتهم غير الملائمة فإنهم ينسحبون حتماً من هذا الميدان. وتعتمد قوة الشعر على هذه القدرة الأخيرة، فالشاعر والقارئ يشتركان فى مباراة واحدة، تتمثل فى رؤية: كيف أن عمق التجربة أو كثافتها، يمكن أن ينبثقاً عن كلمات قليلة، وكلما أسهم القارئ بنصيب كان ذلك أفضل، ومن أجل هذا يرجح أن تظل الصفحة المطبوعة مصدراً رئيسياً لتغذية العقل المدقق^(٢).

ولقد كانت الصحافة فى عهدها الأول تخدم مثل هذا العقل فقط، ولا تفيد غيره، "ولذلك لم تجد مبرراً لجذب انتباه القراء أو لدفعهم للقراءة، ولكنها أصبحت الآن، وبعد أن وصلت إلى جماهير جديدة وعريضة، وسيلة اتصال جماهيرية هائلة. يضاف إلى ذلك أن لكل نوعية من أنواع المعلومات والأخبار التى تشتمل عليها الصحف، وظيفة اجتماعية معينة^(٣) .

(١) د. طه محمود طه : وسائل الاتصال الحديثة؛ فى "عالم الفكر" الكويت ص ٨٠.

(2) Erik Barnouw Mass Communication: Television Radio, Film Press Holl Rinehart and Winston, N.Y. 1956 .

(٣) د. سامية محمد جابر. المرجع السابق.

ويذهب مؤرخو وسائل الإعلام إلى أن أول اختراع آلى يستطيع به الإنسان أن يشارك أفكاره مع أفكار الآخرين على نطاق واسع، يتمثل فى آلة الطباعة التى كان اختراعها سببا فى توسيع آفاق العالم بأجمعه مرة واحدة تقريبا. لم يعد على القارئ أن يحل رموز المخطوطات اليدوية الصعبة، وبدلا من ذلك تستطيع عيناه وعقله أن تتسابق عبر الصفحة المطبوعة. ومع الطباعة جاء عصر إحياء العلوم القديمة ونهاية احتكار فئة قليلة من الصفوة للعلم، وتقنين اللغات، وازدهار الأدب الوطنى، ومع الطباعة أيضا ولدت الصحافة.

"وليس معنى هذا أن الصحافة قد ولدت يانعة بمجرد أن أقام وليم كاكستون مطبعته فى وستمنستر سنة ١٤٧٦. فمع أن الصحيفة كان لها بشائرها فى شكل نشرات ورسائل، إلا أنه قد مرّ نحو قرن ونصف قرن بين الأخبار وقد كانت هناك أسباب قوية لهذا التأخير فلم تتمكن وسائل الاتصال التقليدية من جمع الأخبار وتوزيعها، كما أن الأمية كانت فاشية بين الناس، ولم يكن فى استطاعة كل شخص أن يشتري صحيفة، كما أن الطباعة نفسها كانت أحيانا مهنة خطيرة تحوطها القيود"^(١).

فقد عرفت الصحف فى أوروبا بعد أن ظهرت الطباعة بفترة طويلة؛ إذ اقتصر فن "جوتنبرج" على طبع أوراق الدفاتر وكراسات الأعمال التجارية وما إلى ذلك من الأشياء التى تمت إلى الحياة العملية ولا ترتبط بالصحافة والصحف. غير أنه قد لوحظ فى تلك الفترة أن من بين الكراسات التى طبعتها المطبعة فى صدر عمرها كراسات تحمل الأنباء للناس، والأنباء كما نعلم أهم عناصر الصحيفة. وقد سبقت إذاعة الأنباء فن الطباعة؛ فكانت تلقى فى أول الأمر مشافهة ثم مضى أصحابها ينسخونها؛ فلما عرفت الطباعة صارت تذاع بعد طبعها فى كراسات خاصة"^(٢).

وقد شهد القرن السابع عشر فى فرنسا وإنجلترا وفى غيرهما من الدول الأوروبية — مولد الدوريات التى تظهر كل ستة أشهر؛ ثم كل شهر؛ ثم كل أسبوع؛ ثم كل يوم. ومضت هذه النهضة قدما وعبرت البحار إلى أمريكا الشمالية؛ بينما مضى الشرق فى

(١) ريفرن وزملاؤه : وسائل الإعلام والمجتمع الحديث، ترجمة د. إبراهيم إمام، ص ٢٩.

(٢) د. إبراهيم عبده: تطور الصحافة المصرية ص ١٥،

عزلته. فلم يعرف الطباعة إلا بعد أن غرقت أوروبا فى الكتب المطبوعة والصحف السيارة فى المدن والمقاطعات المختلفة.

يقول د. إبراهيم عبده: "كان من الأمور الغريبة حقا ألا تشارك مصر دويلات أوروبا فى تقدير الطباعة وتكريم الصحافة، وألا تمر بها الأدوار الصحفية التى مرّت بأوروبا، ذلك لأن مصر أبقت على تراث فكرى كاد يندثر بسقوط الدولة العربية وتفرّق كلمتها. وقد حملت لواء النهضة، ولم يقف نشاطها فى العلوم والفنون بالرغم من غشاوات الجهل التى أعمت بعض حكامها؛ وبالرغم من نوبات الفتور التى مست الحياة الفكرية المصرية آنأ بعد آن منذ عهد الفاطميين إلى أيام المماليك البحرية والبرجية "الشراكسة". وقد ظهر فيها كثير من العلماء والأدباء والمؤرخين كالقلقشندى وابن هشام وابن خلكان وابن تغرى بردى وغيرهم من إعلام العلم والتاريخ. وقد اتصلت مصر فى عصورها الوسطى بممالك البحر المتوسط وجنوب أوروبا وجمهورياته الهامة للمتاجرة معها. وكانت مصر واسطة العقد بين الشرق والغرب وكان يرجى لها التوفيق إلى كل جديد تعرفه أوروبا فى ذلك الوقت.

وإلى أوروبا يرجع الفضل فى صناعة الحروف الشرقية والعربية؛ عنوا فى أول الأمر باللغة العبرية وحروفها لأنها لغة الإنجيل والتوراة، وقاموا بنشرهما فى إيطاليا؛ ثم مضوا ينشرون كتباً دينية مختلفة؛ ثم اتجهوا إلى العلم فنشروا باللغة العربية بعض الكتب. وفى مستهل القرن السابع عشر احتدمت المنافسة بين روما وباريس ولندن على طبع الكتب العبرية والعربية. وأحسن الشرق هذه المنافسة فجلب إليه الطباعة من الغرب ليقوم هو أو يساهم على الأقل فى نشر آثاره وتعاليمه.

وقد أوحى بذلك أيضاً الفكرة الدينية؛ لذلك بدأت المطبعة فى الشرق أول ما بدأت تنشر كتباً دينية باللغة العبرية؛ ثم كتباً أخرى باللغة العربية؛ وتخلصت أخيراً من هذا الاتجاه، ومضت تذيب المؤلفات والتراجم العلمية والأدبية.

وحين جاءت الحملة الفرنسية إلى مصر سنة ١٧٩٨م عرضت بين بضاعتها مطابعها العربية واليونانية والفرنسية؛ وقد ناسب نشاط هذه المطبعة قدر الحملة؛ فلم تعمل على نشر الكتب والتعاليم الدينية؛ ولكن خدمت الغرض الدعائى للحملة؛ من

خلال طباعة المنشورات العربية وأوامر القائد العام. ثم أضافت إلى ذلك شيئاً جديداً لم تعرفه مطابع الشرق الأدنى، وانفردت به مصر أول الأمر؛ ذلك هو إخراج الصحف؛ فعن طريق هذه المطابع عرفت مصر الصحيفة أو الدورية من خلال صحيفتي "كورييه دوليجيت" *Courrier De L'Egypte*، و"لاديكاد إيجيسين" *La Décade Egyptienne*. على أنه لا يجوز للمؤرخ . كما يقول د. إبراهيم عبده^(١) - أن يحدد تاريخ الصحافة المصرية بإنشاء هاتين الصحيفتين؛ لأنهما صحيفتان أجنبيتان وإن ظهرتا في مصر.. وحين ولي محمد علي شئون مصر في سنة ١٨٠٥م، وعنى بتنظيم مصر إدارياً ورعاية مصالح الزراعة والصناعة؛ أنشأ لذلك ما يسمى "بديوان الجورنال" وجعل له مطبعة في القلعة لطبع هذه النشرة. ثم بدا له ألا يكتفى بطبع نسخ قليلة من هذا الجورنال" فطبع منه مائة نسخة يومية؛ على أن توزع على موظفي الديوان ومأموري الأقاليم. وفطن محمد علي بعد ذلك إلى أن من الحكمة أن يصل الشعب المصري نفسه بهذه الأخبار التي تصف له أعمال الحكومة، فبادر بإنشاء ما سمي (بالوقائع المصرية). وصدر أول عدد منها في ١٥ رجب ١٨٢٢م. ووزعت نسخ هذا العدد على العلماء والملكيين والجهاديين وطلبة المدارس في مصر، والطلبة المصريين في أوروبا، بل وصلت من هذا العدد نسخ أخرى إلى السودان والشام وكريت وبلاد العرب .

هكذا بدأت الصحافة المصرية رسمية أول الأمر. وبقيت رسمية على هذا النحو طول عهد محمد علي، فعباس، فسعيد، فإسماعيل الذي بلغت الصحافة الرسمية أوجها في حكمه. ولم يكن إلا أخيراً، وفي عهد إسماعيل، أن ظهرت الصحافة الشعبية، ونظر التاريخ إلى إسماعيل هذا على أنه المنشئ الثاني لهذه الصحافة في مصر الحديثة.

وقد أعانت الحكومة المصرية على ظهور بعض الصحف الشعبية التي كتبتها أقلام مصرية، قبل أن تظهر في مصر الأقلام السورية، وتبدأ نشاطها في هذا النوع من الصحف.

فقد أوحى إسماعيل . بعد أن أسس شورى النواب سنة ١٨٦٦ . إلى رجل مصري هو عبدالله أفندي أبو السعود ، فأنشأ صحيفة باسم "وادي النيل" كانت تصدر مرتين في كل أسبوع. وكان الغرض منها الدفاع عن سمعة الخديو. وإلى جانب هذه الصحيفة

(١) د. إبراهيم عبده : المرجع السابق ص ٣٥.

كانت هناك صحيفة أخرى ليست "كوادى النيل"، لسان حال الخديو، ولكنها مستقلة. ونعنى بها جريدة "نزهة الأفكار" لصاحبها إبراهيم المويلحى وعثمان جلال. كانت جريدة سياسية أسبوعية. وهذه الصحف الشعبية المصرية على قلتها قد غيرت من القول الشائع بأن الصحف المصرية بدأت فى كنف أهل لبنان، وبجهد أبناء الشام. فهاتان الصحيفتان ومحرراهما من علمنا - غيرتا هذا الرأى - وأبطلتا هذا الزعم، وأوضحتا أن نشأة الصحافة الشعبية فى مصر كانت بأيد مصرية خالصة^(١).

ومن أهم الصحف وأقدمها "جريدة الأهرام" لصاحبها سليم تقلا، وقد حصل على تصريح بها فى عام ١٨٧٥م. وكان لهذه الصحيفة - فوق عنايتها بنشر البرقيات الخارجية - مشاركة فى بعض الجهود الأدبية، إذ كانت تنشر بعض مقامات الحريري حيناً. وبعض ما يتصل بالنحو والصرف واللغة حيناً، وبعض ما يتصل بالحكم والنوادر والأشعار والقصص والتاريخ حيناً ثالثاً، ثم بعض ما يتصل بالطب والرياضيات آخر الأمر.

وبقيت "الأهرام" تعمل يومئذ إلى جانب الصحف الشعبية المصرية، ومنها جريدة "وادي النيل" التى صدرت سنة ١٨٦٦، وجريدة "نزهة الأفكار" الصادرة سنة ١٨٦٩، وجريدة "روضة الأخبار" الصادرة سنة ١٨٧٥، و"جريدة الوطن" التى صدرت سنة ١٨٧٦. وكانت كل صحيفة من هذه الصحف الشعبية تعنى عناية خاصة بالأخبار الاجتماعية. وتتفق كلها على نقد السياسة الإنجليزية، وإن كان هذا النقد فى ذاته لم يتيسر لها إلا بعد جهد عسير.. وإلى جانب "الأهرام" كانت هناك جرائد أخرى لا يستهان بها. منها على سبيل المثال: جريدة مصر سنة ١٨٧٦، وجريدة المحروسة سنة ١٨٨١، وجريدة العصر الجديد سنة ١٨٨٠. ومهما يكن من أمر فقد توالى الأحداث المصرية والأحداث العالمية، واصطلحت كلها على تقوية الصحافة الشعبية، وعادت كلها بالفائدة المحققة على هذه الصحافة.

والكلمة المطبوعة من الأهمية بمكان، حتى أنه ليشك فى إمكان قيام الدولة الحديثة التى تحتوى الأمة دون وجود الطباعة. ولقرون عديدة كانت المواد المطبوعة - بوجه عام - هى التى حافظت على المثل العليا والآمال والتقاليد المشتركة، كما حافظت

(١) الدكتور إبراهيم عبده : تطور الصحافة المصرية ص ٦٥.

على روابط الولاء السياسى فى مناطق شاسعة، وكانت الوسائل الطباعية وحدها تنهض بالمهام التى يتوقعها المجتمع اليوم من جميع وسائل الإعلام مشتركة. ولقد قامت الوسائل الطباعية بإعلام الجمهور وتنويره، وتفسير الأحداث والقضايا، وتحدى السلطة المتقلبة، وإمتاع الشعب، وإقناع الجماهير العديدة، لكى تصل إلى اتفاق فيما بينها، كما أنها قامت إلى حد محدود بتقديم بائعى السلع والخدمات إلى المشترين.

ثم جاءت ثورة الاتصال فى القرنين التاسع عشر والعشرين لتقدم السينما والراديو والتلفزيون، فانضمت إلى الوسائل المطبوعة لنشر الأخبار والأفكار والإمتاع. وبسبب طبيعتها الإلكترونية، وكذلك بسبب تنوع طرقها فى أداء مهامها، أصبحت كلمة "الصحافة" اصطلاحاً مهجوراً لا يعبر عن كل الوسائل.

يضاف إلى ذلك أن ثورة الاتصالات قد جلبت معها أنواعاً من الاتصال الإقناعى الذى قلما يدخل فى نطاق المعنى التقليدى للصحافة، ولقد أصبح الإعلان عوناً هاماً ملحقاً بجهاز التسويق، ولا تعبر كلمة صحافة بوضوح عن الوظيفة الإقناعية. فقد نشأت العلاقات فى كنف الشركات التجارية التى اعتقدت أن إرضاء الجمهور كفيل بالمحافظة على مركزها الاحتكارى، ونمت من طفل صغير فى نهاية القرن التاسع عشر حتى أصبحت شقيقة للإعلان فى منتصف القرن العشرين. وتقوم العلاقات العامة فى صورتها المستنيرة المثلى بخلق الانسجام بين سياسات المؤسسات ومصلحة الجماهير وبعد ذلك تقوم بمدحها، وهى تستخدم فى ذلك وسائل الإعلام، كما تختار خبراءها من بين العاملين فى تلك الوسائل. وقد ازدهرت الصحف والمجلات الناطقة باسم الشركات بعد الحرب العالمية الثانية. وإن كان البعض يذهب إلى أن نشرة المؤسسة ليست صحافة بالمعنى الدقيق للكلمة^(١).

ومن أهم خصائص الاتصال الصحفى؛ والإعلامى بوجه عام؛ أنه ذو اتجاه واحد غالباً. وقلما يكون هناك طريق سهل أو سريع للقارئ، أو المشاهد، أو المستمع، لكى يرد أو يسأل أسئلة، أو يتلقى إيضاحات؛ إذاً هو احتاج إليها. وثانية هذه الخصائص أن الإعلام يتضمن قسماً كبيراً من الاختيار فالوسيلة، مثلاً، تختار الجمهور الذى ترغب فى الوصول إليه. فصحيفة "الأهرام" مثلاً تختار جمهوراً مثقفاً وحضريراً من القراء.

(١) ريفرز وزملاؤه، السابق ص ٣٠.

و"مجلة الشباب" تستهدف الشباب فى مصر وأمتها العربية. أما مجلة "الأهرام الاقتصادى" فتتوجه إلى المعنيين بشئون المال والأعمال والاقتصاد. ومن الناحية الأخرى، فإن جماهير المستقبلين يختارون من بين الوسائل، فهم يقررون ما إذا كانوا سوف يشاهدون التلفزيون، أو يقرءون كتابا، أو صحيفة، أو مجلة وهم يختارون ما يشاءون من المضمون المتاح لهم، فقد يشاهدون برنامجا تلفزيونيا إخباريا، أو إنهم قد يحولون مفتاح الجهاز إلى قناة أخرى حيث يعرض برنامج للفوازين، كما أنهم يختارون الأوقات التى يستخدمون فيها وسائل الإعلام.

وثالثة هذه الخصائص أن الأمر يحتاج فعلا إلى عدد من وسائل الإعلام أقل مما كان مستخدما من قبل؛ وذلك لأن الوسائل تستطيع الوصول إلى جماهير ضخمة ومنشرة انتشارا عريضا. فلكى نبعث برسالة عبر الوطن العربى عن طريق الصوت البشرى وحده، يحتاج الأمر إلى أعداد هائلة وهائلة من المتحدثين. ولكن شبكة إذاعية واحدة تستطيع أن تصل إلى الملايين من الناس فى نفس الوقت. ولهذا ما يناظره فى النظام الاقتصادى والاجتماعى بأكمله. ففى ظل النظام المعاصر للإنتاج الضخم مثلا، "يستطيع عدد أقل من المنتجين أن ينتجوا عددا كثيرا من المنتجات الموحدة"^(١).

ورابعة هذه الخصائص أن وسائل الإعلام فى سعيها لاجتذاب أكبر عدد من الجمهور. تتوجه إلى نقطة متوسطة افتراضية يتجمع حولها أكبر عدد من الناس. ونادرا ما تكون هذه النقطة هى أدنى المستويات، غير أنها ترتفع تماما إلى المستوى المتوسط فى كثير من أجهزة الإعلام.

وهذه الخصائص هى التى يركز عليها فن التحرير الصحفى؛ فى التوجه إلى نقطة متوسطة افتراضية يتجمع حولها أكبر عدد من القراء وقد درج رؤساء تحرير الأخبار على توجيه المندوبين الناشئين بالكتابة إلى "ذلك الشخص الذى يحرك شفتيه عندما يقرأ"؛ وهو الشخص الذى يمثل أدنى مستوى بين قراء الصحف، وإذا كان هذا الشخص يستطيع فهم الأخبار الصحفية، فإن القراء الأكثر تعليما يستطيعون ذلك أيضا. ووفقا لدراسات القدرة القرائية، يمكن توقع أن ثلاثة أرباع الشعب - ممن تلقوا

(١) ريفرز وزملاؤه المرجع السابق ص ٣١.

تعليميا متوسطا . يفهمون ما يكتب على مستوى الصحف العادية والمجلات الشعبية. ولما كانت وسائل الإعلام تخاطب قارئاً، أومستمعا - أومشاهدا افتراضيا، فإنها تفتقد روح الألفة التي تسود عند الاتصال بشخص واحد من الأشخاص. فالتقرير الذي تنشره صحيفة عن حدث ما يفتقد كثيرا من الألفة التي يتميز بها خطاب يرسله صديق إلى صديقه عن هذا الحدث.

وينبغي ألاّ نخدعنا الإحصاءات عن عادات الجمهور القرائية؛ ففي مصر وكثير من الدول العربية؛ يلجأ الأميون إلى المتعلمين ليقروا لهم الصحف؛ فلا نكون مبالغين إذا قلنا إن أكثر من ٧٠٪ من سكان البلاد العربية يقرأون الصحف ويستمعون إلى تلاوتها إلى جانب الارتباط بزيادة عدد المتعلمين وارتفاع مستوى التعليم؛ إذ وجد مكتب البحوث الاجتماعية التطبيقية أن ٦٥ ٪ من المتعلمين تعليما ابتدائيا يقرأون الصحف. وترتفع هذه النسبة بين المتعلمين تعليما ثانويا فتبلغ ٧٥٪ وتصل هذه النسبة إلى ٩٥٪ من بين المتعلمين تعليما عالياً.

ويرتكز التحرير الصحفي على دراسات القدرة القرائية؛ والقراءة تتطلب خيالاً مستمرا؛ ومشاركة من القارئ في خلق أجواء النص؛ ذلك أن الاستمتاع بالقراءة . على حد تعبير د. طه محمود طه - "يتناسب تناسباً طردياً مع القدرة على الاشتراك في خلق المعاني عن طريق التخيل. ونجد أن فعالية الشعور وقوته تكمن في هذه اللعبة الطريفة بين الشاعر والقارئ. ولهذا تعتبر الصفحة المطبوعة أفضل وسيلة للاتصال بالجمهور المنتبه، فهي لا تحاول أن تشد الانتباه أو تجتذب، فالجمهور هنا هو الذي يبحث عن الكلمة. وربما أطلق عليها أفلاطون "وسيلة الرد الرزين" فهي قلما تلجأ إلى الأسلوب الدرامي. ومنذ عام ١٨٣٠ زحفت فنون أخرى إلى الصفحة المطبوعة . فنون درامية كالحوار والرسم والصور والكاريكاتير والألوان ثم الرسوم الهزلية. وهذه الفنون التصويرية توفر مجالات للتعبير عن العواطف عن طريق التقمص. وأدى استخراج النسخ الفوتوغرافية وتطور الروتوغراف في الصحافة والأخبار المصورة بكل ما فيها من طاقات للعرض الدرامي والأبهة والعظمة، إلى البعد بالصفحة المطبوعة في الدخول في منافسة مع السينما، كما يتضح من أساليب القيم السينمائية كاللقطة القريبة والبعيدة والمزدوجة. ولكن هذه الفنون التصويرية ساعدت الصفحة المطبوعة في الدخول في منافسة مع السينما والتلفزيون.

ففى الفيلم وفى التلفزيون تتحرك الصور؛ أما فى الصورة المطبوعة فيمكن تثبيت الابتسامة الجميلة التى ترسم على وجه طفل (وإن كانت آلات العرض السينمائى والفيديو؛ هى الأخرى تتميز الآن بوجود مفتاح لتوقيف الصورة أثناء العرض) واللحظة الحاسمة فى تسجيل هدف كروى. وهذه الصورة الثابتة يمكن دراستها وقصها واحتفاظ بها وتعليقها ودراستها والعودة إليها فيما بعد. وعندما يتحرر القارئ والمشاهد من التقيد بزمان محدد للمشاهدة (لاحظ جهاز الفيديو الحديث الذى يمكن توقيته آلياً لتسجيل برامج لعدة أيام) يمكن اتخاذ القرار الذى يناسبه^(١).

تنتشر الكلمة المطبوعة عبر قنوات عديدة لكل منها جمهورها وتخصصاتها، وتحت سيطرتها المطابع والألوان ومساحات الإعلان. وبالإضافة إلى وكالات المطبوعات والنشر يجب أن نشير إلى المنشورات واللافتات وبطاقات السيارات والملصقات والروزنامات وعلب الثقاب والسجائر والملابس، فالكلمة المطبوعة لها القدرة على أن تلتصق بأى شئ حتى الهواء. طائرات الإعلان التى تكتب بحروف من دخان اسم سلعة على ساحل بحر فى شهر الصيف مثلاً تسحب إعلاناً يرفرف خلفها.

والى جانب النتائج السيكولوجية والاجتماعية فقد كان للطباعة نتيجة أخرى يراها "ماكلوهان" فى مد طابعها الانشطارى والتماثل إلى مناطق مختلفة ومجانستها تدريجياً، مما يؤدى إلى زيادة قوتها وطاقتها وعدوانيتها، وهى الصفات الأصلية للقوميات الجديدة الناشئة. ومن الناحية السيكولوجية يمكننا القول إن الامتداد البصرى، والتضخيم، اللذين أحدثتهما الطباعة فى الإنسان قد أديا إلى نتائج عديدة. وأظهر هذه النتائج ما ذكرها م. فورستر Forster فى دراسة عن بعض حروف الطباعة فى عصر النهضة. فلقد قال فورستر: "إن الطباعة التى لم يكن قد مضى على اختراعها قرن من الزمن، كانت تعتبر خطأ آلة قادرة على ضمان الخلود، وقد اقبل الناس عليها فعهدوا لها بمآثرهم وأهوائهم لصالح الأجيال القادمة" لقد أخذ الناس يتصرفون كما لو أن المطبوع وتطبيقاته فى إمكانه ضمان الخلود بفضل سحر التكرار.

ويشترك جانب آخر هام أحدثته طرازية وتكرارية الصفحة المطبوعة، ألا وهو زيادة التأكيد على الهجاء "الصحيح" فلقد أسهمت فى فصل الشعر عن الغناء، وفى

(١) د. طه محمود طه: المرجع السابق ص ٨١.

فصل النثر عن البلاغة. وفي فصل اللغة العامية عن لغة المتعلمين. ففي مجال الشعر. مثلاً. أصبح بالإمكان قراءة الشعر دون سماعه، والعزف على آلة موسيقية دون أن يصاحب هذا العزف قصيدة شعرية. لقد انفصلت الموسيقى عن الكلمات، ليلتقيا مرة أخرى. مع بارتوك Bartok وشوينبيرج Schoenberg.

وللصحافة أهميتها الإتصالية في التأثير في الجماهير، فالصحافة شأن غيرها من المطبوعات مثل الكتاب، المجلة، واللافتات تتميز بخصائص هامة تجعلها تتفوق في بعض المجالات على غيرها من وسائل الاتصال الأخرى. ومن أهم تلك الخصائص:

- تسمح الوسائل المطبوعة بأن يتحكم القارئ، في وقت قراءتها، وفي فرص هذه القراءة، كما تمكنه من إعادة الاطلاع على مضامينها أو نصوصها وتسمح بالتأني - إلى حد بعيد - في هذا الاطلاع.

- وأنها تنطوي على موضوعات متشابكة تحتاج إلى تحليل علمي.

- وأنها بطبيعتها تعرض للتفاصيل الدقيقة التي تتفق مع الدراسات المسهبة.

- وأن أخبارها الصحفية تتميز بالتطويل والتحليل بعكس الأخبار الإذاعية.

- وأن الصحيفة مصدر للأمان في عالم مزعج⁽¹⁾.

ويظهرنا تاريخ الصحافة في العالم كله؛ على أن تطورها يمثل مرآة انعكس عليها تطوّر أذواق قرائها؛ وحاجاتهم؛ التي تسنى لها أن تلبيها.. وأصدق دليل على ذلك؛ هو التغيير الذي نلاحظه في صحافة اليوم؛ على شكل الصحف ومضمونها.

فالتقدم الإلكتروني؛ أتاح للصحف في مجالات الكتابة؛ والتحرير الصحفي؛ وفنون الطباعة؛ وسائل ثورة تقنية حقيقية؛ يراها الأستاذ "بيار ألبير" أشبه بتلك التي أتاحت لها. في نهاية القرن التاسع عشر؛ بواسطة التلغراف وآلة الطباعة واللينوتيب.

(1) A Source of Security in a disturbing world . See Berlson. B.R. "What Missing and The Newspaper Means" in Schramm, W. (edr.) The process and Effects of Mass Communication, University of Illinois Urbana, 1955

د. زيدان عبد الباقي؛ وسائل الاتصال ص ٤٤ .

أن تشبع الحاجات الجديدة لمجتمع في طريقه للديموقراطية: هذه الوسائل الجديدة، تمكنها من تخطى أزمة، لم تؤثر في الواقع، إلا على فئات معينة من الإصدارات^(١).

أما عن آفاق المستقبل في الصحافة المطبوعة؛ فإنها ترتبط من جانب بإمكاناتها في توظيف استثمارات جديدة؛ وضرورة لتحديثها. ومن جانب آخر؛ بمقدرة الصحفيين أنفسهم على تصور الصحافة الجديدة التي تشبع اهتمامات الجيل الجديد.

الأنواع الصحفية :

سبق أن تحدثنا عن نظرية الأجناس الإعلامية؛ في كتاب "المدخل إلى وسائل الإعلام"؛ ورأينا أن الفن الصحفي يمثل الفن الإعلامي الأول؛ الذي اشتقت منه سائر فنون الإعلام الأخرى أشكالها وفنونها وأساليبها وطرائقها. ويذهب د. إبراهيم إمام؛ إلى أن الفن الصحفي هو فن "الإعلام الكلاسيكي" الذي تركز على خبرته الطويلة المتنوعة فنون وسائل الإعلام الأخرى. فالنشرات الإخبارية والتعليقات، والندوات، والتحقيقات والصور والإعلانات والجوانب القصصية والدرامية تشترك في الفنون الإعلامية المختلفة، ولكنها تركز أساسا على خبرة الفن الصحفي الطويلة والمتنوعة. فإذا كان الأمر كذلك بالنسبة للجنس الصحفي، فإن الأجناس الإعلامية الأخرى، ما تلبث أن تنفصل عن "الجنس الكلاسيكي" لتدع له خصائص تميزه من جهة ولتؤصل لكل منها خصائص تميزها عن الجنس الكلاسيكي من جهة أخرى، ولتتمايز من بعضها البعض من جهة ثالثة.

فهل يصبح في مقدورنا اليوم أن نذهب إلى أن الفن الصحفي . من حيث النظر إلى وسائله . يتضمن "أنواعا" صحفية؛ لكل منها مقوماته التي تتيح له التميز في إطار مفهوم "الوحدة" في "التنوع"؟ أو "التنوع" في الوسيلة؛ و"الوحدة" في المفهوم الصحفي العام؟!

يقول الأستاذ بيار ألبير:

"في عالم الجرائد والصحف الدورية، يغدو تصنيف المطبوعات في فئات معينة دائما، من الأمور التعسفية، لأن جميع الصحف حسب موضوعاتها يقود إلى عدم الأخذ

(١) بيار ألبير: الصحافة ترجمة محمد براجوى ، ص ٩.

بعين الاعتبار ما يؤلف حقيقة شخصيتها: طرافتها بالنسبة إلى القريبات منها. إن الفرق بين أية صحيفة وبين مزاحماتها هو أكثر ما يميزها؛ وتوزيعها في فئات يؤدي إلى أهمال المهم.

ومظاهر التصنيف هي، بالطبيعة، عديدة جداً. فمظهر الصحف الدورية خشن وقليل التعبير. أما الميزات الأساسية (الحجم، طريقة الطباعة، الورق، السعر، صيغ العرض) فتؤدي إلى تصنيفات قليلة التبيان لطبيعة المطبوعات؛ إن التصنيف حسب فئة المضمون أو القراء هو الأكثر استعمالاً ولكنه الأقل تجرداً.

وتأسيساً على هذا الفهم؛ تحاول هنا التعرف على "الأنواع" الصحفية من حيث ارتباطها بفنون التحرير الصحفي.

وتشمل هذه الأنواع: الجرائد أو الصحف اليومية؛ الصباحية والمساءية؛ والدورية؛ والوطنية؛ والإقليمية؛ القومية؛ والحزبية؛ والصحف المتخصصة؛ والمجلات المصورة للأنباء العامة؛ والصحف والمجلات الإخبارية المتخصصة.

الجرائد أو الصحف اليومية :

والصحف اليومية؛ على حد تعبير ألبير؛ هي "الشكل النبيل" للصحافة وهذا التفوق يخطئ التوقعات عن الصحافة. لأنه، غالباً، ما يقود إلى إهمال عالم الصحف الدورية الذي يشكل، مع ذلك في البلدان المتقدمة على الأقل، سوقاً أهم بكثير من سوق الجرائد.

ويظهرنا الواقع، على أن الفروق بين فئتين من الصحف تخضع لصلات التنافس بينها؛ وعلينا، بلا ريب أن نجد في هذا التنافس، أكثر مما نجد في منافسة التلفزيون، السبب الرئيسي لأزمة بعض أنواع الصحف اليومية في البلدان الغربية.

ذلك أن الصحف اليومية تختلف كثيراً عن الصحافة الأسبوعية والصحافة النصف شهرية أو الشهرية بتكوينها الاقتصادي والفني، وبطرق تحريرها، كما في نمط قراءتها. ومع ذلك، فإن تحليلاً مفصلاً لوظائف كل من الجريدة والصحيفة الدورية. والتطور الراهن لمضمونها يظهرنا على أنه لم يعد بالإمكان التمييز الدقيق بين طبيعتهما. إنها تؤدي لقراءتها خدمات متشابهة: إن صيغة الجريدة: "قليل من كل شيء في كل

يوم" وصيغة المجلة "قليل من كل شيء فى كل أسبوع" متشابهتان، فى الواقع، وليست الصيغة تتمم الأخرى، ولكن الصيغتين تشيران إلى التنافس بينهما".

ويذهب "بوند"؛ إلى أن الجريدة تحتل اليوم مكانة متميزة فى نشر الكلمة المطبوعة. وتكمن الأهمية الرئيسية للجريدة فى وظيفتها الأولى القائمة على تزويد القراء بالأنباء. ولقد أدرك "توماس جفرسون" منذ سنين بعيدة، أهمية عدم تقييد الأخبار بالنسبة إلى الديمقراطية، عندما أدلى ببيانه الرائع الذى قال فيه "لو ترك لى أن أقرر ما إذا كان ينبغى أن توجد لدينا حكومة بدون صحف أو صحف بدون حكومة، لما ترددت فى أن أفضل الحالة الثانية على الأولى". وقد أعاد تأكيد أهمية الصحافة من هذه الناحية فى حياة الأمم والشعوب؛ ما يحدث من تطورات على الصعيدين الوطنى؛ والعالمى. ذلك أن السياق الزمنى والمكانى لصدور الجريدة؛ يتسق مع سياق الوقائع اليومية الصغيرة؛ أو المحلية؛ أو الوطنية والدولية. وهو سياق يقتضى نشر الأنباء يومياً؛ ومتابعة بعضها فى الغد وفقاً لمقتضى الحال.

أما الأحداث الكبيرة وطنياً ودولياً؛ فإنها فى الجرائد؛ تمثل الأحداث الرئيسية وما تحتاج إليه من تفسير يتيح للقراء أن يتعرفوا على خلفية الأحداث؛ التى لا تتاح لهم من خلال الإعلام الإذاعى والتلفزيونى وهو ينفرد بإعلان الحوادث والوقائع العامة. يقول ألبير:

"وبالرغم من الضرورة المتزايدة لهذا الجهد لتفسير العالم ومشاكله، فإن بعض الجرائد تخلت، فى الواقع، عن معالجة هذه الأحداث الراهنة الكبيرة، أو أنها لا تزال تعالجها مشوّهة بإضافتها على الحوادث طابعاً مأساوياً، وبالبحت عن التفاصيل المثيرة، أو بتجسيد الحوادث أو الأفكار، أو بالتصوير" العقائدى ولكننا نشهد، على كل حال، فى كثير من الجرائد، جهداً لتجديد طرق وأسلوب عرض المشاكل المهمة: هذا النوع الجديد من الصحافة يحول الخبر التقليدى إلى "رجل مكتب"، سرد الوقائع بالنسبة له ليس قصاً فقط. كما أن التعليق هو، بالنسبة له حكم أكثر مما هو تحليل، يعطى البنى أهمية أكثر مما يعطى للحوادث الطارئة، فيصبح الريبورتاج بحثاً يتوسل بطرق ونتائج علم الاجتماع والاقتصاد والعلوم السياسية بالمعنى الواسع. وبالنسبة لهذا النوع الحديث من المخبّر، يتقدم جمع الوثائق على البحث الشخصى أو الشهادات أو الوقائع.

بعين الاعتبار ما يؤلف حقيقة شخصيتها: طرافتها بالنسبة إلى القريبات منها. إن الفرق بين أية صحيفة وبين مزاحماتها هو أكثر ما يميزها؛ وتوزيعها فى فئات يؤدى إلى أهمال المهم.

ومظاهر التصنيف هى، بالطبيعة، عديدة جداً. فمظهر الصحف الدورية خشن وقليل التعبير. أما الميزات الأساسية (الحجم، طريقة الطباعة، الورق، السعر، صيغ العرض) فتؤدى إلى تصنيفات قليلة التبيان لطبيعة المطبوعات؛ إن التصنيف حسب فئة المضمون أو القراء هو الأكثر استعمالاً ولكنه الأقل تجرداً.

وتأسيساً على هذا الفهم؛ تحاول هذا التعرف على "الأنواع" الصحفية من حيث ارتباطها بفنون التحرير الصحفى.

وتشمل هذه الأنواع: الجرائد أو الصحف اليومية؛ الصباحية والمسائية؛ والدورية؛ والوطنية؛ والإقليمية؛ القومية؛ والحزبية؛ والصحف المتخصصة؛ والمجلات المصورة للأنباء العامة؛ والصحف والمجلات الإخبارية المتخصصة.

الجرائد أو الصحف اليومية :

والصحف اليومية؛ على حد تعبير ألبير؛ هى "الشكل النبيل" للصحافة وهذا التفوق يخطئ التوقعات عن الصحافة. لأنه، غالباً، ما يقود إلى إهمال عالم الصحف الدورية الذى يشكل، مع ذلك فى البلدان المتقدمة على الأقل، سوقاً أهم بكثير من سوق الجرائد.

ويظهرنا الواقع، على أن الفروق بين فئتين من الصحف تخضع لصلات التنافس بينها؛ وعلينا، بلا ريب أن نجد فى هذا التنافس، أكثر مما نجد فى منافسة التلفزيون، السبب الرئيسى لأزمة بعض أنواع الصحف اليومية فى البلدان الغربية.

ذلك أن الصحف اليومية تختلف كثيراً عن الصحافة الأسبوعية والصحافة النصف شهرية أو الشهرية بتكوينها الاقتصادى والفنى، وبطرق تحريرها، كما فى نمط قراءتها. ومع ذلك، فإن تحليلاً مفصلاً لوظائف كل من الجريدة والصحيفة الدورية. والتطور الراهن لمضمونها يظهرنا على أنه لم يعد بالإمكان التمييز الدقيق بين طبيعتها. إنها تؤدى لقرائها خدمات متشابهة: إن صيغة الجريدة: "قليل من كل شيء فى كل

يوم" وصيغة المجلة "قليل من كل شيء في كل أسبوع" متشابهتان، في الواقع، وليست الصيغة تنتم الأخرى، ولكن الصيغتين تشيران إلى التنافس بينهما".

ويذهب "بوند"؛ إلى أن الجريدة تحتل اليوم مكانة متميزة في نشر الكلمة المطبوعة. وتكمن الأهمية الرئيسية للجريدة في وظيفتها الأولى القائمة على تزويد القراء بالأنباء. ولقد أدرك "توماس جفرسون" منذ سنين بعيدة، أهمية عدم تقييد الأخبار بالنسبة إلى الديمقراطية، عندما أدلى ببيانه الرائع الذي قال فيه "لو ترك لي أن أقرر ما إذا كان ينبغي أن توجد لدينا حكومة بدون صحف أو صحف بدون حكومة، لما ترددت في أن أفضل الحالة الثانية على الأولى". وقد أعاد تأكيد أهمية الصحافة من هذه الناحية في حياة الأمم والشعوب؛ ما يحدث من تطورات على الصعيدين الوطنى؛ والعالمى. ذلك أن السياق الزمنى والمكانى لصدور الجريدة؛ يتسق مع سياق الوقائع اليومية الصغيرة؛ أو المحلية؛ أو الوطنية والدولية. وهو سياق يقتضى نشر الأنباء يومياً؛ ومتابعة بعضها فى الغد وفقاً لمقتضى الحال.

أما الأحداث الكبيرة وطنياً ودولياً؛ فإنها فى الجرائد؛ تمثل الأحداث الرئيسية وما تحتاج إليه من تفسير يتيح للقراء أن يتعرفوا على خلفية الأحداث؛ التى لا تتاح لهم من خلال الإعلام الإذاعى والتلفزيونى وهو ينفرد بإعلان الحوادث والوقائع العامة. يقول ألبير:

"وبالرغم من الضرورة المتزايدة لهذا الجهد لتفسير العالم ومشاكله، فإن بعض الجرائد تخلت، فى الواقع، عن معالجة هذه الأحداث الراهنة الكبيرة، أو أنها لا تزال تعالجها مشوهة إياها بإضافتها على الحوادث طابعاً مأساوياً، وبالبحث عن التفاصيل المثيرة، أو بتجسيد الحوادث أو الأفكار، أو "بالتصوير" العقائدى ولكننا نشهد، على كل حال، فى كثير من الجرائد، جهداً لتجديد طرق وأسلوب عرض المشاكل المهمة: هذا النوع الجديد من الصحافة يحول الخبر التقليدى إلى "رجل مكتب"، سرد الوقائع بالنسبة له ليس قصاً فقط. كما أن التعليق هو، بالنسبة له حكم أكثر مما هو تحليل، يعطى البنى أهمية أكثر مما يعطى للحوادث الطارئة، فيصبح الريبورتاج بحثاً يتوسل بطرق ونتائج علم الاجتماع والاقتصاد والعلوم السياسية بالمعنى الواسع. وبالنسبة لهذا النوع الحديث من الخبرين، يتقدم جمع الوثائق على البحث الشخصى أو الشهادات أو الوقائع.

من هنا فإن المقالات اليومية تتقهقر، شيئاً فشيئاً بالنسبة للحدث اليومي، وهى لم تمتد بطروفي تحريرها ولا بطرق قراءتها إلى الجريدة؛ إنها تنتمى لحقل الصحف الدورية".!

وتختلف الصحف فى نوعية الأنباء التى تنشرها؛ وطريقة إبرازها؛ ومعالجتها لها. ولكنها تحرص إلى جانب أداء وظيفتى: الإعلام والتفسير؛ على تقديم أبواب تلبى الوظائف الأخرى فى الإمتاع والمؤانسة، والتثقيف والتنشئة الاجتماعية؛ والإعلان والتسويق؛ والتوجيه والإرشاد. ولكن نسب الاهتمام بأداء هذه الوظائف هى التى تختلف من صحيفة لأخرى.

والتوازن الوظيفى؛ هو الذى يجعل من الصحف مراجع لها قيمتها فى تسجيل الأحداث وتفسيرها، على نحو ما نجد فى الصحف اليومية مثل: الأهرام؛ والأخبار والجمهورية؛ وغيرها من الصحف المصرية والعربية والعالية. كما تحرص هذه الصحف على تقديم صفحات تلبى احتياجات القراء الثقافية؛ والامتناعية والتفسيرية إلى جانب فقرات: الطقس؛ البورصة؛ الإذاعة والتلفزيون، المسرح والسينما؛ وصفحات المرأة وغيرها مما يوجد له شبيه فى المجلات الأسبوعية أيضاً.

ولذلك تحرص الجرائد اليومية على تنوع المضمون فيها؛ لتستطيع منافسة المجلات من حيث تميزها بهذا التنوع. ذلك أن القارئ حين يجد صحيفته حريصة على التنوع؛ يزداد "وفاؤه" للصحيفة؛ إن جاز التعبير. على حد تعبير "ألبيز"؛ الذى يرى هذا الوفاء "يزداد، ويشتد فى المستقبل، بفعل العادة وبفعل المصلحة. ومع ذلك فإنه لا يمكن الاستغناء عن الجريدة على صعيد الأحداث الصغيرة والخدمات اليومية التى تقدمها بتسهيلها الإجراءات العديدة للحياة اليومية. وقد أظهر الإضراب الطويل لصحف نيويورك فى ديسمبر ١٩٦٢ ويناير ١٩٦٣، مدى كون الجريدة آلة ضرورية للحياة الجماعية فى تجمع سكنى كبير. إلا أن هذه الجاذبية لا تنطلق إلا من الجرائد المحلية وهى التى تفسر فى المدن الكبرى، نجاح هذه الجرائد المحلية. أما الجرائد الوطنية، التى ليس لها قواعد إقليمية ومحلية، فإن عليها أن تقوم بمجهود كى تقدم لقارئها أنباء أوفى وصفحات منوعة أكثر تشويقاً من صفحات الصحف الدورية.

ومن هنا فإن المنافسة بين هذين النوعين من الصحف تفيد الصحف الجيدة على حساب الصحف الشعبية ذات الإصدار الكبير^(١).

ويختلط جمهور الصحافة اليومية، بمجموع السكان الراشدين. ولكل فئة، ولكل نوع، وأيضاً، لكل صحيفة من الصحف الدورية، جمهور محدود بفئة اجتماعية سهلة التحديد. وبينما يكون للجريدة، بطبيعتها، ميل للقضايا العالمية، فإن ميل الصحيفة الدورية منذ أمد بعيد، يتوجّه نحو القضايا الخاصة. ولكن التطوير الحالى يميل نحو تضيق هذا الاختلاف. فمئذ عشر سنوات لا تنى الصحف الدورية عن توسيع حقل أنبائها، وهذا الاتجاه يوازن، نوعاً ما، بين الانضواء النسبى للجريدة فى الأحداث الصغيرة، وبين تطور طرق المعيشة التى تميل إلى حصر قراءة الصحيفة فى أسبوع واحد. وتميل الصحف الدورية، كذلك، بطبيعة الحال إلى التنوع، أكثر ما يمكن، فى صفحاتها لتشمل قراءتها كافة أعضاء الأسرة فى البيوت التى تدخلها: وهى تقترب بذلك، من صيغة المجلة المصورة للأنباء العامة. وتبدو الصحف الشهرية من الآن فصاعداً، قادرة، بدون مخاطر، على البقاء شديدة التخصص. بيد أن عليها أن تزيد من تخصصها لأنها فى الواقع تمثل نوعاً من الصحافة فى تطور سريع. على الأقل، وبقدر ما تقوم به التغييرات فى مضمون الصحف الدورية، فإن التغييرات هذه تسهل انطباقها على المتطلبات الجديدة لجمهورها. إن التقدم السريع فى وسائل الطباعة الحديثة واستخدام الكمبيوتر؛ واستعمال ورق من نوع أجود، وتعميم الألوان، وتصغير الحجم، كل هذا يعطى الصحافة الدورية طابعاً أشد استهواءً ويزيد فى تمييزها عن الجريدة التى لا يمكنها، فى الوضع الراهن للتقدم التكنولوجى ولأسعار كلفة الإصدارات الكبيرة، أن تأمل فى تعديل شكلها". وقد لاحظ "ريفرز" بالنسبة للصحف الأمريكية أن خطوات العمل فى الصحف المسائية أسرع بعض الشيء، منه فى الصحف الصباحية. وليس معنى ذلك أن المحررين فى الصحف الصباحية يتكاسلون فى أثناء وقت العمل، فالواقع، أن أسرع العاملين الذين شاهدتهم فريق البحث من جامعة ستانفورد، كان محرراً فى جريدة صباحية يقوم بإعداد الأخبار العالمية. ولكن، المحررين فى الصحف الصباحية يستطيعون عموماً، أن يعملوا بهدوء، وبلا عصبية.

(١) بيار ألبير: المرجع السابق، ص ٤.

ويمكن إدراك سرعة العمل في صحيفة يومية ذات توزيع أكبر إلى حد ما من توزيع صحيفة إقليمية. فيقوم محرر البرقيات بإعداد أنباء الوكالات، وهو يصل بعد الساعة الثانية والنصف مساء بقليل، لكي يبدأ عمله بمجموعة الأخبار التي تجمعت لديه. وتقوم إحدى الصحفيات التي تصل مبكرا بنزع أشرطة الأخبار من المبرقات وتوزيعها على مختلف المكاتب (الرياضية، والمجتمع.. الخ) ويذهب معظمها إلى محرر البرقيات، الذي يعطى تعليماته للصحيفة عن الطريقة التي يفضلها في ترتيب الأخبار وتنظيمها، ولما كان المحرر منضبطا ومنظما، فإن العمل يستغرقه، فيبدو غير متسرع، ولكنه يعمل بطريقة تكاد تكون آلية، وهو يتوقف عن العمل بين الحين والآخر لكي يشرب فنجانا من القهوة. ويأتي المراجع في الساعة الخامسة مساء، ولكن محرر البرقيات لا ينيب أحدا في عمله إلا قليلا نسبيا، فقد طور لنفسه طريقته في العمل، وهو سعيد بها، حتى أنه يستبعد الخبر بعد الآخر بمجرد نظرة. وبعض الأخبار التي يختارها تحرر بالقلم ثم يعطيها للفتاة التي تقوم بإرسالها إلى قاعة جمع الحروف عن طريقة أنبوبة الضغط الهوائي. وتحجز بعض الأخبار الأخرى على هيئة مجموعة مرتبة، إما لكي تستبعد فيما بعد، وإما لكي تضاف إلى خبر آخر باستخدام القلم والمقص والصمغ. ولا تستخدم هذه الصحيفة الشريط المثقب، ولذلك فإن محرر البرقيات له الحرية في تحرير الخبر تحريرا كاملا، بدلا من مجرد طبع ما تبعث به الوكالات.

وفي الساعة الثانية مساء، يصل مدير التحرير، وفي الساعة الثالثة مساء، يصل رئيس تحرير الأخبار ومحرر الإقليم. وتحاول الصحيفة تغطية أخبار منطقة نائية. وفي خلال الساعة التالية يتشاور المحررون الثلاثة بإيجاز مع محرر البرقيات، ثم يذهب كل شخص إلى مكتبه. ويصبح واضحا أن العمل يتم بأسلوب اللامركزية، وذلك على العكس مما يجري في صحيفة إقليمية صغيرة.

ويشرف مدير التحرير أساسا، على المحررين، ويوجههم في المسائل الهامة، ويخصص جانبا كبيرا من وقته للبريد، والأعمدة التي توزعها الوكالات، والقرارات الإدارية. ومع ذلك، فقد لاحظ فريق البحث أن مدير التحرير قد قام في المساء بمراجعة أكثر من ٦٠٠٠ كلمة من البلاغات الصحفية والمواد التي ترد من الوكالات.

ويبدو أن سرعة العمل لا تختلف كثيرا في المساء، ويعمل الجميع باستمرار حتى حوالى التاسعة مساء، ثم تهدأ السرعة حتى العاشرة، وهو الوقت الذى يجب فيه أن تغلق الصفحة المعدنية وتطبع وتنقل إلى مسافة حوالى مائة ميل. وفى ذلك الوقت، يستمر محرر الأقاليم ومساعدوه فى تلقى الأخبار من المندوبين فى البلاد البعيدة، وعليهم إعداد صفحات لأربعة أعداد تصدر فى الأقاليم، ويبدأ العمل بالنسبة للآخرين فيما بين العاشرة والثانية عشرة ويختتم العمل اليومى بأخبار نتائج "البيسبول" الليلية، ومع ذلك، فإن هذا الهدوء خادع، ففى تلك الصحيفة عدد من المحررين ومساعدتهم أكثر منه فى الصحيفة المسائية، فهو فى الحقيقة ضعف العدد تقريبا. كما أن واجباتهم موزعة على ساعات أطول.

"كلما كبرت الصحيفة، كثر عدد العاملين فيها". هذه قاعدة تقريبية، مقنعة، ولكن ليس صحيحا بالضرورة أن ضخامة العدد تقلل من عبء العمل. وتشترك الصحيفة اليومية الكبرى فى عدد من الوكالات أكثر كثيرا مما تشترك فيه صحيفة الضاحية وصحيفة المدينة الصغيرة، ولذلك فمن المرجح أن يكون العمل كبيرا بالنسبة لهذه الخدمات الكثيرة. وقد سخر محررو الصحيفة الكبرى التى يبلغ توزيعها نحو نصف مليون نسخة. وهم الذين تمت مقابلتهم فى هذه الدراسة. من الصحف التى تنشر الأخبار من الشريط المثقب مباشرة (مثل الصحيفة التى تحدثنا عنها أولا)^(١).

جرائد الصباح وجرائد المساء

تصدر الجرائد، خاصة، فى الصباح: فصورة قارئى الجريدة وهو يتناول فطوره، أو أثناء ذهابه إلى عمله هى نفسها فى جميع البلدان؛ "والسكون النسبى ليل يساعد على إنتاجها وتوزيعها. على حد تعبير ألبير. الذى يقول: إن جرائد المساء، بشكل عام، جرائد المدن الكبرى، أو بالأحرى جرائد متممة لجرائد الصباح؛ بإمكانها إعطاء نتائج السباق والبورصة. وفى الولايات المتحدة، مع ذلك، حيث نهار العمل ينتهى باكرا، فإن جرائد المساء أعم. أما فى فرنسا، التى لا تعرف الجرائد المسائية فى الإقليم بصورة عملية، فإن فى باريس خمس جرائد مسائية تؤمن ما يقارب الأربعين بالمائة من إصدار الجرائد

(١) وليام ريفرز وزميله : وسائل الإعلام والمجتمع الحديث، ص ٧١.

الباريسية، وهذه الجرائد، خلافاً لجرائد البلدان الأخرى، لها مهام وطنية. وأما في بريطانيا، فعلى العكس، فإن الصحافة الإقليمية هي، في الغالب، صحافة مسائية.

وتجدر الإشارة هنا أيضاً إلى الولايات الحديثة في الديمقراطيات الشعبية لجرائد "الأحياء الآهله" المسائية ذات اللهجة والمواضيع الأقل عقائدية من الجرائد الصباحية الكبيرة" ^(١). وفي مصر صحيفتا: المساء؛ والأهرام المسائي. ويصور لنا ريفرز وزميله: "الصحف اليومية المسائية" في الضاحية الأمريكية؛ على النحو التالي:

"تتلقى هذه الصحيفة أخبار الولاية والأخبار القومية والخارجية جميعاً، من خلال نشرة تتلقاها من الاسوشيتدبرس، ونشرتين تتلقاهما من اليونيتدبرس انترناشيونال. ويقوم بتحرير هذه الأخبار رئيس تحرير الأخبار ومساعداه. وفضلاً عن تقرير مصير أكثر من مائة ألف كلمة، ترد في هذه النشرات يومياً، يقوم هؤلاء الرجال الثلاثة بتحرير كل الأخبار المحلية وتحديد مكانها في الصحيفة، وقد تصل هذه الأخبار إلى عشر آلاف كلمة يومياً، كما يقومون باختيار نحو أثنى عشر ألف صورة إخبارية من مائة ألف صورة تستقبلها الصحيفة عن طريق جهاز التقاط الصور سلكياً. فهؤلاء الصحفيون الثلاثة يقومون بملء جميع أعمدة الأخبار فيما عدا صفحات المجتمع والرياضة والتجارة، وصفحة الرأي، وصفحات الصور القصصية.

ويقوم رئيس تحرير الأخبار بمعظم العمل بنفسه، فهو يستبعد كميات كبيرة من نشرات الوكالة، ويقسم البقية بينه وبين مساعديه. ولما كانت جميع النشرات تستقبل على أشرطة مثقبة وعلى ورق أيضاً، فإن التحرير عموماً هو عبارة عن اختيار بين رواية الاسوشيتدبرس ورواية اليونيتدبرس انترناشيونال للخير، مع مراجعته من أجل الدقة والأخطاء الطباعية، والبحث عن الوقفات المناسبة في الأخبار ويمكن جمع الحروف من الشريط المثقب بسرعة وبنفقات زهيدة، مع قليل من التغيرات وهذه أسباب قوية تساق ضد التحرير المتأمل، فلا تعاد الكتابة إلا قليلاً، وليس هناك وقت لذلك. وعندما يصل رئيس تحرير الأخبار يجد نحو خمسين ألف كلمة من نشرات الوكالات (وتبدأ دورة عمل الوكالة لدى الصحف المسائية بالأخبار بعد منتصف الليل بقليل. وهكذا، فإن معظم رؤساء تحرير الأخبار الذين يبدأون عملهم في الساعات الأولى من الفجر، يجدون

(١) بيار ألبير: المرجع السابق ص ١٨ .

أخباراً كثيرة في انتظارهم، وهو يستبعد بسرعة كل شيء فيما عدا ٨٠٠٠ كلمة. وفي خلال الساعات السبع التالية، تستمر الوكالات في إرسال نشراتها، ويستخدم رئيس تحرير الأخبار ومساعداه أكثر من ٢٠٠٠٠ كلمة من النشرات الإخبارية (وذلك من بين مجموع يصل إلى ١١٠٠٠٠ كلمة تقريباً. وكثير من هذه المعلومات مكررة لأنه كثيراً ما تغطي الاسوشيتدبرس واليونييتدبرس انترناشيونال نفس الأحداث)، فهم يقومون بتحرير قليل، ويكتبون العناوين، ويوزعون الأخبار في أماكنها من الصفحات، ثم يبعثون بالأخبار المنتقاة إلى حجرة الجمع حيث يتم تحويلها إلى حروف طباعية.

كما قاموا أيضاً بتحرير ستة آلاف كلمة من الأخبار المحلية ووضعها في الصحيفة، واختاروا ست عشرة صورة ووزعوها على الصفحات. وخلال الساعة الأخيرة من عملهم اليومي، أعدوا بعض المواد للعدد القادم في اليوم التالي. مثلما فعلوا في اليوم السابق، عندما خصصوا الساعة الأخيرة لإعداد مادة لعدد اليوم. وفي خلال يوم واحد من العمل إذن، قاموا بتحرير ما يساوي كتاب صغير تقريباً. (وبالمقارنة تخصص دار النشر عادة ستة أشهر، على الأقل، وغالباً ما تحتاج إلى سنة وأكثر بعد تسليمها نص الكتاب، من أجل التحرير والإنتاج).

وتنتاب الشكوك رئيس تحرير الأخبار، لأنه يعرف أن كثيراً من قرائه يكونون قد اطلعوا، أحياناً، على الأخبار التي يبرزها، وأن قراء آخرين يكتفون بمجرد العناوين ومقدمات نفس الأخبار التي يكونون قد استمعوا إليها من راديو السيارة أو شاهدها على شاشة التلفزيون، ولكنه يعنى بإعلام أولئك القراء الذين يريدون أن يعرفوا من الصحيفة أكثر مما يستطيعون معرفته من مصادر أخرى.

وتثور أسئلة وشكوك أخرى. فما هو مقدار الأخبار الجادة التي يستطيع القراء استيعابها؟ وكم عدد القراء الذين يطبقون خبراً آخر عن فيتنام، وخبراً آخر عن محادثات السلام غير الحاسمة في باريس، وخبراً آخر عن المعركة التي لا تنتهى بين الرئيس والكونجرس؟ ومن ناحية أخرى، هل يقوم رئيس التحرير بخدمة أولئك الذين يتابعون مثل هذه المسائل متابعة جادة - خدمة كافية - إذا نشر أخباراً على خمس بوصات بدلاً من نشرها على عشرين بوصة؟^(١)

(١) ريفرز وزميلاه : السابق ، ص ٢٤٠ .

الصحف النصفية والجرائد الشعبية:

ويميز "البير" بين "الجرائد الشعبية" و"الصحف الصفوة" في فرنسا؛ حيث أصبح هذا التعبير واضحاً على مستوى القراء أكثر منه على مستوى المضمون؛ فيقول:

"ولدت في باريس، عام ١٨٦٣، الجريدة الصغيرة **Le Petit Journal** وثمنها خمسة سنتيمات، وهى نوع من الصحافة "الصغيرة" الشعبية. بينما هو، بالعكس شديد الوضوح فى البلدان الانجلوسكسونية وفى ألمانيا الاتحادية. نجد أن الصحافة الشعبية التى حدّد صيغها الحالية فى الولايات المتحدة كل من "بولتزر وهرست" منذ نهاية القرن التاسع عشر، قد وجدت أسلوباً جديداً مع صيغة **Tablorid**، والحجم الصغير، وغزارة الصور، والعناوين الضخمة، والنصوص المختصرة. فهى تبحث عن التشويق والفصائح، وترمى إلى الإثارة أكثر مما ترمى إلى الإفادة.

وقد انتقلت إلى بريطانيا، ثم فى حجم أكبر، إلى ألمانيا حيث أنجبت "صحافة الشارع **Boulevard – Presse**" ومن أسباب رواج هذه الصحافة، أيضاً سعرها المنخفض.^(١)

ويذهب "ريفرز" إلى أن قراء الصحف فى مستهل القرن التاسع عشر فى أمريكا؛ قد أصبحوا من الجماهير الشعبية العريضة، بعد أن كانوا فئة صغيرة من الطبقة العليا. وبعد الثورة الأمريكية أصبحت غالبية الصحف مطبوعات تجارية أو سياسية تعمل لصالح رجال الأعمال الموسرين أو السياسيين. ولكن عندما أدرك التعليم التاجر الصغير، والعامل الميكانيكى، والصانع الحرفى، والمزارع، وعندما تدفق المهاجرون تدفقاً أدى إلى زيادة عدد سكان المدن الأمريكية النامية، وجد الناشرون فى ذلك سوقاً جديدة لصحفهم. وقد كانوا يستهدفون ذلك الجمهور الجديد المتزايد، ثم غيروا مضمون الصحف وفقاً لذلك.

فى سبتمبر سنة ١٨٣٣، أصدر طابع شاب اسمه "بن داي" أول عدد من صحيفة "صن" فى نيويورك. وكانت تطبع يدوياً. وكان "داي" يبيع صحيفته ببئس واحد، وهو سعر يتباين تبانياً حاداً مع ما كان يتقاضاه الناشرون عادة وهو ستة سنتات. وقد عول على الطلب الجماهيرى فى الحصول على الربح المالى، بالرغم من انخفاض هامش الربح، وقد ركز بمهارة على مبيعات الشوارع نتيجة لحركة التحضر

وبينما كانت الصحف المبيعة بستة بنسات تقدم لقرائها أخبارا مطولة مثقلة بالسياسة، كان داي يتودد إلى جمهوره بفقرات قصيرة مشوقة عن حوادث الشرطة والمحاكم، وتنفيذ أحكام الإعدام والانتحار، وعجائب الدنيا وغرائبها، والموضوعات المحلية التافهة. وفي سنة ١٨٣٥ . عندما ساعدته المطابع المدارة بالبخار على طبع مايكفى من النسخ لسد حاجة الطلب . كان "داي" يفاخر بأن صحيفته "صن" توزع، "وهو أعلى توزيع لأية صحيفة يومية في العالم". وبعد أن أثبت داي أن ذلك يمكن أن يحدث، أخذ غيره من الناشرين يوجهون صحفهم إلى الجماهير التي سبرغورها^(١).

الصحف الوطنية والصحف الإقليمية أيعبر التناقض بين هذين النوعين من الجرائد عن مهمتين متكاملتين للصحافة اليومية: "الأولى تعتمد على تنوع مضمونها وجودة أنبائها الوطنية والعالمية، والثانية تعمل على إشباع الحاجة لمعرفة أنباء المنطقة أو الحي. هذه الجاذبية للنبا المحلي، التي تستطيع الجريدة وحدها التفرد بمعالجتها دون أن تخشى، في هذا الحقل، منافسة الراديو أو التلفزيون، هي من الأسباب المتينة لتعلق القارئ بجريدته: وهي تؤمن وجود مجموعة من الصحف المحلية، من الصحيفة الأسبوعية إلى الجريدة اليومية التي تقصر حقل أنبائها، فقط على أحداث منطقة انتشارها، وعلى المشاغل وحدها حياة قرائها اليومية.

والصحف الإقليمية، وإن كانت تابعة لسلسلة واحدة، كما في ألمانيا الاتحادية، أو ذات طبعات متعددة، كما في فرنسا، تدين بأساس نجاحها إلى صفحاتها المحلية. وفي المدن الكبرى، يمكن للضواحي السكنية أن تعطى أيضاً مادة لأخبار محصورة، بخلاف أحياء وسط المدينة حيث لا توجد مادة وحاجة لهذا النوع من الأنباء، رغم تكاتف السكان.

في البلدان التي تخضع فيها الصحافة لاقتصاد السوق، فإن الصحف الوطنية، التي لم يكن لسلطانها منازع قبل الحرب العالمية الثانية، أصبحت الآن مضطرة للصدود في وجه المنافسة المنظمة للصحف الإقليمية، وللصحافة الدورية، ولأن تعاني نتائج نمو الراديو والتلفزيون.

(١) ريفرز ص ٦٤ .

ففى ألمانيا الاتحادية، فرضت أقلمة الصحافة، من السلطات المحتلة عام ١٩٤٥، وقد دُعمت، ولم تعد الصحافة اليومية الوطنية ممثلة بصحيفة شعبية. أما فى فرنسا، فقد فقدت الصحافة الباريسية أهم مراكزها فى الأقاليم لصالح الصحف الإقليمية الكبيرة، لتصبح بصورة خاصة، صحافة "إيل دو فرانس Ile-de-France"، وإن هى ما فتئت تواصل توزيع ربح أعدادها فى هذه الأقاليم، فإنها تميل إلى لعب دور الصحافة المكمل^(١). وفى إنجلترا، حيث تسيطر على السوق تقليدياً، الجرائد الوطنية، وحيث لم تعان الصحافة التحول الكامل لبنياتها خلال الحرب وبعدها، كما جرى فى البلدان الأخرى للقارة، فإن الأزمة الراهنة للصحافة اللندنية تتعارض مع الازدهار النسبى للجرائد الإقليمية. أما فى الولايات المتحدة، فالصحافة الوطنية اليومية ضعيفة نظراً لاتساع رقعة البلاد، أولاً، ولقوة التفرد المحلى والإقليمى، ثانياً. وإنما هناك بعض الصحف المرموقة تجد لها، خارج مناطق صدورها، جمهوراً محدوداً اجتماعياً ويخلص الأستاذ ألبير من هذه الصورة إلى أن حركة إقامة الصحافة اليومية، وتضييق حقل إعلامها الذى هو نتيجة هذه الإقامة، يعرضان مفهوماً بكامله للصحافة اليومية؛ وبالتخلى، جزئياً، عن معالجة الحياة الاجتماعية، فإن الجرائد تترك للصحف الجيدة القليلة، وحدها، النصيب المهم من "السلطة الرابعة" التى درجت، فى غالب الأحيان، على التغنى بالتفرد بممارستها^(٢).

الجرائد المتخصصة:

إن الصحافة اليومية، بطبيعتها، صحافة أنباء عامة، وإن تنوع مادتها سبب من أسباب وجودها. ومع ذلك توجد فئات من الصحف المتخصصة من أهم أنواعها الصحف الرياضية والجرائد المالية.

وتشمل الصحف الدورية للأخبار العامة: الصحف الدورية المحلية:

إن كانت هذه الصحف تصدر كل ثلاثة أسابيع أو نصف شهرية أو أسبوعية، فإن إصدارتها، بصورة عامة، ضعيفة جداً، ولكنها تحتوى على عدد كبير من المواضيع،

(١) البير، ص ٩.

(٢) بيار ألبير: المرجع السابق، ص ٢٠.

وهي بطبيعتها متممة للجرائد. ومن المناسب أن يقرن بها العدد الكبير لصحف الأحياء التي تكثر في المدن الكبرى حيث تورّع مجاناً.

أما صحف الأحد فلها في البلدان الانجلوسكسونية، أهمية بالغة تتوارى أمامها الفئات الأخرى للصحف الدورية من حيث إصدارها وصفحاتها، وتحتفظ صحف "اليوم السابع" في الواقع بشكل الجرائد اليومية التي تصدرها، حتى لو كانت صفحات الرياضة وفقرات التسلية^(١).

المجلات :

تعتبر المجلات وسائل تنوير وتثقيف بأسلوب جديد يصل إلى الجماهير. وهي كفن تختلف عن فن الكتاب العادي، لأنها تنطوي على تحرير صحفي؛ وتجسيد للمعاني، وتبسيط للحقائق؛ وإخراج صحفي؛ ونماذج تيسر الفهم لكافة المستويات الثقافية. ولذلك فإننا قد نتحدث عن "إنتاج" المجلة الصحفية؛ ولا نكتفى بالحديث عن كتابة أبوابها أو تحريرها، وما تتضمنه من مقالات وحوار ومناقشة وأحاديث صحفية واستقصاء وبحث ودراسة. بشرط أن يتم كل ذلك في إطار الواقع الاجتماعي والثقافي والسياسي؛ ويعبر عنه باصطلاحات مفهومة لجمهورها. وفي عصرنا الذي يسوده التخصص الضيق، يستطيع فن المجلة أن يربأ الصدع، ويملا الثغرات الفاصلة بين شتى التخصصات في المجتمع.

والمجلة في اللغة العربية "مشتقة" من مادة (جلا) أى ظهر ووضح، ومنها جلية الأمر أى ما ظهر حقيقة، أى الخبر اليقين، والمجلة هنا تعنى استجلاء حقبة من العالم".

وقد جاء تحول جمهور المجلة من الصفوة إلى الشعبية بعد نصف قرن من التحول الذي حدث بالنسبة لجمهور الصحيفة. فقد ظهرت المجلة الحديثة زهيدة الثمن ذات الجاذبية الشعبية والتوزيع الضخم، على المستوى القومي في السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر. وفي ذلك الوقت، الذي كانت ثمار الديمقراطية كالتعليم العام قد خلقت جمهوراً عريضاً من القراء الجدد الذين يستطيعون قراءة المجلات. كما حررت الآلات الإنسان من الأعمال المملة، ومنحته وقت فراغ للقراءة. وقد أدت الثورة

(١) نفس المرجع ص ٢١.

التكنولوجية إلى ظهور المطابع السريعة، وغيرها من المعدات اللازمة للناشرين كى يصلوا إلى الجماهير العريضة، وأتاحت شبكة خطوط السكك الحديدية توزيع الصحف فى أقاليم شاسعة. وأكثر من ذلك، أخذ الإعلان، على نطاق واسع، فى الظهور، عندما سعى المنتجون لتسويق منتجاتهم الجماهيرية عبر كل البلاد، وأصبحت المجلة وسيلة قومية للوصول إلى أعداد متزايدة من المستهلكين.

وقد أدى المضمون الشعبى والسعر الزهيد إلى اجتذاب عشرات الآلاف من القراء، وكان المعلنون يدفعون بسخاء للوصول إلى هؤلاء القراء. وما كان يخسره الناشر من بيع النسخ كان يعوضه من إيرادات الإعلان الذى يجتذبه التوزيع المرتفع، وإعادة توزيع الدخل، وتضييق هوة التطرف فى القوة الشرائية، أصبحت الطبقة الوسطى الكبيرة سوقا للسلع المنتجة جماهيريا، وهذه هى طبقة القراء التى استهدفتها المجلات بوجه عام، ولم يكن سعى الناشرين وراء مجرد أعداد كبيرة من القراء، ولكنهم سعوا وراء جماعات متجانسة من القراء. وهى جماعات تربطها المصالح المشتركة. أو الصناعات أو الحرف المشتركة. حتى يستطيع المعلن فى المجلة الوصول إلى جماعة استهلاكية معينة، يرجح كثيرا أن تكون مهتمة بسلعته.

يقول ريفرز وزميلاه: "عندما تحمست المجلات للحصول على الإعلانات فى أواخر القرن التاسع عشر، أصبحت مرتبطة بنظام التسويق ارتباطا لا فكاك منه، وأصبح المضمون هو الطعم الذى يغرى به الناشر جماهير قراء مجلته، وهى جماهير لها قيمتها بالنسبة للمعلن، نظرا لحجمها، وتجانسها، أو لكلا السببين معا. وعندما وصل الناشر إلى المضمون المتوازن توازنا ناجحا يجتذب القراء المرغوب فيهم؛ أصبح عازفا عن تغييره. ومن ثم، فقد أصبح كل عدد من أعداد مجلة معينة شبيها بالأعداد الأخرى.

ومثل هذه النمطية فى المضمون كانت نتيجة طبيعية للسوق الشعبية، والإنتاج الجماهيرى الضرورى للمجلة، إذ كان عليها أن تنافس بنجاح فى هذه السوق.. وفى القرن التاسع عشر عندما كانت المجلات لا تزال تحرر من أجل الصفوة القليلة، كان رئيس التحرير يستطيع أن يلعب دور القاضى المترفع الذى يختار ما يشاء من بين ما يقدمه الكتاب الراغبون فى نشر إنتاجهم.

وكانت أنواع المواد التى يستخدمها والطريقة المميزة التى يعالج بها الكتاب موضوعاتهم هى التى تقرر الشخصية التحريرية للمجلة. وهذه هى التى كانت تدفع القراء للشراء. وهكذا كانت نسبة كبيرة من مضمون المجلة من تخطيط هيئة التحرير. واليوم تستخدم معظم المجالات فكرة أساسية فى تخطيط التحرير. وفى كثير من المطبوعات تقوم هيئة التحرير بابتكار الأفكار بالنسبة لغالبية كبيرة من الموضوعات التى تنشرها المجلة، ثم يعهد بهذه الأفكار إلى بعض الصحفيين المشهورين. الذين يقومون بإجراء بحوث حول المقالات ثم كتابتها.

وهناك بعض المقالات التى يكتبها أعضاء هيئة التحرير. وتكون النتيجة فى كلتا الحالتين هى النمطية. وذلك مع القليل فقط من الاستثناءات.

كذلك يؤدى التقليد إلى نمطية مضمون المجلة، فعندما ينجح ناشر مستخدماً فكرة مبتكرة. أو مطوراً لفكرة قديمة، فإن الناشرين المنافسين يندفعون لإصدار مجلات مقلدة، للحصول على جانب من السوق. وفى سنة ١٩٢٦ فى الولايات المتحدة أصدر شاب أسمه دويت ولاس العدد الأول من مجلة صغيرة متواضعة كانت تلخص ما اعتبره أفضل المقالات التى نشرتها مجلات ذلك العصر. وأطلق على المجلة اسم "ريدرز دايجست" وقد سارع القراء لشرائها. كما أصدر الناشرون مجلات على شاكلتها. وفى النهاية أصبحت مجلات "المختارات" طرازاً جديداً قائماً بذاته.

كذلك ظهرت أنواع أخرى من المجالات التى قلدت الابتكارات الجديدة الناجحة مثل المجالات البوليسية ومجلات الاعتراف، والمجلات الاخبارية. والمجلات المصورة، ومجلات المغامرات.

وقد نجحت المجلة الحديثة كوسيلة إعلام جماهيرية، لأنها - أساساً - تلعب دوراً رئيسياً فى معاونته نظام التسويق، والمجلة مثل الصحيفة، استطاعت على مر السنين أن تؤثر فى مجال متسع من الأذواق والمصالح. ولكنها تختلف عن وسائل الإعلام الأخرى، من حيث أن معظم المجالات موجهة إلى جماهير متجانسة، أو جماعات ذات مصلحة خاصة. والمجلات على العكس من الصحف، توزع على المستوى القومى العريض، وهكذا فبالرغم من أن كثيراً من المجالات توجه إلى جماهير خاصة، فإن المجلة

قد أصبحت عموماً وسيلة إعلام جماهيرية. بمعنى أنها تتوسل إلى أعداد ضخمة في السوق القومية. على اختلاف الطبقات اجتماعياً واقتصادياً وثقافياً.

"وبالرغم من ضراوة المنافسة والتذبذب، فإن إصدار مجلة على نطاق ضيق قد يكون أقرب وسائل الإعلام منالاً بالنسبة للمستثمر الجديد. وأهم شيء هي الفكرة. فإذا كان لدى صاحب المشروع تصور مبتكر لمجلة جديدة. فمن المرجح أنه يجد المولين لمشروعه. وإذا استطاع أن يدعم مجلته. في أثناء سعيه للفوز بثقة القراء والمعلنين، فسوف تكون الفرصة مواتية أمامه دائماً لتحقيق نجاح متواضع. كما أن هناك أملاً بعيداً أمامه، لكي ينتهي به الأمر إلى أن يدخل في زمرة العمالقة.

وقد كان على المجلات، مثل الصحف، أن تتكيف مع الظروف الجديدة. وقد تكبدت المجلات العملاقة مثل الصحف أيضاً معظم المعاناة. غير أنه في الوقت الذي اختفت فيه معظم المجلات الأسبوعية الكبرى العامة، وبعض المجلات الشهرية العامة. أصبحت المجلات تلبى الاهتمامات الخاصة أكثر قوة. ومن الأهمية بمكان، أن أعظم المحاولات الناجحة في النشر خلال السنوات العشرين الماضية هي المجلات المتخصصة".

وقد ازدهرت المجلات المتخصصة منذ الحرب العالمية الثانية ويبدو أنه لا يوجد الآن، اهتمام أو ذوق أو اتجاه أو ظرف من ظروف النشر، يتعذر أن تكون له دورية واحدة على الأقل. وقد عرفت المجلات ذات التوزيع الجماهيري مزايا التوجه إلى الصفوة.

وقد تصور كارول ستريتر المحرر بمجلة "فارم جورنال" نهاية لهذا الاتجاه نحو تخير الجمهور. فهو يتكهن بأن مجلة سوف تستطيع في غضون عشر سنوات، أن تنتخب المضمون المناسب لكل مشترك. فهناك معلومات عن اهتمامات كل مشترك تختزن على شريط إلكتروني. وعندما تذهب نسخة أحد المشتركين إلى قسم التجليد فإن الأشرطة تمكن الحاسب الإلكتروني من إسقاط المادة المختارة وفقاً لاهتمامه الخاص وعلى العكس من العقبات الضخمة التي تقف في سبيل إنشاء الصحف والإذاعات والأفلام، فإن سهولة ولوج صناعة المجلة تفسر لنا سبب امتلاء صناعة اليوم بنقط من الوحدات الصغيرة نسبياً، وهيئات التحرير قليلة العدد، والإدارات المتواضعة بمعداتها القليلة. ولا يستثمر ناشر المجلة رأسماله عادة في المطابع والمعدات. ولكنه بدلاً من ذلك يتعاقد على طبع مجلته.

وتشمل أنواع المجلات (١):

١ - المجلات المصورة للأنباء العامة : من الممكن جمعها فى نوعين كبيرين: الأول: وفيه يفرد للصورة مكان هام مثلاً: (بارى ماتش) فى فرنسا (ولايف) فى أمريكا (والمصور) (وآخر ساعة) فى مصر والثانى يتجه الجهد فيه نحو نوع المقالات وتنوع الفقرات، وتكون صيغ عرضه كثيرة التنوع، انطلاقاً من الحجم الصغير من نوع "تايم" إلى الحجم الكبير من نوع "داى زايت".

٢ - الصحف الدورية الثقافية : بالرغم من كون قسم كبير من مادة الصحافة الأدبية، والفنية، والموسيقية، والمسرحية، ينتمى إلى حقل الوثائق، فإن هذه الصحافة تساهم بشكل مباشر فى الأحداث الراهنة بتقاريرها النقدية وأصداؤها، وتقديمها الأعمال والفنانين. وهى تبقى بصورة ممتازة صحافة قيّمة ذات جمهور محدود.

٣ - الصحافة الدورية الوثائقية : إن هذه المنشورات، ذات الجمهور الضيق غالباً والمخصصة بطبيعتها لجمهور من الاختصاصيين الذين يجدون فيها، فى الوقت نفسه، عناصر إنباء عن الوسط المهنى والاجتماعى الذين ينتمون إليه، والوثائق التكنيكية الضرورية لنشاطهم الفكرى أو المهنى.. هذه المنشورات الكبيرة العدد والخرقة التنوع فى جميع حقول النشاط الإنسانى هى وربما أكثر مما هو الكتاب موطن لتجمع العلوم المعاصرة. إن مجرد فهرس مقالات المجلات الوطنية والدولية المخصصة لموضوع ما هو فى حدّ ذاته من التحديات الأولى التى يصطدم البحث بها".

"من المجلات العلمية، المثلة للتيارات الكبرى للفكر الفلسفى أو السياسى أو الأدبى" إلى المجلة التكنيكية الرفيعة التخصص، فإن جميع الأشكال توجد فيها ويزداد تعميم صيغة "الفيشات" أو الملفات المستقلة، المستقاة من النشرة، والتى تستطيع أن تأخذ مكانها فى مجموعات الوثائق الأكثر اتساعاً.

٤ - ومجلات الرأى والأدب والفن؛ هى المجلات التى تعنى بنشر الموضوعات والقصص والشئون العامة؛ والنقد الأدبى والفنى.

(١) بيار ألبير: المرجع السابق، ص ٢١.

٥ - ومجلات المرأة أو المجلات النسائية؛ ومجلات الرجال؛ تجذب الرجل والمرأة من خلال تحريرها وإخراجها الفني وتنوع موضوعاتها. والمجلات النسائية تعتبر مجلات "شعبية" بما تنطوي عليه من جاذبية في قصصها ومقالاتها وصورها ولكنها تحول قارئها إلى ما يلائم أذواق النساء، وتحتوى هذه المجلات دائما أبوابا في فنون الطهى والأزياء الخ^(١) ومن هذا النمط الصحفى مجلة "حواء" التى تصدر عن دار الهلال و"نصف الدنيا" عن مؤسسة الأهرام. ومجلات الأخبار مثل "تايم" و"نيوزويك" و"بارى ماتش" وما يصدر على منوالها، ذات أحجام صغيرة، ولكن حدودها لا تقف عند حدود الأخبار ذاتها، وهى تقدم كل أسبوع سجلا بأحداث هذا الأسبوع. وهذا النوع من المجلات، فى انتشارها ومضمونها، يقارب الصحيفة المنتشرة على نطاق قوى^(٢).

٦ - وتقف المجلات المتخصصة نفسها على البحث فى موضوع معين كالمرسح مثلا أو السينما أو العناية بالطفل أو ما إلى ذلك، ومنها مجلات؛ المسرح، والسينما والقصة، التى تصدرها وزارة الثقافة، ثم مجلة الشعر التى تصدر عن مجلة الإذاعة والتلفزيون حاليا.

٧ - وتعنى المجلات الفنية والمهنية ما تدل عليه أسماؤها تماما. فلكل مهنة وتجارة وحرفة الآن منشوراتها الخاصة، تختص بالإعلان والطب، والتعليم، والجغرافيا والصحافة والعمال والراديو الخ^(٣).

٨ - والمجلات الأسبوعية للراديو والتلفزيون، تملك أرقاما قياسية فى الإصدار، وهى موجهة بالدرجة الأولى إلى تقديم البرامج والتعليق عليها مسبقا، ولكنها بصورة عامة، قليلا ما تعنى بنقدها. ولكن تنوع هذه البرامج وأهمية قرائها المنتمين، تميل إلى توسيع مضمون هذه الصحافة، مما جعلها نوعا من صحافة المجلات المصورة للأنباء العامة^(٤) ومن هذا النوع فى مصر مجلة "الإذاعة والتلفزيون" التى تصدر عن اتحاد الإذاعة والتلفزيون.

(١) د. على رفاعه الانصارى؛ نفس المرجع ٢١٦،

Brewster; Introduction to Aduertistising m p. 290 .

(٢) بيار ألبير: المرجع السابق ص ٢١.

(٣) فريزبون: المرجع السابق ص ٧٢.

(٤) بيار ألبير؛ المرجع السابق، ص ٢٢.

وللمجلة . كما يقول ديها ميل . على الحوادث اليومية نوع من الرقابة، وهى تنقل المعلومات إلى القارئ؛ وتؤدى وظائف الفن الصحفى، من إعلام؛ وثقيف؛ وتنشئة اجتماعية؛ وتوجيه وإرشاد؛ وتسويق؛ وإمتاع ومؤانسة، من طريق تحريرها؛ وإخراجها. والمجلات عادة لا تظهر أكثر من مرة فى الأسبوع؛ الأمر الذى يتيح لكتابها ومحرريها الوقت الكافى فى البحث فى المسائل. والمواقف التى تتناولها؛ عن تلك التى تظهر فى الصحف اليومية، وبالتالي يكون لديها فرصة أفضل لإبراز الأحداث وتسليط الأضواء عليها وتفسير معناها.

وقد تعرفنا على أنواع مختلفة من المجلات التى تكتب باستفاضة عن عملها وهدفها، مما قد يؤدى إلى التناقض والتضارب، ويصدر بعضها الوظيفة الترفيهية فقط، وتكون مزدحمة بالمادة ذات الفائدة البسيطة، فى حين يعالج غيرها بحوثا جادة عميقة فى المشاكل المعاصرة، ويضم بعضها المادة الترفيهية والمواد الجادة الأخرى مع تفسيرها للقارئ^(١).

والمجلة بغلافها الجميل وصفحاتها المرتبة تمتاز ببقائها مع القارئ، بعض الوقت، وهو الأمر الذى تفتقر إليه الصحف اليومية عموما. ومجلات: (الهلال) و(الرسالة) و(الثقافة) و(الحضارة) و(الزهور) و(أبوللو) و(الكاتب المصرى) و(الرسالة الجديدة) تحفظ أحيانا لدى القارئ لعدة سنوات؛ أو تنتقل من قارئ لآخر كما لو كانت من الكتب النادرة .

وإذا كانت الجريدة تتوجه إلى الجمهور العام؛ فإن المجلة تتوجه . فى معظم الأحوال . إلى جمهور متخصص. وتتعدد أشكال التحرير فى المجلات للوفاء بوظائفها الأساسية؛ ونوعية الجمهور الذى تتوجه إليه. فهناك مجلات تتوجه إلى الأسرة، وهناك المجلات الإخبارية التى تلخص أهم الأخبار؛ وتقدم تحريرا تفسيريا للأنباء مما لا يتاح للصحف اليومية؛ كما تقدم موضوعات عن خلفيات هذه الأنباء؛ والشخصيات العامة؛ واتجاهات رأى العام. كما أن المجلات ذات الاهتمامات الخاصة، تصدر لقراء معينين.. وتتضمن مجلات "الظل" التى تمثل حياة الأسرة: مجلات المزارع؛ ومجلات خاصة بالشباب؛ ومجلات للأسفار والرحلات؛ ومجلات التجارة "الصناعة والتكنولوجيا والعلوم؛ والتربية ومجلات للقراء أصحاب الهوايات.

(١) ادوين امرى وآخرون: وسائل الإعلام؛ ترجمة ميشيل تكلان، ص ٢٠٠.

وللمجلات الدينية طابع خاص وتأثير كبير؛ مثل مجلة (الأزهر) و(منبر الإسلام). وقد صدرت في مصر جريدة إسلامية رائدة هي جريدة (الرأى العام) تقدم نموذجاً للجمع بين خصائص الجريدة، والمجلة في تقديم المضمون الإسلامى.

وهناك مجلات تصدرها الشركات والمؤسسات لأداء وظائف العلاقات العامة؛ بأسلوب جذاب؛ وتعرف هذه المجلات بالصحف الصناعية ويذهب الأستاذ أدوين ايمرى؛ إلى أن مجال النشرات الصناعية قد أحدث تقدماً كبيراً عندما أصبحت شركاتها على وعي بأهمية العلاقات العامة. ويحرر معظم هذه النشرات عدد من أصحاب الخبرة الواسعة في تحرير المجلات؛ وتخصص أموال كثيرة تحت تصرفهم لإبراز هذه المجلات في صورة مشرفة لائقة، ولكتابة مقالات وموضوعات على أعلى مستوى من التحرير الثقافى.

وتدرك شركات كثيرة أنه لابد أن يعمل بها محترفون، وذلك لكى تكون على مستوى المجلات العامة أو تتفوق عليها. وكما وضع ذلك أحد محررى تلك المجلات الصناعية الرائدة، وكان يعمل سابقاً فى المجلات العامة فى قوله: "لم يعد كاتب البريد أو مدير المستخدمين هو الذى يعتبر حجة فى مجال التحرير الصناعى، ذلك لأن التركيز أصبح على التحرير ذاته وعلى الصحافة ذاتها". ويتجه بعض خريجي مدارس الصحافة مباشرة إلى تحرير المجلات الصناعية. وفى كثير من هذه النشرات تظهر مقالات ذات اهتمامات خاصة لا شأن لها بإنتاج الشركة التى تصدر عنها المجلة؛ وتحاط الدعاية عن الشركة بنوع من الحذر وبمستوى معين. وبعض الشركات الكبرى فى الحقيقة تصدر عدداً من المجلات مخصصة للعملاء والمساهمين والموظفين، مثال ذلك: انترناشيونال هارفستر كومبانى وفورد موتور كومبانى، وتصدر الاثنان ٢٤ مجلة، للموظفين كل واحدة منها عن مصنع مختلف عن الآخر.. كما أن وبعض مجلات الشركات التى تعمل على وصولها إلى الجمهور وكذلك الموظفين توزع أكثر من مليون نسخة.

وتظهر مجلات الشركات فى أحجام وأشكال كثيرة ومن الصعب القول فى أى وقت معين كم منها يعد حقيقة من المجلات أو يدخل فى دائرتها. وكثير منها يظهر فى حجم الصحف اليومية".

ونخلص مما تقدم إلى أن التحرير الصحفى . من خلال الوسائل . يستجيب من خلال الشكل والمضمون إلى البيئة التى تعمل فيها هذه الوسائل الصحفية بهدف تحقيق التفاعل بينهما وبين المجتمع، ذلك أن وسائل الإعلام لا تؤثر فى النظام السياسى والاقتصادى والاجتماعى الذى تعمل فيه فحسب، وإنما تتأثر أيضا بذلك النظام. ومن ثم، فعلىنا أن نفهم المجتمع لكى نفهم وسائل الإعلام التى تعمل فيه فهما صحيحا، ولكى نفهم المجتمع، ينبغى أن ندرس تركيبه وأفكاره الكبرى ومعتقداته الرئيسية، وكل ذلك معناه أن معرفة التاريخ والاجتماع والاقتصاد والفلسفة ضرورة لكى نفهم وسائل الإعلام فهما حقيقيا، ولكى نفهم طبيعة التحرير الصحفى - فى هذا الإطار - من المنبع إلى المصب.



الفصل الثاني



الشكل والمضمون

تنقسم فنون التحرير الصحفي إلى قسمين كبيرين هما:

أولاً: الأخبار News .

ثانياً: فنون المعاليم أو المنوعات الصحفية Features .

وهذه الأخيرة تشمل: التحقيق الصحفي؛ الحديث الخاص Interview؛

المقالات الصحفية Articles والافتتاحية Leading Articles .

والتحرير الصحفي يدرس مادة الكتابة من حيث اختيارها وتقسيمها وتنسيقها، وما يلائم كل فن من فنونه؛ وقواعد هذه الفنون الصحفية. والدراسة هنا دراسة تعنى بالشكل فى المقام الأول، وتوضح للدارس كيفية التوسل به فى التقديم المضمون الصحفي؛ الذى يعتمد فيه الدارس على قراءاته وتجاريه الحيوية التى تزوده بالأخبار والآراء وتكشف له عن الحقائق. وفن التحرير هنا يصنع صنيع علم البلاغة من حيث أنه: يشير فقط إلى ما يتبع فى تأليف المعانى وتنظيم الفنون أقساماً لتنتج الآثار المرجوة.

ذلك أن علم البلاغة . كما يقول الأستاذ أحمد الشايب . يميل إلى "الناحية الشكلية أو الأسلوبية فهو لا يعرض لقيمة الفكرة بل للملاءمتها ولا يخلقها؛ لكن ينسقها، وهو يعنى كثيراً بالعبارات والأساليب. حتى أن بعض الباحثين يطلق عليه علم الأسلوب". ومهما تختلف وجهات النظر فقد أصبحت البلاغة تبحث الآن فى هذه الموضوعات ولن تستطيع الإفلات من الإجابة عن هذين السؤالين: ماذا نقول؟ وكيف نقول؟.

وهما السؤالان اللذان يمثلان جوهر التحرير الصحفي. على النحو الذى جعلنا نعنى بالنظر إلى الفن التحريرى على أنه يمثل وحدة فنية لها أصولها وقواعدها؛ كما نعنى بدراسة النصوص الصحفية فى تفاصيلها؛ وفى صياغة أجزائها؛ للتعرف على البناء الوظيفى فى الجمل والمفردات؛ وما تكشف عنه من دلالات .

وفنون التحرير الصحفي تميل إلى أن تنتمى إلى أجناس الأدب الموضوعية فى النشر؛ على النحو الذى جعلنا نقول مع الجاحظ :

"فإن أراد صاحب الكلام صلاحَ شأن العامة، ومصلحة حال الخاصة، وكان ممن يَعْزُّم ولا يَخْصُّ . وينصح ولا يَعْشُّ، جُمِعَت النفوسُ المختلفةُ الأهواءَ على محبَّته، وجُبِلَت على تصويب إرادته".

وأكثر الخطب العربية بعد ذلك يمكن أن تندرج فيما سماه أرسطو: الخطابة الاستدلالية، كالخطب في مقامات الصلح والمخالفة، ومراعاة حرمة الجوار، وتحمل الديات، والمفاخرة والمجادلة، وما جرت به عادتهم من خطب عقد الزواج، ما إلى ذلك. ويهمنا هنا أن نورد في إيجاز الاعتبارات الأدبية فيما ذكروا من أحوال الخطابة والخطيب. ويَعْبُضُ هذه الاعتبارات يرجع إلى حال الخطيب والسامعين وبعضها الآخر يرجع إلى الأسلوب. وهى الاعتبارات التى يعتبرها علماء الاتصال المعاصرين؛ المرتكزات التى تركز عليها نظرياتهم فى الإعلام والاتصال بال جماهير.

وعلى المُحرِّر. تأسيساً على هذا الفهم. أن يعرف أقدار المعانى؛ وأن يوازن بينها وبين أقدار القراء فى حالاتهم المختلفة. "فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً" كما يحدث فى الصحف المتخصصة؛ ولكل حالة من ذلك مقاماً؛ حتى يقسّم أقدار الكلام على "أقدار المعانى، ويقسّم أقدار المعانى على أقدار تلك الحالات"^(١). ومراعاة المقام مدار الإيجاز والتطويل، إذ الإطالة، حين يكفى الإيجاز، مدعاة للضجر والسآمة؛ على حين الإيجاز فى موضع الإطالة تقصير. كما لا يصحّ أن يستعمل المرسل ألفاظ الخاصة فى مخاطبته العامة، ولا كلام الملوك مع السوقة^(٢).

وعلى المرسل أن يتلمس مواطن القبول من مستمعيه، فيطيل ما أقبلوا عليه، ونشطوا لسماعه، ويُمسِكُ عن الإطالة إذا وجد فيهم فتوراً عنه^(٣). وينبغي أن يستعمل الإيجاز فى مخاطبة الخاصة، وذوى الأفهام الثاقبة؛ لأنهم يجتزئون باليسير من القول؛ كما يجب عليه ذلك فى المواعظ والوصايا، لتكون أيسر نقلاً وحفظاً. وأما الإطالة فتكون للعوام، ومن ليسوا من ذوى الإفهام. ولا بأس فى هذه الحالة من تكرار المعانى وتوكيدها أو إعادة بعض الألفاظ وترديدها؛ تحذيراً أو تهويلاً وتخويفاً^(٤). وإنما تليق الإطالة بالأئمة والرؤساء ومن يُقْتَدَى به ويُؤخَذُ عنه. أما العامة فليس لهم إذا حُطِّبُوا سوى الإيجاز، لأن الإطالة منهم. فى رأى صاحب كتاب "البرهان". مدعاة التباين والاختلاف فى الرأى. ولهذا المعنى يقول شاعر الخوارج:

(١) من صحيفة بشير بن المعتمر، فى الجاحظ: البيان والتبيين ج ١ س ١٣٨. ١٣٩.

(٢) البرهان فى وجوه البيان لابن وهب، ص ٩٧. ٩٦.

(٣) المرجع السابق ص ٩٦. والجاحظ: البيان والتبيين ج ١ س ١٠٤. ١٠٥.

(٤) المرجع السابق ص ١٠٥. ونقد النثر ص ٩٧.

كنّا أناساً على دين. ففرقنا .: قَدَّعُ الكلام وخَلَطُ الجدَّ باللعب
ما كان أغنى رجالاً ضلَّ سعيهمُ .: على الجدل، وأغناهم عن الخطب^(١)

وقد تتسم المعالجة في التحرير الصحفي بالطابع "الجدلي" من خلال التحقيق الصحفي؛ والمقالات؛ والأحاديث؛ وغيرها من فنون (المعالم الصحفية) خاصة؛ على النحو الذي يتواصل مع بلاغة الجدل في إقرار الحجة عن طريق الحوار.

وتبنى مقدمات الجدل مما يوافق الخصم عليه، وإن لم يكن في نهاية الظهور للعقل. وهذا ما يفرق بين الباحث عن الحق في ذاته، وبين المجادل الذي يقصد إلى إلزام خصمه الحجة. فإذا سبقت الحجة مما يوافق الخصم عليه فلا مطعن له فيها^(٢).
والسائل في موقفه أقوى من المجيب، ولذا لا ينبغي للصحفي أن يتخير في الإجابة عن السؤال من يثق في قدرته على إجابته؛ لأنه إذا لم يجب، أو أجاب ولم يقنع، أو تلجلج في كلامه فقد ظهر عجزه^(٣).

وفى أسلوب التحرير الصحفي يستجاد عدم التكلف؛ والالتزام بالوضوح؛ وإثبات الغرض المقصود؛ وليست الأشياء والأحداث والصور من الوضوح في ذهن القارئ مثل ما هي من الوضوح في ذهن المحرر.

كتاب الأسلوب ولغة الصحافة :

يقول عميد الأدب العربي في سياق حديثه عن التفكير: إنه الأداة الطبيعية التي نصطنعها في كل يوم، بل في كل لحظة ليفهم بعضنا بعضا وليعاون بعضنا بعضا على تحقيق حاجتنا العاجلة والآجلة، وعلى تحقيق مهمتنا الفردية والاجتماعية في الحياة. ونحن نصطنع هذه الأداة ليفهم بعضنا بعضا، ولنفهم أنفسنا أيضا. فنجد أننا نشعر بوجودنا وبحاجتنا المختلفة وعواطفنا المتأبينة وميولنا المتناقضة حين نفكر. ومعنى ذلك أننا لا نفهم أنفسنا إلا بالتفكير ونحن لا نفكر في الهواء ولا نستطيع أن نعرض

(١) المرجع السابق ص ١٠٣، ١٠٤. والقذع: الرمي بسوء القول .

(٢) نفس المرجع ص ١١١، وراجع كذلك الخطابة لأرسطو الفصل الثاني من الكتاب الأول .

(٣) نفس المرجع ص ١١٩، د. محمد غنيمي هلال المدخل إلى النقد الأدبي الحديث ص ١٦٦ .

الأشياء على أنفسنا إلا مصورة فى هذه الألفاظ التى نقدرها ونديرها فى رؤوسنا وتظهر منها للناس ما نريد ونحتفظ منها لأنفسنا بما نريد، فنحن نفكر باللغة ونحن لا نغلو إذا قلنا إنها ليست أداة للتعامل والتعاون الاجتماعيين فحسب وإنما هى أداة للتفكير والحس والشعور بالقياس إلى الأفراد من حيث هم أفراد أيضا.

والكلمة المطبوعة فى الوطن العربى مدرسة للمثقفين الذين ينقطعون عن الدراسة المتصلة بحكم نظم الحياة ومشاغليها حيث تصل بين وبين مناحى اهتماماتهم الثقافية وتكون بمثابة الحصة اللغوية اليومية أو الأسبوعية أو الشهرية والصحفية بذلك تيسر لهم استمرار حياتهم اللغوية ومتابعة هذا المد الذى بدءوه فى التعليم كما أن الكلمة المطبوعة تصبح مدرسة لعامة المتعلمين الذين لا يجدون فى حياتهم ما يعينهم على ذلك وييسر لهم أسبابه. إن عامة المتعلمين يجدون فى الكلمة المطبوعة المبسطة مجال تيسير المعرفة وإتاحة أسباب اللغة، وعلى ذلك فإن لغة الصحافة ذات أثر كبير فى حياة الأمة الفكرية اللغوية حيث تتيح للفكر فرصة الظهور وتمكن له من فرص النمو كما تضيف. باستمرار. إلى رصيد الفكر العربى وحياته الفنية والتعبيرية جديدا.

ولذلك تحرص الصحف الكبرى فى العالم أن يكون لها دليل، يطلق عليه "كتاب الأسلوب" يتضمن مجموعة القواعد والتعليمات التى تضعها الصحيفة لمحرريها، وهى تشمل تهيئة النص، ومراجعته، وتصحيحه ومطابقته للأسلوب الصحفى والدقة فى اللغة والمعلومات وتحاشى التعبيرات الجارحة وما إلى ذلك من الأمور التى تحقق التناغم فى أسلوب الصحيفة ككل، على النحو الذى يحفظ لها شخصيتها بين الصحف الأخرى ويحافظ على سلامة اللغة ودقتها فى التعبير. وكتاب الأسلوب **Stylebook** الذى أصدرته وكالة "يونايتد برس" من هذه النماذج الجيدة فى مجال الأخبار.

وكتاب الأسلوب فى الصحف يقدم خلاصة وافية لاغنى عنها للاستعمال التحريرى بصفة مستمرة. ذلك أن هذا الكتاب الدليلي يمثل مجموعة من المعايير فى التحرير الصحفى لإرشاد المحررين بالصحف ووكالات الأنباء. ويذهب الأستاذ "هوهنبرج" إلى أن كتاب الأسلوب الجيد يستطيع أن يقدم الكثير من أجل تحسين طريقة تقديم الأخبار والموضوعات الصحفية. يقول:

وعندما كان "لويس جوردان" محررا للأخبار فى جريدة "نيويورك تايمز" كتب عن كتاب الجريدة الجديدة الذى صدر بعنوان "كتاب الأسلوب واستعماله" الذى راجعه وحرره قائلًا:

"إن الغرض من كتاب الأسلوب" هو إعطاء أفضلية على ذلك الذى يهبط بمستوى اللغة بالنزول بمستواها ويستهدف الحفاظ مثلا على التمييز ما بين كلمتى "يتضمن" و"يستبدل"، ولملافة بدعة التعبير الجديد مثل الأفعال: يضيف ويؤلف.. ويعمل على تحاشى استعمال "أكل عليه الدهر وشرب" وتحاشى أى تعبير مبتذل أو بال. ويجتنب العامة فى سياق الكلام غير الملائم، ويعى أهمية استخدامها فى الوقت المناسب، وأن يستخدمها عندما يكون سياق الكلام ملائما"^(١).

ويسوق مثلا على التغيير فى أسلوب جريدة "التايمز" فى ١٤ سنة منذ طبعتها الأخيرة لكتاب أسلوبها، فقد سبق للجريدة أن عرفت المرأة المتزوجة لأول مرة على أنها "مسز جون دو" أما الآن فتسميها "جين دو" للوهلة الأولى ثم "مسز دو" بعد ذلك. ويستمر كتاب الأسلوب فى استعمال الألقاب الشرفية للرجال والنساء فيما عدا الأنسات (مس) ولكنه يحدّر:

"عند الإشارة إلى النساء يجب أن تتلافى الكلمات أو الجمل التى تتضمن أن "التايمز" تتكلم بصوت رجالي، فيجب أن يكون تصوير الرجال كنماذج والنساء كاستثناء"^(٢).

ومن بين الاصطلاحات المحظور استعمالها الألفاظ التى تحط من الكرامة مثل دُمية والجنس الضعيف، والمرأة الصغيرة. ويحدّر الكتاب أيضا من المعانى الخبيثة غير المرغوبة من حيث "الدلالة" والتى قد تحمل اصطلاحات تبدو فى ظاهرها حميدة مثل ربّة منزل، وشقراء، وسيمة، وجدة، ونحانة، وطلاق، وغيرها والقاعدة هى أن الكتاب يجب أن يسألوا أنفسهم عما إذا كانت مثل هذه المصطلحات ملائمة حين تستخدم بالقياس إلى الرجال فى نفس سياق الكلام: وهى تستخدم أيضا حين تعطى الأوصاف عن شخص أو جنس آخر أو دين.

(١) كتاب الأسلوب الصحفية نيويورك تايمز. نيويورك ١٩٧٦.

(٢) هوهنبرج: الصحفى المحترف، ترجمة ميشيل تكل، ص ١٢٤.

إن قانون جريدة " التايمز" ضد الابتذال والسوقية والتجديفية الذى صدر فى ١٨٩٦ عندما اشترى أدولف س. أوكس الجريدة، كان مرهقا للأعصاب مع لوائح الصحف الأخرى الكثيرة، والآن فإن كتاب أسلوب "التايمز" يدعو إلى الدهشة عندما يفسر التجديفية فى هيئاتها المخففة بأنه يمكن فى بعض الحالات تبريرها^(١).

وفى حين أن كتاب أسلوب "أسوشيتدبرس" يسمح باستخدام لفظ: الفحش أو الابتذال والسوقية والتجديفية طالما كان هناك سبب قوى لذلك. ومثل هذا الاستخدام لابد أن يرافقه تحذير للمحررين يكتب فوق الموضوع؛ وأن تستمر أخلاقيات الصحافة تُصب أعينهم نموذجاً يحتذى به.

كتاب الأسلوب الإلكتروني :

من وجهة النظر المقبولة بين المحررين فإن من الكتب المؤثرة فى الولايات المتحدة، كتاب أسلوب اب . يو. بى آى، الذى روجع لأول مرة بعد ٢٠ سنة فى عام ١٩٧٧ . ولأن وكالتى الأنباء الأمريكيتين هاتين تغطيان الدولة الأمريكية؛ ولهما تأثير عظيم فعال خارج البلاد فإن كتابهما يقرأ بدقة بالغة .

وفى طبعته الجديدة، توجد اصطلاحات جديدة فى الأسلوب العادى، فيما عدا حالات عناوين المجاملات. فقد قررت الوكالتان إلغاء "مس" و"مسز" من جميع برقيات الرياضة واحتفظت بهما أى "مس" و"مسز" فى برقيات الأخبار ولكنها أعطت أى امرأة حق الاختيار بأن تلقب (مس). وأجريت تغييرات كثيرة هامة فى الأسلوب بسبب سيطرة الكمبيوتر فى عمل الخدمة السلوكية. وكما يصف ذلك "وليم رباريت" وهو مساعد مدير تحرير "يوى" "أى" بقوله: "إن الطرق القديمة التى كنا نعمل بها الأشياء لابد أن تهمل فى هذه الأيام بسبب التكنولوجيا الحديثة وأجهزة الكمبيوتر التى تتكلم مع غيرها من أجهزة الكمبيوتر. فالكمبيوتر يحتاج إلى معلومات معينة دائماً فى نفس المكان حتى يعرف ما يجب عليه عمله.. وبمعنى آخر الكمبيوتر يخضع لبرامج تقوم بالبحث عن أشياء معينة فى مكان معين وهو يتفاعل بطرق معينة نتيجة لذلك. والغرض من وراء الحصول على نموذج تتبعه جميع الخدمات "البرقية" هو تمكين

(١) نفس المرجع ص، ١١١.

مستلمى المعلومات من تنمية البرامج لقبولها بطريقة موحدة". ويحدثنا "هو هونبرج" عما يسميه بدرّس "هيمنجواي" الكاتب الأديب الشهير، ذلك أنه بعد سنوات من اعتزاله العمل في صحيفة "كانساس سيتى ستار"؛ يذكر "أرنست هيمنجواي" أول مبادئ كتابة الأخبار كما وصفت في كتاب الأسلوب بالصحيفة وكانت أول جملة على النحو التالي:

استخدم جملا قصيرة. استخدم فقرات قصيرة. استخدم لغة إنجليزية قوية ولا تنس أن تصارع من أجل السلاسة. كن إيجابيا ولا تكن سلبيا .

يقول تشاريس أ. فتنون في كتابه "التلمذة على يد إرنست هيمنجواي" والحاصل على جائزتي "نوبل" و"بوليتر" عن تأثير أسلوب الكاتب،

كانت هذه أحسن القواعد التي تعلمتها في مهنة الكتابة. ولم أنسها مطلقا وليس هناك إنسان ذو موهبة، يحس ويكتب بصدق عن الشيء الذي يحاول أن يقوله ويفشل في أن، يكتب جيدا إذا التزم بهذه القواعد ..

أن صورة واحدة للتنوع المحير في الاستعمال الذي يمكن أن تكتب به اللغة، هو إصرار الصحف الكلاسيكية، لمعظم سنوات هذا القرن، على أن الأفراد يجب أن يعرفوا كأشخاص. وكلمة كثير قد تعنى فرقا غير محدودة "كأناس" . وبقليل من الاستثناءات فإن جميع صحفيّ الإذاعة تقريبا يستخدمون كلمة "ناس" كما صدرت في الطبعة الثالثة العالمية من قاموس "ويبستر".

ومنذ صدرت صحيفة (الأهرام) قبل مائة وخمسة وعشرين سنة، وهى مدرسة بكل ما تحمل هذه الكلمة من معانٍ على حد تعبير الأستاذ إبراهيم نافع فى تصديره لـ: "دليل العمل الصحفى" للأهرام Al - Ahram Style Book يقول فى تصدير هذا العمل الكبير: "وقد تطورت طباعة الأهرام بتطور الطباعة ومستلزماتها ، فكانت الرائدة فى الوطن العربى، بل كانت أول من لاحق عصر الأقمار الصناعية وثورة الاتصالات فى تناول الصور وبثها فى لحظات لتكمل التعبير بالكلمة والصورة فى آن واحد، وكما تطورت المعدات، تطور أسلوب الكتابة ليواكب أسلوب الحياة المتجددة دائما. ومن هنا يلحظ القارئ الفرق الكبير بين ما يكتب فى الجريدة اليوم وما كان يكتب قبل أكثر من

مائة عام فى أواخر القرن التاسع عشر ثم فى مطلع القرن العشرين، ومنتصفه وآخر سنواته. ولكن الأهرام حرصت دائما على شئ مهم هو أن تحوز ثقة قارئها فى صدق ما تكتب، ودقة ما تنشر. ولعل هذا هو ما أعانها على البقاء طوال هذه السنوات التى لا تباريها فيها مطبوعة عربية أخرى فى أى مكان من وطننا الكبير.

"وإذا كانت "الأهرام" مدرسة لقرائها بما تنقله إليهم من أخبار وتحليلات وأفكار وآراء حرة فإنها تعتبر أيضا مدرسة للعاملين فى الصحافة تعلم فيها ألوف من المهنيين الذين لمعت أسماؤهم، وأصبحوا نجوما فى سماء الوطن العربى. أبناء مدرسة "الأهرام" أصدروا وحرروا المئات من الصحف والمجلات ووضعوا فيها خبراتهم التى اكتسبوها من هذه المدرسة".

إلى أن يقول الأستاذ إبراهيم نافع عن كتاب "الأسلوب ودليل العمل الصحفى فى الأهرام": مع سنة التطور رأيت الأهرام أن تصدر هذا الكتاب كدليل عمل للصحفيين الجدد. تهدف من وضعه بين أيديهم أن يكون هاديا لهم فى عملهم المهنى الذى يمارسونه كل يوم.. وهو يكمل بذلك الدراسة النظرية التى تلقوها فى الجامعات. وهذا الدليل خلاصة تجارب زملاء من أسرة الأهرام مارسوا الصحافة سنوات طويلة، عملوا فى شتى فروعها. واكتسبوا خبرات يندر أن تتوافر لصحفى آخر فى الوطن العربى".

وقد نهض بإعداد هذا العمل العلمى، الأستاذ أحمد نافع، الذى يقول فى تقديم الكتاب: "إذا كانت الصحافة هى ضمير الأمة، وهى عقلها الذى تتماوج فيه الأفكار، وتتوازن فيه الآراء.. وهى قائدة النهضة لبناء الحضارة وهى الوعاء الأوسع لنشر المعارف، والعمود الأعلى لرفع آراء الثقافة:

"إذا كانت الصحافة هى هذا كله، وأكبر من هذا كله فما أحرأها بأن تكون ناصعة البيان سليمة اللسان نقية الوجدان، تقدم للناس خلاصة المعرفة فى مجالاتها المختلفة التى تصل فيها وتجول بالعبارة السهلة، واللغة الصحيحة، تعرض فيها حقائق الأمور جليلة واضحة، وتهدى بها إلى السبيل السوى، وتصل بها إلى غايتها المنشودة.

"كانت الصحافة من قبل ملُكا لأفراد يملك أحدهم الصحيفة فيقود هو خطاها كما يشاء، ويحكم على الأمور كما يشاء.. من وجهة نظره الفردية، لا يسمح بأن ينشر في صحيفته إلا ما يوافق نزعته وهواه، من الناحية السياسية ومن النواحي الاقتصادية والاجتماعية على السواء.. ولقد أصبحت الصحافة الآن مؤسسات كبيرة يقودها ضمير الأمة ويحدوها إلى غايتها ومقاصدها، فهي تضم كل الاتجاهات وتنقل إلى القارئ أهم ما يتصل بحياته من شئون؛ طبقا لحقه الدستوري في المشاركة عن طريق حق الفهم والمعرفة، فأصبحت معطياتها اقتصادية وسياسية واجتماعية وثقافية وأدبية وفنية ودينية، فهي انطلاقا من ذلك كله تمضى إلى تحقيق المصالح العليا للأمة علما وحضارة وتقدما ورخاء.. تلك هي الصحافة اليوم وتلك هي رسالتها".

ويخلص الأستاذ أحمد نافع من ذلك إلى أن "من حق القارئ أن يتلقى ما تقدمه الصحافة إليه في الأسلوب الأسهل، والبيان الأمثل، والعبارات السلسة، والكلمات الواضحة، واللغة الصحيحة. وقد يحدث أن يختلف الكتاب الصحفيون في استعمال الأخطاء الشائعة؛ فمنهم من ينكرها ويتحاشاها؛ ومنهم من يجيزها لشيوعها، وقد يختلفون أيضا في بعض مواضع الهمزة وعلى أى حرف ترسم. وقد يفوت بعضهم بعض دقائق اللغة كما هو الحال في تمييز الأعداد مثلا. لذلك كان من أهداف هذا الكتاب وضع هذه الأمور وأمثالها في نصابها الصحيح ودعوة كتاب الجريدة ومجلاتها المختلفة والعاملين فيها جميعا إلى مراعاة هذه الضوابط وإتباعها، لأن القارئ إنما يتلقى في هذه الأيام خاصة، علمه وثقافته ومعارفه وضوابط لغته من الصحف، ومن حقه هو على صحيفته التي يتعلمذ عليها ألا تبخل فكره بين شتات من الأشكال للكلمة الواحدة وشتات من الضوابط في لغة الكلام".

وحين نلقى نظرة سريعة على أثر الصحافة في اللغة في النصف الأول من القرن الحاضر في مصر نجد طائفة من مشاهير الكتاب في الأدب والسياسة والاجتماع كان لمقالاتهم وكتبهم التي نشرت كمقالات في الصحف أثر كبير في تطور الشعر والأدب العربى بوجه عام، وهم يشتركون جميعا في وفرة المحصول من المقالات في المجلات والصحف على اختلاف أنواعها، غير أنهم اختلفوا في أسلوب الكتابة فمنهم المتعمق وراء الفكر: (العقاد) ومنهم المؤثر للأسلوب الحديث القريب التناول: (المازني) ومنهم

الأكاديمي المتمكن من الأسلوب العربي الكلاسيكي القادر على معالجة نواحي الحياة الحديثة بهذا الأسلوب: (طه حسين).

والصحافة توجه النشاط العقلي للأمة. وتاريخ الصحافة يشمل فترة طويلة من الزمن تسمح لنا بأن نتبين تأثير التطور الاجتماعي على عقلية الناس وأن نتبين حرص لغة الصحافة على جوهر اللغة العربية، وسيرها طبقاً لخصائصها وأساليبها الأصيلة والعريقة. والصحافة العربية تساهم في تجديد لغة الضاد عن طريق عاملين رئيسيين أحدهما: هو الكسب الخارجي وما يتسرب إليها من لغات أخرى عن طريق الترجمة البرقية ثم يتأصل فيها ويصبح جزءاً ثابتاً منها.

كما أن دراسة المفردات في لغة الصحافة تتجه ناحية أخرى غير الناحية التاريخية؛ ذلك أن الكلمات لا تستعمل في واقع اللغة الصحفية تبعاً لقيمتها التاريخية وإنما على أساس أن للألفاظ في الصحافة قيمة محددة بال لحظة التي تستعمل فيها. إن السياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة، ومن ذلك ما جرى في لغة الصحافة جريانا طبيعيا من ألفاظ وأوضاع جديدة لمعان شتى فليل مثلا :

فنان. للماهر في الفنون. أصبح على أمر ما: أي أنكره ووضع فاعله موضع الملامة.
تجول في البلاد . بدل جَوَل فيها "اكتشف الأمر. أي كشفه وأظهره لأول مرة
خابره . أي فاضه أو بادلته الخبر ومنه قلم المخابرات حُكم على المجرم بالإعدام أي
بالموت.. والإعدام أصلا فقد المال، فحولوه إلى فقد الحياة.

نظام وحدوى. نسبة إلى الوحدة والقياس أن يقال وحْدَى ومثلها كُتِلَوَى نسبة إلى الكتلة.
وتأسيسا على ذلك وجدنا اللغة الصحفية تتجه إلى الوضع اللفظي لمختلف المعاني والأغراض، ولقد أضافت إلى اللغة كثيراً مما لم تعرفه من قبل، واستخدمت في ذلك النحت والقياس والاشتقاق. كما اتجهت لغة الصحافة في اتجاه الوضع المجازي عن طريق توليد اصطلاحات مجازية للتعبير عن معان خاصة، يذكر منها الأستاذ أنيس المقدسى: القوة الضاربة. أي السلاح الكافي، اجتمع المؤتمر على صعيد الوزارة أي كان مؤلفا من وزارة الدولة.

أخذ المبادرة. أى سبق غيره فى أمرها. انتهاك صارخ لحقوق الشعب أى انتهاك واضح شديد. ناطحات السحاب . للأبنية الشاهقة العلوّ. توترت العلاقات بينهم أى ساءت واشتدت، صوّت فى الجلسة لفلان: أى كان من مؤيديه وأظهر تأييده له.

كما اتجهت لغة الصحافة إلى الاشتقاق الإسمى عن طريق اشتقاق صيغ من أسماء خاصة ومن أمثلته: قتن . من القانون. نقول قتن الطعام أى تناوله بحسب قانون محدد. مّول . من المال . مّول المشاريع أى قدم المال اللازم لها. تطّور. من التطور فنظام التطور هو التقدم من طّور إلى طّور. عايد أو عيّد . من العيد احتفل بالعيد أو هنا به. قيّم. من القيمة تقييم الأشياء أى تقدير قيمتها. استجواب . من الجواب. استجوب القاضى فلانا أى طلب منه الجواب. وهكذا فإن "لغتنا تتسع لكل عظيم" على حد تعبير الأستاذ أحمد نافع الذى يقول فى "دليل العمل الصحفى": والعربية هى التى وسعت كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام ووسعت ما تفرع عن ذلك من تراث الإسلام وعلومه تفسيراً وأحدثاً وفقها وتشريعاً ووسعت علوم التوحيد وأصول الأحكام وعلوم الفلك والرياضيات وعلوم الطبيعة والكيمياء.. والطب والزراعات والصناعات.. وهى الآن تتسع لكل ما يُترجم إليها من اللغات الحية واللغات المنتشرة فى هذا العالم الواسع الكبير شرقيه وغربيه، ولا تزال العربية تتسع لكل عظيم".

يقول أستاذنا الدكتور شوقى ضيف رئيس مجمع اللغة العربية من مقال بعنوان: "اللغة العربية فى مواجهة القرن الحادى والعشرين" نشر فى صفحة الأدب بجريدة الأهرام^(١): "اللغة العربية أقدم اللغات الحية زمناً وأطولها عمراً وأكثرها قدرة على تمثيل الحضارات السابقة عليها، تمثلت حضارات الأمم القديمة التى سبقتها فى الحضارة وأضاف إليها ما جعلها ذات حضارة كبرى أذاعتها فى القارات القديمة: آسيا وإفريقيا وأوروبا، وامتازت بحيوية متأججة نفاذة بحيث لم تنازل لغة أيام الفتوح الإسلامية إلا ظفرت بها، ظفرت فى العراق باللغتين: الآرامية والنبطية . وفى إيران باللغة الفارسية وفى الشام باللغتين السريانية واليونانية، وفى مصر باللغتين الديموطيقية واليونانية، وفى تونس وما وراءها بالمغرب باللغتين: البربرية واللاتينية وفى الأندلس: باللغة الرومانثية الإسبانية.. وأهل كل هذه البلدان شرقاً وشمالاً وغرباً زابت لغاتهم ألسنتهم

(١) جريدة الأهرام، صفحة الأدب، الجمعة ١٢/٥/١٩٩٧.

وَحَلَّت مكانها العربية، واتخذوها للتعبير عن وجدانهم ومشاعرهم شعرا ونثرا وعن عقولهم وألبابهم فكرا وعلوما وفلسفة، ووانتتهم العربية. وخاصة في صنوف العلوم والأفكار الفلسفية. بكل ما أرادوا من صور التعبير مهما كانت عميقة لمرونتها الشديدة واشتقاقاتها الكثيرة. وقادت اللغة العربية العالم حضاريا وأديبا وعلميا وفلسفيا طوال ستة قرون منذ القرن الثامن الميلادي، وظلت علوم العرب وفلسفتهم تصبّ في أوروبا وجامعاتها منذ بدءوا في ترجمتها بالقرن الحادي عشر الميلادي ومضوا يتعلمونها حتى القرن السابع عشر وأخذت تضيء لهم مسالكهم إلى علومهم الحديثة.

وأصاب العربية ركودُ قرونا وعادت إلى الازدهار في عصر محمد علي وخلفائه. وفي هذا القرن العشرين ينفتح العرب على علوم الغرب وينشطون في ترجمة الطب والعلوم المختلفة إلى العربية ويضعون معاجم العلوم فرادى وجماعات كمعجم محمد شرف الطبى سنة ١٩٢٦ ويشتمل على أربعين ألف مصطلح طبى، ناهيك عما وضعته مجامع اللغة العربية في القاهرة وسوريا وبغداد من عشرات المعاجم العلمية، ولمجمع اللغة العربية القاهريّ أربعة عشر معجما علميا، وليس في الجامعات المصرية علم غربي يدرس فيها الآن إلا وفي المجمع القاهريّ مُعجم له يعرض مصطلحاته الغربية ومقابلاتها العربية. وواضح . من ذلك كله . أن اللغة العربية تاريخا حضاريا مجيدا وعت فيه منذ أربعة عشر قرنا كل ما كان لدى الأمم القديمة من حضارات وعلوم وفكر وفلسفة، وأضاف إلى كل ذلك إضافات رائعة وقادت العالم قرونا؛ حضاريا وعلميا، وواكبت أوروبا قرونا متعاقبة على علومها وفلسفتها مما أعدها سريعا لنهضتها الحديثة.

واستطاع علماء مصر في القرن الماضي أن يستحدثوا فيها لغة علمية عصرية شاعت في العالم العربي، وعلا صوئها في هذا القرن العشرين بفضل أدباء مصر الكبار الذين تترجم أعمالهم إلى الغرب، ويفضل علمائها الذين ينقلون إليها العلوم الغربية ومصطلحاتها العلمية. وهذه اللغة الحية التي ملأت العالم شرقا وغربا علما وأدبا، يدعو بعض أبنائها في بعض الصحف إلى استبدالها بالعامية التي نستخدمها في حياتنا اليومية بالسوق والمصنع والمنزل. ومن يدعون هذه الدعوة لا يعرفون تاريخ اللغة العربية: لغتنا ولغة العرب القومية، وطاقتها اللغوية، وحملها لتراث الأمة الثقافى الدينى والتاريخى والأدبى والعلمى؛ طوال أربعة عشر قرنا، وهم أيضا لا يعرفون شيئا عن العامية.

- وهى فى أكثرها. فصحى مُحَرِّفة كما فى مثل: سمع وفهم وعلم، بكسر أولها جميعا. ثم هى لا تحمل أى تراث ثقافى أو دينى أو تاريخى أو علمى، وهى لا تصلح أن تحمل لنا فكرا أو علما أو ديناً، إذ هى لهجة متداولة فى الشئون اليومية المؤقتة. والعربية فى ذلك مثل اللغة الفرنسية وغيرها من اللغات الغربية الحية، فجميعها لها لهجات يومية تتداولها شعوبها غير لغاتها الأدبية والعلمية، ولم يقل أحد هناك: دعونا من لغة الفكر والعلم والثقافة والأدب. ولنتحدث فيها بلهجتنا اليومية. وذلك فضلا عن أنها دعوة خطيرة، إذ يترتب عليها أن تصبح للأمة العربية لغات بعدد عاميات شعوبها التى تصل إلى نحو عشرين عامية، وبعض الأقطار به عاميات متعددة مثل العراق ومثل مصر، ومعروف أن عامية الوجه البحرى تخالف عامية الصعيد، وهم بذلك يدعون؛ دون وعى. إلى تمزيق الأمة العربية إلى أمم بعدد العاميات المنتشرة فى أقطارها. ومثل خطأ الدعوة إلى العامية الدعوة إلى الإبقاء على الإنجليزية لغة لتعليم العلوم الغربية فى جامعاتنا العربية وتعميمها فى كل سنوات الكليات العلمية، ويقولون أيضا إن العلم عالمى؛ ولماذا لا نعلم شبابنا بالإنجليزية اللغة العلمية السائدة فى المحيط العلمى. ويقولون إننا إذا علمنا العلوم باللغة العربية يُخشى عليهم من الانغلاق وألا يستطيعوا ملاحقة التيار العلمى العالمى. ونحن حين نقول بتعريب التعليم الجامعى فى البلاد العربية سنحرص أشد الحرص على إتقان الشباب للغة الإنجليزية أو إحدى اللغات الحية الأجنبية، وستوضع للشباب البرامج والمناهج الكفيلة بتحقيق ذلك. بحيث يكون أساتذة جامعاتنا مثل أساتذة الجامعات فى فرنسا أو فى ألمانيا، فهم يُعلمون العلوم بالفرنسية فى الأولى أو بالألمانية فى الثانية، ويكتب نفرٌ منهم مقالات علمية باللغة الإنجليزية، وينشرها فى المجلات العالمية. وسيكون أساتذة جامعاتنا مثلهم يُعلمون الشباب فى الجامعات باللغة العربية، وسيكون منهم من يتقنون الإنجليزية أو لغة حية غربية أخرى، ويكتبون بها مقالات علمية تنشر فى المجلات العالمية.

وبيننا نفر لا يعرفون اللغة العربية وتراثها ويقولون: إنها لغة تراثية ولا تصلح لعصرنا إذ لا تستطيع مواكبة الحضارة الغربية ولا مجاراة إنجازاتها الحضارية، وهى. بذلك. تعد مغتربة عن عصرنا، ولا تصلح له أى صلاحية. وهو كلام يُلقى على عواهنه دون تدبّر، ودون معرفة بالتراث العربى، وتمثله لحضارات الامم القديمة، وإقامته

لحضارة شامخة، وعبوره الأندلس وصقلية إلى أوروبا، وإعدادها العلمى لحضارتها الحديثة، كما أعدت مصر فى القرن الماضى للنفوذ إلى لغة علمية حديثة شاعت فى العالم العربى. وطبيعى أن هذا النفر لا يعرفون اللغة العربية وتراثها ولا يعرفون أنها هى التى قاومنا بها مقاومة عنيفة المستعمرين الإنجليز والفرنسيين، حتى ولو على وجوههم من ديارنا العربية إلى البحر المتوسط وما وراءه. ومعروف مدى مقاومة العربية الحادة وتراثها؛ لفرنسا طوال قرن وربع قرن فى الجزائر؛ حتى طردتها بعد محاولاتها الكثيرة اليأسية تعليمية وغير تعليمية، فى استخدام الجزائريين الفرنسية بدلا من العربية. إن اللغة العربية لم تنازل لغة إلا ظفرت بها، وهو ظفر وانتصار كانت تستعين فيها العربية بتراثها الثقافى؛ الأدبى والعلمى والتاريخى والدينى الذى ينزل منها منزلة الأرواح والأفئدة.

وهاهو الغربُ يعدّ لنظام عالمى جديد من أهم مقوماته العولمة، وهى أن تصبح كل أمة فيه عالمية حضاريا وثقافيا، ويخشى مع هذا النظام أن تفقد الأمم خصوصياتها وهوياتها.

وفى تقديرى أن العرب لم يقبلوا هذا النظام إلا إذا اعتدل ميزانه ولم يتعارض مع شخصيتهم الحضارية والثقافية، والأمة العربية فى مواجهتها القرن الحادى والعشرين بل قرون الألف الميلادية الثالثة جميعها ستظل تصر إصراراً لا يماثله إصرار على التمسك بهويتها ولغتها العربية، وتراثها الحضارى والثقافى الخالد الذى أتاح لها حياتها الطويلة الخصبة ووجودها العالمى العظيم^(١).

ونتساءل مع الأستاذ أحمد نافع: "من من الناس وحملة الأقلام أولى من الصحفى بسلامة اللغة وصحتها؛ وهو الذى يقود ركب الثقافة والبيان والبلاغ فى أمته وشعبه؟ ذلك أن الصحافة "ومعها وسائل الإعلام الأخرى من إذاعة وتلفزيون، تلازم الناس من صحوهم إلى منامهم، فهى المؤثر الفعال فى طبع حياتهم وصوغها، وفى توجيه أفكارهم وتنوير عقولهم وتنقية وجدانهم وترسيخ قيمهم؛ أو هى التى تقلب ذلك كله رأسا على عقب. الصحافة هى المعلم الأول للشعوب وعنها يتعلم الناس، وبها يقتدون، فهى أعم وأشمل وأوسع تأثيرا من المدارس والجامعات، فإذا لم تتدارك

(١) د. شوقى ضيف: "اللغة العربية فى مواجهة القرن الحادى والعشرين"

الصحافة الأمور التى تمسح شخصية الأمة أو تهاونت فى استئراء الأخطاء التى تشيع فى لغتها، صارت تلك الأخطاء عند الناس هى القاعدة من حيث لا يدرون.. والصحفى كاتب، وكل كاتب يجب عليه أن يراعى فيما يراعى سلامة لغته وقواعدها الصحيحة وأن يتعرف على الأخطاء ليتحاشاها^(١).

ويؤكد كتاب الأسلوب فى وكالة "أسوشيتدبرس" أن هذا المرجع الدليلى للمحررين؛ يساعد على تقديم الكلمة المطبوعة تقديمًا دقيقًا؛ ومُحكمًا؛ ومُمتعًا لعين القارئ. ويجب أن يركز على قواعد النحو.

إن أى كتاب للأسلوب؛ كما يذهب إلى ذلك "هوهنبرج" لا يمكن أن يحل محلّ العمل الشاق؛ والمهارة المكتسبة فى الكتابة؛ والذوق الفنى؛ من مقومات الكاتب والمحرر الصحفى. كما أن هذا المرجع الدليلى لا يمكن استخدامه لتقويم النقاط المهمة فى قصة خبرية أو موضوع صحفى. ولا يستطيع أن يظهرنا على طريقة أفضل لتقديم الأخبار أو ترتيبها؛ إذ ليست هناك قوانين تحل محلّ التفكير نفسه.

الشكل والمضمون فى فنون التحرير:

والمضمون يمثل نقطة البدء للتعبير فى التحرير الصحفى؛ وليس هناك فاصل بين خصائص المضمون وخصائص التعبير؛ بحيث يمكن الانتقال من أحدهما إلى الآخر. وفى ذلك يقول "كروتشى": "قد يكون المضمون هو ما يمكن تحويله إلى شكل، ولكن طالما لم يوضع فى الشكل، لا تكون له صفات محدودة؛ فلا نعلم عنه شيئًا^(٢) ولا يصير مضمونًا إعلاميًا؛ إلا بعد وضعه فى "الصورة التحريرية" الملائمة.

فاللفظ والمعنى متلازمان؛ إذ العملية الفكرية فى التحرير واحدة؛ وفيها تتجلى الصورة الإعلامية عن طريق صياغتها. ولذلك ذهب "عبدالقاهر فى البلاغة العربية؛ إلى ربط الألفاظ بدلالاتها فى السياق من حيث تكوين الصورة الأدبية فإذا كانت العبرة بالألفاظ فى مواقعها من الجمل، فليس ذلك لأنها المقصودة أولاً بالفكر؛ إذا لا يُعقل أن يُقصد أولاً إلى ترتيب المعانى فى استقلال عن اللفظ، ثم بعد ذلك يُستأنف النظر فى

(١) أحمد نافع : دليل العمل الصحفى . الأهرام ؛ مؤسسة الأهرام ١٩٩٧.

(٢) د. عبد العزيز حمودة؛ علم الجمال والنقد الحديث، ص ٣٥.

الجملة الدالة عليها، ولا أن يُقصد إلى ترتيب الألفاظ وتواليها على نُظم خاص في استقلال عن الفكر. ولكن هذا الترتيب للألفاظ يقع ضرورة ملازماً للمطلوب الأول، وهو المعنى المدلول عليه في الصورة^(١) وليس الأمر كما ذهب ابن خلدون إلى أن المعنى تابع للفظ - في مناصرته للفظ -^(٢) ولكن الأمر كما يرى عبدالقاهر. يجعل اللفظ تابعا للمعنى بالضرورة؛ إذ الألفاظ أوعية للمعاني، وهى أدواتنا لفهم هذه المعاني. "فإذا وجب لمعنى أن يكون أولاً في النفس وجب للفظ الدالّ عليه أن يكون مثله أولاً في النطق"^(٣) فلا يتصور "أن يعرف المرء للفظ موضعاً من غير أن يعرف معناه، ولا أن يتوَحَّى في الألفاظ من حيث هى ألفاظ؛ ترتيباً ونظماً، وإنما يتوَحَّى الترتيب في المعاني؛ فإذا تم ذلك تبعتها الألفاظ وقفت آثارهما" و "إنك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك، لم تحتج إلى أن تستأنف فكراً في ترتيب الألفاظ، بل تجدها تترتب لك بحكم أنها حَدمٌ؛ وتابعة لها ولاحقة بها؛ وإن العلم بمواقع المعاني في النفس، علمٌ، بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق"^(٤). ولهذا التلازم في العملية الفكرية بين الألفاظ في السياق ودلالاتها على معناها العام، يرى عبدالقاهر أنه لا يتصور بحال أن يصعب مرام اللفظ بسبب المعنى، لأنه لا يتصور أن يحصل المرء على المعنى أولاً على حدة، ثم يبحث له عن الألفاظ الدالة عليه؛ إذ أن الألفاظ. من حيث هى ألفاظ لا تُطلب بحال؛ وإنما تطلب من أجل المعاني في الصياغة والسياق. فطلب المتكلم دائماً متوجّه إلى المعنى الذى يريد أن يصوغه في كلام تام يدلّ عليه، وقد تعرّض له الصعوبة بسبب اللفظ. ومن أجل ذلك تخلّصت لغة الصحافة من السّجع مثلاً؛ ذلك أن صعوبة ما صعب من السجع هى صعوبة عرضت في المعاني من أجل الألفاظ وذلك أنه صعب عليك أن توفق بين معاني تلك الألفاظ المسجعة، وبين معاني الفصول التى جعلت أردافاً لها، فلم تستطع ذلك إلا بعد أن عدّلت من أسلوب، إلى أسلوب، أو دخلت في ضرب من المجان، أو أخذت في نوع من الاتساع؛ وبعد أن تلطّفت على الجملة ضرباً من التلطف^(٥).

(١) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز ص ٤٢ - ٤٣.

(٢) د. محمد غنيمى هلال: السابق ص ٢٩٦.

(٣) عبدالقاهر الجرجاني: المرجع السابق ص ٤٢.

(٤) نفس المرجع، ص ٤٤.

(٥) نفس المرجع، ص ٤٤.

والعملية الذهنية في التحرير يتلازم فيها المعنى؛ والألفاظ الدالة عليه في الجمل مؤتلفة؛ ويدهى أن المطلوب هو المعنى؛ إذ الألفاظ من حيث هي أصوات لا تطلب أبداً، ولكن المعانى إنما تطلب بالألفاظ من حيث دلالاتها في التحرير. فأنت إنما تطلب المعنى؛ وإذا ظفرت بالمعنى فاللفظ معك، وإزاء ناظر، وإنما كان يُتصور أن يصعب مرام اللفظ من أجل المعنى أن لو كنت طلبت المعنى فحصلته، احتجت إلى أن تطلب اللفظ على حدة وذلك محال^(١)، على حد تعبير عبدالقاهر وهنا نجد أن عبدالقاهر يمسّ مسألة جوهرية؛ أشار إليها أرسطو، وهي أن عمليّة النطق مستلزمة للتفكير بالضرورة. ويسلم العلم الحديث بأن التفكير على أية صورة إنما يكون بالألفاظ، على حين يفكر المرء في صمت في ذات نفسه، واللغة هي وسيلتنا للوعى: "بما حولنا، والتعبير عنه"^(٢). يقول "برجسون" في مقدمة رسالته في الأفكار المباشرة للوعى: "إننا نفكر ضرورة بالألفاظ".

وحين نذهب إلى أن التحرير الصحفي إنما هو في جوهره تفكير؛ وتعبير؛ فإن هذا المذهب يرجع إلى أن الكلمات رموز لمعانى الأشياء؛ الحسية أولاً، ثم التجريدية المتعلقة بمرتبة أعلى من مرتبة الحس ثانياً. فهي رموز لحالات نفسية هي مادة الفكر، والصوت اللغوى وظيفه عقلية، لها دلالاتها على الكلام النفسى الداخلى. وهذه الحالات النفسية التى تثيرها اللغة ليست فردية محضة؛ لأن دلالتها على الأشياء ومعانيها ليست طبيعية؛ بل هي وضعية اصطلح عليها؛ فمعانيها المشتركة بين الناس هي التى تعطىها كل قيمتها اللغوية. وبهذا وحده نستطيع أن نفكر بالكلمات؛ ونبنى حججنا عليها بوصفها رموزاً للأشياء. يقول أرسطو:

"والكلمات المنطوقة رموزٌ لحالات النفس؛ والكلمات المكتوبة رموز للكلمات المنطوقة؛ والكتابة ليست واحدة عند كل الناس، شأنها في ذلك شأن الكلمات المنطوقة، ولكن المحاولات النفسية التى يعد التعبير دليلاً مباشراً عليها هي عند كل الناس، شأنها في ذلك شأن الأشياء التى تُعدّ هذه الحالات صوراً لها"^(٣).

(١) نفس المرجع، ص ٤٩ .

(٢) د. محمد غنيمي هلال؛ المرجع السابق، ص ٤٨ .

(٣) نفس المرجع، ص ٤٩ .

وفى التحرير الصحفي . تأسيساً على هذا الفهم . عمليات عقلية متتابعة؛ تقوم على أساس الفهم التواصليّ للغة؛ فالتسمية نفسها تضيف إلى المحسوس ما يزيد به عن مجرد وجوده الحسى . فإذا قلت: (محمداً) مثلاً، فهذه التسمية تتضمن مبدأً (الإنسانية) إضافة إلى تعيينها هذا الشخص المعروف بهذا الاسم، ومبدأً (الإنسانية) عالميٌّ فى ذاته. وبذلك كانت اللغة عند أرسطو رمزاً للفكر فالنطق والفكر عنده متلازمان. وبدون الكلمات لا يتيسر فكّر ولا علم ولا اتصال. وكلمة (لوجوس) Logos التى من معانيها (المنطق أو العلم) معناها: اللفظ فى الأصل؛ ثم صارت تطلق على اللغة، وهى عند أرسطو مرادفة للعقل^(١).

والإنسان لا يواجه الواقع مواجهة أولية، فبدلاً من التعامل دائماً مع الأشياء نفسها؛ يطور الإنسان أفكاراً عن هذه الأشياء، وهو يغلف نفسه بغلاف من الأشكال اللغوية، والصور الفنية، والرموز الأسطورية؛ لدرجة أنه لا يستطيع أن يرى شيئاً أو يعرفه إلا من خلال نظامه الرّمزى. وكما قال "أبيكتيتوس": "إن ما يقلق الإنسان ويخيفه ليست هى الأشياء، وإنما آراؤه وتخیلاته عن هذه الأشياء".

ولقد صور "الترليان" عام ١٩٢٢ فى كتابه عن (الرأى العام) صورة ممتازة للبيئة الصورية.. فالعالم الموضوعى الذى يتعامل معه الإنسان يخرج عن نطاقه وعن بُعده وعقله. ويضع الإنسان لنفسه فى رأسه صورة للعالم الخارجى تختلف فى مدى الركون إليها. وهكذا لا يسلك الناس على أساس المعرفة المباشرة والمؤكدّة بالعالم الواقعى، وإنما على أساس الصور التى صنعوها بأنفسهم، أو أخذوها عن الآخرين، ويتوقف سلوك الإنسان على تلك الصور التى فى ذهنه. وهذه الصور تفكّ الرسائل التى يتلقاها الإنسان من العالم الخارجى، ويستخدم فيها الصور المخزونة، والتصورات السابقة، والتحيزّات، والدوافع، والمصالح، لتفسير الرسائل واستكمالها، وبالتالي توجيه عمل الانتباه والرؤية ذاتها، وتصبح هذه التفسيرات أو التوسّعات نماذج أو أنماطاً جامدة.

ويذهب "لبمان" إلى أن هذه الأنماط الجامدة تُقرّر السلوك البشرى. والأصل فى (التمط) أنه ذلك اللوح الذى يصنع بأخذ قالب للسطح الطباعى، وصبّ المعدن الطباعى عليه، وتصبّ عقول الناس، وفقاً لنظرية (لبمان) فى قوالب.. وهى الصور التى

(١) نفس المرجع، ص ٤٩.

يكونونها عن العالم الخارجى، ثم تقوم العقول بتوليد الأفكار والاستجابة للمثيرات وفقا لنماذج القوالب. كان "لبمان" يكتب فقط عن العلاقة بين الرأى العام والصحف؛ ومع ذلك فإن فكرته - كما يقول ريفرز. يمكن أن تمتد لتشمل جميع وسائل الإعلام. ذلك أن هذه الرسائل تعمل كمصدر رئيسى للمعرفة يزود الناس بالرسائل من العالم الخارجى. ويستخدم الناس تلك الرسائل لتشكيل الصور العقلية عن عالم الشؤون العامة.

ومواقع الألفاظ من الجمل؛ بوصفها الرسائل التى بها يُؤدى المعنى؛ يظهر مزية التحرير؛ ودقة استخدامه للألفاظ فى جلاء الصورة. ويمكن النظر إلى الصحف ووسائل الإعلام؛ على أنها تخلق نوعا من البيئة الصورية بين الإنسان والعالم الموضوعى الحقيقى. ولهذه النظرة معانيها الهامة فى فهم طبيعة التحرير الصحفى والإعلامى؛ وما يتميز به. خلال الوسائل. من سرعة وشمول وانتشار.

والألفاظ - فى التحرير بأشكاله المختلفة. هى وسائل للتفكير والتصوير الإعلامى. ويقتضى هذا الفهم الحرص على دقة الدلالة وتماها؛ وجلائها فى صورة موضوعية؛ وهى خصائص لا يمكن أن تتوافر فى التحرير الصحفى والإعلامى؛ إلا بأن يُؤتى "المعنى من جهته، ويُختار له اللفظ الذى هو أخصّ - وأكشف - عنه؛ وأتم له، وأحرى بأن يُكسبه نبلا، ويظهر فيه مزية " على حد تعبير عبد القاهر. ولا تكون المزية للكلمة إلا بحسب موقعها من الجملة، لا لتأثم معناها مع معنى جاراتها.

وأهمية المضمون؛ فى التحرير الصحفى تنحصر فى التعبير عنه أى وضعه فى شكل من الأشكال الصحفية. وفى هذا إقرار لحرية المحرّر ولكنها حرية مسئولة تلتزم بالأخلاقيات والقيم والمبادئ "والمساحة المكانية" المحددة فى الصحيفة.

هذا الالتزام هو الذى يكسب المحرّر؛ وصحيفته، "مصادقية" مصدرها القانون الخلقى، والواجب الفنى فى صدق التعبير؛ ودلالته عن الواقع دلالة أمينة.

وقد جاء فى كتاب "التقصير" الذى اشترك فى تأليفه ستة من أظهر الصحفيين والمراسلين الإسرائيليين عقب حرب أكتوبر: "أن أخطر مظاهر التقصير فى حرب أكتوبر بالنسبة لإسرائيل إنما يتمثل فى فقدان قيادتها السياسية والعسكرية، للثقة التى كان الشعب يکنها لها. وكان أفدح أخطائها هو خوف تلك القيادة من عدم تحمل

الشعب الأنباء المؤلمة عن الفشل والهزيمة ومحاولات التغطية على المسؤولية الشخصية لبعض القادة عن الهزيمة".

وفى هذا النص من نصوص إعلان الحرب توضيح لماهية "المصادقية" كمصطلح شاع فى هذا الزمان، وهو مصطلح يشير إلى "الصدق الإعلامى" فى وسائل الإعلام ، كما يشير إلى "الصدق الفنى" فى الأعمال الأدبية والفنية؛ فبالقياس إلى وسائل الإعلام لابد من تحرر الصدق والدقة والإنصاف، فيما تقدم لجمهور القراء، فهذه الوسائل هى "الرائد الذى لا يكذب أهله" وهى تقوم بدور "حذام" زرقاء اليمامة المشهورة؛ التى كانت تبصر على مدى ثلاثة أيام؛ فتصدق أهلها الأخبار، فى حين تقوم وسائل الدعاية، التى يشير إليها كتاب "التقصير" الاسرائيلى؛ بدور "خُرافة" حين تتوخى الكذب الدمائى. ودور "حذام" هذا فى الإعلام، تؤكد الدراسات الحديثة؛ حيث يتلخص فى: إعطاء تقرير صادق وشامل وذكى عن الأحداث اليومية فى سياق يعطى لها معنى.

وهذا ما اتسم به "إعلام" أكتوبر؛ على النحو الذى يلخصه د. محمد عبدالقادر حاتم فى قوله: إن سياستنا الإعلامية تعتمد أساساً على "تقديم الحقائق للشعب والعالم بأسره بأمانة وموضوعية".

لقد تنبه "هتلر" و"فرانكلين روزفلت" و"ويلسون" إلى أهمية الدوافع الأدبية وهم يستخدمونها لأغراض دعائية تختلف عن أغراض الإعلام. الأمر الذى يدفعنا إلى تنقية جوهر الأدب؛ وجوهر الإعلام على أساس من مفهوم "المصادقية" الذى يعنى الإحساس بالتعاون والتجاوب بين "مصدر" الرسالة و"مستلقيها" وهو الإحساس الذى يؤدى إلى نجاح "الرسالة" الاتصالية فى الأدب وفى الإعلام. ولذلك تتجه المدارس النقدية الحديثة إلى نقد متخصص فى دراسة استجابة القارئ Reader – Response Criticism وتنقل اهتمامها من العمل الأدبى بوصفه بناءً مُنجزاً من المعانى؛ إلى استجابات القارئ وهو يتتبع بعينه الصفحة التى تحتوى النص.. وبهذا التحويل فى المنظور يتحوّل العمل الأدبى إلى نشاط فى عقل القارئ. ويتفق نقاد هذا الاتجاه؛ على أن معانى النص هى "إنتاج" للقارئ الفرد. ويتبنى التفسير الإعلامى للأدب هذه الآراء حول العوامل الرئيسية التى تشكل استجابات القارئ، والموقع الذى يجب التمييز فيه

بين ما هو مُعطى موضوعى فى النص، واستجابات القارئ الفرد؛ والنتيجة، التى يتم التوصل إليها حول المدى الذى يضغط فيه النص استجابات القارئ^(١).

وإذا كان الإعلام المصرى فى حرب أكتوبر؛ قد أكد على مفهوم "مصادقية المصدر" Source Credibility، فإن هذا المفهوم من أهم المفاهيم التى يركز عليها التفسير الإعلامى للأدب؛ تأسيساً على ما انتهت إليه بحوث "الاتصال" من تأكيد للارتباط بين "صدق المصدر" و"الثقة فيه" من جانب الجمهور فالرسائل الاتصالية التى يتم بثها من "مصادر عالية التصديق تزيد من درجة الاقتناع بالرسالة".

وأفضل طريقة لتحديد تأثير المصدر إنما تكون بدراسة المتلقى. وعلى ذلك يغدو مفهوم "المصادقية" مفهوماً أصيلاً فى تفسير الفن والأدب والإعلام؛ منذ تحدث عنه أرسطو؛ ومنذ تحدث عنه البلاغيون العرب.. ومنذ حاول عدد من علماء الإعلام المحدثين تحديد الخصائص والمكونات التى تجعل المتلقى يصدق المصدر وقبلهم قال أرسطو إنها القدرة على التمييز الحسن والأخلاق الطيبة؛ وحسن نية المصدر. ويؤكد المحدثون هذا الرأى كما يؤكدون على الخبرة والكفاءة ودرجة الثقة. وي طرح المصطلح الخاص بالمصادقية؛ بالقياس إلى الأدب؛ مشكلة الصدق الفنى والواقعى من جديد؛ وهى المشكلة التى يقول فيها فلاسفة الفن "إن الغاية الخلقية هى أساس كل تصديق.. ولهذا كان علينا أن ننظر إلى العمل الأدبى كلاً أو مجموعاً لأعلى! ولذلك أكد أرسطو أن الفضائل الخلقية والفكرية هى أساس السعادة وأن الكلام هو الذى يجلو النافع وغير النافع ويدين العدل من الظلم، لأنه خاصة الإنسان التى تميزه عن غيره من المخلوقات؛ والفرق بين السوفسطائى المغالط وغيره ليس فى الموهبة ولكن فى التصديق.

وفى بلاغتنا العربية ينتصر عبدالقاهر لى قال: خير الشعر أصدق، لأنه يوجب ترك الإغراق والمبالغة، وتحرى التحقيق والتصحيح واعتماد ما يجرى من العقل على أساس صحيح.

وإذا كان الباحث قد تَمَرَّد على حدود المنطق؛ فإن الصدق الفنى بدوره يؤدي إلى مفهوم المصادقية.. على النحو الذى دفع "وردفُورث" إلى أن يقول: إن الشاعر يشعر

(١) راجع للمؤلف: التفسير الإعلامى للأدب؛ بالقاهرة دار المعارف ١٩٨٠.

ويفكر بروح العواطف البشرية؛ ودفع بالعقاد إلى أن يقول: إن الشاعر العظيم إذا اتجه إلى الحياة؛ يُسمعك أصداء النفس الأدمية في جهرها وجواها. والذوق الفني في التحرير الصحفي، من الأمور التي ترتبط بمسألة اللفظ والمعنى، ونشير هنا إلى ما قام به بعض علماء الجمال الألمان من بحوث تفيدنا في "فن التحرير الصحفي" ولا سيما حين نتحدث عن مسألة "الشكل". وهؤلاء العلماء هم أصحاب المدرسة "الشكلية".

Formalistic School وعلى رأسهم "جوهان فريدك هربارت" **Johan Friedrich Herbart** (١٧٧٦ - ١٨٤١) وعنده أن علم الجمال يجب أن يُعنى بخصائص الفن من حيث هو. فلا يصح أن يُلقى بالا إلى الاعتبارات الميتافيزيقية، ولا إلى ما يثير المضمون من عواطف ومشاعر هزلية أو جدية، فهذه عناصر نفسية، خارجة في طبيعتها عن جوهر الفن. والجمال ينحصر. في فلسفة هربارت. في العلاقات؛ بين الأصوات، أو الألوان، أو الأفكار، على حسب طبيعة الفن، وعلى حسب التجارب الفنية في الحالات الخاصة^(١). وهذه العلاقات الجوهرية ليست محسوسة وإن كانت وليدة. ولا تحتاج إلى تصوير تفهم به، وتتولد من عناصر محسوسة؛ على حين الجمال يتمثل في العلاقات التي يتبعها مباشرة في الوعي حكم بالتصوير غير المشروط. وكلما ارتقى المرء في ثقافته قلّت عنده قيمة اللذة، وارتفع شأن الجمال. وعماد الحكم في الجمال هو الذوق لا المنطق ولا العقل. وحكم الذوق عامٌّ عالمي خالد، لا يتغير في زمان أو مكان، متى بُحِثتْ كل العناصر في علاقاتها بعضها مع البعض الآخر في كل حالة خاصة. وقد تتلاقى الأفكار الجمالية مع الأفكار الخلقية. فالحرية النفسية، والكمال واللفظ، والإنصاف، والحق؛ كلها مدركات جمالية؛ وهي كذلك أفكار أو مدركات حُلُقية متى طبّقَت على الإرادة.

والفن حقيقة معقدة، وهي وليدة عنصرين: عنصر غير جمالي، وله قيمة نفسية أو منطقية أو اجتماعية إعلامية أو ما إليها، وهي ما يُطلق عليه: المضمون. وعنصر جمالي محض، وهو نتيجة المدركات الجمالية الأساسية، وهو ما يُطلق عليه: الشكل^(٢).

(١) Croce: op. Cit. P. 93-94 د. عبد العزيز حمودة: السابق ص ٣٤.

(٢) نفس المرجع، ص ٣٥.


وتأسيساً على هذا الفهم؛ فإن هذه النتائج ستتضح لنا حين ندرس الأشكال الفنية فى التحرير الصحفى؛ ولكننا هنا نسوق اعتبارات عامة؛ نتبعها بمشيئة الله فى الفصول التالية؛ بتفصيل للنواحى الفنية فى كل شكل من أشكال التحرير الصحفى. ذلك أن لكل شكل من أشكال تحرير الأخبار، وفنون المعالم، قواعد يجب أن تراعى بصفة عامة فى التحرير الصحفى. وهذه القواعد قد تتجدد كلها أو بعضها على حسب التطور، ولكنها فى كل مرحلة من المراحل؛ تحتفظ بأفكار عامة مشتركة توحد ما بين الفنون التحريرية على نحو ما؛ مهما اختلفت تلك الفنون فى درجاتها الفنية. وربما من أجل ذلك أنكر كثير من كبار النقاد نظريات "الأجناس الأدبية" كنظريات الشعر، والقصة، والمسرحية وما إليها؛ ورأوا فيها أساساً بحرية الكاتب.

وعلى الرغم من ذلك؛ لا تنبغى المبالغة فى هذه الناحية إلى درجة قطع الصلات بين الأعمال الصحفية التى تنتمى إلى فن تحريرى واحد. إذ أن إخضاع هذه الأعمال للنظريات العامة فيه ما يساعد على إذكاء الحيوية فيها؛ إذا روعيت المرونة فى الإدراك والتطبيق؛ وفيه كذلك ما ينهض بالأدب، ويفنون التحرير الصحفى؛ بوصفها جهداً إنسانياً فى الإرسال والاستقبال.



الفصل الثالث

معايير التقويم الصحفي



- "الخبر" فى اللغة العربية : واحد الأخبار.. وما أتاك من نبأ عمن تستخبر.
- والخبر: النبأ، والجمع أخبار.. و"أخاير" جمع الجمع.
- فأما قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾، فمعناه يوم تنزل خبر بما عمل عليها.
- وخبره بكذا، وأخبره: نبأه.
- واستخبره: سألته عن الخبر وطلب أن يُخبره، ويقال: تخبرت الخبر واستخبرته، ومثله: تضعفت الرجل واستضعفته. وتخبرت الجواب واستخبرته.. والتخبر السؤال عن الخبر. وفى حديث الحديبية: أنه بعث عينا من خزاعة يتخبر له خبر قريش، أى يتعرف.. يقال: تخبر واستخبر: إذا سأل عن الأخبار ليعرفها.. يقال: من أين حُبر هذا الأمر: أى من أين علمت؟ وقولهم: لأخبرن خبرك، أى: لأعلمن علمك.
- يقال: "صدق الخبرُ الخَبْرُ".
- وذلك ما ورد فى "لسان العرب" لابن منظور، أما المعجم الوسيط الذى أصدره المجمع اللغوى فى عصرنا هذا، فيذهب إلى أن:
- الخبر: ما ينقل ويحدث به قولاً أو كتابة .
- وعند المناطقة، قول يحتمل الصدق والكذب لذاته.
- وفى معجم ألفاظ القرآن الكريم^(١) نجد أن ورود لفظ (النبأ)، يفتح أمامنا مغاليق التعريف، يتكرر أكثر من مرة.
- ١ - نبأه بالشيء: أخبره به وذكر له قصته .
- ويقال: نبئنى هل تزورنى غدا. ونبئى عليا أنه لعلى القدر.
- نبأت: ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾ ٣/التحریم.
- نبأتكما: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ ٣٧/يوسف.
- نبأنا: ﴿قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ ٩٤/التوبة.
- أى شيئاً من أخباركم أو أخباركم على زيادة (من).

(١) محمد على النجار: معجم ألفاظ القرآن الكريم الجزء السادس، الهيئة المصرية للتأليف والنشر.

- تَبَأْنِي: ﴿قَالَتْ مَنْ أَتْبَاكَ هَذَا قَالَ تَبَأْنِي الْعَلِيمُ الْخَيْرُ﴾ ٣/التحرير.
- تَبَأَهَا: ﴿فَلَمَّا تَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَتْبَاكَ هَذَا﴾ ٣/التحرير.
- سَأَنْبِتُكَ: ﴿سَأَنْبِتُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ ٨٧/الكهف.
- أَنْبِتُكُمْ: ﴿قُلْ أَوْفَيْتُكُمْ بِخَيْرِ مِنْ ذَلِكَ﴾ ١٥/آل عمران.
- ﴿وَأَنْبِتُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ ٤٩/آل عمران.
- واللفظ في ٦٠/المائدة و ٤٥ يوسف و ٧٢/الحج و ٢٢١/الشعراء و ٨/العنكبوت و ١٥ لقمان.
- لَتَنْبِتْنَهُمْ: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنْبِتْنَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ١٥/يوسف.
- تَنْبِتُهُمْ: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ ٦٤/التوبة.
- أَتَنْبِتُونَ: ﴿قُلْ أَتَنْبِتُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ ١٨/يونس.
- تَنْبِتُونَهُ: ﴿أَمْ تَنْبِتُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ﴾ ٣٣/الرعد.
- فَتَنْبِتُكُمْ: ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَتَنْبِتُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ٢٣/يونس، واللفظ في ١٠٣/الكهف.
- فَلَتَنْبِتَنَّ: ﴿فَلَتَنْبِتَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا﴾ ٥٠/فصلت.
- فَتَنْبِتْنَهُمْ: ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَتَنْبِتْنَهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾ ٣٣/لقمان.
- يَنْبِتُكَ: ﴿وَلَا يُنْبِتُكَ مِثْلُ خَيْرٍ﴾ ١٤/فاطر.
- يَنْبِتُكُمْ: ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ ٤٨/المائدة، واللفظ في ١٠٥/المائدة أيضا و ٦٠/١٦٤/الأنعام و ٩٤/١٠٥/التوبة و ٧/سبأ و ٧/الزمر و ٨/الجمعة.
- يَنْبِتُهُمْ: ﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ ١٤/المائدة، واللفظ في ١٠٨/١٥٩/الأنعام و ٦٤/النور و ٧/المجادلة.
- نَبِيٌّ: ﴿نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ٤٩/الحجر.
- نَبَيْنَا: ﴿إِنِّي أَرَانِي أُحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبَيْنَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ ٣٦/يوسف.
- نَبَّيْنَاهُمْ: ﴿وَنَبَّيْنَاهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ ٥١/الحجر، واللفظ في ٢٨/القمر.
- نَبِّئُونِي: ﴿نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ١٤٣/الأنعام.

- لَتُنْبِئُون: ﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثَنَّ ثُمَّ لَتُنْبِئُونَ بِمَا عَمِلْتُمْ ﴾ ٧٠/التغابن.
- يُنْبَأُ : ﴿ أَمْ لَمْ يُنْبَأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ﴾ ٣٦/النجم.
- يُنْبِئُوا : ﴿ يُنْبَأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾ ١٣/القيامة.
- ٢ - أنبأه بالشيء: نبأه به. ويقال أيضا: أنبأه الشيء.
- أنبأك: ﴿ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا ﴾ ٣/التحریم.
- أنبأهم: ﴿ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ ﴾ ٢٣/البقرة.
- أنبئهم: ﴿ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ﴾ ٢٣/البقرة.
- أنبئوني: ﴿ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ٣١/البقرة.
- ٣ - استنبأه عن الشيء: طلب إليه أن ينبئه به، ويقال: استنبأه الشيء، ويقول من هذا: استنبأه هل يحضر؟
- يستنبئونك: ﴿ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾ ٥٣/يونس.
- ٤ - النبأ: "الخبر ذو الشأن والقصة ذات البال. والجمع أنباء والنبأ قد يكون عن الماضي، وقد يكون عن الآتى، كما فى قوله تعالى: ﴿ لِكُلِّ نَبَأٍ مُّسْتَقَرٌّ ﴾ ٦٧/الأنعام، أى لكل خبر بأن شيئا سيقع وقتاً أو مكاناً يقر فيه ويقع، أو لكل حدث جاء فيه نبأ، وقتاً أو مكاناً يقر فيه .
- نبأ: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا ﴾ ٢٧/المائدة واللفظ فى ٦٧/٣٤ الأنعام و ١٧٥/الأعراف و ٧٠/التوبة و ٧١/يونس و ٩/إبراهيم و ٦٩/الشعراء و ٢٢/النمل و ٣/القصص و ٢١/٦٧/ص و ٦/الحجرات و ٥/التغابن و ٢/النبأ.
- نبأه: ﴿ وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾ ٨٨/ص.
- نبأهم: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ﴾ ١٣/الكهف.
- أنبأه: ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾ ٤٤/آل عمران، واللفظ فى ٥/الأنعام و ٤٩/١٠٠/١٢٠ هود و ١٠٢/يوسف و ٩٩/طه و ٦/الشعراء و ٦٦/القصص و ٤/القمر.
- أنبأكم: ﴿ وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ ﴾ ٢٠/الأحزاب.

وفى الألفاظ القرآنية الكريمة، تحديدات جامعة مانعة، تيسر لنا سبيل الفهم، وتضىء معارفنا الحديثة، التى تعتبر الخبر - النبأ، جزءا من طبيعة الحياة طالما وُجد متحدت يقول، وآذان تسمع.

إن الخبر - النبأ، عند المحدثين. تقرير عن حادث يستطيع القارئ، أو جمهور وسائل الإعلام، أن يفهمه، وهو عندهم أيضا: كل جديد يهم أكبر عدد ممكن من الناس.. ويذهب "ولزلى وكامبل" إلى أن الخبر تقرير عن فكرة أو حادث أو صراع له صفة الحالية أو الجدة ويهم المستهلكين (جمهور وسائل الإعلام). وهناك من يقول: "إن الأخبار هى بعض أوجه النشاط الإنسانى التى تهتم الرأى العام وتوجهه وترشده وتسليه وتعلمه" .. أو "الخبر إيراد لحادث وقع حالا يبعث على اهتمام جمهور المستقبلين لوسيلة الإعلام، ليعلم هذا الجمهور بما يريد، بشرط ألا يخالف الخبر قواعد الذوق وقوانين خدش السمعة، وكلما أثار الخبر مزيدا من التعليقات زادت أهميته"، وكلما أثار الخبر مزيدا من التعليقات زادت أهميته "و"الخبر هو كل ما تلوكه ألسنة الناس" وهو "سرد صحيح موقوت لأحداث وكشوف وآراء وأمور من أى نوع تؤثر فى القراء أو تثير اهتمامهم" .. والخبر "هو ما حدث من أمور، وكل ما توحى به الأحداث. وكل ما يترتب على مثل تلك الأحداث".

وقد قال اللورد نورثكليف. منشئ الصحافة الإنجليزية الحديثة. إن الشئ الوحيد الذى يساعد على زيادة توزيع الجريدة هو الخبر، والخبر هو كل ما يخرج عن محيط الحياة العادية المألوفة. ويكون مدار حديث العامة والخاصة^(١).

وهناك تعريف آخر يقول: إن الخبر الصحفى هو كل خبر يرى رئيس التحرير أو رئيس قسم الأخبار فى جريدة من الجرائد أنه جدير بأن يُجمع ويُطبع ويُنشر على الناس؛ لحكمة أساسية؛ هى أن الخبر فى مضمونه يهم أكبر جمع من الناس يرون فى مادته إما فائدة ذاتية أو توجيهها هاما لأداء عمل أساسى؛ أو تكليفا بواجب معين، إلى آخر ما يراه الناس واجبا يتحتم على الصحافة كأداة من أدوات الإعلام أن تؤدّيه

(١) د. عبداللطيف حمزة. المدخل فى فن التحرير الصحفى (١٩٥٦) من ٥٦. ٥٥.

نحوهم. ومن هنا نستطيع أن نفرق بين الأخبار العادية التي تتداولها بعض الألسنة، والأخبار الصحفية التي تتداولها كل الألسنة^(١).

أما البلاغيون العرب، وفي مقدمتهم صاحب "البرهان" فيذهبون إلى أن الخبر استجلاء للبواطن، ومما يوصل إليه "بالخبر" مثل الصلاة التي هي في اللغة الدعاء، والصيام الذي هو الإمساك، والكفر الذي هو ستر الشيء، فلولا ما أتانا من الخبر في شرح مراد الله . عز وجل . في الصلاة والصيام ومعنى الكفر لما عرفنا باطن ذلك، ولا مراد الله . عز وجل في الصلاة والصوم، ولا كان ظاهر اللغة يدلّ عليه، بل كنا نسعى من دعا مصليا، وكل من أمسك عن شيء صائما وكل من ستر شيئا كافرا^(٢). وفي هذا الفهم ما يؤكد المنهج القرآني في الإعلام، فقد كان القرآن الكريم نفسه الوسيلة الإعلامية المقدسة. ولا تخفى العلاقة الوثقى بين لفظ "النبا" و "النبي"^(٣). فالنبي هو من يصطفيه الله من عباده البشر، لأن يوحى إليه بالدين، والشريعة فيها هداية للناس. وأصله النبيء بالهمز من أنبا، لأنه يُنبئ عن الله سبحانه، أو لأنه يُنبأ بما يُوحى إليه، جرى فيه التخفيف بقلب الهمزة ياء كما قيل: البرية في البرية. وقد قرئ في القراءات السبعة النبىء على الأصل. وإذا ورد النبىء في الكتاب - معرفاً بأث فالمراد به الرسول عليه الصلاة والسلام، وإذا ورد مُنكرًا أو معرُفاً بالإضافة فالمراد غيره.

ونحن نذهب مع أستاذنا الدكتور حمزة رحمه الله إلى أن الإسلام دين إعلامي لأنه اعتمد على القرآن .. والقرآن آية الله تعالى في البلاغة، وفي التأثير في نفوس البشر إلى الدرجة التي سجد العرب لها، والقرآن هو أكبر وسائل الإعلام في الإسلام، وقد نص القرآن في كثير من آياته على أن الرسول مكلّف من قبل الله تعالى بشيء واحد فقط هو تبليغ الناس هذه الرسالة الجديدة. وأنه ليس مسئولا عن تصديق الناس لها أو عدم تصديقهم إياها. قال تعالى: "وما على الرسول إلا البلاغ".

ثم إن القرآن الكريم نزلت آياته حسب المواقف والحوادث التي مرت بالرسول صلى الله عليه وسلم، يسترشد بهذه الآيات التي نزل بها الوحي في كل حادثة من هذه

(١) جلال الدين الحماصي. المندوب الصحفي من ٢٣. ٢٤ د. إبراهيم أمام المرجع السابق ص ٩٧.

(٢) البرهان في وجوه البيان ص ١١٢ .

(٣) معجم ألفاظ القرآن الكريم الجزء السادس ص ٨٨ .

الحوادث وفي كل موقف من هذه المواقف. وكانت بعض آيات الكتاب تُنبئ الرسول بما سيحدث له ولأصحابه في المستقبل. وكانت بعض آياته تقف الرسول على أخبار المشركين والمنافقين وما كان يدبره هؤلاء وهؤلاء من المؤامرات ونحو ذلك. كما كانت بعض آياته تنقد حالة المسلمين في كثير من المواقف التي تمرّ بهم وترشدهم إلى الصواب في هذه المواقف. يقول الدكتور حمزة^(١):

"وإذا نظرنا إلى القرآن الكريم من جميع هذه النواحي الإخبارية وما يتبع هذه الأخبار من نقد وتحليل لمواقف المسلمين والمنافقين ورسم الطريق الذي يسلكه المسلمون تجاه المنافقين ورسم الآداب التي يجب على المسلمين أن يعاملوا بها الرسول، نقول إذا نظرنا إلى القرآن الكريم من هذه الناحية فقط أمكننا أن نعتبر هذا الكتاب المقدس صحيفة الإسلام، إذا صح هذا التعبير، ولكنها صحيفة من طراز آخر يمتاز بالصدق كأحسن ما يكون الصدق وبالنزاهة في التوجيه والإرشاد كأحسن ما تكون النزاهة، ولا غرو - فإنها صحيفة الله تعالى ومن أصدق من الله قيلا.

"وأهم من ذلك كله أن هذه الصحيفة الإلهية كان لها الأثر كل الأثر في خلق مجتمع جديد في الجزيرة العربية، هو المجتمع الإسلامي الذي يختلف اختلافا تاما عن المجتمع الجاهلي. يدلنا على ذلك أنه أصبح للمجتمع الإسلامي الجديد على يد الرسول مجموعة من القيم والمفاهيم مخالفة كل المخالفة للقيم والمفاهيم التي كانت للعرب في الجاهلية. وبعبارة أخرى أصبح المثل الأعلى للمسلمين على يد الرسول شيئا مغايرا كلّ المغايرة للمثل الأعلى للعرب في العصر الجاهلي".

وتأسيساً على هذا الفهم، يمكن تحديد الطبيعة الجوهرية للخبر، وهي التي تفيد اليوم علوم النفس والاجتماع؛ في وضع قاعدة لاستنباط هذا الفن، الذي حدده القرآن خير تحديد، بحيث يمكننا أن نذهب إلى أن الخبر الإعلامي هو بيان للعلاقات المتغيرة بين الإنسان والإنسان وبينه وبين بيئته. والخبر - هو "كل قول أفدّت به مستمعه ما لم يكن عنده"، ويُعلمنا ابن وهب، أن من الأخبار "أخبارا تقع بها الفائدة ولا يحصل منها قياس يوجب حكما. فمن ذلك الخبر المنفي، فإنه يفيدنا انتفاء الشيء الذي ينفيه ولا

(١) د. عبد اللطيف حمزة: الإعلام في صدر الإسلام ص ٣٩.

يحصل فى نفوسنا منه حُكم، ويقول إن "الكذب إثبات شئ لشيء يستحقه، أو نفي شئ. والصدق (الإخبارى) إثبات شئ لشيء يستحقه، أو نفي شئ عن شئ لا يستحقه.. والحلف فى القول إذا كان وعدا دون غيره، وهو أن يعمل خلاف ما وعده، فيقال: "أخلف فلان وعده" ولا يقال "كذب".

"والنسخ فى الحُكم تبديله برفعه ووضع غيره مكانه. وأصله فى اللغة وضع الشئ مكان غيره إذا كان يقوم مقامه، ومنه قوله - عز وجل -: "ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها"^(١).

"والنسخ لا يكون فى الخبر، لأن الخبر إذا تبدل عن حاله بطل، وفى بطلان قول الصادق وجود الكذب لا محالة، وليس يجوز للصادق أن يخبر بخبر فيكون ضده ونقيضه صدقا إلا أن يكون خبره الأول معلقا بشرط استثناء، كما وعد الله - سبحانه - قوم موسى - عليه السلام - دخول الأرض المقدسة إن أطاعوه فى دخولها، فلما عصوه حرّمها عليهم فلم يدخلها منهم أحد".

فإذا كان الخبر - هو كل قول أفدت به مستمعه ما لم يكن عنده، فما هى الظروف أو خصائص الأحداث التى من شأنها رفع كل قول إلى مرتبة الخبر "المفيد" ذى القيمة الإخبارية بحيث يكون سرده "مفيدا" للمستمع أو القارئ، باعثا على اهتمام الجمهور

فى الإجابة عن هذا التساؤل نقول إن الخبر لا يخرج فى مفهومه عن الدائرة التى حددها القرآن الكريم الرسالة الإعلامية المقدسة؛ للخبر - النبأ، من حيث أنه "ذو شأن"، وقصة "ذات بال" وقد يكون النبأ عن الماضى، وقد يكون عن الآتى كما فى قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ نَبَأٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾^(٢) أى لكل خبر بأن شيئا سيقع، وقت أو مكان يقر فيه ويقع، أو كل "حدث" جاء فيه نبأ، وقت أو مكان يقر فيه، وعلى ذلك يمكن القول إن "الحدث" ذا القيمة الإخبارية هو الحدث الذى من شأنه التأثير فى العلاقات السياسية أو المادية، أو غير ذلك من العلاقات أو تغييرها على نحو ما؛ ذلك أن "الحدث" الذى له قيمة خبرية هو الحادث الذى يغير الأوضاع القائمة أو يوقع بها اضطرابا، أما الخبر فهو سرّدٌ لمثل هذا الحادث".

(١) سورة البقرة الآية ١٠٦ .

(٢) سورة الأنعام الآية ٦٧ .

وعلى ذلك فإن "التغيير" سواء أكان واقعياً أو مُرتقياً، يغدو العنصر الجوهري في الخبر والواقع - أن - الخبر لابد أن يكون جديداً والتغيير لابد أن يكون ذا قيمة بالنسبة لجمهور وسائل الإعلام، فيؤثر أحياناً في نفوسهم، كأن يثير قلقهم على أمر يعينهم من أمور الحياة ويبعث فيهم أحياناً آمالاً كباراً يعقدونها على الوزير الجديد أو حتى على الطفل الجديد. ولكن ما دامت الظروف باقية على ما هي عليه يوماً بعد يوم، فليس ثمة ما يحرك مشاعر الجمهور العادي سواء إلى أعلى درجات الإنسانية أو إلى أدنى تلك الدرجات. أما إذا حدثت حادثة فأوقعت اضطراباً في الأوضاع القائمة وأثار نذيرها، كبيراً كان أو صغيراً، آمال جمهور وسائل الإعلام أو مخاوفه، فإن الفرد سواء جهل التغيير الذي طرأ على العالم أو أهمل متابعته، لا يقوى إلا في النادر على اجتناب المخاطر أو استثمار الفرص التي ينطوى عليها ذلك التغيير.

وحيث أن "لكل نبأ مستقر" كما جاء في القرآن الكريم، فإن الأخبار التي تتعلق بالمستقبل كأخبار المجالس والمؤتمرات والمشروعات وما إليها هي الأخرى تتعلق بتغييرات وشيكة الوقوع، فلا ينبغي "عزل الأحداث في حد ذاتها عن سياق ظروفها ومعنى هذا أن الظروف نفسها تبعث على الاهتمام. والواقع أن أحداث المستقبل إنما "تلقى ظلالها" على الحاضر، وعلى المندوب الصحفي تبعة خاصة هي أن يبصر جمهوره بقرب وقوعها" (١).

ولا يكاد يكون هناك شك، فيما يذهب إليه علماء الصحافة من أن الخصائص الجوهريّة للخبر إنما تكمن في التغيير الذي يحدث أثراً في الحالة القائمة، كما يكمن حول هذا التغيير، وهو يكمن تبعاً لذلك، في التغيير الذي يُحتمل أن يطرأ على الحالة في المستقبل. ومن المؤكد أنه إذا جرت الأمور في الغد على نحو ما هي عليه اليوم تماماً، أصبحت قراءة الصحيفة، في صباح اليوم التالي باعثة على الملل. والأسئلة التي تجول في خاطر الصحفي، دائماً هي: "ماذا حدث؟" و"ماذا يجري الآن؟" و"ألا من جديد؟" و"أثمة ما يثير؟" وهناك ما يؤذن بجديد؟" فإذا لم يطرأ جديد على ألوان النشاط المتعددة في المكاتب والمصالح ودور الحكومة وعاصمة الدولة، وإذا لم تكن هناك أحداث وشيكة الوقوع من شأنها أن تنذر بالحقاق تغيير أو اضطراب في الحالة القائمة والظروف

(١) استفتاء الأنبياء في (ستانلى جونسون وجوليان هاريس) ص ٢٧ وما بعدها.

الترتيبة، فقد يبدو أنه لا أخبار في ذلك اليوم. فإذا كان عنصر التغيير هو الذى يمثل الحدث الخبرى عن الحدث غير الخبرى، فإن مدى هذا التغيير وأثره على الجماعة هو المقياس الذى على أساسه يتم "تقويم" الخبر.

الخبر الإعلامى:

يقول العلامة ابن سينا^(١): " لما كانت الطبيعة الإنسانية محتاجة إلى المحاورة لاضطرارها إلى المشاركة والمجاورة، انبعثت إلى اختراع شىء يتوصل به إلى ذلك، ولم يكن أخف من أن يكون فعلا، ولم يكن أخف من أن يكون بالتصويت، وخصوصا والصوت لا يثبت ولا يستقر ولا يزدحم، فتكون فيه مع خفته فائدة وجود الإعلام به مع فائدة انمحائه إذ كان مستغنيا عن الدلالة بعد زوال الحاجة عنه، أو كان يتصور بدالته بعده، فمالت الطبيعة إلى استعمال الصوت ووافقت من عند الخالق بآلات تقطيع الحروف وتركيبها معا ليدل بها على ما فى النفس من أثر. ثم وقع اضطرار ثان إلى إعلام الغائبين من الموجودين فى الزمان أو من المستقبلين إعلاما بتدوين ما عُلِمَ، أما لينضاف إلى ما يُعَلَم فى المستقبل، فتكمل المصلحة أو الحكمة الإنسانية بالتشارك، فإن أكثر الصنائع إنما تمت بتلاحق الأفكار فيها والاستنباطات من قوانينها واقتفاء المتأخر بالمتقدم وافتدائه به، أو لينتفع به الآتون من بعد. وإن لم يُحتج إلى ما يُضاف إليه يكمل به، فاحتيج إلى ضرب آخر من الإعلام غير النطق، فاختُرعت أشكال الكتابة، وكله بهداية إلهية وإلهام إلهى.

فالخبر الإعلامى إذن؛ شىء مجرد، من حيث جوهر طبيعته، ولكنه كما يُعَلَمنا ابن سينا، يتخذ وسيلتى الصوت والكتابة، وهو لذلك يرتبط فى عصر ثورة الإعلام، بالجنس الإعلامى من حيث الإفادة بمقومات الوسيلة الإعلامية ذاتها، فيصبح لدينا: فن للخبر الصحفى، وآخر للخبر الإذاعى وثالث للخبر المرئى.. ونبدأ هنا بدراسة فن الخبر الصحفى تأسيسا على أن تقويم الخبر الإعلامى إنما يتم بطريقتين: تقويم الخبر وفقا للوسيلة؛ ثم تقويم الخبر وفقا للخصائص الذاتية:

(١) ابن سينا: الشفاء المنطق ٢٠٧. العبارة تصدير ومراجعة د. إبراهيم مذكور وتحقيق محمود الخضيرى (١٩٧٠) ص ٢.

فن الخبر والإعلام الكلاسيكي.

إن نوعية الجنس الصحفي كفنٌ إعلاميٌ كلاسيكي، إنما تعود إلى وضوح طبيعته، وقد أجريت تجارب ودراسات عديدة حول خصائص كل وسيلة من وسائل الإعلام، وقدرتها على التأثير في الناس. وتشير نتائج التجارب التي أجراها لازار سفيلد Lazarsfeld ودوب Doob ووابلز Waples وبيرسلون Berleson إلى أن المطبوعات كالكتاب والصحيفة والمجلة واللافتات لها مميزات هامة تجعلها تتفوق على غيرها من الوسائل الأخرى، وأهم هذه المميزات أن القارئ يستطيع أن يسيطر على الوسيلة بالطريقة التي تلائمه، فهو يستطيع أن يطلع على الأخبار والموضوعات التي يرغب في الاطلاع عليها، ويراجع ما يريد أن يراجع به السرعة التي تناسبه، وفي أي وقت يشاء^(١) وتشير التجارب إلى أن المواد الصعبة يفضل أن تقدم عن طريق الكلمة المطبوعة، ومن الأفضل استخدام المطبوع للوصول إلى الجماهير المتخصصة والجماهير صغيرة الحجم^(٢).

وفي المطبوع، نطلب إلى الكتاب ما نسميه عناصر المعرفة، ونطلب إلى الصحف معلومات وعناصر وأخبارا.

والجريدة - كما يقول جورج دوهاميل - ضرورة لرجل القرن العشرين فهي تفتح عينه عندما ينهض من فراشه فتوقظه وترمي به حفنة من الوقائع والآراء. "الجريدة إفطار الصباح، وهي مكتوبة على نحو يحرك الخيال. وهي تثير النفس وتقصّ الحوادث وتعرض الآراء، وفي كل يوم تلجأ إلى حيل جديدة، في الطباعة، كما تخصص للصور التي لا تطلب أي جهد مكافئ يزداد يوما بعد يوم، فهي تسعى إلى استهواء القارئ وهي لا شك تقدم إليه أفكارا وقواعد وقليل من عسل الأدب، ومن جوهر الفلسفة، ولكنها تحمل إليه قبل كل شيء زادا من أكوام الحوادث اليومية التي ما تزال حارة".

ويذهب بعض الباحثين إلى أن الكلمة المطبوعة تحتاج إلى مساهمة من جانب القارئ أكبر من تلك التي تتطلبها الوسائل الأخرى من جمهورها، لأن "تكوين" الرسالة

(١) د. إبراهيم أمام : الإعلام والاتصال بالجماهير ص ١٧٥.

(٢) د. جيهان شتي: الأسس العلمية لنظريات الإعلام ص ٣٤٢،

Harry Goldstein "Reading and Fastening Comperehrehention at vanous controlledratcs N.Y,1940.

المطبوعة أقل اكتمالا، ولا تواجه القارئ بمتحدث يسمعه، كما يفعل الراديو، أو يشاهده كما هو الحال فى حال السينما أو التلفزيون. ولهذا يسمح المطبوع بحرية اكبر من التخيل وتوزيع الظلال والتفسيرات وما إلى ذلك.. فالقارئ لا يحس بأنه جزء من عملية الاتصال كما يحس مستمع الراديو أو مشاهد الفيلم، ولكنه مضطر إلى أن يساهم بشكل خلاق فى نوع من أنواع الاتصال غير الشخصى. ويفترض بعض الباحثين أن لمثل هذه المساهمة الخلاقة مزايا إقناعية.

وتلعب الصحافة اليوم دورا هاما فى الحضارات الحديثة، ولا جدال - فى أن للصحافة تأثيرها القوى على الجماهير، ففضلا عن إيمان الناس بصدق الكلمة المطبوعة إيماننا يقترب من القداسة والاحترام، نجد أنهم يتأثرون بمضمون الصحف تأثرا عميقا^(١).

ولا ننسى سحر "الكلمة المطبوعة" فى مصر - أو كما يقول العقاد^(٢). "فى جذتها قبل أن تبتذلها كثرة التداول" وتدخلها الألفة فى عداد اليوميات الرتيبة التى تنتظر فى أوقاتها ولا تحتاج إلى لهفة فى الانتظار.

ويذكر العقاد^(٣). كمثال على تأثير الصحافة فى مصر فى مطلع القرن العشرين، أن "أعيان الريف كانوا يحبون أن يشتركوا فى الصحف اليومية لأنها مظهر من مظاهر الوجاهة و"الأهمية" فى القرية أو البلدة الصغيرة. ولم يكن بالقليل بين مظاهر الوجاهة اليومية أن يحضر ساعى البريد إلى الدار يوميا ليدق الباب على مسمع من الجيران وينادى بصوت يشبه المنادى باسم "المحكمة" فى ساحة القضاء: .. "بوسطة".

فإذا بالحقى كله يترقب "سماعا" جديدا بعد هذا النداء، يحيط بأنباء الأرض والسماء، ويتحدث عن المكسوف و "الانجلاطيرا" وملك "الفرنسا". أو "الجمهور" كما كانوا يسمعون عنه منذ أيام حملة نابليون، ويا له من "واقع" وراء الخيال!

والصحافة دخلت إلى الناس مع الديمقراطية فى موكب من ضروب العرفان الحديث، فدخل مع الديمقراطية العلم، والصناعة، والآلة الطابعة وهذه جميعا - على حد تعبير الدكتور أحمد زكى - "أشياء تعمل كلها للتقدم جاءت الناس فى أوقات متقاربة،

(١) د. إبراهيم إمام "فن العلاقات العامة والإعلام" ص ٢٠٣.

(٢،٣) عصر العقاد: صفحات مطوية فى تاريخ الصحافة الوطنية؛ القاهرة مؤسسة مختار ١٩٩٠.

يحمل بعضها بعضاً، ويؤازر السابق منها اللاحق، فكأنما كانت هي والناس فى الزمان على ميعاد. ومع هذا النمو، الذى كادت تضيق به الأرض موضعاً، وتضيق به حيل الناس مسرحاً، جاء التعقيد. فكل شىء هو اليوم مُعَقَّد: الحكم تعقَّد. الصناعة تعقَّدت. صلة الرجال بالآلة تعقَّدت، صلة الناس ذوى الآلة، والناس ذوى العضل والناس ذوى القلم، زالت عنها البساطة وحل محلها التعقيد، حتى كاد الحكم أن يكون محنة، يمشى أصحابه على مثل الصراط، على يمينهم الفشل وعلى يسارهم النجاح، فإن هم وصلوا الصحافة بشعورهم إلى آخر الحبل سالمين، فهذه مشيئة من الله والأقدار. والحكم شعوب وحكومات ونواب. والحكم شرطة وجيش والحكم قضاء وعدل" وأريد أن أزيد فأقول: والحكم صحافة. وكثيراً ما ضعف الحكم فكانت الصحافة فوق الحكم. أذكر بذلك الصحفى الفرنسى الشهير كليمانسو Clemenceau (١٨٤١ - ١٩٢٩) كان إذا كتب - كتب بأحرف من نار وعصف بالحكومات كما تعصف الأعاصير بالبيوت الرقيقة. وسموه بالتمر لأنه ما يهاجم فى صحافته إلا أسال دما. أفمن أجل هذا سميت الصحافة بصاحبة الجلالة؟! والحق أن الصحافة اليوم دخلت فى حياة الناس كما دخل الهواء والماء، أو كما يقول الفيلسوف الكبير "هيجل": إن قراءة الصحف اليومية أصبحت صلاة الصبح عند الإنسان الحديث" فقد أصبحت قراءة الصحف يومياً شيئاً معتاداً للقراء" ولا يستطيعون الإقلاع عنه" ولا شك أن هذا التكرار أو الإيقاع المستمر المتواتر من أهم سمات الفن الصحفى، وإذا كان المنطق يقول، إنك إذا أردت أن تتصور قيمة الشىء فعليك أن تتخيل أنك فقدته. فهب أننا فقدنا الصحافة يوماً، وطال اليوم فكان أسبوعاً، فما فوق ذلك، أفترى أى شريق فى الناس؟ لقد أظهر الإضراب الطويل لصحف نيويورك فى ديسمبر ١٩٦٢ ويناير ١٩٦٣؛ مدى كون الجريدة آلة ضرورية للحياة الجماعية فى تجمع سكنى كبير. ويذكر الدكتور أحمد زكى^(١) - أنه حضر زماناً انقطعت فيه المواصلات فى العاصمة الكبيرة، فلا ترام، ولا حافلة، ولا تكسية، ولا حنطور: "واستحيينا الحمير؛ فكانت دواب هذه الأيام، وفى هذه الأيام. انقطعت بين الناس روابط المدنية بانقطاع مواصلاتها، واعتري الناس شىء كثير من هلع وهو هلع امتزج بالشىء الكثير من الوحشة.. وأوحش من هذه الأيام التى انقطعت فيها

مواصلات الأجسام، وحشة احتجبت فيها الصحف فكان احتجاجها تقطيعا لمواصلات ما بين الأنفس، لم يدر حتى ما كان يجرى في سائر الأحياء، ولا عرف قريب ما دهي قريبه وأقرباءه في أطراف المدينة. واحتجب الخبر الذي كان يأتي مع الإفطار صباحا، ويأتي مع الإمساء فيطمئن الناس بأن السلام سائد أو هو غير سائد، فيعدون للتأثرات صنوفاً من الحذر كثيرة".

من هذه الصورة يتضح ما تحظى به الصحافة من احترام عظيم وثقة كبيرة يكنها الشعب لها، وخاصة في مصر وغيرها من الأمم المتحضرة، ومع أن التجارب التي أجريت في مصر وسوريا والأردن ولبنان مجتمعة، قد أثبتت أن ٦٣٪ من الجماهير العربية تفضل الإذاعة على الصحافة. فقد كانت النتيجة عكس ذلك بالنسبة لمصر وحدها.

ويرد الدكتور إمام، ذلك إلى تاريخ الصحافة المصرية الحافل بمواقف الجهاد الوطني المشرف. والدليل على ذلك أن كثيرا من الأميين في مصر يشتررون الصحف ليقرأها لهم بعض المتعلمين أو يجتمعون في المقاهي، أو الدور الريفية للاستماع إلى تلاوة الصحف^(١).

والصحيفة تتفوق على الوسائل الأخرى كالإذاعة أو السينما من حيث أنها تعطى القارئ حرية كاملة في اختيار الوقت المناسب لقراءتها، كما أن القارئ يتمكن من إعادة أو مراجعة ما قرأ، في أى وقت يشاء. لذلك كانت الصحف والمجلات والمطبوعات، بوجه عام من أصلح الوسائل لنشر الموضوعات المعقدة والدراسات الصعبة ذات التفاصيل المتشعبة.

ويذهب "ماكلوهان". إلى أن للصحافة وظيفة "اعترافية" بمعنى أنها تثير شعور استشفاف "خفايا المشكلة" بحكم شكلها نفسه، بعيدا عن محتواها، فصفحة الجريدة تكشف خبايا عمل مجموعة اجتماعية ما وتفاعلها مع عملها ومجتمعها ولذا نجد أن الصحافة تبدو في حرية أكبر، حين تكشف عن النواحي القبيحة للحياة. وكما يقول المثل: إن الأخبار الحقيقية هي الأخبار الرديئة، أخبار رديئة عن شخص أو بالنسبة له. في سنة ١٩٦٢ حرمت مدينة "مينا بوليس" من الصحف لعدة شهور، وكان مدير الشرطة

(١) فن العلاقات العامة والإعلام ص ٢٠٣.

يقول: "صحيح أن الأخبار تنقصني ولكن فيما يتعلق بعملى فأرجو أن يظل بلا صحف إلى الأبد، فالجرائم تغل بدون صحف لا تتحدث عنها، وبالتالي لا تروج لها بين الناس.

وحتى قبيل الاستخدام التلغرافى، اقتربت صحف القرن التاسع عشر كثيرا من الشكل الفسيشفائى بتعبير "ماكلوهان"، ولقد انتشر استخدام الطابعات الدوّارة (روتاتيف) قبل ظهور الكهرباء بعدة عقود. ولكن الجمع اليدوى للحرف ظل مفضّلا على كل الوسائل الميكانيكية حتى اختراع الليونتيب، حوالى ١٨٩٠. لقد أصبح بإمكان الصحافة بفضل الليونتيب، أن تكيّف شكلها حسب امتحان التلغراف والطابعات الدوّارة بصورة أفضل، وإنه لمن الغريب أن "الليونتيب"، الذى حل مشكلة بطء الجمع اليدوى القديمة، لم يكن من اختراع قوم كانت هذه المشكلة تخصّهم، لقد أنفقت ثروات طائلة عبثا على اختراع آلات جمع الحروف، إلى أن جاء شخص يدعى "جيمس كاليفان" كان يبحث عن وسيلة لكتابة واستنساخ مذكرات مُختزلة بطريقة سريعة، فتمكن من أن يزاوج بين آلة الجمع والآلة الكاتبة، لقد حلت هذه الآلة مشكلة جمع الحروف المطبعية. هذه المشكلة التى كانت من طبيعة مختلفة تماما.

والخبر هو أول ما تعطيه الصحافة: ولكن يناهض الخبر خطورة تفسير هذه الأخبار، والكشف عما وراءها من محجّبات الأمور" وما لابسها من خافيات الأغراض والأهداف، فى شتى بقاع الدولة الواحدة، وفى سائر الدول والأصقاع، فى زمان قد يكون ما بين دولة ودولة أقرب مما يكون أحيانا بين طرف وطرف من الدولة الواحدة مترامية الأطراف.. يقول الدكتور أحمد زكى^(١).

"وأنا إذا تحدثت عن الخبر الذى تأتى به الصحافة، انصرفت الأذهان إلى الخبر السياسى، والخبر السياسى لاشك خطير، ولكن وضعه فوق الأخطار جميعا داء قديم. إنه إلى جانب الخبر السياسى توجد أخبار مناشط الحياة وما غلا من الحاجات وما رخص. أخبار الصادر والوارد من البلاد. أخبار الأرزاق جميعا، من رزق عامل ورزق كاتب. وأخبار الناس فى مجتمعهم. فى أفراحهم وفى أحزانهم وفى مجارى العيش السوية التى لا تصل بأفراح وأحزان. والأمن له خبر واختلال الأمن له خبر أكبر. وقد

(١) المرجع السابق ص ١٠.

تشجيع الجريمة في الناس فتحتلّ مكان الصدارة من الصحف كما يحدث اليوم حين تحتل الجرائم الجنسية رؤوس صحف، في بريطانيا وأمريكا.. والحرب لها خبرها، والسلام له خبره. والمخترعات والمبتدعات فيما يضر الناس وما ينفع لها خبرها".

إن زيادة وسائل سرعة نشر الأخبار أوجدت بطبيعة الحال طرقاً جديدة لتقديم النص إلى القارئ. وفي سنة ١٨٣٠ كتب الشاعر الفرنسي "لامارتين". "إن الكتاب يصل متأخراً أكثر مما ينبغي" مشيراً بذلك إلى أن الكتاب والجريدة شكلان مختلفان تماماً، يقول ماكلوهان: "وإذا أبطأنا في جنّى الأخبار وفي جمع حروف النصوص، فلا بد أن يحدث تغيير ليس في المظهر الخارجي للصحف فحسب، بل في أسلوب من يحررها كذلك. وأول تغيير كبير في الأسلوب حدث في بداية القرن الثامن عشر، حين اكتشف أديسون Addison وستيل Steele للصحيفتين الشهيرتين: "تاتلر" Tatler "سبكتيتور" Spectator تقنية جديدة للكتابة تتماشى مع شكل المطبوع؛ هي تقنية الأسلوب الثابت المباشر.

وليس من قبيل المصادفة أن يكون جمال الدين الأفغانى ويعقوب صنوع والأستاذ الإمام محمد عبده ومصطفى كامل وأحمد لطفى السيد ومحمد حسن هيكل وعبدالقادر حمزه، من رواد الصحافة المصرية الذين جمعوا بين الثقافتين العربية والأوربية، وقد استطاع هؤلاء بجهودهم الرائعة أن يكتشفوا لغة الفن الصحفى العربى؛ التى تقترب من لغة الأدب؛ وتمتاز بالسلاسة والواقعية والتبسيط^(١).

إن تقنية الأسلوب الصحفى الجديد، كما يقول ماكلوهان؛ تقوم على التوجه إلى القارئ مع الاحتفاظ بمستوى الأسلوب ذاته، من أول النص التحريرى إلى آخره. وبهذا الكشف وصل هؤلاء الرواد فى الصحافتين الأوربية والعربية، الكلام المكتوب بجوهر المطبوع، وخلصوه من تنوع نغم اللغة المنطوقة، بل اللغة المخطوطة أيضاً. وإنه لمن المهم أن نفهم جيداً ظاهرة تطابق اللغة على المطبوع. ذلك أن التلغراف، أعاد فصل اللغة عن المطبوع، مما أدى إلى ظهور هذه الأصوات غير المفهومة التى يطلق عليها "مانشيت" أو الأسلوب التلغرافى. هذه الظواهر لا تزال تضايق رجال الأدب بعادتهم المتكلفة

(١) د. إبراهيم أمام : دراسات فى الفن الصحفى ص ٤٥.

باتخاذ الأسلوب المستمر الذي يقلد التماثل المطبعي، "فللمانشيتات، والعناوين الرئيسية للصفحة الأولى أسلوب مثل:

رسالة للرئيس مبارك من الملك فهد.

الخويطر: علاقات قوية تربط مصر والسعودية

**الأمير عبد الله يلتقى
بموسى والياز بالرياض**

اجتمع ولى العهد السعودى الأمير عبد الله بن عبدالعزيز مساء أمس مع كل من وزير الخارجية عمرو موسى والدكتور أسامة الناصر مستشار الرئيس حسنى مبارك للشئون السياسية خفتر الاجتماع وزير الخارجية السعودى الأمير سعود الفيصل.

تسلم الرئيس حسنى مبارك رسالة من خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز خلال استقباله أمس الدكتور عبدالعزيز الخويطر وزير الدولة لجلس الوزراء السعودى. وصرح الدكتور الخويطر عقب المقابلة بأن الرسالة تتعلق بكل ما يهم البلدين الشقيقين والعلاقات الوطنية والتي تربطهما في مختلف المجالات. ومما إذا كانت هناك علاقة بين قيام أحد الوزراء السعوديين بزيارة إلى قطر أمس وبين الرسالة التي تم تسليمها اليوم للرئيس مبارك قال الوزير السعودى أننى حامل رسالة فقط وكل ما أستطيع قوله أنها من أخ لأخيه مما يهم البلدين. وأشار الوزير إلى العلاقات الحميمة التي تربط مصر بالسعودية وعمق الصلات التي بدأت مع الملك عبدالعزيز آل سعود - رحمه الله - وكانت دائماً تدعم من قبل السعوديين فى مصر. وأكد الوزير السعودى دعم القيادة فى البلدين لما فيه مصلحة

البلدين والأمة العربية فحضر المقابلة إبراهيم بن سعد الأبراهيم سفير المملكة العربية بالقاهرة

AL HAYAT - MAY 2, DECEMBER 1997

واشنطن تعتبر أن هناك خطوة في الطريق الصحيح

نتانيا هويلفي تجميد الاستيطان في مناطق حددها حكومة العمل

موسى بعد لقائه بالوفد الإسرائيلى:

**لن يتم إنقاذ السلام بعودة إسرائيلية.. بلامصادقية
قرار إسرائيل بإعادة الانتشار.. عام وغامض**

ويذهب ماكلوهان كذلك إلى أن معالجة الخبر ونشره لم يكونا النشاط الرئيسى للعالم الميكانيكى والصناعى، فى حين أنه الآن النشاط الأساسى والمصدر الأول للثروة فى العالم الكهربائى.. ففى نهاية العصر الميكانيكى كان الناس لا يزالون يعتقدون أن الصحافة والراديو، بل والتلفزيون أيضاً، إنما هى أشكال من الإعلام يمولها صانعو ومستهلكو المنتجات "الحقيقية" كالسيارات، والصابون، والبززين، وكلما تمد الآلية الذاتية (الآتوميشن) نفوذها يصبح من الواضح أن السلعة الأساسية هى الإعلام، وأن الأموال الحقيقية إنما هى ثانوية بالنسبة لحركة الإعلام.

ويذهب إلى أن الجريدة لم تتجه منذ البداية إلى شكل الكتاب، ولكن نحو شكل فسيفسائى يقوم على المشاركة. ومع زيادة سرعة المطبعة وجنى الأخبار، أصبح هذا الشكل الفسيفسائى أحد المظاهر السائدة للمجتمع البشرى. وبالفعل فإن هذا الشكل ينطوى على مشاركة ايجابية أساسية لنشاط المؤسسات الديمقراطية. وفي الوقت نفسه لا يمكن قطعاً أن يقوم الكتاب أو الأدب مقامها. يقول ماكلوهان:

"إن أول ما يبحث عنه قراء الصحيفة هو ما يعرفونه من أخبار. فحين نشاهد حدثاً أو مباراة، أو هبوطاً فى سوق الأوراق المالية، أو عاصفة رملية، فإننا نبادر بالبحث عن وصف ما حدث. لماذا؟ إن الإجابة عن هذا السؤال أساسية لفهم وسائل الاتصال لماذا يحب الطفل أن يكثر من الكلام عن أحداث اليوم بشكل غير مترابط؟ كيف نفسر تفضيلنا لروايات وأفلام تكون شخصياتها وديكوراتها مألوفاً لدينا؟ أن يرى الناس المنطقيون تجربتهم، أو يتعرفوا عليها فى أشكال مادية جديدة؛ هبة من هبات الحياة التى لا تقدر. والتجربة المنقولة إلى وسيلة جديدة من وسائل الاتصال تجعلنا نرى أو نسمع، تماماً نسخة سائغة لوعى سابق "إن الصحافة تنقل الإحساس الذى شعرنا به باستخدامنا لحواسنا. وباستخدامنا لحواسنا ولقدراتنا نستطيع أن ننقل ونغير العالم الخارجى، إلا جوهر ذواتنا ذاته، وإن احتدام النقل يفسر لماذا يريد الناس غريزياً أن يستخدموا كل حواسهم على الدوام. وهذه الإمتدادات الخارجية لحواسنا وقدراتنا والتى نسميها وسائل اتصال، نستخدمها على الدوام بقدر ما نستخدم عيوننا وآذاننا. للأسباب نفسها، وعلى العكس، فإن "رجال الأدب" يعتبرون هذا الاستخدام المنتظم والدائم للوسائل تحقيقاً، وفى عالم الكتب فإن الأمر ليس مؤلفاً لهم.

ويقصد ماكلوهان بالشكل الفسيفسائى للصحافة: أسلوب الصورة الجماعية أو المشتركة التى تستلزم مشاركة فى العمق، وهذه المشاركة جماعية أكثر منها خاصة، وجامعة أكثر منها مانعة. وبعد أن كانت الأخبار بالنسبة للصحافة القديمة شيئاً خارجاً عنها، ولم تكن للصحيفة سلطة عليها، أصبحت اليوم تشعر بأن الأخبار توجد لكى تروى وتحكى. وليس هذا فحسب، وإنما لكى تستقى ويبحث عنها، بل ولكى تصنع" وإن المصطلح المعروف باسم "المانشيت". والذى يسميه ماكلوهان "صنع العناوين الرئيسية" غامض إلى حد الغرابة. حيث أن وجود حدث فى الصحيفة يعنى فى الوقت

نفسه أن يكون الحدث خبراً، وإن يصنعه وهكذا فإن "صنع العنوان الرئيسى" يعنى عالماً كاملاً من الأعمال والخيالات فى وقت واحد. غير أن الصحافة هى عمل وخيال يُصنعان يومياً. وهى - أى الصحافة - تُصنع تقريباً من كل ما يمكن أن نجده فى المجتمع و"بواسطة الفسيفساء" تغدو صورة أو قطعة من المجتمع".

وإذا نظرنا إلى الصحافة فسنجد أنها بالتعبير الماكلوهانى: "فسيفساء"، وتنظيمٌ يستلزم المشاركة، وضرب من العالم الذى يجب أن نصفه بأنفسنا، ويغدو من السهل أن نعرف لماذا هى ضرورية للحكومة الديمقراطية. وفى تحليل للصحافة بعنوان: الفرع الرابع للحكومة يلاحظ "كاتر" Cater بدهشة ودون أن يعرف الكيفية، أن الصحافة هى التى تربط مختلف الخدمات ببعضها البعض من ناحية، وبالأمة من ناحية هذه الخدمات التى تتشعب وزارات الحكومة إلى شعبٍ من أجلها.

ويذهب ويكهام ستيد Wicham Steed من أعلام الصحافة، إلى أن من الصعب على الصحيفة أن ترتفع عن مستوى القراء. ولذلك كان من الصدق أن يقول: إن للأمة الجريدة التى تستحقها، كما يصدق حين يقول أيضاً: إن الذوق العام للجمهور قد يتأثر بالصحف التى تؤثر فى الغرائز المنحطة للقارئ. ذلك أن الصحافة كما يقول العقاد^(١): "تابعة للأمة التى تعيش فيها، وليست بسابقة لها ولا مترقية عليها، وإذا اتفق فى موقف من المواقف النادرة أن تقدمت الصحافة على أمتها فتلك ولا ريب عارضة لا تدوم. لأن الصحافة إذا تقدمت أمتها على الدوام انقطعت عنها. وليس فى وسع صحيفة من الصحف أن تنقطع عن قارئها وعن البيئة التى تكتب لها، وهى مضطرة إلى الرجوع إليها يوماً بعد يوم، أو أسبوعاً بعد أسبوع، أو شهراً بعد شهر، كما تضطر جميع الصحف اليومية والمجلات الدورية". يقول العقاد:

"إن الصحافة المثلى هى صحافة مستقلة فى آرائها مخلصه فى نصائحها أمينة فى أداء رسالتها، خادمة للثقافة والأخلاق فيما تنشره من موضوعاتها وأخبارها.

"وفى مقدورك أن تؤدى هذه الشروط بعبارة أخرى مرادفة لها كل المرادفة وهى أن الصحافة المثلى هى صحافة الأمة المميّزة الرشيدة. والتميز فى الأمم ثمرة من ثمرات التعليم والفطرة المستقيمة.. فإذا كانت الأمة متعلمة قويمة الفطرة فلا تشتترط

(١) عصر العقاد؛ السابق ص ١٢٩.

فيها شروطاً للصحافة لأنها لن تروج فيها إذا هي خالفت شروط الاستقلال والأمانة، والخدمة القومية التي تقدم مصلحة الوطن على مصالح الأحزاب والأفراد.

"ونحن نلمح أثر التقدم في صحافتنا كلما لمحنا أثر التقدم في أقوامنا وجماهيرنا فنحن اليوم خير مما كنا بالأمس، ونحن غدا فيما نرجوه .خير مما نراه اليوم".

وقد بين "ويكام ستيد" مهمة الصحافة في جمع الأخبار التي تهّم الرأي العام وإعلانها وتفسيرها، وهذه المهمة مفيدة قيّمة ما في هذا شك وفيها كثير من المسؤولية ولكنّ فيها أيضاً كثيراً من الشرف والفخر.

والصحافة صورة حديثة من الخدمة الاجتماعية قد نهضت وانتعشت بفضل الطباعة، ولم تلبث أن ازدادت نهوضاً وانتعاشاً وامتلاّت حياة ونشاطاً بفضل الانتقال من المرحلة البدائية إلى المرحلة الميكانيكية، فأمكن بذلك أن تُجمع الأخبار، وأن توضع في إطارات معدنية وأن تنشر على الناس بكميات كبيرة.

وربما حان الوقت الآن لدراسة التغيّرات التي أحدثتها اختراع التليفون والراديو والتلفزيون؛ في الصحافة. فقد سبق أن رأينا - عند ما كلوهان - أن التلغراف هو العامل الأساسي الذي شارك أكثر من غيره في خلق الصورة الفسيفسائية للصحافة الحديثة بكتلة مقالاتها التي لا رابط بينها ولا صلة. إن هذه الصورة الجماعية للحياة المشتركة، التي حلت محلّ وجهة النظر أو التوجيه الصحفي، هي التي تخلق المشاركة في هذه الوسيلة. وحين ألغى التلغراف الزمان والمكان من الأخبار فقد خفف من حميمية شكل الكتاب، وبالمقابل دعم صورة الجمهور الجديد في الصحافة.

ولعل أهم أثر للتلغراف، هو ما تتميز به لغة الفن الصحفي اليوم. ونذكر أن "ويكهم ستيد" قد لجأ إلى الصحفي الكبير "سي. ت ستيد" يسأله النصح في ميدان الصحافة، فقال: "ستيد" "الستيد":

"كل ما يحضرك في الكتابة أسرع ودونه، وبعد أن تدونه تصور أنك سوف ترسله بالبرق وأنت في بلدك إنجلترا إلى استراليا على نفقتك الخاصة بحيث تكلفك الكلمة الواحدة شلناً، وعلى هذا ينبغي أن تحذف ما لا فائدة منه ولا غناء فيه، وستجد في النهاية أنك حذفت كثيراً وأبقيت قليلاً ولكن هذا القليل هو ما ينبغي أن ترسله إلى صحيفتك".

وإن كان التلغراف قد قصر الجملة، فنستطيع أن نقول مع ماكلوهان إن الراديو قصر عمر التحقيق، وأن التليفزيون أعطى أسلوباً استفهامياً للصحافة والواقع أن الصحافة ليست فقط فسيساء للمجتمع الإنسانى بصورة عن بعد، ساعة بساعة. ولكن تكنولوجيايتها هى نفسها فسيساء مكونة من تكنولوجيايات المجتمع. وحتى فى اختيارها لما هو جدير بالنشر، تعلن الصحافة عن تفضيلها للأشخاص الذين لهم بعض الشهرة فى السينما والراديو والتليفزيون والمسرح. ويتيح هذا الواقع فهم طبيعة الصحافة كوسيلة للاتصال. وبالفعل فإن الناس الذين لا نسمع عنهم إلا من الصحف هم أناس عاديون فى الواقع!.

تقويم الخبر:

يبين مما تقدم أن تقويم الخبر يقوم على أساسين، الأساس الأول هو تقويمه وفقاً لخصائص الجنس الإعلامى. والأساس الآخر هو تقويمه وفقاً لخصائصه الذاتية. ذلك أن الخبر - ككل، شىء مجرد، وكما يبين من التعريفات المتباينة حوله، لا يقوم وفقاً للوسيلة الإعلامية التى تنشره أو تذيعه فحسب، ولكنه تأسيساً على الفهم القائل بأن الخبر سرد لعلاقات الإنسان المتغيرة مع بيئته يصبح ذا قيمة خبرية، عندما يغير من الأوضاع القائمة. وهنا نتساءل عن الخصائص التى ينبغى توافرها فى الخبر حتى يكون هاماً فى نظرووسائل الإعلام، وما هى الأسس التى تجعل خبراً من الأخبار يتقدم لينشر أو يُذاع؟.

وللإجابة عن هذا السؤال؛ نتتبع - رحلة الأخبار مع أسرة عادية، ولتكن أسرة السيد "زيد" الذى استرعى انتباهه فى الصفحة الأولى من صحيفته عنوان على أربعة أعمدة حول:

ح ■ ١٩ نوفمبر ١٩٩٧ ■ ح

مجلس «الدوما» يناشد يلتسين إقالة وزير مالىته

ويطالع السيد "زيد" العنوان بسرعة، ولكنه لم يكن مهتماً بمتابعة الخبر أكثر من ذلك؛ فيكتفى بالعنوان ثم ينتقل إلى عنوان آخر أكثر إثارة "وهو":

الأشغال المؤبدة لجناينى زرع حديقة فيلا مخدمه بنبات البانجو فى السويس

يستعرض السيد (زيد) الفقرتين الأوليين من هذا الخبر مكتفياً بذلك. فالجناينى لم يكن معروفاً للسيد زيد. إلا أن الذى اجتذب انتباهه فى العنوان هو كلمات: الأشغال المؤبدة - جناينى.. حديقة فيلا - السويس. فهذه الكلمات كانت الدافع القوى وراء اهتمامه بالخبر، وذلك لأنه من مواليد مدينة السويس، وإن كان قد اغترب عنها لسنوات طويلة. أما الكلمات الأخرى فقد جذبت انتباهه؛ لأن زراعة الخدرات ممنوعة بطبيعة الحال؛ ولكن أن يزرعها "البستاني" فى "حديقة منزل مخدمه" فذلك هو غير المألوف.. انتقلت عينا السيد زيد؛ بعد ذلك فوقعتا سريعاً على عنوان جديد وفى حقيقة الأمر؛ فإن هناك العديد من الاعتبارات التى تكمن خلف اختيار هذا التنظيم أوداك وتتصل بموقف الجمهور من الموضوع واهتماماته.

والتحرير الصحفى - كما تقدم - يركز على تحويل الأحداث؛ والمعلومات؛ إلى أخبار وموضوعات؛ ومقالات، وتمرُّ هذه العملية فى ثلاث مراحل: البحث، الاختيار، والكتابة (التحرير فى قالب صحفى)، وتتم جميع هذه المراحل عبر دورات معقدة وأبسط، أبسط دورة منها تتعلق بحدث منظور ومهم وقريب. مما يبرر عمل المندوب الصحفى. وتنتهى عملية الاختيار عندما يطلع المندوب على الحدث ثم ينقله ليحرره سكرتير التحرير فى قالب صحفى. ولا يبقى من الدورة إلا الطباعة والنشر، ولكن، فى الحقيقة، إن عدداً كبيراً من الأسباب يتدخل فى عملية الاختيار^(١). فالبحث عن المعلومات، هو أساساً، من واجب المندوب. وتحرير الخبر من واجب المندوب أيضاً؛ جزئياً ولكنه من مسؤولية سكرتير التحرير الأساسية. وهاتان العمليتان، أى البحث عن الخبر وتحريره، تشكلان المرحلة الأولى والثانية من الوظيفة الصحفية، والاختيار بعد البحث، يمثل المرحلة الأولى، ولوقام به المراسل أو المندوب أو سكرتير التحرير أو محرر الأبواب الثابتة. وليست هناك صحيفة تستطيع نشر كل ما يحدث فى العالم ليحرره،

(١) فيليب جابر: تقنية الصحافة؛ ترجمة فادى الحسينى .

أو ما يصل إليها، عبر الوسائل العديدة الموضوعة تحت تصرفها، وأول عمل للصحفى عندما تبدأ الدورة الإعلامية، هو أن يختار الوقائع التى سيحولها بالتحرير إلى أخبار فعلى كل صحفى أياً كانت وظيفته، أن يأخذ قراراً بالاختيار، عدة مرات أو عشرات المرات فى اليوم. وهذه الاختيارات المتعددة تتصارع وتتداخل لتثير تدريجياً كتلة وقائع اليوم المتخمة، ولتؤدى إلى "موجز" الصحيفة. مراسل الصحيفة أو وكالة الأنباء هو "الديدبان" الذى يقوم بدور "حذام" كما تقدم؛ وهو "الذى يمثل الصحيفة فى المكان المعين، وهو أول من يختار ويقرر ما هو جدير بأن يعرف خارج المجموعة الإنسانية؛ التى يقوم فيها بدور آذان بقية العالم وعيونهم. ومسؤولية المراسل كبيرة، فإذا أهمل واقعة لها عواقب مهمة، فما من أحد يستطيع تبرير غيابه. وإذا نقل جميع الوقائع التى تصل إلى حد علمه، خوفاً من إهمال واقعة مهمة، فيكون قد أغرق التحرير فى أوراق لا قيمة لها وباختصار لا يكون قد قام بعمل صحفى. والمندوب الموجود على مسرح الأحداث لا يتمتع بصلاحية الاختيار؛ لأن وجوده فى هذا المكان المعين يعنى نهاية الاختيار.

ولكن عليه أن يقف أمام التفاصيل المختلفة ويستوضح قبل أن يأخذ قراراً. وسلسلة القرارات هذه، سلسلة غريزية إجمالاً. فإذا وقع المندوب تحت تأثير حركية الأحداث التى يراقبها، قد لا يجد الوقت الكافى للتفكير والاختيار^(١).

وسكرتير التحرير، هو آخر من يختار. فقبل أن يفرغ كتلة المواد، التى ستصبح أنباء اليوم، فى قالب صحفى، عليه أن "يشذب ويختصر ويهمل بعض العناصر. وهذا الاختيار يؤله أحياناً، لكنه يعلم أن المنفذ الوحيد أمامه هو قراره الحازم فى أن يقدم أولاً يقدم؛ للجمهور هذا العنصر الإعلامى أو ذاك. فى جميع الحالات الاختيار حاسم؛ فالمراسل يستطيع أن يضاعف إرسال الكلمات عشر مرات، إذا رأى ضرورة لذلك؛ والمندوب يستطيع أن يكتب عشرة أسطر زيادة على المطلوب. أما سكرتير التحرير فهو سجين المساحة الموضوعة تحت تصرفه.

فالتأكيد على أهمية الاختيار هذه المرحلة المجهولة من نشاط الصحفى، أمر ضرورى، لأن هذه المرحلة، وإن كانت لا تترجم إلى عمل ملموس، تمثل المرحلة الأولى التى

(١) نفس المرجع ص ٣٤.

تحدد حركية الإعلام. والاختيار يصبح سهلاً فى الحالات المتطرفة. على أن الانتقاء عملية دقيقة لا تترك لذوق التحرير وحده، بل تتم من خلال موازين دقيقة منها ما هو عام، ومنها ما يتعلق بالمؤسسة الصحفية.

وترتبط المقاييس العامة للاختيار فى التحرير الصحفى بالحدث نفسه؛ وهذه المقاييس هى الدلالة؛ والحالية الإعلامية. أما المقاييس الخاصة بكل مؤسسة صحفية؛ فهى ترتبط بجمهورها. ويمكن تلخيص هذه المقاييس فى معيار واحد هو معيار الأهمية.

أولاً: الحالية الإعلامية:

إذ الأخبار كما نعرف إنما تعنى شيئاً جديداً، ولا يشك الجمهور فى ذلك مطلقاً. فهو حين يفتح صحيفة أو حين يجلس أمام الراديو أو التلفزيون فى موعد الأخبار إنما ينتظر جواباً عن سؤال عام: "ماذا حدث من جديد؟".

وقد نجد بعض التطرف فى السعى الدائب وراء الأنية التى تميز الصحافة المعاصرة، فالركض وراء سبق الصحفى، أى وراء الخبر الجديد الذى سينقل، يجرى أحياناً على حساب الخبر. وإذا كان هذا السباق يشكل حافزاً للصحفيين، فهو يصطدم بلا مبالاة الجمهور ولكن، ومهما يكن الأمر، فهو قانون من قوانين الصحافة الحديثة، ومن العبث تجاوزه، فوكالة الأنباء ومحطة الإذاعة التى تسبق غيرها فى نقل حدث مهم، تكتسب شهرة كبيرة. وأخيراً رغم أن الصحافة المكتوبة تمتاز بدوريتها البطيئة، نوعاً ما، بالمقارنة مع الدفع المتواصل من الرسائل التى تتلقاها، فإن لكل طبعة، دقيقة مصيرية، بعدها لا يمكن لأى خبر يصل إلى التحرير أن يعرف طريقه إلى النشر. ومن عادة الجمهور أن يقرأ ويسمع، ولا يلاحظ عموماً أن صحيفة ما خسرت السباق إلا عند وجود الأحداث المهمة. والشئ نفسه يقال عن حالة الحدث الذى تنقله الصحيفة إليه، فالقارئ لا يدرك أن السرعة غير ممكنة، وهى محدودة بالإمكانات التقنية، وهو يقرأ حقيقة ما جرى أثناء نومه، عند تناوله الإفطار.

يقول الأستاذ فيليب جايار:

"هذه الحاجة إلى الأنية واضحة عندما يستحث الإعلام جمهوره، أو قسماً من الجمهور، إلى التحرك الإيجابى، وهنا يؤدى تأخر النشر إلى عواقب سيئة، فى حالة

الإعلان عن مظاهرة سياسية أو نقابية أو رياضية أو ثقافية، والشئ نفسه يقال، اليوم، عن تأخر نشر أخبار حركة البورصة، وأسعار المواد الأولية. كما أن تأجيل نشر بعض المراسيم والقوانين التى تدعو إلى ضبط التصرفات مباشرة، وتأجيل نشر إنذارات الحرب أو الفيضانات التى تتطلب استعدادات على المستوى الوطنى والعائلى والفردى، يؤدى إلى عواقب سيئة.

وعندما تكون المصلحة الفردية بعيدة عن المساس، فالوحدة الوطنية والعالمية، فى أيامنا هذه، أوجدت الحاجة إلى معرفة ما يجرى فى الطرف الثانى من البلاد أو من العالم، فور حدوثه. فالحالية إذاً من أهم عناصر التقويم الصحفى. مما يعنى أن يواصل الصحفى جهاده؛ ليطلع وينقل، فى أسرع وقت ممكن، الأحداث المعبرة عن أهمية والجديرة بالاهتمام. فالأخبار التى يتأخر نشرها، تقل نسبة الاهتمام بها. والخبر الذى يمكن أن يحتل خمسة أعمدة فى الصفحة الأولى عند تذييله بـ "عاجل - من مندوبنا الخاص"، لا يستحق أن يكون أكثر من خبر على عمود؛ فى إحدى الصفحات الداخلية، لو علم به التحرير عند قراءته فى صحيفة أخرى.^(١)

والخبر لا بد أن يكون قريباً من حيث المكان، ومن الثابت أن أحداثاً تقع فى مصر تهتم المصريين أكثر مما تهتم سكان أمريكا الجنوبية مثلاً، العكس صحيح، فإن الجمهور يهتم بحادث بسيط يقع قريباً منه. أكثر مما يهتم بحادث أكثر أهمية يبعد عنه أميالاً وأميالاً كإضراب عمال المناجم فى جنوب إفريقيا مثلاً. واليوم تشكل الأنباء ذات الطابع المحلى البحث الأساسى الذى يبنى عليه الصحفيون توزيع صحفهم. وتدل البحوث على أن النبأ الذى له أهمية دولية - فيما عدا الأحداث الرئيسية - لا يثير سوى اهتمام ١٠٪ فقط من القراء فى المدن الكبيرة.

وتراعى الصحف هذا القرب المكانى مراعاة دقيقة، وتفرق من أجل ذلك بين الطبعة التى توزع فى العاصمة والطبعة التى توزع فى الأقاليم، فإذا وقعت الحادثة فى العاصمة عنيت بها الطبعة التى توزع فى العاصمة عناية تامة، وتقل هذه العناية

(١) نفس المرجع ص ٣٥.

بالقياس إلى طبعة الأقاليم أو المدن أو الطبعة الدولية، والعكس بالعكس، فالناس بعامّة، أكثر ما يكونون اهتماما بالأحداث الواقعة قريبا منهم من حيث المكان والزمان.

والقرب قد يكون مكانيا وقد يكون زمانيا أو نفسيا، ويرتبط القرب الزماني بالحالية الإعلامية، وكلما كان الخبر جديدا كان اهتمام القراء به عظيما. وهناك مثل يقول: "ليس هناك أقدم من صحيفة الأمس" ولذلك نجد المحرر يكتب الخبر مستعملا كلمة "اليوم" إذا كانت الصحيفة مسائية، أو كان الخبر مذاعا بالراديو أو التلفزيون، ويستعمل كلمة "الأمس" إذا كانت الصحيفة صباحية، والزمن عامل هام جدا، حتى أن ساعة أو ساعتين قد يغيرا من قيمة القصة الخبرية؛ وخاصة إذا كانت صحيفة منافسة تكتب عنها، ومما يدل على أهمية القرب الزماني أن "آخر خبر هو أكثر الأخبار لفتا لأنظار القراء. ولكن قاعدة الجدة الزمنية لا تسرى على كل القصة - كما يقول كارل وارين - فقد يضطر المحرر إلى تضمين موضوعه إشارة إلى ما سبق أن نشر من قبل عن نفس الموضوع، ولكن هذه القاعدة لا بد أن تطبق على الجملة الأولى، ومن الواضح أن قاعدة الجدة لا تنطبق على الوقت الذي حدث فيه الخبر، وإنما تنطبق على وقت إذاعته.

ويستخدم القرب الزماني والمكاني والنفسى فى قياس خصائص معينة للخبر، ولكن بعد أن يعترف بقيمة الخبر فعلا، وذلك لتقرير: هل يروج ذلك الخبر أو لا يروج وأين يكتب له الرواج، وهل يستحق الخبر عناء تقصى أطرافه أم لا، والقرب النفسى يحتل أهمية كبيرة، فما يحدث لطلابنا فى الخارج قريب إلى نفوسنا، ولذلك يظفر بالنشر مهما بعدت المسافات^(١) ومع أن القيم الخبرية لا تقرر فى حد ذاتها أهمية الخبر بل تقرر طبيعته فقط، فإنه كلما زادت القيمة الخبرية لحادث من الحوادث، زاد اهتمام الناس به، وزادت بالتالى أهميته.

ثانيا: الجدة الإنسانية:

قلّ أن يكون لبعض الروايات شأن إذا رويت باعتبارها حوادث منفصلة أو مستقلة. فالقتل مثلا حادث فردى مستقل ذو قيمة خبرية لما ينطوى عليه من عنصرى الصراع والكارثة، والانتخاب حادث مستقل له قيمة خبرية بسبب الصراع

(١) د. إبراهيم أمام : دراسات الفن الصحفي ص ١١٧ .

(وكذلك الفوز والهزيمة) وبسبب النتائج التي تترب عليه. وإذا أفلت سجين مقيد من جندي الشرطة فهو خبر يستحق النشر بسبب جدته. ولكن الحادث الفردي نفسه لا تروى عنه الصحيفة إلا خبراً صغيراً. ولهذا فإن سكرتير التحرير أو محرر أخبار العاصمة قد يطلب من المندوب تحويل هذا الخبر الموجز إلى قصة ذات زاوية إنسانية، وعندئذ ينشر الموضوع في عمود كامل من أعمدة الجريدة. وفي هذه الحال لا يقتصر المندوب على الحادث في حد ذاته، بل يذهب إلى ما وراء الحادث ليتقصى الاعتبارات الإنسانية التي تكشف كل من له ضلع في الحادث. فكيف تركت السيدة أطفالها وحدهم في السيارة؟ ولماذا؟ وكيف تعلمت العدو السريع؟ وما هي أحوال أسرتها؟ والسارق: من هو؟ وما إلى ذلك. وهكذا ينقب المندوب عن الاعتبارات الإنسانية للحادث الذي وقع.

وينبغي ملاحظة أنه فيما يتعلق بالموضوعات التي يمكن وصفها بأنها تستهوي النزعة الإنسانية، يتعين على المندوب أن يذهب إلى ما وراء الحادث نفسه ليتقصى ملامسته الإنسانية، فهو يسعى عادة إلى جمع المواد التي يحتاج إليها كتاب الروايات، مثل العواطف والوقائع المتعلقة بحياة المرء والحوادث المسرحية والوصف والدوافع والمطامح والآمال. وما هذه بأحداث، ولكنها ملامسات تحيط بالأحداث. ومن الأحداث ما تسهل كتابته من الزاوية الإنسانية وما يصعب تناوله من تلك الزاوية. وما أكثر الحوادث التافهة التي ما كانت لتستحق النشر استناداً إلى قيمتها الخبرية الضئيلة، ولكنها اكتسبت من الملامسات الإنسانية ما جعلها من حيث الكم ومن حيث الكيف محورا للروايات الإعلامية التي تعالج الزاوية الإنسانية. ثم إن هناك من الأحداث البالغة الأهمية ما يكون مرتبطاً بنسيج من الظروف.

والأشخاص والعواطف والمصالح المتضاربة؛ يقتضى تجزئتها إلى أخبار موجزة تحتاج إلى جهد واع؛ وقد تجرد الحادث من كثير من جوانبه الهامة. ومن هذا القبيل حادث إغراق الأم لأطفالها الأربعة في النيل حزناً على شقيقها الذي قالت إنه مات وتبين فيما بعد أنه لا يزال على قيد الحياة، وأنها مصابة بمرض نفسي وسبق علاجها بجلسات كهربائية بإشراف أحد الأطباء وكانت تغادر قريتها وتهيم على وجهها في البلاد المجاورة. ومن هذا القبيل أيضاً: إحالة طبيبين لمحكمة الجنايات استدرجا طالبة وحاولا الإعتداء

عليها، وكذلك ما ينشر من مثل هذه الأخبار التي مزقت حالة راهنة وعرضت على الجمهور قضية الاختطاف والاعتصاب، مما يهيئ الرأي العام لاتخاذ إجراءات رادعة.

ويكتسب الحادث أهمية من سياق الظروف المحيطة به. فإذا شب حريق في خيمة لا يوجد بها شيء، كان هذا حادثاً تافهاً، أما أن يشب حريق للمرة الثانية في خيمة السيرك القومي بسبب ماس كهربائي أتى على جزء كبير من الخيمة، فقد يكون لهذا الحادث أهمية كبيرة، لما ينطوي عليه من الصراع من أجل السيطرة على النيران وإخمادها تماماً قبل أن تمتد إلى حيوانات السيرك وإلى مسرحى البالون والسامر المجاورين. ولهذا لا يسعنا أن نقيس القيمة الخبرية لحادث فردى إلا من حيث نوع الحادث. أما وطأة الحادث أو أثره أو عاقبته فإنها تقاس بسياق الحادث أى بملاساته وظروفه. فقد يقع حادثان متشابهان من حيث موضوعهما، فيمزق أحدهما نسيج الظروف تمزيقاً هيناً بينما يقطعه الآخر تقطيعاً شديداً. وقد تتكرر حوادث الاختطاف أو سقوط الطائرات، غير أن تمزيق هذه الحوادث للحالة القائمة لا ينحسر عن أنسجة متشابهة من الزوايا الإنسانية الخلاب، كما أنها لا تتساوى في عواقبها الاجتماعية.

ويتضح من ذلك أن الأخبار ذات الزوايا الإنسانية إنما تنشأ عن حادث عاوى تقاس أهميته الخبرية بمدى تغييره لحالة قائمة، وبما اصطاح عليه من قيم خبرية. أما هل تنشأ الأخبار على هذا النحو، أى أن تكون قصة ذات زاويا إنسانية لا خبراً عادياً مجرداً، فإن ذلك يتوقف على الظروف التى يميظ عنها الحادث اللئام بعد أن يمزق الحادث هذا النسيج. وأحياناً يبدو الحادث فى بعض الأحيان عامراً بالعواطف البشرية وبالمفارقات المختلفة التى تزيد أهميتها على أهمية الحادث نفسه، وفى هذه الحال تتضاءل أهمية الحادث فى حد ذاته. وكثيراً ما يسوق المحرر حوادث إخبارية مجردة ولكنه يضيف إليها بين الحين والآخر ملاسات من أضواء الزوايا الإنسانية ليجتذب اهتمام القارئ ويحمله على قراءة هذه الحوادث. فالزاوية الإنسانية اصطلاح مفيد يطلق على وصف المواد التى تتدفق من خلال الحادث، وهى قيمة روائية قصصية لا قيمة إخبارية، ويمكن اعتبارها رديفاً للصراع والعاقبة والكارثة والتقدم والجدة والشهرة والوقتية وما إلى ذلك من القيم الخبرية. وكما يقول "جونسون وهاريس" فإنه ما من حادث إلا ويمكن معالجته من الزاوية الإنسانية إما معالجة كاملة، وإما معالجة جزئية، وإما معالجة تخلو من كل اعتبار للزاويا الإنسانية.

ثالثا، عنصر الضخامة:

لا يقصد بهذا العنصر التهويل أو المبالغة ونحو ذلك، ولكن يُقصد به إثارة اهتمام أكبر عدد من الناس. فمن الأخبار ما يمس جماعة قليلة من الناس في المجتمع فلا يؤبه له كثيرا في الصحف ووسائل الإعلام. ومن الأخبار ما يمس أكبر عدد ممكن من أفراد المجتمع، أو يمس مرفقا من أهم المرافق الحيوية في هذا المجتمع، أو يمس مشكلة من أكبر المشكلات السياسية أو الخلقية أو الاقتصادية التي تهم المجتمع، وإن ذاك ترى وسائل الإعلام تخصص لهذا الخبر الضخم مكانا ظاهرا في صدرها.

وعنصر الضخامة يرتبط ارتباطا وثيقا بالدلالة الإعلامية، ومدى اهتمام الناس بها. تقول القواعد الأولى في علم حساب الأخبار أن نبأ حادثة أصابت ألف شخص أهم من نبأ حادثة أخرى أصابت ١٠٠. وقرار قاض في المحكمة أو تفسيره لإحدى مواد القانون إجراء فني بحت، ولكنه في الوقت ذاته يؤثر في حياة الملايين. ويستطيع الصحفي أن يكتب موضوعا مثيرا يبين فيه نتائج القرار على حياة العامة.

وقد لا يهتم "زيد" من الناس إذا قرأ أن شركة النقل العام على خلاف مع عمالها، ولكن إذا قال له المندوب إن العمال سوف يبدؤون غدا إضرابا عاما؛ وأنه سوف يسير على قدميه إلى عمله أو سوف يدفع جنيهين إضافيين إذا أراد الركوب، فإن الخبر يدخل دائرة الاهتمام الشخصي في كل بيت.. وأهمية الخبر لا تقاس بمدى ما يحدثه من تغيير واضطراب فحسب، وإنما بضخامته، أي عدد الأشخاص الذين يؤثر فيهم الخبر.

وإذا اجتمعت أهمية شخصية من الشخصيات مع أهمية الموضوع وضخامة عدد المهتمين به، فلا بد أن يكون الخبر صالحا للنشر في الصفحة الأولى، أو في إحدى الصفحات ذات الأهمية الكبرى، ذلك أن الأسماء تصنع الأخبار، كما يقولون، وأن الأسماء اللامعة تصنع الأخبار الهامة، فإذا سلمنا بصحة هذا القول، فكيف ينطبق مبدأ تغيير الحالة القائمة على هذه القيمة الخبرية التي يلوح أنها ثابتة غير متغيرة؟ يجيب "جونسون وهاريس" على ذلك بأن المبدأ يصح بالنسبة للأغراض السياسية وحدها. وإن لم يكن صحيحا مئة في المئة، فإذا كانت الأسماء وحدها هي صانعة الأخبار لما احتاج الأمر إلى ترقب الأحداث حتى تساق الأسماء في الجريدة، فلا بد للرجل الشهير من أن يفعل شيئا يعدل به وضعها قائما إذا أريد لإسمه أن ينتشر في

وسائل الإعلام، والسياسيون يدركون جيدا، حتى ولو لم يفتن إلى ذلك المندوبون والمحررون، أن أهمية الإسم اللامع ترجع إلى قدرة صاحبه على تغيير حالة قائمة.

الأسماء والشهرة: وقد تكون الشهرة مؤقتة سواء كانت لأشخاص أو أماكن أو أشياء أو حوادث تثير اهتمام القراء، مثل اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون أو معركة انتخابية، أو أحداث لبنان، وقد يستمر أثرها على الناس مثل قضية ووترجيت؛ أو قضية "مونيكا" أو موضوع تحديد النسل، وسيصر ملايين الناس على معرفة التفاصيل إذا وقع حادث لإنسان مثل "نيكسون" أو "جاكلين كنيدي" أو "أوناسيس" أو "كلينتون" أو "الأميرة ديانا".

وإذا قال "زيد" يقال: يجب إرسال كل السائقين السكارى إلى السجن، فليس فى هذا القول خبرا، لأن "زيدا" إنسان غير مسئول ولا يهم الرأى العام. ولكن إذا أعلن "عمرو" رئيس الشرطة فى المدينة هذا التصريح، أصبح خبرا ينشر فى مكان بارز

وكل إنسان يحب الأبطال والساساة البارزين فى الهيئة الاجتماعية، وكذلك يحب الرياضيين والفنانين. وملايين من الناس يقبلون منهم على قراءة قصص المكتشفين والرحالة ومغامرات أصحاب الملايين.

يقدم لنا الأستاذ الحمامصى. مجموعة من المعادلات الطريفة التى تبين عناصر الغرابة والإثارة فى الخبر فيقول:

"رجل غربى تزوج من غير أن يطلق زوجته السابقة، ثم يستمر بعد ذلك فى عملية الزواج من واحدة بعد الأخرى حتى يصبح عدد زوجاته "أربعا"، ثم ينكشف أمره وتقف زوجاته الأربع أمام المحكمة شاكيات خروجه على الدين والقانون.. مثل هذا الخبر يتطور فى صحافة الغرب ليصبح قصة يتحدث عنها الناس جميعا، ويقاد صاحبها إلى المحاكمة وتتوسع الصحف فى النشر عنها، بينما مثل هذا الخبر فى أى بلد يدين أهله بالدين الإسلامى لا قيمة له لأن القانون والدين يبيحان للزوج أن يتزوج أربعا.

ولكن إذا حدث فى بلد إسلامى وجود امرأة تزوجت أكثر من رجل فأصبح العدد ثلاثة أو أربعة، هنا يمكن أن يتطور الخبر ليصبح قصة صحفية تشغل القراء!

ومعادلة أخرى:

نبأ عن صراف بنك + زوجة + ٧ أولاد = صفر.

بينما أن نبأ عن صراف بنك - ١٠ آلاف جنيه من الخزينة = خبرا.

أو نبأ عن صراف بنك + زوجة + عشيقه - ١٠ آلاف جنيه = خبرا أكثر أهمية.

ومعادلة ثالثة:

نبأ عن : رجل عادى عمره ٨٠ سنة + حياة عادية = صفرا.

ونبأ عن رجل عادى عمره ٨٠ سنة + رحلة مغامرة = خبرا.

رجل عادى عمره ٨٠ سنة + زوجة شابة ١٨ سنة = خبرا .

رجل عادى ٨٠ سنة + زوجة شابة ١٨ سنة + ٣ توائم = خبرا أكثر أهمية.

ومن المعروف أن القبض على سكير فى الشارع ليس خبرا، ولكن إذا كان هذا السكير رئيس جمعية منع المسكرات صار خبرا. وقصة القروى الذى باع ترام العباسية لمصرى من أقاصى الصعيد قصة خبرية طريفة، وطبيعى أن للقصة ذيولا كأن يركب الصعيدى الترام ويحاول الحصول على الإيراد من الكمسارى، ومثل هذا النوع من القصص الطريفة لا يمكن أن يهمل بمجرد اختفاء العناصر الإخبارية الأخرى، بل يكفى أن يكون "غريبا" لى يكون "خبرا" ذلك أن مثل هذا الخبر قد يعيش فى أذهان جمهور القراء أكثر مما يعيش خبر استقالة موظف كبير بسبب خلافه مع بعض زملائه فى العمل.

وتذهب بعض الصحف إلى أن عناصر التشويق والإثارة والطرافة والروعة من أهم سمات الخبر الجيد. وهناك تعريف للنبا يقول إنه ما يخرج عن المألوف فيصبح بارزا. ويلاحظ الدكتور إمام أن عنصر التشويق ينطوى على الابتعاد عن الموضوعات الجافة المجردة، غير أن جوهر الفن الصحفى يكمن حقيقة فى تقديم الخبر الجاد، والموضوع المفيد، والمعلومات الدقيقة بأسلوب شائق ممتع مفهوم، مثير للفكر، وليس مثيرا للغرائز الدنيا. وذلك يتطلب بطبيعة الحال تنوع الموضوعات وشمولها حتى تجد كل فئة من القراء بغيثها.

خامسا . الدلالة الإعلامية :

ومعيار الدلالة الإعلامية يقوم على النظرية المتعلقة بجوهر الإعلام، كأساس عام للقيم الإعلامية، وكل ما له قيمة إعلامية مما يغير حالة قائمة أو يندثر بتغييرها أو يترتب على حوادث وقعت فعلا أو هى بسبيل أن تقع، وهى حوادث تتميز بدلالة، تقوم على الصراع ومراكز الاهتمام الإنسانى، فى المجتمع ألوان شتى من الصراع، ولعظمها أهمية إخبارية، فكلّ صراع فعلى - كما يقول جونسون وهاريس. إنما يمثل تعديلا ظاهرا لوضع قائم، وهو صراع يندثر فى شكله المادى بإحداث إصابات أو إلحاق ضرر، كالحرب والاضطرابات والحملات السياسية والمناقشات البرلمانية الحادة، فإن لها فى صدر الصحف متسعا، ولكن تلاحم النظريات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والمناقشات التى تدور بين المفكرين والعلماء، قد تستحق إذا قيست بنتائجها وعواقبها أن يضاف عليها من القيمة الإعلامية أكثر مما يضاف عليها فعلا. وهناك أنواع عديدة من الأخبار التى يكون الصراع عنصرها الغالب أى الكفاح ضد قوى متفوقة مثل: صراع الإنسان مع الطبيعة، وصراع الفرد مع المجتمع المنظم، وصراع الكتل السياسية مع الكتل الاقتصادية بالحروب والحملات والإضرابات.

كما أن كل صراع يسفر عادة عن فوز فريق وهزيمة لفريق. وكثيرا ما ينجم عن ألوان الصراع الرتيبة فى الحياة، - والتى تفتقر فى حد ذاتها إلى عناصر التقويم الصحفى - نماذج من النجاح المشرق، كما نجد فى المخترعات وأساليب العلاج الجديدة التى تصدر عن المعامل ولكنها مع ذلك من أمارات التقدم.

وكذلك القصص التى تحملنا على التساؤل عما سيحدث؛ تستثير اهتمامنا باستمرار كقصص: العمال الذين أطلق عليهم المنجم وقصص المغامرات والاستكشافات. وبدهى أن الحادث ذا القيمة الصحفية هو الحادث الذى ينشئ سلسلة متصلة من الأحداث تؤثر فى كثير من الناس، أو الحادث الذى من شأنه أن يتسبب فى مثل تلك السلسلة. أى أن يكون حادثا كثير العواقب والنتائج. ومن الأحداث ما تزيد عواقبه على غيره. فتفسح لها الصحف مجالا أرحب من غيرها وتفرد لها العناوانات الضخام، لأنها أحداث ذات قيمة إعلامية. فقد اصطلح على أن للعواقب جميعا قيمة إعلامية.

وفى بعض الأحيان يساق الجنس بوصفه قيمة خبرية. ويبدو. على هامش الكلام كما يقول جونسون وهاريس - أن للجنس مقدرة كبيرة وشهرة ذائعة فى تغيير الحالة القائمة وإلحاق الاضطراب بها. وقد رأينا منذ أعوام كيف أن زواج أميرة من أميرات البيت المالک فى مصر إذ ذاك. هى الأميرة (فتحية) أخت فاروق من شاب مسيحي هو رياض غالى. أتاح للجرائد المصرية أثنى الفرص للكتابة الصحفية، على نحو ما نجد فى "أخبار اليوم". وكذلك ملابسات حادث مصرع الأميرة "ديانا" و"دودى الفايد" فى باريس؛ وما أشيع عن شروعهما فى الزواج.

فالدلالة الإعلامية هى أساس الانتقاء من الكم الغفير من القصص والأحداث التى تصل إلى الصحف، حيث لا تتوفر المساحة لنشر كل ما يصل إليها، لذلك يتحتم على المحرر المسئول أن يتخذ قرارا فى اختيار ما ينشر ويحدد حجم المساحة المكانية المخصصة له، وأساس هذا الاختيار هو: الدلالة الخبرية، التى تشير إلى درجة أهمية كل حدث من الأحداث، ومدى الاهتمام الذى يستقبله به القارئ.

ويطبق هذا المقياس على الحدث نفسه، وعلى مدى تأثيره فى الزمان والمكان: فغرق أحد الأكواخ لا يعنى شيئاً إلا بالنسبة إلى سكان الكوخ، محلياً، أما الفيضان، الذى يغرق إقليمياً فى بلد ما، فينتقل صده حتى يبلغ أبعد البلدان؛ فتبادر إلى إرسال المساعدات لإنقاذ الباقين على قيد الحياة، بعد فقدان محاصيلهم.

ومع أن جوانب مقياس الدلالة متعددة؛ فالتحليل السريع يؤدي إلى ملاحظتها بنسبة تكفى لتقرير ما إذا كان يجدر بنا نشر الحدث أم لا، والمغزى الذى يجب أن ننوّه به من خلال هذا الحدث. ولكن فى بعض الأحيان يختفى مقياس المغزى ولا يظهر إلا بعد الفحص الدقيق. فعلى الصحفى أن يكون على استعداد دائم لمواجهة هذا الموقف. وقد لا يضطر سكرتير التحرير لمواجهة إلا مرة فى اليوم أوفى الأسبوع، أما المندوب فقد لا يواجهه إلا مرة فى السنة. ولكن فى موقف كهذا تظهر حقيقة الصحفى الذى يجلّ نفسه عن الخطأ جهده، ولا نقول إنه لا يخطئ أبداً. ولكن على الصحفى أن يتمتع بدقة ملاحظة خارقة. كما يقول الأستاذ "جايار" ليتخيل "المضاعفات الدولية التى ستنتج عن اغتيال أمير نمساوى، فى يوم ٢٨ حزيران عام ١٩١٤، فى مدينة بلقانية. وينتظر من الصحفى أن يكون قادراً على القيام باكتشاف كهذا وبمعنى معاكس، قد نعطى لحدث

ما مغزى ليس له؛ كأن نعتقد بأن مظاهره شعبية كبيرة ستغير وجه التاريخ؛ فى حين أنها ستنطفئ كإطفاء نار القش. والمخاطرة هنا أقل؛ لأن الحدث، فى هذه الحالة، له على الأقل مغزى مباشر وهو جدير بأن يكتب عنه، ولو كان شأنه عابراً.

ومعرفة مغزى الحدث، تتطلب من الصحفي ثقافة واسعة. فالمعرفة والتفكير النقدى سلاحان يجب أن يشحذا الحكم السريع. لأن الصحفي إذا لم يدرك مغزى الحدث قبل غد، أو قبل دقيقة من توقف المطبعة، يكون قد فاتته الوقت، ولا فائدة من الخبر، الأمر الذى لا يمكن التسامح فيه صحفياً.

سادساً: معيار الأهمية:

وينبغى قياس المادة الصحفية بحسب أهميتها النسبية، كما يحدث عندما يتزاحم خبران فى الجريدة على مساحة معينة متاحة فيها، كذلك ينبغى قياس الخبر حسب أهميته الذاتية الأصلية حتى يستطيع تقرير المساحة التى تفرد له والموضوع الذى يبرز فيه. وقد تقاس أهمية الخبر بوطأته "أى بمدى ما يحدث من تغيير واضطراب) وبسعته "أى عدد الأشخاص الذين يؤثر فيهم الخبر، كما أن ارتهان الخبر بقرب مكان وقوعه وبوقته، إذا أخذ على أنه وصف للقيمة الإعلامية، يفيد بوجه خاص لا فى قياس طبيعة الخبر بل فى قياس أهمية نشره فى جريدة معينة. وثمة قيمة إعلامية أخرى هى نتيجة الحادث أو عاقبته. وبهذه القيمة تقاس أهمية الخبر لا طبيعته الجوهرية.. ومع أن القيم الإعلامية لا تقرر فى حد ذاتها أهمية الخبر بل تقرر طبيعته ليس إلا؛ فإن المشهود أنه كلما زادت القيمة الإعلامية لحادث ما، زاد اهتمام الناس به، وزادت بالتالى أهميته.

وفى قراءة السيد "زيد" - مثلاً - للصحيفة يتضح أنه فى بعض الأحيان يكتفى بمطالعة العنوان فقط وهو عنوان يقوم عادة على ٥ أو ٦ كلمات تعطى تلخيصاً موجزاً لمحتوى الخبر. هذا العنوان فى الواقع له وظيفة هامة من حيث أنه قد يغرى القارئ بقراءة تفاصيل الخبر أو يدفعه إلى الانصراف إلى مطالعة خبر آخر. فالقارئ يتخذ قرارات فورية بأن يقرأ الخبر كله أو يكتفى بمقدمته. أولاً يقرؤه على الإطلاق وينصرف عنه إلى خبر آخر. فلم يكن يهم هذا القارئ أن يقرأ تفاصيل أو حتى مقدمة خبر إضراب

عمال المناجم فى جنوب أفريقيا، فى حين اكتفى من المثال الثانى بقراءة مقدمة الخبر، أما المثال الثالث فقد قرأه كله بنهم، ولم يكتف بما أوردته الصحيفة؛ لأن ظمأه لمعرفة المزيد من التفاصيل لم يكن قد ارتوى، وكان يتمنى لو أن الصحيفة استمرت فى سرد المزيد من التفاصيل.

ومعيار الأهمية يرتبط بالحدث نفسه؛ وبموقف الجمهور منه، هذا الجمهور الذى من أجله يعمل الصحفي، فإذا أهملنا هذا المقياس، تصدر جميع صحف العالم متماثلة فى الشكل والمحتوى.. وأول مظهر من مظاهر مقياس الأهمية، هو المصلحة المباشرة والموضوعية، أى اهتمام الجمهور بخبر يدعوه إلى التحرك؛ كإصلاح التشريع التجارى أو القوانين المدنية، أو التعبئة أو الإعلان عن مظاهرات. وفى جميع هذه الحالات تكون مصلحة الجمهور واضحة، عدا الحالات التى لا يمثل الخبر فيها إلا المصلحة الفكرية، حتى لا نقول إنه لا يبالى بها واقعياً.

وفى حال احترام الخبر مصلحة الجمهور يكون قد اتصف بالأهمية والحالية، وإليهما يجب أن نضيف الصفة الدرامية للواقعة. كمكانة الذين قاموا بها. وهى نتيجة عكسية لما نسميه المسافة السيكولوجية بين مكان الحدث وجمهور الخبر وهذه المسافة تتركز على قاعدة البعد الجغرافى؛ فحريق متجر فى بروكسل يهتم الجمهور الفرنسى أكثر مما يهتم حريق مخزن فى مانيل. ولكن هذه المسافة السيكولوجية تتأتى أيضاً عن معرفة الجمهور المثقف بمكان الحدث، وعن إلمامه بتاريخ بلد الحدث وآنيته. فجمهور جزيرة مدغشقر يهتم بانتصار رياضى فرنسى أكثر مما يهتم به الجمهور الإنجليزى لأن جمهور مدغشقر، نظراً لثقافته ولسياسة حكومته ولصداره الإعلامية، يتتبع بانتظام الأخبار الرياضية الفرنسية؛ وهذا ما لا يفعله المواطن الإنجليزى. كما أن الجمهور الكندى يهتم بالتغيير الوزارى فى الهند، إذ كان رئيس وزرائها يقوم بزيارة كندا، أكثر من اهتمامه بالتغيير نفسه لو حصل بعد شهر من الزيارة^(١).

ومن هنا فإن التزام الصحفي بمعرفة جمهوره معرفة كاملة، أمر جوهري، يساعده فى ذلك الاستطلاعات الدورية أو غير الدورية التى تقوم بها المؤسسات

(١) نفس المصدر ص ٤٠.

المتخصصة، كما تساعده رسائل القراء أو الاتصال الشخصي. وعلى الصحفي أن يتحرر من تقديره الخاص، وتقدير محيطه لأهمية الحدث، باستثناء الصحف الدورية التي يتوجه فيها التقنيون إلى التقنيين والذين تختلف مصالحهم عن مصلحة الجمهور.

وعند وقوع أى حدث، يطلب من الصحفي أن يضع نفسه مكان القارئ، أو المستمع، ويسأل السؤال المزدوج التالي: "هل يهتم جمهورى بهذا الحدث؟" وعند الإجابة بنعم، يستطرد فى البحث عن العناصر التي تهمه أكثر من غيرها؟ وهذا لا يعنى أن يهبط الصحفي ليقرن مستواه بمستوى القارئ، ناسيا دور الصحافة التثقيفى.

وإذا تساءلنا: لماذا نقرأ الأخبار فى الوقت الذى نستطيع فيه أن نستبدل ذلك بشئ آخر؟ فإننا نجد أن السيد "زيد" - كنموذج للقارئ - يخصص جانبا من وقته لقراءة صحيفته الصباحية وللإستماع إلى نشرات الأخبار فى الراديو لأنه يشعر بأن ذلك يعطيه نوعا من المكافأة النفسية. ولكنه من أجل الحصول على هذه المكافأة ينفق قدرا من الجهد وقدرا من المال، فهو يدفع خمسين قرشا يوميا لشراء صحيفته، كما يتحتم عليه أن يقطع مسافة معينة على قدميه للحصول عليها، ومن ناحية أخرى فهو - يخصص جانبا من وقته لقراءة صحيفته على حساب بدائل أخرى يمكن أن تدخل إلى نفسه قدرا اكبر من السرور، مثل مشاهدة البرامج التلفزيونية الخفيفة أو الجلوس على المقهى أو زيارة الأصدقاء أو الأقارب، كما أن القارئ "زيد" يحتاج إلى راديو ترانزستور وإلى أن يتابع نشرات الأخبار فى مواعيدها المعلومة، ويقتضى ذلك منه تنظيم وقته ليتمكن من تلبية هذه الاحتياجات جميعا.

لذلك فإن اتجاه القارئ "زيد" أو "عمرو"؛ لقراءة صحيفته أو للإستماع إلى نشرة الأخبار إنما يتحدد بما يُسمى: **عنصر الانتقاء Fraction of Selection** يقول ويلبور شرام:

"نستطيع أن تزيد من قيمة عنصر الانتقاء من خلال التقييم لمدى الفائدة المرجوة التي تعود عليك من قراءة الصحيفة أو من الاستماع إلى نشرة الأخبار، ومن مدى الجهد الذى يتطلبه ذلك بالقياس إلى وسائل الاتصال الأخرى. من هنا يأتى دور المحرر الصحفي فهو يستطيع أن يقوم بدور معين لزيادة قيمة عنصر الانتقاء هذا لدى القراء، بمعنى أن يضمن أن المزيد من القراء سيقبلون على قراءة خبر أو موضوع صحفى يستمرون فى قراءته حتى النهاية.

على سبيل المثال يستطيع المحرر أن يزيد من العائد الذى يحصل عليه القارئ عن طريق تدعيم الأخبار ذات الصبغة العامة بأسماء شخصيات معروفة أو مشهورة مثل أسماء رؤساء الجمهوريات والشخصيات العامة ورجال الأعمال وكبار الأدباء والفنانين والفنانات وما إلى ذلك.

كذلك فإن الاهتمام بقراءة القصة الخبرية يزداد بتقديم جوانب من الحياة الشخصية والملاحم الإنسانية للأشخاص الذين ترد اسمائهم فى القصة. وتهتم الصحف الآن بنشر المزيد من هذه المادة والملاحم الشخصية أكثر مما كانت عليه الصحف فى الماضى، وخصوصا فى مجال الأخبار الرياضية لأن الكثيرين من القراء يكونون قد شاهدوا المباراة الرياضية سواء فى الملعب أو عن طريق التليفزيون قبل أن يقرءوا عنها فى الصحف.

وتسرد الصحف أيضا المزيد من المعلومات عن الشخصيات التى تتضمنها الأخبار الرسمية كأخبار الحكومة أو السياسة الدولية. ومن جهة أخرى فإن المحرر يستطيع القيام بدور؛ للإقلال من كمية الجهد المطلوب من القارئ. فمثلا تستطيع الصحف أن تبرز فى صفحتها الأولى إشارات أو تلخيصات عبارة عن سطرين يتضمنان العناوين أو بضعة أسطر تتضمن لبّ الخبر أو الموضوع الصحفى؛ مع إحالة إلى قراءة التفاصيل فى صفحة من الصفحات الداخلية. لأن بعض القراء فى هذه الحالة قد يهتمون بقراءة فقرتين فقط؛ وهنا يجدون الكفاية فى الإشارة المنشورة بالصفحة الأولى. أما إذا كانوا أكثر اهتماما فيمكنهم قراءة المزيد من التفاصيل فى الصفحات الداخلية. وفى ذلك تقليل لجهد القارئ^(١).

ويقصد "شرام" بالجهد الأقل ما يتضمنه الاصطلاح من معنى: وهو أن القارئ أو المشاهد أو المستمع يتخذ أقل الطرق مقاومة فى سبيل اختياره لما يعرضه الاعلام. وقد ألف "جورج زيف" الأستاذ بجامعة هارفارد كتابا يثبت فيه ما أسماه "مبدأ أقل الجهد" ومبدأ زيف. بتعبير بسيط. هو أنه عندما يقوم الشخص بحل مشكلاته المباشرة، ينظر إليها من خلال ما يعتقد أنها مشكلاته المستقبلية. وهو يحاول أن يقلل

(1) Shramm: The press and Effects of Mass Communication p. 19.

من العمل الذى يجب أن يعمل له لى يحل مشكلاته المباشرة ومشكلاته المستقبلية، ويعتقد زبيف أن مبدأ أقل الجهد أساسى لكل سلوك إنسانى. ويرى "شرام" فى السلوك الاتصالى بضعة عوامل تؤدي إلى بذل أقل جهد:

والتوافر: هو أحد هذه العوامل. فعندما تتساوى كافة الظروف الأخرى يقوم المرء باستخدام وسيلة الإعلام التى تتوافر له. بحيث تصبح فى متناول يده، فالأسرة تكون أكثر ميلا لمشاهدة التلفزيون فى غرفة معيشتها الخاصة عن اخراج السيارة من "الجراج" وقيادتها إلى دار السينما، والبحث عن مكان لإيواء السيارات وشراء التذاكر ثم مشاهدة الفيلم، وسوف تفضل تلك الأسرة نفسها برنامجا واضح الصورة بطبيعة الحال، على برنامج صورته مهزوزة أو باهتة. وبالإضافة إلى ذلك، فإن بعض أفراد الأسرة لا يهتمون اهتماما خاصا بالفيلم المعروض على الشاشة. وإنما يشاهدونه، لأن فى مشاهدته جهدا أقل من مغادرة الحجرة.

والزمن عامل آخر يتصل بمبدأ أقل الجهد، فوقت الفراغ يأتى فى فترات مختلفة بالنسبة لمختلف الأشخاص.. فبعض الناس يجد أن الترام مكان مناسب لقراءة الصحف، والبعض الآخر يرى فى ركوب السيارة من العمل وإليه وقتا مناسباً للاستماع إلى الراديو. كما أن ساعات النهار التى تكون الأسرة فيها خارج البيت وقت مناسب للكثير من ربات البيوت كى يستمعن إلى الراديو أو يشاهدن التلفزيون. ويعتبر جهاز التلفزيون جليسا إلكترونيا بالنسبة لكثير من الأسر، فى الفترة التى تسبق وجبة العشاء.

ويذهب إلى أن الأدوار الاجتماعية، والعادات، والتقاليد، يمكن أن تؤثر أيضا فى اختيار وسائل الإعلام، لأن الاستمرار فى أنماط السلوك الاجتماعى، كما أن اختيار مواد الإعلام ليس، فى الحقيقة سوى مجرد فعل اجتماعى معتاد. ويفسر "شرام" الفائدة المرجوة بأن الشخص يتخير من وسائل الإعلام المتاحة له، ما يعتقد أنه سوف يعود عليه بأكبر فائدة.. ويصنف الفوائد إلى نوعين كبيرين: فوائد عاجلة وفوائد آجلة، وقد يخفف المضمون الذى يعطى فوائده فورا من التوتر، أو يساعد على حل المشاكل، وهو يشتمل عادة على القصص المتصلة بالحوادث والفساد والجريمة والكوارث وشئون المجتمع والرياضة، وكلها تعطى إثارة تخيلية، دون التعرض لضغط المشاركة الفعلية. أما المضمون الذى يؤتى ثماره فى المستقبل، فقد يعد بمعلومات نافعة من أجل الفعالية

الاجتماعية، وهو قد يزيد من التوتر، بدلا من تخفيفه ولكنه يعد المرء باشباع حاجاته. وحل مشكلاته. وقد يشتمل ذلك على مواد حول الشؤون الاقتصادية والمسائل العامة والمشكلات الصحية والاجتماعية.

الصدق الإعلامى ومبدأ الإنصاف:

عجب الأستاذ الزيات رحمه الله، فى "الرسالة" منذ أكثر من خمسين عاما، لابن آدم "المخلوق الوحيد الذى يرى الشئ الواحد بعينه الاثنتين أبيض تارة وأسود تارة أخرى على حسب الصبغ الذى يلونه به الهوى. وضرب لذلك أمثلة شتى، منها أن "راديو بارى" أذاع آنذاك، أن فريقا من الطلاب الهنود تظاهروا فى "بمباى" فاعترضتهم فئة من الشرطة الإنجليز ففترقوا فى شوارع المدينة بعد أن أصيب نفر منهم بجروح، ثم عقب المذيع على هذا الخبر بأن الاعتداء على المتظاهرين بالضرب ينافى المدنية، ويجافى الخلق، ويصم الذين ارتكبوه بالقسوة الوحشية والبربرية الأثيمة، ثم أعلن المذيع فى هذه الإذاعة نفسها أن مليوناً من جنود المحور قد اقتحموا بالدبابات الثقيلة والطائرات المنقضة والسيارات المدرعة منازل ستالينجراد على الروس وفيهم النساء والأطفال والشيوخ والمرضى، فدكوا كل بناء وسحقوا كل حى، وركموا أشلاء القتلى فى الحجرات والطرقات على صورة لم يرها الرءون ولم يروها الراوون، ثم أخذ هذا البوق البشرى يهذى بفضل هذا النصر على المدينة، وينوه بعظيم أثره فى مستقبل الإنسانية". ويمكننا اليوم، أن تضيف آلاف الأمثلة فى هذا المعنى، مما نسمع ونقرأ ونؤكد شقاء الإنسانية بين العقل والهوى.. وإنه - على حد تعبير الأستاذ العقاد رحمه الله^(١). لشقاء باق لن يزول أبدا - ولن يزال الهوى يرينا الشئ شيئين واللون لونين ما دمنا نحس ونرى، وقد

أعبى الهوى كل ذى عقل فلست ترى

إلا صحيحا له حالات مجنون

وهذا نقص لا ريب فيه .. نتلمسه فيما نسمع وفيما نقرأ. فى الإذاعات وفى الصحف، وفى صور الحياة اليومية التى لا يخطئها من يرقبها: "فهل هو نقص لا يوازنه جانب الجمال؟ وهل هى آفة لا عزاء فيها لبنى آدم؟ وهل نغير ما طبعنا عليه من هذه

(١) عصر العقاد؛ صفحات مطوية فى تاريخ الصحافة المصرية؛ بالقاهرة؛ مؤسسة مختار.

الخليقة بما طبعت عليه سائر المخلوقات من توافق وتشابه حالات؟". إننا لا نستطيع للأسف لأن الإنسان - كما يقول العقاد^(١) - لا ينقص إلا من حيث يزيد، فهو يعرف الخطأ لأنه يعرف الصواب ويختل في هندسته من حيث يتقن النحل هندسته كل الإتقان، لأنه أعلم بالهندسة من النحل؛ لا لأنه أجهل منه بفنونها وأنواعها.. فهو يشتري الخطأ بثمن؛ لأنه لا يشتري الصواب إلا مخلوطا به مضافا إليه.. نحن نرى الشيء أشياء لأننا نرى.. كان العقاد يقول لبعضهم والألمان يدخلون باريس: إنهم سيهزمون وكان يقول بعضهم والألمان يتقدمون في الأراضي الروسية إنهم سينهزمون. فكانوا يقولون: ولكننا نرى أنهم سينتصرون لأنهم منتصرون.. فيقول لهم: ما هذا برأى.. هذا لمس بالعين هذا ما تبصرونه كما تبصره كل عين حيوانية تفتح أجفانها، وإنما الرأى غير هذا الرأى ما يبصر بالانهزام وأنت تنظر إلى النصر الملموس فإن لم يفدنا الرأى هذه الفائدة فلا خير فيه.. وهكذا يبصر الإنسان وجوه الرأى لأنه لا يرى الشيء على حالة واحدة ولا يستوفيه كله في صورة حاضرة.. يقولون في الصعيد: إن نواتيا سمع مضغا قويا في مخزن الخبز الجاف من سفينته فأشفق من نفاد المؤونة في الطريق وصاح مغضبا: من الذى يقضم فى الخبز قضم الحمار؟ فقل له: ابنك حسن؟

قال: اسم الله عليه! هو الذى يقرش هكذا قرش الغوير؟.

والرجل قد صدق بعض الصدق فيما سمع من قضم حمار ومن قرش غوير، فإن أكل ابنه من الخبز يسره ولا يؤذيه. وإن انطلق الغريب عليه يؤذيه ولا يسره، ويبقى أن يسمع المسافر الذى لا يسمع حمارا ولا غويرا ولكنه يسمع الصوتين على حسب ما عنده من الزاد^(١).

ولا تختلف هذه الصورة كثيرا عن صورة الصحف، حين لا تتحرى الصدق والدقة والإنصاف فى جمع الأخبار وتحريرها وعرضها عرضا موضوعيا، وحين تعتمد على الشائعات، وتخلط الخبر بالرأى. إن على وسائل الإعلام انتقاء الجدير من الأخبار بالنش، فى إطار مبدأ الأنصاف.

والصدق الإعلامى ومبدأ الإنصاف يقتضيان نقل الخبر نقلا صحيحا وتسجيل المعلومات المتصلة به تسجيلا صحيحا كذلك. وغنى عن البيان أن الخبر أساس تصرفات الحكومات، والأفراد والهيئات، والشعوب، فضلا عن أنه من أهم مصادر التاريخ فى نهاية الأمر، وفى ذلك إلزام لوسائل الإعلام بتحري الصدق والدقة فى الحصول على الأخبار من مصادرها الموثوق بها ثم المحافظة على سرية هذه المصادر متى رأى أصحابها ذلك، ثم الأمانة الكاملة فى نقل الخبر ذاته. ومعنى ذلك كما يقول الدكتور عبداللطيف حمزة رحمه الله . أنه ينبغى على الصحف حرصا منها على ما يسمى بالسبق الصحفى ألا تستهين بهذه الأمانة أو تعبت بسرية الأخبار. وينبغى أن نحذر فى وسائل الإعلام ، الشائعات التى تلبس ثوبا محترفا من التكرار بحيث تبدو كالمعلومات وذلك من أجل جعل الخبر يبدو أكثر تماسكا مما هو عليه بالفعل. وإذا ما سمع الشخص المعلومات المزعومة بوعى فإنه سيكتشف ضعفها الشديد فى حالات كثيرة. وهكذا فإن الواقع يثبت أن الصحف لم تكسب شيئا بالفعل من جراء الباس الشائعة ثوبا يجعلها صالحة للنشر؛ فليس هنالك من صحيفة تحترم نفسها تذيب الشائعة وهى تعلم أنها مجرد شائعة، ويجب أن تقتصر المعلومات الإخبارية على مواد يكون لديها من الأسباب القوية ما يجعلها تؤمن بصدقها، فى إطار من مبدأ : الصدق الإعلامى والإنصاف.

ويعنى هذا المبدأ الإعلامى، أن وسائل الإعلام مسئولة عما تذيب أمام السامعين وجمهور القراء، حيث لا يتحدث الإعلاميون بأسمائهم الخاصة، وإنما يتحدثون باسم هيئة قومية، الأمر الذى يفرض أداء وظيفة الإعلام ، على النحو الذى لا يخل بمتطلبات الموضوعية والدالة وثقة السامعين.

الصدق الإعلامى بين خدام وخرافة:

فالخبر فى وسائل الإعلام، له قدسيته بمعنى أن تكون للحوادث فور وقوعها قدسية خاصة، وأن تعامل معاملة الحقائق التى لا تقبل التحوير والتزييف والتلوين والتغيير والتبديل، والإعلاميون أحرار بعد ذلك فى تفسير هذه الحقائق بما يتفق مع السياسة التى يرونها أو الهدف الذى يسعون إليه، ولكن فى أماكن أخرى، غير مكان الأخبار، ذلك أن أهمية الصدق الإعلامى فى الأخبار، لا يختلف عليها اثنان فى القديم والحديث، نتيجة لما جربته الإنسانية من عواقب الصدق وعواقب الكذب.

فوسائل الإعلام . يمكن أن تقابل لفظ "السفير" في القول العربي المأثور: "إذا كذب السفير بطل التدبير" والسفير هو الرسول المصلح بين القوم أى إذا لم يصدق فى البلاغ والإعلام بطل السعى، ويقال إن رئيس الولايات المتحدة الأسبق الرئيس روزفلت، عندما أعلنت أمريكا الحرب على ألمانيا وحلفائها؛ أوصى أهل الدعاية ألا يقولوا عن العدو غير الصدق، وهو فى ذلك كان يرى أن الصدق أحسن آخر الأمر عاقبة، والإنجليز أقرب إلى هذا رأى. ولكن وقائع الحياة فى سلمها وحربها، كثيرا ما تكون أقوى من أن يثبت رجل عند نصيحة أو يصمد عند رأى، والمسألة عند الاثنين - كما يذهب إلى ذلك الدكتور أحمد زكى^(١) - "من أميركان وإنجليز، لم تكن ولن تكون مسألة أخلاق، ولكن مسألة منفعة". وهى أن يكسبوا ثقة سامعيهم من أهل الأرض، وهى فى السياسة أمر عظيم، وهى فى الإعلام أوجب لأنها تقوم فى وظائفها على أساس من الحقيقة التاريخية والأخلاقية.

ونجد فى أقوالنا العربية: لا يكذب الرائد أهله، أى الذى يرسله القوم فى التماس النجعة، وهى الذهاب لطلاب الكلا فى مواضعه.. وإذا كان "ماكلوهان" يذهب إلى أن وسائل الإعلام توسع من حواس الإنسان، وأنها تعمل كامتداد له، فإننا نجد أنها ليست كذلك فحسب، ولكنها تقوم فى معنوياتها ووظائفها على أساس من الامتداد المعنوى والوظيفى فى تاريخ الإنسانية، ويتضح ذلك من تراثنا الميثولوجى، فوسائل الإعلام - كالرائد لا تكذب أهلها، ولكنها كذلك تقوم بدور "حذام" زرقاء اليمامة المشهورة، حينما تتوخى الصدق الإعلامى، وتقوم بدور "خرافة" حين تتوخى الكذب الدعائى، "وحذام" هى التى زعم أنها كانت تبصر على مسافة ثلاثة أيام، وذكرها عنها أن حسان بن تبع الحميرى أغار على قومها بنى جديس وأراد أن يفاجئهم من حيث لا يعلمون فحمل أشجارا فى وجه جيشه لئلا تبصرهم الزرقاء فتندرقومها، وكان "الخبر" فد نعى إلى جديس فصعدت الزرقاء إلى رأس حصن لهم ورأت الأشجار تسعى فقالت:

أقسم بالله لقد دبّ الشجر أو حميرُ قد أخذت شيئا يُجرُ

فلم يصدقوها حتى طرقتهم حسان وفتك بهم فقيل البيت المشهور:

(١) مجلة العربى ١٠٩٤ . ديسمبر ١٩٦٧ .

إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام

ودور "حذام" هذا في الإعلام هو ما تؤكد الدراسات الحديثة، وتقارير اللجان المعنية بدراسة أثر وسائل الإعلام في المجتمع، ونذكر منها ما ذهبت إليه لجنة حرية الصحافة من أن أولى وظائف هذه الوسائل في المجتمع المعاصر هي إعطاء "تقرير صادق وشامل وذكي عن الأحداث اليومية في سياق يعطى لها معنى، ويجب أن تكون وسائل الإعلام دقيقة، تميز بين الوقائع والآراء وتفصل بينهما ما استطاعت إلى ذلك سبيلا. وتقول اللجنة إنه في المجتمعات البسيطة يستطيع الناس غالبا أن يقارنوا تقريراً ما عن الوقائع، بغيره من مصادر المعلومات ولكنهم اليوم لا يفعلون ذلك إلا بالقدر المحدود. ومن ثم فإنه لم يعد كافياً أن تروى الواقعة بصدق - كتقرير دقيق عن بيان أصدره سياسى مثلاً. فمن الضروري حالياً ذكر الحقائق حول هذه الواقعة - فنفترض مثلاً دوافع السياسى ومصالحه والموقف السياسى الذى أصدر فيه البيان".

إن مشكلات الغد لن تكون هي مشكلات اليوم، ولكن وسيلة الإعلاميين لمنع تداعى المجتمع هي دائما القيام بدور "حذام" العربية، التى ينبغى لها أن "تصدق" أهلها فى تغطية الأخبار ذات الدلالة. وإذا أخفق الإعلام فى ذلك فإنه سيتحمل قسطه من المسؤولية عن أية مأساة تحدث، كما فعل الإعلام المصرى عام ١٩٦٧ حين أدى بجماهيره إلى حالة من "الذهول" لأن وسائل الإعلام لم تقم بدور "حذام" التى "تقول" فتصدق، وإنما بدور مناقض لهذا الدور ونعنى به دور "خرافة" الذى تشير إليه أساطيرنا، من أن رجلاً من بنى عذرة أو من بنى جهينة يقال له خرافة اختطفته الجن ثم رجع إلى قومه فكان يحدث بأحاديث مما رأى يعجب الناس منها فكذبوه، ثم صاروا يسمون كل حديث كاذب "حديث خرافة". ومن أحاديث خرافة، فى وسائل الإعلام، يبين ما يسمونه بالكذب المباح، أو الكذب "الملون" إلى آخر تسمياتهم، فى تبرير التغيرير بالشعوب، كما كذب الحلفاء (الإنجليز ومن معهم) على رجال المحور (الألمان ومن معهم) بمثل ما كذب رجال المحور على الحلفاء. وتنتهى الحرب ونعلم أنها كان فرية حرب أذيعت لغاية! والألمان سمعوا بأن جماعة الإسكتلنديين نازلون إلى الميدان. وهم رجال يلبسون أشباهاً مما تلبس النساء جيبات أو اسكرتات Skirts فزعم أهل الدعاية الألمان لجندهم أن هذا إنما كان للين فيهم يشبه أنوثة النساء، فلما التقوا بهم خاب ظنهم فيهم فقد أعطى الاسكتلنديون الألمان درسا قاسياً فى قسوة القتال ذكروه طويلاً.

وحين تتحرى الصحف الحقيقة فإنها تغدو من "الوسائل" التي يوثق بخبرها، ولا يقدح في صدقها، وتتجافى عن القول الزور، كما نتعلم من لغتنا العربية، التي لا تغدو فيها هذه التأكيدات من باب المترادف، وإنما لإحساس أهلها بقيمة الصدق الإعلامي، وهذا هو المقصود بأن وسائل الإعلام تقوم بدور "حذام" العربية، حين لا تكذب أهلها.

على أن الكذب - حديث خرافة - لا نقول مأذون به في الدعاية ولكنه أمر واقع أو كما يقول الدكتور أحمد زكي . فإن الذي يمارسه كمن يمارس خلط طعام بسم، وهو قد يصنع الدعاية لأهله، فهو إن زاد قتل، وكان المقتول من أهله. والصدق لا يتجزأ كما أن الكذب لا يتجزأ وإن اتخذ ألوانا زاهية أو غير زاهية، فهناك صدق إعلامي وكذب دعائي، والكذب الدعائي قد يتوسل بالحذف في الخبر وقد يكون أخطر ما فيه. وتسأل الداعي فيقسم لك بالله إنه لم يقل إلا صدقا؛ وقد صدق. ولكن أكثر الأمم تحاول أن يكون ما في دعايتها من الصدق أكثر كثيرا مما فيها من تحوير وتزوير، وذلك إبقاء على قيمة الدعاية وقيمة مصدرها، وأن يبقى له احترامه، فقد تسوء الدعاية بالبعد عن الواقع، ولا سيما في الدعايات الداخلية حتى يصبح في الأمة من يقول: "لا يا أخى، هذا كلام جرائد، أو هذه كذا وكذا، والخير لك أن تنصت لإذاعة كذا ففيها الخبر اليقين.

وفى نظرية الإعلام المستفادة من الدعوة الإسلامية، يأمرنا الله - عز وجل - باستعمال الحق والصدق، ووصف نفسه بهما: فقال: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ ١٢٤/النساء. وحدثنا ﴿فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ﴾ ٣٢/يونس وقال: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ ٣٣/الزمر. و ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ ٨١/الإسراء.

ويذهب ابن وهب^(١) - إلى أنه " لو لم يكن في شرف الحق والصدق إلا أن جميع الأمم على كثرتها واختلاف طبائعها وهممها تمدحهما وسائر الناس إنما يقصدون بقولهم وفعلهم إصابتهم، فلا ترى أحدا إلا وهو يريد أن يصدق في قوله، وأن يصيب الحق في اعتقاده وفعله، حتى أن الكاذب إنما يكذب ليُصدق على كذبه، فطلب الصدق قصده ونيله وبغيته، والمبطل إنما يقصد الحق فيخطئ في الوصول إليه وطلب الحق قصده، وإن

(١) البرهان في وجوه البيان ص ٢٢٦ وما بعدها .

كان من الموهين على الناس فإنما يزخرف لهم باطله حتى يقيمه مقام الحق الذي يقبل ويعمل به. وكفى بهذا فضيلة للحق والصدق ولن عرف بهما ونسب إليهما، فإن الصادق المحق عظيم المنزلة عند الله . عز وجل وعند خلقه، والكاذب المبطل ساقط المحل عند الله - عز وجل - وعند خلقه فالعاقل حري بلزوم شرف المنزلتين وطلب أعلى الدرجتين - إن شاء الله.

"ولما علم الله . سبحانه . أن الباطل والكذب قرينان مع طبائع كثير من عباده ، ملائمان لشهواتهم، مطابقان لمداراتهم، وكان طول استماع الكذب ومعاشرة أهله مخوفين على أخلاق الناس، خليقين بأن يصيرا عادة لهم على طول الملبسة، نهى الله . سبحانه . عن القعود مع المبطلين، كما نهى عن الخوض في الباطل وذنم مستمعي الكذب كما ذم الكاذبين، فقال عز وجل: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ ﴾ ١٤٠ النساء، وقال في ذم قوم: ﴿ سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّخْتِ ﴾ ٤٢/ المائدة.

وقال الشاعر:

فسامع القول كمن قاله ومطعم المأكول كالأكل

وإنما أمر الله - عز وجل - كما نصح الحكماء بذلك؛ لما قدمناه من الاحتياط على الناس لئلا يصير ذلك عادة لهم، ولأن استماع الكذب والصبر على معاشرة المبطلين على باطلهم رضى بذلك، ومن رضى بالباطل فهو مبطل، ومن قنع بالكذب فهو كاذب، ويهرب من استماع كذبه وباطلهم ما أمكنه ذلك، فإن اضطرت ثقتة إلى حضور ذلك أو استماعه؛ صدف عنه ولم يرعه سمعه وكان كالعائب عنه، فإن ذلك أولى به في اصطلاح أخلاقه وتأديب نفسه.

ويرتبط بمبدأ الصدق الإعلامي ما تسميه البلاغة العربية: بالحديث النافع، والنافع من الحديث ما كانت عواقب القول فيه والاستماع له والعمل عليه مفضية بسامعه إلى نفع عاجل أو آجل، والضرار ضد ذلك. فمن النافع طلب الحوائج ومنه الشكر للمنع، ومنه حفظ السر، ومنه معاقبة المذنب، ومنه التنصل من الذنب، ومنه السؤال ومنه الأخذ بشهود الحديث في حكايته". وتأسيسا على هذا الفهم يذهب العلماء إلى

تحديد آداب مهنة التحرير وصفات الكاتب. ومن ذلك ما ذكر القلقشندي من أن الكتابة صناعة روحية لا تتم إلا بآلة مادية لتدل على معنى من المعاني امتلأ به ذهن الكاتب. والمقصود بالروحانية: الألفاظ التي يتخيلها الكاتب في وهمه، ويضم بعضها إلى بعض في ذهنه ليؤلف منها صورة باطنة تقوم في نفسه. والمقصود بالمادية هو الخط الذي يخطه الكاتب بقلمه، ويعيد به الصورة القائمة في ذهنه حتى تصبح صورة محسوسة ظاهرة بعد أن كانت صورة باطنة.

ويتحدث القلقشندي عن صفات خاصة في الكاتب أو المحرر، عد من هذه الصفات عشرة هي:

صفة الإسلام، وصفة الذكورة، وصفة الحرية، وصفة التكليف، وصفة الاستقامة، وصفة البلاغة، وصفة العقل، وصفة الهمة، وشرف النفس، وصفة العلم، وصفة الكفاءة؛ لأن غير الكفاء من الرجال يضر بالمملكة ويوهن قوى الدولة.

هذا كله فضلا عن صفات أخرى، منها أن يكون الكاتب قوى النفس حاضر البديهة، جيد الحدس، حلو اللسان، جرى الجنان، ظاهر الأمانة عظيم النزاهة، كريم الخلق، مأمون الغائلة، مؤدب الخدم، مليح الزى عطر الرائحة، تظهر عليه النعمة، ويصدق فيه وفي إخوانه قول الشاعر:

وشمول كأنما اعتصروها من معاني شمائل الكتاب

وفيفض القلقشندي في موسوعته "صبح الأعشى في صناعة الإنشا" في ذكر آداب الكتابة والتحرير، فيرى أنها على ضربين:

الأول - حسن السيرة، بمعنى أن يتمتع الكتاب والمحررون بمجموعة من الأخلاق الكريمة وعلى رأسها تقوى الله في السر والعلن، وقصد الآخرة في كل ما يصدر عن الكاتب من رأى وعمل، ثم البعد عن مواطن الشبهات والريب، ولزوم العفة في كل ما يتصل بالدولة من أشغال ومهام، والاعتدال في طلب اللذة والاكتفاء منها بما يقيم المروءة، وذلك بالطرق المحمود لا الطرق المذمومة، فإن هذه الأخيرة لا تناسب قدر الكاتب ومنزلته من السلطان أو منزلته من الرعية.. ومن هنا أوجب القلقشندي على الكاتب أن يتحلى بصفة الإخلاص، وصفة النصيحة، لأن السلطان ائتمنه على نفسه ومملكه، فلا

ينبغي أن يستر عنه دقيقا ولا جليلا من أحوال الرعية ومنها: كتمان السر، وصفة الشكر، وصفة الوفاء، وحسن اختيار الوقت الذي يصلح للعرض أو الطلب، وحسن الوساطة، فيقول ما معناه: "ينبغي للكاتب أن يتوسط لمرؤسيه عند أميرهم أو سلطانهم، وعليه أن يتجنب القدح في أكفائه ونظرائه ليكون ذلك داعيا إلى محبته والثوق به وإمساك الألسنة عن الطعن فيه.

الثاني - حسن المعاشرة - يقول القلقشندي إنها على خمسة أضرب وهي: معاشرة الملوك والعظماء - معاشرة الأكفاء والنظراء - معاشرة الأتباع والمرءوسين - معاشرة الرعية على وجه العموم - معاشرة من يمت للكاتب بصلة أو بحرمة مهما كان نوعها.

وربما من أجل ذلك كله تذهب البلاغة العربية إلى تقسيم الخبر إلى قسمين، يقين وتصديق^(١) فاليقين ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

"أحدها خبر الاستفاضة والتواتر: الذي يأتي على ألسن الجماعة المتباينة همم وآراؤهم وبلدانهم، ولا يجوز أن يتلاقوا فيه ويتواطأوا عليه. فذلك يقين يلزم العقل الإقرار بصحته. وبهذا النوع من الأخبار ألزما الله . عز وجل . حجج الأنبياء . عليهم السلام . ونحن لم نشاهد ولم نر آياتهم ولم نسمع احتجاجهم على قولهم، وذلك من تسخير الله . عز وجل . الناس حتى تقوم الحجة ، وإلا فكل أحد من الناس يجوز عليه الصدق والكذب، فإذا تواترت أخبارهم كان ذلك حقا لما قدمنا، وليس التواتر فعلهم فيجوز أن يفعلوا ضده وإنما هو شاهد لصدقهم، ودليل عليه والدليل غير المدلول عليه، فقولهم محتمل للصدق والكذب، لأنه فعلهم وهم مكنون مختارون. والتواتر والاستفاضة معنى آخر ليس من فعلهم ولا اختيارهم، وهو دليل الصدق إن وجد. وليس هذا في أخبار العدول (المزكون المقبولو الشهادة) دون الفساق (أى الذين لا تقبل شهادتهم لعصيانهم وخروجهم عن طريق الحق)، ولا المؤمنين دون الكفار لكنه في أخبار الجماعة كلها، ولو كان لا يقبل من التواتر إلا ما أتى به أهل الإيمان لم يكن لأحد من المخالفين علوم ينقلونها، ولا أخبار يرثونها".

"والثاني - خبر الرسل - عليهم السلام - ومن جرى مجراهم من الأئمة الذين قد قامت البراهين والحجج من العقل عند ذوى العقول على صدقهم وعصمتهم وظهور

(١) ابن وهب : البرهان في وجوه البيان ص ٨٨ وما بعدها .

المعجزات التي لا يجوز أن تكون بنوع من الحيل، وليس في طبع البشر الإتيان بمثلها على أيديهم، فدلّت من ليس علم المعقولات والتمييز بين المتشابهات من شأنه، على أن هذه الأشياء إنما أجريت على أيديهم ليعلم أنهم عن الله - عز وجل - نطقوا، وعليه في أخبارهم عنه قد صدقوا، فتعم الحجة الغافل والجاهل والمميز والعاقل، فلا تكون للناس على الله حجة بعد الرسل".

والثالث: ما تواترت به أخبار الخاصة به مما لم تشهده العامة، فإن تواترهم في ذلك نظير تواتر العامة وقد بين الله - تعالى لزوم ذلك ووجوب التصديق به فقال: ﴿أُولَئِكَ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ١٩٧ الشعراء. فجعل علم العلماء وهم الخاصة، به حجة على العامة.

وأما خبر التصديق فهو الذي يأتي به الرجل والرجلان والأكثر فيما لا يوصل إلى معرفته من القياس والتواتر، ولا أخبار المعصومين، ولا يعلم إلا من جهة الأحاد، وذلك مثل الفتيا في حوادث الدين التي ابتلى بها قوم دون آخرين فسألوا عنها فخبروا بالواجب فيها، فنقلوا ذلك ولم يعرفه غيرهم، وليس يقع ذلك في أصول الدين التي يتساوى الناس فيها وفي فرضها، والناس محتاجون إلى الأخذ في معاملاتهم ومتاجراتهم ومكاتباتهم، فإن ذلك أجمع مما لا يقوم البرهان على صدق المخبر به من عقل ولا تواتر ولا خبر معصوم، وإنما يعمل في جميعه على خبر من حسن الظن به، ولم يعرف بفسق ولم يظهر منه كذب".

الإعلام وعلم تحييص الخبر:

وفي النظرية الإعلامية تيين لنا قيمة الصدق الإعلامي؛ حين ننظر في تقويم الخبر، والإنصاف في روايته.. ويقول ابن وهب أيضا ^(١). إن الأشياء إذا بينت بذواتها للعقول، وترجمت معانيها وبواطنها للقلوب، صار إما ينكشف للمتبين من حقيقتها معرفة وعلمًا مركوزين في نفسه. وهذا البيان على ثلاثة أضرب:

- فمنه حق لا شبهة فيه، ومنه علم مشتبّه يحتاج إلى تقويته بالاحتجاج فيه، ومنه باطل لا شك فيه.

(١) نفس المرجع ١٠١ وما بعدها.

"فأما الحق الذي لا شبهة فيه فهو علم اليقين، واليقين ما ظهر من مقدمات قطعية؛ كظهور الحرارة للمتطبب عند توقد اللون، وسرعة النبض؛ أو عن مقدمات ظاهرة في العقل كظهور تساوى الأشياء إذا كانت مساوية لشيء واحد، وكظهور زيادة الكل على الجزء. أو عن مقدمات خلقية مسلمة بين جميع الناس كظهور قبح الظلم، وكل خبر أتى على التواتر من العامة، أو التواتر من الخاصة، أو سمع من الأنبياء والأئمة وكل هذا يوجب العلم، ومن شك في شيء منه كان آثماً.

"وأما المشتبه الذي يحتاج إلى التثبت فيه، وإقامة الحجة على صحته، فكل نتيجة ظهرت من مقدمات غير قطعية ولا ظاهرة للعقل بأنفسها ولا مسلمة عند جميع الناس، بل تكون مسلمة عند أكثرهم، أو يظهر للعقل تفسيرها وتغير الفحص عنها والاستدلال عليها. وأما الباطل الذي لا شبهة فيه، فما ظهر من مقدمات كاذبة مخالفة للطبيعة مضادة للعقل، أو جاء في أخبار الكاذبين الذين يخبرون بالمحال وما يخالف العرف والعادة، وذلك مثل اعتقاد السوفسطائية أنه لا حقيقة لشيء من الأشياء وأن الأمور كلها بالظن والحسبان.. فإنهم مبطلون في دعواهم.. ولما أن كان الله . عز وجل قد أمرنا أن نعتقد الحق ونقول به، وأن لا نعتقد الباطل ولا ندين به، فقال عز وجل ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ ٢٩/الكهف.. وجب أن يحتاط العاقل لنفسه ودينه فلا يعتقد إلا حقا، ولا يكذب إلا بباطل ولا يقف إلا عند شبهة حتى لا يكون ممن شهد بما لم يعلم، أو كذب بما لم يحيط بعلمه".

ويستهل ابن خلدون مقدمته بفصل تحت عنوان في "فضل علم التاريخ" يتحدث فيه عما يعرض للمؤرخين من المغالط والأوهام ويذكر شيئا من أسبابها، وهي نفس الأسباب التي يعزى إليها الكذب في رواية الأخبار في وسائل الإعلام اليوم، حين تعتمد على النقل غثا أو سمينا؛ دون أن تقوم أخبارها بمقاييس الحكمة أو الوقوف على طبائع الكائنات أو مقارنتها بأشباهاها. ولقد أدرك ابن خلدون أن الكذب بطبيعته متطرق إلى الخبر نتيجة لما يلي:

١ - التشيعات للآراء والمذاهب: فإن النفس إذا كانت على حالة من الاعتدال في قبول الخبر أعطته حقه من التمهيص والنظر، حتى تتبين صدقه من كذبه، وإذا خامرها تشييع لرأى أو نحلة قبلت ما يوافقها من الأخبار، وكان ذلك الميل والتشييع غطاء على عين بصيرتها عن الانتقاد والتمحيص فتقع في قبول الكذب ونقله.

وكلام ابن خلدون يشير إلى النقص الذي يحبه جماعة من أصحاب المذاهب الاجتماعية ويفرضون دوامه ويحضون على الاقتداء به في فهم التاريخ وتوجيه الإعلام، ومن هؤلاء الذين يقول العقاد فيهم إنهم يجعلون الهوى فرضاً لزاماً في معالجة كل حقيقة من حقائق الحياة، ويكتبون التاريخ فيذمون من لا يستحق الذم، ويثنون على من لا يستحق الثناء، لأنهم يستوحون المصلحة المذهبية، ويعلنون أن الخروج من هوى المصلحة في تقدير الأمور مستحيل.

فأما أنه مستحيل فلا، كما يقول العقاد^(١). لأن الإنسان يعرف الفرق بين صوابه وهواه، وإن أحب هواه وآثره على الصواب، فإذا كانت له قوة خلق تصحب المعرفة غلب الهوى بالجمع بين معرفته وقوة خلقه، وأصبحت مصلحته نابعة لما يلزمها من جادة قوية في الرأيين. ولكن أصحاب الدعاية في كل المذاهب الوضعية يغلبون هوى المصلحة، لأن الخروج منه مستحيل وإنما يغلبونه لأن تغلبه نافع لهم فيما يقدرونه ويفسرون به الأمور وليس الشيوعيون وحدهم هم الذين يغلبون الهوى في تفسير التاريخ وتصوير الحقائق والوقائع في الإعلام فهذه خليقة شائعة بين جميع الناس ملحوظة بين أصحاب المذاهب فرضاً لامناص منه ولم يجعلونه عيباً يصححونه، ويخجلون من إعلانه، وهذا هو الفارق الكبير بين الرايين.. فعلى أن نعترف بالهوى ولا نجعل صنيعه في الأمم والأفراد، ولكن علينا على الأقل في وسائل الإعلام. أن نغالبه ما استطعنا كلما عرفناه. واقتدرنا عليه. وهذا هو الواجب في كل عيب من العيوب أيا كان سببه وأيا كان الناظر إليه.

٢ - الثقة بالناقلين وتمحيص الروايات. ويرجع إلى التعديل والتجريح^(٢). ولقد رأينا كيف أن وسائل الإعلام، لم يعد كافياً أن تروى الواقعة بصدق، حيث لم يعد في مقدور الإنسان أن يقارن تقارير الوقائع بغيرها من المصادر، كما كان في مقدوره في المجتمعات البسيطة، ومن هنا نستعير اصطلاح "التعديل والتجريح" من علم "الحديث"، في تمحيص الخبر الذي نقدمه من خلال وسائل الإعلام التي أصبحت محل "الخبرة الأولية". وقد عني نقاد كثيرون بعنصر الثقة في هذه الوسائل منهم "أبيروين" الذي قدم سنة

(١) فن المقال الصحفي في أدب العقاد؛ هيئة الكتاب.

(٢) ابن خلدون وتحقيق الدكتور على عبدالواحد والي : المقدمة ج١ ص ٢٦٠.

١٩١١ فى سلسلة من المقالات نموذجاً لما أتى بعد ذلك من نقد كثير للصحف وكان جوهر الإتهام: أنك لا تستطيع أن تصدق ما تقرؤه أو تسمعه لأن المعلنين وكبار رجل الأعمال والحكومات يسيطرون على الصحافة والإذاعة.

والأخبار تتأثر بنظم الحكم السائدة، وهى فى هذا الأمر صنفان: صنف فيه الدعوة والدعاية والاعلام استثنائاً واحتكاكاً وصنف فيه الدعوة حرة، ولكن يركبها من سباع الغاب ذئب وفسر، على حد تعبير الدكتور أحمد زكى. ولعل ذلك هو ما دفع بالكاتب الفرنسى جاك كايزر^(١) إلى أن ينعى صحافة اليوم فى كتابه "موت حرية" ذلك أن "التوتر الدولى يزداد بسبب الإعلام الكاذب المشوه الذى يستغل لصالح جهات معينة. وهذا الإعلام الكاذب من شأنه أن يقضى على الثقة المتبادلة بين الشعوب وبين الحكومات ويثير الأحقاد، ويغذى القوى التى تعمل من أجل الحرب".

فإذا كانت الأخبار لا بد أن تتصف بالجدة والطرافة وإثارة الاهتمام فإن علينا أن نحاط فيه "بتصحيح المقدمات التى أنتجته، وحراستها من المغالطة.. فإذا صحت ميزناها على كم وجه تقال ان كانت مما يقع فيه اللفظ على معان كثيرة، وننظر أى وجه منها هو مراد المتكلم فى قوله. فإذا ميزنا ذلك استخرجنا فصولها التى تنفصل بها عن غيرها حتى يظهر الحد الذى يفرق بينها وبين ما يباينها. فإذا فعلنا ذلك صححنا التشبيه والحقنا كل شىء بما يشبهه".. و "إن كان مما أتى من جهة الخبر عن الآحاد والجماعات القليلة العدد، احتيط فى ذلك أولاً بعرضه على العقول، فإن باينها وضادها فهو باطل، وإن لم يباينها وكان مما يجوز فى العقل وقوع مثله تثبت فى أمر نقلها حتى لا تؤخذ إلا ممن ظهرت عدالته، ولم يتهم بكذب، ولا وهم فى خبره ولم يكن فيما أخبر به جارا إلى نفسه ولا دافعا عنها، ولم يعارضه خبر مثل خبره يبطل ما أخبر به.

"وبجميع ما ذكرناه قد جاء القرآن وجرت الأحكام، فقال الله عز وجل ﴿وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ ٢/الطلاق، وقال: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ ٦/الحجرات.

التعديل والتجريح: وإذا كانت الثقة بالناقلين والرواة من أهم عوامل الكذب فى رواية الأخبار كما يذهب إلى ذلك ابن خلدون، فإن العلاج كما يرى، يرجع إلى التعديل والتجريح، وهو مصطلح مستفاد من علم الحديث الشريف.

(1) Jacques Kayser: La Mort d'une Liberté, pp. 176-177.

وهذا العلم كما يعرف المطلعون من أنضج العلوم الإسلامية وأحكمها منهجا وأقواها علمية. لقد احتاط لفنهم وتشددوا فى شروط الراوى والمروى عنه، ولم يكتفوا بالقواعد المحررة لتصحيح السند كما توهم بعض الباحثين المحدثين رحمه الله. بل عنوا . كما يقول الأستاذ سعيد الأفغانى . بنقد المتن عناية بالغة ووضعوا له من الضوابط والمعايير ما لم يسلم منها إلا كل حديث قوى بالغ الصحة، أما الأحاديث المكذوبة على رسول الله فقد رسموها بالوضع وألقوا فيها المؤلفات ليحذرها الناس.

إذا كان من منهج المحدث إذا وصل إليه الحديث الموضوع أن يطرحه أرضا ويمضى لطيته، فإن مهمة الإعلامى الباحث عن الأخبار أن يبادر إلى هذا المنهج والإفادة منه فى تسليط الأضواء الكاشفة حتى يهتدى إلى أجوبة عن أسئلته لكى تحقق وظائف الإعلام فى المجتمع على النحو السديد. والإذاعة مثلا تستقى أخبارها من المراسلين فى الخارج ومن المندوبين فى الداخل ومن المبعوثين الخاصين فضلا عما يرد على وكالات الأنباء القومية والأجنبية من أخبار وبرقيات وأنباء عاجلة أو خاصة، وقد تستقى الإذاعة بعض أنبائها من الإذاعات الأخرى. ويمكن الاعتماد على الصحف كمصادر لأنباء الإذاعة. وذلك فى حالة انفراد الجريدة بتصريحات خاصة، أو استقائها من مصدر مباشر. على أن هذه المصادر ينبغى أن تخضع أنبائها جميعا لمنهج التجريح والتعديل تحريا للأمانة والدقة والصدق، وإذا كان المحرر عند صياغته الخبر، لا يذكر المصادر التى يعتمد عليها فى تحرير الخبر إلا إذا كان لديه من الأسباب الخاصة ما يدعوه إلى ذلك: كأن يرغب فى زيادة تأكيد الخبر بذكر المصدر الذى ورد فيه، وذلك فى حالة نسبة تصريحات لمسئول أمريكى مثلا إلى مراسل وكالة أمريكية فى واشنطن حتى يزيد المحرر من عامل الثقة لدى السامعين فى صحة الخبر، ومع ذلك فإن ذكر مصدر الخبر لا يعفى الإذاعة تماما من مسئوليتها نحو الأخبار التى تذيعها الأمر الذى يجعل انتهاج منهج التعديل والتجريح، أمرا ضروريا فى الأخبار المذاعة، "إذ ليس من المحتم فى كل الأخبار أن يحشر المحرر فى صلب الخبر أسماء بعض المصادر التى اعتمد عليها، توخيا ليسر الاستماع من جانب ولتجنب ما يوحيه التكرار من عدم صحة الخبر من جانب آخر^(١).

(١) محمد إسماعيل محمد : الكلمة المذاعة ص ٦٤ . ٦٥ .

وتذهب معظم الإذاعات إلى ضرورة أن يرمز المراسلون والمندوبون للمصدر الذي استقى منه الخبر كمرجع للعودة إليه عند الحاجة.

فوسائل الإعلام حين تحرص على الدقة في الرواية الخبرية، تفيد كثيرا حين تستضيء بمنهج التعديل والتجريح، كما تفيد من تشديد علماء المسلمين على ضرورة الأمانة والدقة في النقل، ففي مقدمة كتاب "معجم البلدان" يقول لنا ياقوت إنه كان ينقل عن المصادر بكل دقة وأمانة، وسواء أكان المنقول حقا أو باطلا فإن الصدق في إيرادها، كما يقول ياقوت، له أهميته في البحث العلمي عند العلماء لأنه ييسر للطالب اطلاعه على آراء أهل الخبرة في ذلك العلم^(١). وللعالم أن يؤثر مصدرا على غيره من المصادر، وعندما تناقض ترجمة رجل ما في مؤلف ترجمة أخرى في مؤلف آخر، فإن المصدر الأخير يجب ألا يعتبر خطأ تاريخيا لا قيمة له، بل بالأحرى يجدر بالعالم أن يذكر الروایتين^(٢).

أما النقل عن الذاكرة فلم يكن يعتبر نقلا دقيقا. وإليك ما يقول الصُّولي عن قيمة ذكرياته عن الخليفة الراضي: "... وما حكيت من ألفاظه التي مرت وما أحكيه من كلامه بعد، فهو كما أحكيه أشبه أو مقارب، إذ كنت لا أقدر على أن أحفظ لفظه على حروفه وإنما أحفظ معناه"^(٣).

أما الروايات الشفوية التي كانت تدون فيما بعد التأليف، فبالرغم من أنها كانت لا تحتوي على جميع الكلمات التي وردت في الأصل، وبالرغم من أنها كانت تختلف قليلا عن أسلوب العبارة الأصلية، فإنها احتفظت بالمعنى المقصود بكل دقة وأمانة^(٤).

ويذكر روزنتال أن أصحاب الكتب التاريخية كانوا شديدي الحرص على ذكر المصادر التي يأخذون عنها. فإن السبكي الأب مثلا، كان ينصح المؤرخين بأن يذكروا المصدر كل مرة أتوا فيها على خبر تاريخي.

(١) ياقوت: معجم البلدان ج ١ ص ٩. دكتور فرانتز روزنتال: ترجمة الدكتور أنيس فريجة: مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي ص ١٢٢.

(٢) ياقوت: إرشاد، ج ٥ ص ٢١٥ (ط مرجليوت، المرجع السابق ص ١٢٣).

(٣) عصر العقاد: ص ٢٣٦.

(٤) أبو حاتم الرازي: كتاب أعلام النبوة. في الرازي السابق ٢١٦.

وعلى مر الزمن ازدادت المصادر الأدبية ازديادا عظيما، وكذلك بعدت شقة الزمن بين العالم وبين المصدر الذي يأخذ عنه، ولذا كان يشعر بأن الوسيلة الوحيدة ليقى نفسه من سهام المنتقدين تتمثل في أن يذكر المصدر الذي أخذ عنه بكل دقة وأمانة. وبهذه الأمانة العلمية (استطاع السيوطي) المتوفى سنة ١٥٠٥. أن يقول بكل ارتياح إنه ليس في جميع مؤلفاته الكثيرة خبر أو رواية أو رأى لم يدعم بالاستشهاد. وكان المؤلفون الذين يحرصون على ذكر مصادرهم يشعرون بأنهم قاموا بما عليهم لأن العبرة في صحة الخبر أو كذبه إنما تقع الآن على كاهل صاحب المصدر

ونخلص مما تقدم إلى أن وسائل الإعلام ينبغي عليها أن تروى الأخبار، وليس عليها أن تصنعها. وحذار من رواية نصف الحقيقة دون الحقيقة كلها، وإلا حق على المندوب قول القائل: "وما آفة الأخبار إلا روايتها". فالخبر لابد أن يكون رواية صادقة كاملة دقيقة سليمة بعيدة عن الهوى لما وقع فعلا من أحداث شاهدها بعض الناس وصاروا بذلك رقباء على عمل المندوب. والخبر سواء أكان بسيطا مجردا أم طويلا مركبا، هو ما اجتمعت له عناصر الصدق والواقعية قبل أن تجتمع له مقوماته التي تقوم على الشقيقات الخمس. وتحتم علينا قواعد الإعلام في التصور الإسلامي؛ مراعاة الصدق والدقة الموضوعية والإنصاف في عرض وجهات النظر المتباينة وهي القواعد المستمدة من القرآن الكريم: ﴿إِذَا جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾. والمستمدة أيضا من السنة النبوية، وأصول الحديث الشريف.

سياسة الصحافة:

وأخيرا نصل إلى عنصر هام من عناصر التقويم الصحفي. وهذا العنصر هو سياسة الوسائل الصحفية، فضلا عن طبيعة كل وسيلة منها، ويجب أن يتفق الخبر مع السياسة العامة للتحرير سواء من حيث الموضوع أو اللغة أو طريقة العرض، فالوسيلة الصحفية بالقياس إلى الجمهور تمثل شخصية اعتبارية، وهو يستشهد بها كما لو كانت شخصا من الأشخاص، ويسايرها ويقرها على رأيها أو يخالفها الرأي ويعنفها كما يفعل الصديق مع الصديق.

وأما ما يميزه الجمهور من ترابط وتطابق منسجمين في مظهر الوسيلة وفي إجراءاتها في نشر الأخبار فينتج عما يسمى " سياسة التحرير الصحفية" ويقصد بها.

على حد تعبير توماس بيرى: الوجهة التى تختار الصحيفة اتباعها فى إجابتها عن سؤالين بالغى الأهمية:

١ - ماذا ستُنشر؟

٢ - وكيف ستُنشر ما تُنشر؟

أما هذه الوجهة فقوامها الإجراءات والقواعد والمبادئ التى أقرتها وسائل الإعلام لتستهدى بها فى عملها، وهكذا فإن سياسة التحرير الصحفية تهيمن على كل وجوه الوسيلة، من نوع الأخبار التى تنشرها إلى حجم الحروف التى تعتمد عليها فى الطباعة، فسياسة التحرير فى جريدة محافظة تحمل تلك الجريدة على أن ترفض موضوعا عن غراميات أحد الأشقياء، أما سياسة التحرير فى صحيفة شعبية فإنها تدفع هذه الجريدة إلى تصدير الموضوع وإبرازه ضخما وقد تكون الصحيفة شيوعية أو يسارية أو يمينية، فتعتمد فى اختيار أخبارها على لونها السياسى فليس غريبا أن تكون أخبار الشيوعية وأحزابها فى العالم أهم الموضوعات فى الصحافة الشيوعية، فى حين أن الموضوعات الدينية تظفر باهتمام الصحف الدينية^(١).

وهناك حالات كثيرة تؤثر فى تكييف سياسة الوسيلة الإعلامية، ومع أن بعض هذه الحالات أكثر أهمية من غيره، إلا أن لكل منها تأثيرها فى اختيار مواد النشر والإذاعة وفى الطريقة التى تعرض بها هذه المواد. ومن هذه الحالات. الأحوال المالية حيث يحتل الوضع المالى الصدارة فى جميع الأحوال التى تؤثر فى سياسة التحرير الإعلامية. وتفرض هذه الحالة إرضاء الجمهور من جميع المستويات، والسعى الدائب لتطعيم الوسيلة الإعلامية بعناصر جديدة من الاستهواء، وزيادة الجاذبية للاحتفاظ بالجمهور القديم واكتساب جمهور جديد.

وأما مسئوليات الإعلام، فإن سياسة التحرير تتأثر بهذا المفهوم تأثرا عميقا حيال المجتمع، والأفراد، والحكومة. فالوسائل الإعلامية تتباين عن غيرها فى مفهومها لما يجب أن تنشره وتذيعه ولكيفية التى تنشره بها وذلك وفق فهمها لتلك المسئوليات.

(١) د. إبراهيم إمام: المرجع السابق ص ١١٨.

ولكل وسيلة طابعها الخاص، الذى تتميز به لدى جمهورها، وهكذا فإن الصحيفة تصبح راديكالية أو يسارية، أو محافظة أو عملية، أو متزمتة. وقد تكون رفيعة المستوى، أو من الصحف التى تعتمد على الإثارة، الخ. على أن الطابع الخاص للوسيلة لا ينفصل عن الأحوال الأخرى التى تؤثر فى سياسة التحرير الإعلامية بل إن هناك علاقة وثيقة بين الطابع الإعلامى ونظرة الوسيلة إلى مسئولياتها. ويتأثر طابع الوسيلة الإعلامية بنوع الأخبار التى تنشرها أو تذيبها، والطريقة التى تكتب بها تلك الأخبار، وطريقة معالجتها للموضوعات، ونوع إخراجها الفنى. وليس فى مقدور إنسان أن يغفل أثر متطلبات جمهور الوسائل الإعلامية فى السياسة التحريرية، ولذلك تحاول الوسائل استقصاء رغبات القراء بعدد من الطرق، ومنها دراسة محتويات ومناهج أكثر الصحف أو الإذاعات نجاحاً الخ. ويؤثر الاجتهاد السياسى تأثيراً كبيراً فى السياسة التحريرية، لأن كثيراً من القضايا الكبرى التى ترد فى الأخبار تتأثر بالعمل السياسى، وبالتالي فإن جريدة ما حين تجد نفسها تعارض أو تؤيد فئة سياسية، تتخذ موقفاً من تلك القضايا على نحو ما نجد الصحف المستقلة والصحف الحزبية، أما الأسباب الوطنية فهى أقوى العوامل تأثيراً فى سياسة التحرير الإعلامية، ولكن الدرجة التى تبدى بها وسيلة الإعلام ولاءها الوطنى تتراوح بين التمييز المعتدل والتعبير الصارخ الصارم. فهناك صحف تسلك مسلك الوفاء والتحفظ فى التعبير عن ولائها الوطنى، تقابلها صحف ترفع بيارق ولائها على كل صفحة من صفحاتها، كما أن هنالك فارقاً واضحاً بين ولاء جريدة ما فى زمن الحرب وزمن السلم. وفى زمن الحرب تتبارى كل الصحف والوسائل الإعلامية فى الحماس الوطنى. وهكذا يتبين لنا كيف أن سياسة التحرير الصحفية — من أهم عوامل التقويم الصحفى. فى اختيار الخبر ومقوماته فتفضل واحداً على غيره وتهمل الآخرهما لا تاماً.

القابلية للنشر والإذاعة :

والقابلية للنشر والإذاعة مقياس من مقاييس التقويم الصحفى للخبر الجيد، والصحفى الناجح يدرك بحسه ومراسته أن خبراً من الأخبار له أهمية وأولية على خبر آخر وينبغى قياس الأخبار بحسب أهميتها النسبية، وفقاً للجنس الإعلامى من جهة ومعيار الدلالة الإعلامية من جهة أخرى، كما يحدث عندما يتزاحم خبران فى الجريدة

على مساحة معينة متاحة فيها. ومن العنصرين الكبيرين: الجنس الإعلامى والدلالة الإعلامية، يتكون ما يسمى، بالقيم الخبرية، فإن وجدت هذه القيم أو أنتفتت أمكن الحكم على ما للخبر من قيمة، وبالتالي على مدى ميل الجمهور إلى مطالعته أو الاستماع إليه: فهذه القيم الخبرية، كما يقول - جونسون وهاريس - نافعة فى قياس أهمية الأحداث، فإن طبقت تطبيقاً سليماً أمكن معرفة هل هذا الحادث أو ذاك يدخل فى عداد الأخبار أو لا يدخل فى عدادها.

على أننا يجب أن ننظر عند تقويم الخبر، إلى وسائل الإعلام، كنظام للاتصال البشرى، حيث تتخذ هذه الوسائل دلالة جديدة وكبيرة فى عالم تحل فيه "الاتصالات الثانوية" كالصفحة المطبوعة والراديو والتلفزيون والفيلم، محل الخبرة الأولية، على حد قول سى، رايت ميلز. وقد لعبت وسائل الإعلام دوراً رئيسياً فى تحويل النظام الاجتماعى إلى مجتمع جماهيرى، وأكثر من ذلك يرى "ميلز" أن وسائل الإعلام أداة ذات أهمية متزايدة للسلطة فى يد الصفوة بالمؤسسات الحاكمة، وهى لا تقوم فقط "بترشيح" خبرة الإنسان عن الواقع الخارجى، وإنما تساعد أيضاً على تشكيل تلك الخبرة، فهى التى تقول: من هو، وماذا يريد أن يكون، وكيف يستطيع أن يظهر أمام الآخرين؟ وهى تمده برصيد ضخم من المعلومات عما يحدث فى العالم، ولكنها تقدمها فى لغة وصور من الأنماط الجاهزة والرغبات.. ولذلك فإنها غالباً ما تحيط الفرد فى محاولاته للربط بين حياته الخاصة وحقائق العالم الخارجى الأكبر. ويترتب على ذلك أنه كلما اعتمد الإنسان أكثر فأكثر على وسائل الإعلام، للحصول على المعلومات والنصائح، تعرض أكثر فأكثر لما تقوم به التنظيمات الاجتماعية من استغلاله وتسخير.

وعلى مر السنين، أخذ النقاد يقدمون الأفكار الرئيسية التالية، فى عبارات مختلفة^(١): تستخدم وسائل الإعلام قوتها الضخمة لخدمة مصالح ملاكها، الذين يروجون لوجهات نظرهم وخاصة فى السياسة والاقتصاد، فى حين يهملون وجهات النظر المعارضة، أو يقللون من شأنها.. وسائل الإعلام أداة فى يد المشروعات الاقتصادية الكبرى بوجه عام، ويتحكم المعلنون أحياناً فى سياساتها ومضمونها.. تقاوم وسائل الإعلام التغيير الاجتماعى، وتعمل على استمرار الوضع الراهن.. تهتم

(١) ريفرز وزميلاه: مرجع سبق ص ٢٥٧ وما بعدها.

وسائل الإعلام، عموماً في تغطيتها للأحداث الجارية، بالأمور السطحية والمثيرة أكثر من اهتمامها بالأمور الهامة. وهى تقدم الترفيه فى مادة تفتقر إلى المضمون، وتعوزها القيمة الفنية.. وتهدد وسائل الإعلام الأخلاق العامة بالخطر.. تنتهك وسائل الإعلام، بلا مسوغ، حياة الأفراد الخاصة وتخط من كرامتهم، وليست الصعوبة التى يلاقونها بعض المتهمين فى الحصول على محاكمة عادلة بسبب النشر، سوى وجه واحد لهذه المشكلة.. يسيطر على وسائل الإعلام أفراد من طبقة اجتماعية واقتصادية واحدة، ويواجه القادمون الجدد صعوبة البدء فى مشروعات إعلامية جديدة، ونتيجة لذلك، يتعرض سوق المعلومات المفتوحة والحرّة للخطر. ويقول "أروين" أن الامتيازات التى طالب بها المعلنون كانت تصل أحياناً إلى حد التغيير الكامل فى سياسة التحرير، ولكن الامتياز الغالب كان يتعلق بنشر مواد لصالح المعلن وأسرته وشركائه فى العمل، وذهب النقاد الأوائل، إلى نتيجة رجع إليها العلماء بعد ذلك بعشرات السنين. وهى أن الكثير من عيوب الصحافة لا ينجم فقط عن التأثير الضار للإعلان، وإنما عن الطبيعة التجارية للنشر.

ومن النقاد الأوائل أبتون سنكلير الذى أصدر سنة ١٩١٩ كتاباً بعنوان "الصك النحاسى" وهو عنوان يؤكد ما رآه من سلبيات صارخة فى الصحافة، وكان سنكلير قد اشتهر من قبل كمصلح، وفى سنة ١٩٠٤ وبعد عامين من انضمامه للاشتراكيين، أصدر "الغابة" وهى قصة طويلة تفضح أحوال مخازن شيكاغو. وقد كتب الخلود لقصة "الصك النحاسى" كما كتب الخلود لمؤلفها. وفى سنة ١٩٢٦ صدرت الطبعة التاسعة من الكتاب، وفى سنة ١٩٣٦ أعيد طبعه فى نسخة منقحة. النصف الآخر عبارة عن أقوال شهود آخرين عن الإساءة إلى الصحافة الحرة إساءة بالغة.

يقول سنكلير أن إمبراطورية رجال الأعمال تتحكم فى الصحافة عن طريق أربع حيل: أما الحيلة الأولى التى تمثل أسلوباً مباشراً فهى ملكية الكثير من صحف الأمة. والحيلة الثانية، هى امتلاك أصحاب الصحف وهى وسيلة مهمة للغاية، فباللعب بأطماع الناشرين وبممارسة الضغط على أسرهم، وباشتراكهم فى الأندية، وب عقد اتفاقيات ودية معهم، يستطيع كبار رجال الأعمال إحكام قبضتهم على الصحافة. والحيلة الثالثة التى يسيطر بها رجال الأعمال على الصحافة هى الإعانات الإعلانية، وهى وسيلة تجعل الناشرين مستعدين لحذف الأفكار المعادية لمصالح المعلنين، كحذف

الأخبار المحرجة لهم أو الضارة بهم. ويقول سنكلير إن رجال الأعمال يلجأون في النهاية إلى الرشوة الصريحة، من أجل الترويج لوجهات نظرهم، وفرض رقابة على الأفكار المعارضة لهم. ويتفق مع سنكلير في اعتقاده بأن المتآمرين يستغلون الصحافة في تحقيق أغراضهم؛ "جورج سلدن" الذي يعتبر من أنشط نقاد الصحافة الأمريكية، وقد أرسى قواعد الفكرة الرئيسية التي بنى عليها انتقاداته التالية في كتابه "حرية الصحافة" الصادر سنة ١٩٣٥، وشهد سيلدن بنفسه قوى الفساد في مجالات المال والسياسة والاجتماع والإعلان وحاول إثباتها بالمستندات.

ويجد فريق من النقاد، ومن بينهم بعض الصحفيين قصورا في المعايير السائدة لتقويم الأخبار، وفي بعض الأساليب الفنية، لعرضها، ومن الانتقادات المألوفة والمتكررة على مر السنين، أن الصحف تبرز المواد المثيرة والسطحية والسادجة على حساب المواد الجادة. فهي تعطى قدرا من المساحة والاهتمام بحادث قتل فظيح أو مشكلة زوجية أو مؤتمر للمرأة أو اغتصاب امرأة، أكبر مما تعطيه لدورة هامة للأمم المتحدة. وهناك اتهام شائع آخر وهو أن الأسلوب الفني لعرض الأخبار - كالعناوين، والبناء الهرمي المقلوب في صياغة الأخبار، والموضوعية الأسطورية - تمنع القارئ من رؤية صورة متسقة للأحداث الجارية.

وقد وجهت لجنة حرية الصحافة. في سنة ١٩٤٧، اتهاما للصحافة بأن المواطن محروم، إلى حد بعيد، من المعلومات والمناقشات الضرورية، لأن الصحافة مشغولة بتغطية أخبار التفاهات والصراعات، وقد أدى اضطراب الصحافة إلى اجتذاب جمهور كبير إلى أنها أصبحت تبرز "الاستثناء بدلا من العادي، والمثير بدلا من الجاد".

وتكمن كثير من الأنشطة ذات الأهمية الاجتماعية القصوى، وراء ما ينظر إليها تقليديا على أنها أحداث قابلة للتغطية الأخبارية، مثل الزيادة في عدد الآلات المتحركة، والنقص في عدد الأشخاص الذين يراقبون الآلات وطول ساعات وقت الفراغ، وزيادة الخدمات المدرسية بالنسبة لكل طفل، وانخفاض حدة التزمت، والمفاوضات الناجحة حول عقود العمل، والنهضة الموسيقية في المدارس والارتفاع في مبيعات كتب التراجم والتاريخ.

وتقول اللجنة، إنه بدلا من أن تقوم الصحافة بتغطية أخبار هذه التطورات تغطية وافية، فإنها تهتم اهتماما غير مناسب بالشغب والإضراب والقتل.

وقبل ذلك بكثير، كان "والتر ليمان" قد شكك في القدرة الفنية للصحيفة على تغطية الظروف الاجتماعية الكافية وراء الأخبار الهامة، فيقول في كتابه "الرأى العام" إن الصحف لا تفعل أكثر من تعيين مندوبين لها في نقاط التسجيل . كمراكز الشرطة والمحاكم مثلا، حيث لا يلتقطون سوى الحالات الشاذة من الأحوال الاجتماعية، فقد يسترعى انتباه المندوب الصحفى رجل أعمال يعلن إفلاسه، مثلا ولكنه غير مؤهل لاكتشاف الظروف التى أدت إلى هذا الموقف، إلا بعد حدوثه فعلا، وفى رأى "ليمان" أن ذلك هو ما يحصل عليه القارئ من الصحيفة، عن الظروف الاجتماعية بصورة مشوهة وهى صورة تشبه كثيرا الكليشيه الظلّى الذى يصورّ خلال شبكة واسعة للغاية.

ويوجه بعض النقاد اتهاماً للصحف بأنها قد أخفقت فى إعطاء القارئ صورة متسقة للأخبار. ففي سنة ١٩٣٩، ناشد "سيدنى كوبر" الصحف أن تزيد من مقدار التغطية الإخبارية المتعمقة، قائلا: إن تغطيتها للأخبار السيارة محتاجة إلى مزيد من التطوير، فال مطلوب هو محاولة ربط نتائج العلوم الاجتماعية المتطورة سريعا بالصحيفة، حتى يستطيع القارئ أن يفهم، لا الحدث السطحى فقط، وإنما ما يكمن وراءه أيضا. وقد اقتبس عن "ايروين ايرمان"، أحد الفلاسفة بجامعة كولومبيا ملاحظة يستصوبها، وفيها يصف الصحيفة بأنها : "أسوأ طريقة ممكنة للحصول على صورة متسقة للحياة فى عصرنا.. فإذا أمكن تصوير عقل قارئ الصحيفة بأنها: "أسوأ طريقة ممكنة للحصول على صورة متسقة للحياة الصحفية بعد عشر دقائق من القراءة، فإن الصورة لن تكون خريطة وإنما تفجيرا".

ويقترح "هربرت براكرز" لإعطاء القارئ صورة منظمة ومفهومة عن الحياة فى عصرنا أن تعطى الصحف مزيدا من الاهتمام بالتفسير والمعلومات الخلفية، وأن يقوم محرروها بإعادة كتابة البرقيات الإخبارية من أجل اتساقها واستكمالها بالحقائق الإضافية المستمدة من إدارات البحوث التابعة لها، ويوصى بالإضافة إلى ذلك، بأن تعنى الصحف عناية كبيرة بتنظيم الأخبار لى تكون مفهومة: فقد تخصص الصفحة الأولى بأكملها للمخصات موجزة، ولكنها وافية، عن جميع الأحداث الكبرى، مصنفة بحسب الموضوع. وفى داخل الصحيفة تقدم تقارير أكثر إسهابا، تضم أحيانا بضعة أخبار مستقلة، وقد تقسم بحسب الموضوع، وهى طريقة تشبه إلى حد ما طريقة المجلات الإخبارية فى تجميع أخبارها.

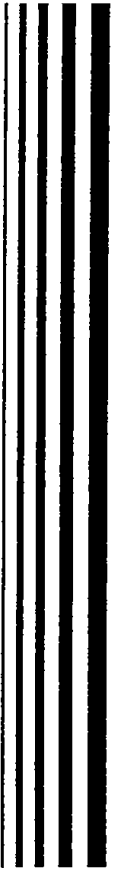
ويذهب بعض النقاد إلى أن العناوين المضلّة التي تكتب لاجتذاب القارئ العامي ولملء فراغ محدد، تسهم في التصوير المشوش للأحداث اليومية. ويشكو كثير من الصحفيين من أن مقدمة الخبر التي تحتوى على الإجابات عن الأسئلة الخمسة المعروفة، بنائها الهرمى المقلوب، رغم فائدتها العملية: تجعل الأخبار مملة ومكررة. وقد كتب "هربرت براكر" يقول: ربما أصبحت تلك الصيغة أكثر أهمية من الغاية المستهدفة أصلاً، وأن المرء ليتساءل إذا ما كانت مزاياه في التطبيق تبرر نتائجها الغريبة في كتابة الأخبار "ويرى النقاد أن القارئ يُفاجأ بأهم الحقائق في أول جملة أو فقرة، فيختل الترتيب المنطقي للأحداث. ويروى الخبر على أجزاء في تكرار يضيع معه كل التشويق والإثارة.

والانتقاد الآخر الموجّه للصحف هو تمسكها بالموضوعية وكأنها قيمة، ويوجه الاتهام للصحفيين بأنهم يخافون من التعليق في أعمدة الأخبار لدرجة أنهم يغشون القارئ. فهم إذ يقدمون الحقائق الموضوعية فقط بدلا من تفسيرها، يقدمون غالبا، أخبارا مشوهة وناقصة وغير مفهومة، وإذ يحاولون عرض كافة وجهات النظر بالنسبة لموقف جدلي، فإنهم غالبا ما يمنحون الكاذب المعروف بكذبه نفس الثقة التي يمنحونها للصادق المعروف بصدقه. ولذلك فإن الموضوعية التي يعتزون بها، ليست، في أغلب الأحوال من الموضوعية في شيء، وإنما هي نوع من التحريف، ويعترف النقاد بأن على الصحفي الذي يفسر الأخبار أن يسير في طريق ضيق بين الحقيقة والرأي، ولكنه يجب أن يسير في ذلك الطريق إذا أراد أن يضع الحقائق في السياق الذي يعطيها معناها.



الفصل الرابع

**بناء الرسالة وتحرير
الخبر الصحفي**



يراعى المرء فى قوله ثلاثة أشياء: أولها: وسائل الإقناع، وثانيها: الأسلوب أو اللغة التى يستعملها، وثالثها: ترتيب أجزاء القول^(١). وهكذا يذهب أرسطو إلى تبين أنواع الحجج التى تنتج الإقناع^(٢)، ومقتضيات الأسلوب اللغوية وترتيب أجزاء الكلام. وقد عنى علم البلاغة الحديث بعملية الإقناع عناية كبرى توفر لها ما لم يتوفر لأرسطو من حقائق علمية توصل إليها علم النفس الحديث عن السلوك الإنسانى. وقد أجريت معظم التجارب السيكلوجية الخاصة بتغيير الاتجاهات خلال الربع الثانى من هذا القرن، ويرجع الفضل فى إضافة قدر كبير من المعلومات إلى "هوفلاند" وزملائه وتلاميذه فى جامعة "ييل" الأمريكية، فقد ساعدته دراساته على بناء نظرية اتصال، وعلم بلاغة حديث؛ يقوم على أساس علمى^(٣).

وحين نتحدث عن الأسس الإعلامية لتحرير الأخبار، فإننا نتحدث فى الحقيقة عن مصطلح "الرسالة الإعلامية" فى نظرية الاتصال، مدركين أن الشكل التحريرى لا ينفصل عن مضمون الرسالة بحال من الأحوال، الأمر الذى يحدد للمحرر الصحفى مثلاً: الأدلة التى يعتمدها والتى يستبدها، والحجج التى يفصل فيها القول وتلك التى يجب عليه استبعادها، ونوعية الاستمالات التى سوف يستخدمها ومدى قوتها، ذلك أن فن الخبر كرسالة إعلامية — إنما هو نتاج عديد من القرارات بالنسبة للشكل والمضمون على السواء. وأغلب تلك القرارات لا يملئها الهدف الإقناعى للرسالة الإعلامية — فحسب؛ وإنما تملئها أيضاً خصائص الجمهور ومهارات المحرروا إلى ذلك^(٤). إذ لا يكفى "أن يعرف ما ينبغى أن يقال، بل يجب أن يقوله كما ينبغى" — على حد تعبير أرسطو فى "الخطابة".

ولكل كلام جزآن جوهريان هما: عرض الحالة ثم البرهنة عليها، ولا يمكن الاستغناء عن أحدهما بالآخر، ولا تقديم ثانيهما على أولهما، لأن البرهان لا بد أن يلى الحالة التى يراد أن يُبرهن عليها، وقد يزداد عليهما مقدمة فى البدء وخاتمة فى آخر الكلام، وبهذا تكون أجزاء القول عامة ثلاثة:

(١) أول الكتاب الثالث من الخطابة لأرسطو.

(٢) د. محمد غنيمى هلال: المدخل إلى النقد الأدبى الحديث ص ١١٧، ١٢٨.

(3,4) Carl Hovland Communication and Persuasion: Psychological Studies of Opinion Changgem 1963, Ch 3, pp. 56-98.

١ - المقدمة.

٢ - الغرض - ويقصد به ما يشمل عرض الحالة والبرهنة عليها.

٣ - ثم الخاتمة.

وتقتضى وحدة العمل الفني إدراك الموضوع، بما يتضمنه من أفكار، ثم تنظيم المعانى أو وحدات المضمون بحيث تكون مرتبة منسقة لتتجلى وحدتها. وفيما يخص النثر مثلاً، فقد أدرك العرب إدراكاً عاماً هذا الترتيب، كما فى الخطابة والرسائل.

إن الوحدات الأساسية فى أى رسالة إعلامية تتمثل فى المعلومات؛ والحقائق، والأفكار، وعناصر الأحداث، وما إلى ذلك مما يكون مادة الخبر ومضمونه، ثم تأتى المرحلة التالية لاستقاء الأخبار، وهى مرحلة صَبَّها فى الرموز اللغوية فى قالب إعلامى يمثل شكل الرسالة التى يستقبلها القارئ، أو المستمع أو المشاهد.

ويمكن التعبير عن مادة الخبر بألفاظ ورموز مختلفة، وعن طريق استخدامات متنوعة تتيح للغة فعالية أكثر فى تحقيق التأثير الإصغالى للرسالة الإعلامية، ولكن اللغة تظل مع ذلك أساساً من أسس التحرير الإعلامى، لأن الرسالة لا تقوم على اللغة وحدها وإنما تقوم كذلك على استخدام اللغة فى قوالب فنية؛ وأشكال تحريرية تشمل: الأسلوب، والإقناع، وتنظيم أجزاء القول جميعاً فى بنية الخبر الإعلامى ذاته.

وتشير نتائج الأبحاث إلى أن الإقناع يصبح أكثر فاعلية إذا حاولت الرسالة أن تذكر نتائجها أو أهدافها بوضوح؛ بدلاً من أن تترك للجمهور عبء استخلاص النتائج بنفسه.. فقد وجد الباحثان "هوفلاند" و"ماندل" أن نسبة الأفراد الذين عدلوا عن اتجاهاتهم إلى الناحية التى ناصرتها الرسالة، بلغت الضعف حينما قدم المتحدث نتائجها بشكل محدد، وذلك بالمقارنة إلى نسبة الذين غيروا اتجاهاتهم بعد أن تعرضوا لرسالة ترك المتحدث نتائجها ليستخلصها الجمهور. ولكن بعض الباحثين، يشيرون إلى أن نتائج "هوفلاند" و"ماندل" ترجع إلى الاختلافات فى فهم الجمهور للرسالة.

ويذهب هؤلاء إلى أنه بالسيطرة على مستوى الفهم لم يحدث اختلاف فى قدر تغيير الرأى الذى يسببه تقديم النتائج بشكل محدد؛ إذا قورن بتركها ضمنية، فقد أظهرت دراسات كثيرة أن الإعلام الذى يهدف إلى تغيير الاتجاهات ينجح حينما ينقل

الحقائق دون أن يحاول تغيير الاتجاهات التي كان المفروض أن تتغير بعد التعرض لتلك الحقائق. فى هذه الحالة، فإن المعلومات الواضحة، والحقائق التي تذكر بوضوح، يتم نقلها بنجاح أكبر، فى حين أن ترك هدف الرسالة ضمنى قد لا يحقق التأثير المرغوب. وقد وجد "كاتز" و"لازارسفيد" أنه "كلما كان المضمون الذى يقدمه الاتصال محدداً ازداد احتمال التأثير به".

تنظيم أجزاء الرسالة:

ومما لا شك فيه أن المضمون الإعلامى وأساليب تقديمه، وتنظيم أجزاء الرسالة الإعلامية من أهم عوامل النجاح فى التحرير الصحفى. ومن التساؤلات الهامة فى هذا المجال: هل يجب أن يبدأ الفرد بالحجج القوية أم يحتفظ بها حتى النهاية؟ وهل المضمون المحدد الهدف بوضوح، أكثر فاعلية من المضمون الذى يترك هدفاً ضمناً ليستنتجه المتلقى؟

هناك فى حقيقة الأمر؛ عدد من الاعتبارات التى تكمن خلف اختيار هذا التنظيم أو ذاك، وهى تتصل بموقف الجمهور من الموضوع ودوافعه واهتماماته.

وفى دراستنا للتقويم الصحفى؛ تبين أن اختيار الأنباء أو الموضوعات الصحفية؛ إنما يقوم على أساس معايير؛ بمقتضاها يتم تحويل الحدث إلى خبر أو موضوع؛ ثم يحدد الصحفى مادة هذا الخبر أو الموضوع. والصحفى شاهد حى على الأحداث؛ ولكنه يقوم بعمل انتقائى فى المحلّ الأول؛ إذ عليه أن يبحث عن العناصر التى لا تأتى من تلقاء نفسها. وانتقائى، لأنه يختار ما يهم الجمهور.

وبما أن الأمر يتعلق بترجمة حقيقة الحدث إلى كلمات، فى أكبر قدر ممكن من الأمانة، لهذا وجدت قاعدة أقدم من الصحافة نفسها، تحدد بنية كل رسالة إعلامية، وهى سلسلة الأسئلة التى تعارفنا عليها منذ قرون: وهى: من، ماذا، أين، متى، كيف، ولماذا، فالإخبار هو الجواب عن هذه الأسئلة؛ وأهميتها النسبية تتغير وفقاً للخبر؛ ولكن فى جميع الحالات يجب الإعلام الأكثر تبسيطاً عن الأربعة أسئلة الأولى على الأقل، ولا يوجد إعلام متكامل دون الإجابة عن الأسئلة الستة.

إن البناء الموضوعي، الذي سنتعرف عليه فيما بعد، يمكن أن يتمّ بوسائل مختلفة، ولكنه يركّز دائماً على تجميع المواد المشتملة على الأجوبة عن الأسئلة الستة.

ولقد تطور فن الخبر في وسائل الإعلام مستجيباً لمتطلبات الحياة كما يحياها جمهور المتلقين يومياً، وأصبح يعتمد على عناصر الجودة والأسلوب المباشر والسرعة والتنوع، إلى أنه يسعى إلى نقل المعلومات بشكل يتفق تماماً مع سرعة عصرنا هذا، وأصبح يستهدف الإفضاء بالحقائق التي ينطوى عليها بسرعة ووضوح.

ويمكن تقسيم أجزاء الرسالة الإعلامية في فن الخبر إلى قسمين رئيسيين هما: المقدمة أو صدر الخبر ثم هيكل الخبر وصلبه العام. ويضاف إلى هذين القسمين قسم ثالث لا يقل عنهما أهمية في الخبر الصحفي ونعني به "عنوان الخبر". وتعني هذه العناصر جميعاً في الرسالة الإعلامية بتحقيق غرض عام، هو نشر الأخبار بدقة ووضوح لمساعدة القارئ أو المتلقى على الفهم. وفي جميع الأحوال، يعبر الصحفي عن الحقيقة الموضوعية، وابتعد تماماً عن الذاتية في اختيار الألفاظ أو في بناء الخبر والإجابة عن الأسئلة الستة المعروفة. وكانت الأخبار في القرن الماضي تروى بالطريقة الأدبية، فيسير الكاتب بالقصة رويداً رويداً نحو حل العقدة في نهاية الخبر، ولكن الخبر الإعلامي الحديث له قوالبه الجديدة، القائمة على السرد المباشر وإعطاء كلّ الحقائق في أقصر عبارات ممكنة، والابتداء بالعقدة، أو تقديم أهم عناصر الخبر في البداية مباشرة، وهذا ما يسمى بأسلوب الهرم المقلوب.

وقد جاء هذا الأسلوب العام في تنظيم أجزاء الرسالة الإعلامية متأثراً بعوامل تشكيل الهيكل الذي يتكون منه الخبر، وهي: شكل الخبر والوقت والمساحة المتوافران، لتسجيله، ومهارة المحرر.

الهرم المقلوب:

ويعتبر هذا الأسلوب من أقدم أشكال الأخبار وأكثرها ملاءمة وأعظمها نفعا وأقلها ضرراً.. ويقضى هذا الأسلوب بأن نبدأ في تحرير الخبر بالعناصر المهمة أولاً، وهذه المرحلة تتطلب حاسة إعلامية ذواقة وتدريباً ومراناً طويلين. ولا بد أن تحرك هذه البداية انتباه القارئ وأن تثير اهتمامه. والفرق بين المحرر الناجح وغير الناجح إنما

يكمن في هذا الاختيار الدقيق لمقدمة الخبر، فقد يكون هناك تناقض في موقف إنسانى مثير كالرجل الذى يلقى القبض عليه ليلة زفافه، أو العالم الذى يموت قبل استلامه جائزة الدولة التقديرية بعدة أيام، وهناك المقدمة التى تحتوى على تصريح مقتبس من رئيس الجمهورية أو رئيس الوزراء.

ويمكننا تصور هرمين، واحداً فى وضع طبيعى، والآخر مقلوبا.. وهنا نجد أمامنا صورتين واضحتين للفروق الرئيسية بين رواية الخبر والقصة الخيالية أو الأدبية، فقاعدة الهرم المقلوب تمثل الفقرتين الأولى والثانية من القصة الإخبارية، إذ المقدمة هى أهم جزء فى الخبر، حيث تتركز عناصره .

وهذه الطريقة فى رواية الأنباء، قد جاءت نتيجة للتنافس على القراء ومحاوله لفت أنظارهم، وهناك ثلاث أسباب لاتباع أسلوب الهرم المقلوب فى تحرير الخبر الصحفي:

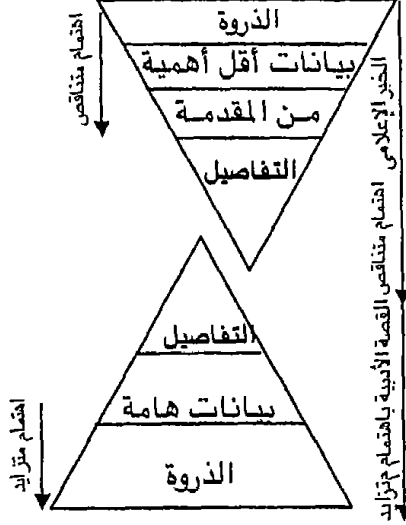
١ - الهدف الأول لوسيلة الإعلام صحيفة أو إذاعة الخ، هو تقديم الأنباء للرجال والنساء الذين ليس لديهم سوى وقت قليل لمعرفة الأحداث.

٢ - ويرى رؤساء التحرير - وهم على حق - أن المقدمة الخبرية تدفع القارئ إلى صلب الخبر، وهذا القارئ نفسه لا يهتم فى قليل أو كثير بالخبر إذا كانت المقدمة جافة لا حياة فيها.

٣ - والعامل الثالث هو ضيق المكان فى الصحيفة والحيز الزمانى فى الإذاعة والتلفزيون، فنظرا لكثرة المواد نجد أن كل موضوع يتعرض للاختصار طول رحلته؛ وهو ينتقل من مكتب إلى مكتب قبل أن ينزل إلى غرفة الجمع أو نشرة الأخبار وقد تضطر الحاجة إلى اختصاره فى اللحظات الأخيرة، وفى هذه الحالات يمكن الاختصار من المؤخرة حتى لا تعاد كتابة الموضوع من جديد ويضيع بعض الوقت.

ومع ذلك فكثيرا ما ترى بعض الصحف تخرج على أسلوب الهرم المقلوب، ونجد المحرر يثير اهتمام القارئ ولا يشبع فضوله بمعرفة السر إلا فى الفقرة الأخيرة.. ولكن هذه الطريقة كما يقول كارل وارن - تتطلب معرفة فائقة. ومع ذلك فإن ٩٠٪ من القصص الخبرية تتبع أسلوب الهرم المقلوب.

فالأسلوب الهرمى إذن، يختلف عن الأسلوب الأدبى فى القصة والمسرحية مثلاً، ذلك أن الأسلوب الأخير يبدأ بالتفاصيل، ويتدرج فى سرد تفاصيل القصة، أوتطورات المسرحية حسب حبكة القصة حتى يصل فى النهاية إلى "الذروة": فالكاتب هنا يحاول



أن يستدرجك معه من التفاصيل الأقل أهمية منتقلاً بك إلى التفاصيل المثيرة فى اهتمام متزايد، ليترك فى نفسك الرغبة فى معرفة ما ستصل إليه الذروة^(١). أما الأسلوب الهرمى فى الخبر الصحفى فالوضع "مقلوب" كما رأينا. فنحن فى المقدمة نحاول أن نقدم أهم ما فى الخبر من معلومات فى صورة مركزة، محددة بحيث تثير فى القارئ الرغبة الشديدة فى معرفة تفاصيل هذه الكلمات القليلة الهامة، ثم نحاول بعد ذلك أن نقدم للقارئ فى هيكل الخبر تفاصيل ما أجمالنا وأبرزنا فى المقدمة الهامة؛ فى اهتمام متناقص.

على أن العاملين حديثاً فى ميدان الصحافة والإعلام ، وبصورة خاصة أولئك الذين يسعون إلى تحسين العمل فى هذا الميدان، لا يكفون عن انتقاد أسلوب الهرم المقلوب، على أساس أنه يتضمن أخطاء فى التسلسل الزمنى لتاريخ الأحداث ... ويقولون إن هذا الأسلوب يرغم المحرر على ذكر القصة الإعلامية ثلاث مرات، مرة فى العنوان، وأخرى فى المقدمة وثالثة فى هيكل الخبر ذاته. وهم يصفون أسس هذا الأسلوب بأنه مضحك؛ لأنهم يعتقدون بأنه يعرقل رواية الخبر؛ طالما أن جوهره يأتى فى المقدمة بدلا من أن يأتى قبيل النهاية. وهناك انتقاد آخر يوجه إلى أسلوب الهرم المقلوب هو أن هذا الأسلوب لا يتقيد بتاريخ ولا يضيره أن تكون القصة قد حدثت قبل أيام من تاريخ صدور الجريدة.

وعلى الرغم من وجهة هذه الانتقادات فإن أسلوب الهرم المقلوب الذى يقوم على أساس ترتيب الأحداث وفق أهميتها. ما زال يعتبر الأسلوب الوحيد القائم على الترتيب المنطقى، من الوجهة الإعلامية. ولهذا المصطلح فائدة فى التفرقة بين ترتيب

(١) جلال الدين الحماصى: المندوب الصحفى ص ٩٤.

الأحداث حسب وقوعها وفق الترتيب الزمنى - وبين إعادة ترتيبها بمعرفة المندوب والمحرر. ثم أن المصطلح - كما يقول جونسون وهاريس - يحمل فى تضاعيفه معنى خافيا هو أن إعادة ترتيب الأحداث أمر لا يتم عشوائيا، بل يتم وفقا لخطة ومبدأ معقولين. والمبدأ الذى يتبع هو ترتيب الأهمية قياسا على ذوق الجمهور المتلقى. ولذلك فإن صدر الخبر أو مقدمته يمثل الواجهة الأساسية فى هذا الأسلوب الهرمى، لأنه يشتمل على أهم ما يحتويه الخبر من مواد.

ويرتبط استعمال الأسلوب الهرمى عند مراسلى الصحف عموما باختراع التلغراف وهو الاختراع الذى فرض إرسال الأنباء بسرعة ودقة، ولقد أدرك المحررون منذ سنوات أسباب القصور فى أسلوب الهرم المقلوب، الأمر الذى أدى خلال السنوات الأخيرة إلى اتباع أساليب جديدة فى كتابة التحقيقات والأخبار المحللة، والحملات الصحفية، والأخبار ذات الطابع الأقل أهمية، أو تلك التى تتميز بأهمية متوسطة.. ولقد استعارت الصحف بعض الأساليب المتبعة فى تحرير الخبر الإذاعى وكذلك الأخبار الأسبوعية والمجلات المصورة وغير ذلك من وسائل الإعلام، أما بالنسبة إلى هؤلاء الذين يريدون من الصحف أن تتخلى عن دورها الإعلامى كوسيلة لنقل الأخبار، تأسيساً على أن الراديو والتلفزيون أسرع من الصحف، فإن الدرس الذى تعلمناه فى ربيع القرن الماضى، يدلنا على أن الجماهير ما تزال تريد قراءة كل ما تسمع أو تشاهد من أحداث. وليس هناك محرر يعتقد أن الجمهور يعرف كل شىء عن حادث معين لمجرد أن الحادث أذيع فى الراديو أو التلفزيون لمدة دقائق قليلة، قبل صدور الصحيفة.

وهناك الكثير من أساليب تحرير الخبر يمكن أن تكتشف وفقا لمتطلبات الجمهور، ولكن طبيعة الجنس الصحفى من بين أجناس الإعلام تحتم استخدام أسلوب الهرم المقلوب الذى يعتبر - حتى الآن - من أفضل الطرق لرواية الأخبار التى تتفق مع العنوان، فى الجنس الصحفى والإعلام الكلاسيكى.

أولاً: تحرير المقدمة أو صدر الخبر.

ولقد رأينا كيف تتكون الرسالة الإعلامية من جزئين أساسيين. أولهما: المقدمة أو صدر الخبر، وثانيهما: الهيكل أو صلب الخبر.

والمقدمة فى الخطابة بدء الكلام، وهى نظير المطلع فى القصيدة، والمدخل فى المسرحية، والاستهلال فى الموسيقى.. وللملاحم كذلك مدخل مثل المأساة والمهابة ويهدف هذا المدخل إلى التمهيد للموضوع، حتى لا تبقى عقول السامعين مغلقة دونه، وليتسنى لهم متابعة ما يعرض عليهم من براهين وأحداث، فهو ميروس يبدأ ملحمة "الإلياذة" هكذا: "تغنى يا آلهة الغناء بغضب البطل.." وهو ما يشعر بموضوع الإلياذة، وهو غضب أخيلوس. ويبدأ "الأوديسا"، هكذا: "قُصِّ على، أى إلهة الشعر من أخبار.." وهو ما ينبئ عن أن موضوعها معرفة أخبار أوديسوس فى عودته.

أما المقدمة الصحفية: فهى (صدر الخبر The Lead)، وهى تهدف إلى فتح شهية القارئ أولاً، ثم إلى تشجيعه على الاستمرار فى القراءة ثانياً، ولا يخفى أن نجاح أية جريدة يقاس فى بعض الأحيان بالوقت الذى يقضيه القارئ فى قراءتها. لذلك يذهب علماء الصحافة إلى أن المقدمة والقدرة على كتابتها بمهارة ودقة وجاذبية، هى مفتاح النجاح فى تحرير الأخبار وبالتالي تحرير الموضوعات الإعلامية الكبيرة، ولهذا فإن، المقدمة يجب أن تلقى عناية كبيرة فى التمرن عليها من كل صحفى ناشئ يرغب رغبة صادقة فى أن يتعلم التحرير على أصوله السليمة الصحيحة^(١).

ولنفرض أن جمعا من الناس قد احتشد حول حطام سيارة فى إحدى زوايا شارع ما؛ خارج حديقة عامة، وجاء أحد المارة وأمسك بالسائق من ذراعه ووجه إليه السؤال التالى:

- مرحبا بك يا زيد.. ما الذى حدث ؟

- قتل طفلان .. قفزت السيارة من المنحنى.

وحقيقة الأمر أن سائق السيارة فى إجابته هذه قد قام بدور المحرّر الذى يلخص الأخبار؛ فهو قد أجاب على السؤال الهام الذى يمكن أن يوجهه إلى أى شخص يعمل فى

(١) جلال الدين الحمامصي: المرجع السابق ص ٥٨.

تحرير الأخبار. ويمكن تشبيه حقائق الخبر الصحفي بمحطة للسكة الحديد ملأى بعربات من جميع الأنواع، والمندوب أو المحرر، هو عامل التحويلة المنوط به مهمة ربط العربات فى القطار فهو ينظر أمامه فى المحطة ويختار منها قاطرات تجر العربات؛ وهذه القاطرة هى المقدمة، وهى أهم جزء فى القطار، ثم يربط فيها بعد ذلك عربات الركاب والبضاعة والمراقبة والسببنة.. التى هى صلب القصة.. وعندئذ يكون القطار معدا للسير.

وإذا كانت مقومات الخبر واضحة فإن المندوب لا يجد صعوبة كبيرة فى اختيار المقدمة ولا يحتاج الأمر إلى مهارة أو إلى خبر خاص لاكتشاف الخبر المشوق الذى يستهل به موضوعه. ولكن الأمر يختلف فى المثال التالى:

"تصادمت سيارتان فى طريق صلاح سالم .

"تهشمت السيارتان .

كان فى السيارة الأولى السيد زيد إبراهيم وحرمه، وفى الثانية السيد عمرو عبد الباقي، وكلهم من سكان مصر الجديدة.

"وما كادت سيارة زيد تسبق سيارة عمرو حتى انطلقت حصاة من إحدى عجلاته وأصابت عمرو فى وجهه.

"فاضطرب عمرو، واضطربت عجلة القيادة فى يده، وتصادمت السيارتان وتهشمتا وأصيب زيد وحرمه بجراح، وهما يرقدان الآن فى المستشفى". والآن نراقب أحد المندوبين وهو يستعرض أوراقه لاختيار أحسنها، وأمامه الحقائق التالية:

١ - تهشمت سيارتان على طريق صلاح سالم (مقدمة محتملة).

٢ - أصيب زيد وحرمه من مصر الجديدة بجراح (مقدمة أخرى).

٣ - زيد وحرمه فى مستشفى هليوبوليس وقد انكسرت أذرعتهما (مقدمة ثالثة قد تكون أفضل من سابقتها).

٤ - حصاة أصابت عمرو فى وجهه فأفقدته سيطرته على السيارة (هذه هى المقدمة).

وهكذا يستهل المندوب موضوعه على الوجه التالى:

"حصاة صغيرة انطلقت من عجلة سيارة مسرعة فأرسلت اليوم شخصين إلى المستشفى، وعندما أصابت الحصاة سائق السيارة الثانية في وجهه أفقدته السيطرة على عجلة القيادة والمصابون هم"

إن المندوب في الواقع يحاول الإجابة على سؤال: ماذا حدث. لأن الإجابة على مثل هذا السؤال تتطلب إحصاءات وسجلات تجعل من لغة الخبر شيئاً مزعجاً. ومع ذلك فإنه في حادث من هذا النوع يتحتم على المحرر أن ينقل القارئ إلى مسرح الحادث، حتى يجعله يراه، ويلمس آثاره، كما فعل المندوب في المقدمة السابقة حيث نقل القارئ وجعله يتخيل ما حدث وكيف وقع الحادث، وكيف أنه يختلف عن حوادث الاصطدام الأخرى، فمقدمة من هذا النوع يمكن اعتبارها مقدمة خاصة لا عامة، لأنها استغنت عن الكثير من الأشياء غير الضرورية التي يمكن إيرادها في صلب الخبر حسبما يقتضى الأمر. فالمقدمة في الخبر الصحفي تقدم الحجج أو العناصر الرئيسية في البداية وما يليها في الأهمية بعد ذلك، فهي تتبع ترتيباً هرمياً يقدم الحجج الرئيسية في البداية Primacy. وقد أظهرت بعض الدراسات أن الحجج التي تقدم في البداية تترك تأثيراً أكبر من تلك التي تؤجل لنهاية الرسالة الإعلامية، بينما أظهرت دراسات أخرى نتائج عكسية.. ولكن ما الذي يجعل العناصر التي تقدم أولاً في حالات النهاية أكثر فاعلية في حالات معينة؟ إن فعالية الرسالة الإعلامية تتوقف على قدرة المتلقيين على فهم المضمون وتذكره. وحينما لا يستوعب المتلقى أياً من العناصر المؤيدة أو يتذكرها فالمعتقدات والتوقعات التي تنبنى عليها لن تتأثر بشكل عام، ولذلك تعنى الدراسات الإعلامية ببحث احتمال أن الفعالية المتنوعة لترتيب الذروة والترتيب الهرمي المناقض لها سوف يتوقف على أيهما ييسر إعلام المتلقيين.

وتأسيساً على هذا الفهم فإن علماء الإعلام. يذهبون إلى أن المقدمة لا بد أن تتصف بالمرونة الكافية بحيث تتشكل وفقاً لنوع الحادث أو الخبر، مع الحذر من الحشو بالتفاصيل، وقد تكون المقدمة اقتباسية تحتوى على عبارة جرت على لسان مسئول كبير مثل "قرارنا هو القتال". وقد توجه المقدمة إلى القارئ نفسه مثل "أنت الآن مطالب بضريبة جديدة" وهناك المقدمة التساؤلية مثل: "هل تستأنف أميركا تجاربها الذرية؟ أما المقدمة الساخنة فهي تحتوى على معلومات مثيرة تخطف الأبصار وتجعل القارئ مشوقاً إلى متابعة الخبر

الشقيقات الخمس:

ويراعى فى تحرير الخبر أن تشتمل المقدمة على الرواية كلها إن أمكن. فالسؤال الآن: ما الذى تتألف منه "الرواية كلها"؟ ما الذى يريد الناس معرفته عن حادث إخبارى، وكيف يتسنى للمرء معرفة إن كان قد عرض جميع المعلومات الرئيسية أولا؟ فمثلا: فى حادث سطو على بنك .. ألا توجد هناك وقائع جوهرية تزيد على الوقائع الجوهرية التى يشتمل عليها حادث اصطدام سيارة؟ وألا يختلف كل حادث عن غيره من الحوادث من حيث نوعية المعلومات التى تساق فى المقدمة الخبرية؟ إن الأحداث وإن اختلفت وتباينت من حيث فحواها فإن لمقدمة الخبر مهمة محددة تؤديها. ومن حسن حظ المندوب والمحرر الصحفى أن العقل البشرى قادر على أن يوجه عددا محدودا من الأسئلة المختلفة، فليس لحب الاستطلاع - على حد تعبير جونسون وهاريس - إلا ستة أنياب أو مخالب يعض بها المجهول أو يمزق حجبها، وما تلك الأنياب الستة إلا أسئلة ستة موجزة منها خمس شقيقات هى: من؟ ماذا؟ متى؟ أين؟ لماذا؟، وأخت سادسة غير شقيقة هى: "كيف؟". ولعل السبب فى اعتبار "كيف" اختا غير شقيقة، يرجع إلى أن الإجابة عليها متضمنة فى حالات كثيرة فى إجابات الشقيقات الخمس الصريحة.

هذه الأسئلة الستة على طرافتها ووضوحها، تمثل العناصر البسيطة الواضحة من الناحية اللغوية: أى الموضوع والإسناد والخصائص والصفات وظروف الزمان وظروف المكان المتعلقة بالوقت والمكان والكيفية والسبب أو العلة. ويتبع ذلك أنه متى أمكن تقديم هذه العناصر جميعا تقديمًا سليما بليغا فى مقدمة الخبر، فإن هذه المقدمة تكون قد أدت مهمتها فى سرد الرواية كلها، سواء كانت تلك الرواية مطولة أو صغيرة، ويتبع ذلك أيضا أن بقية الرواية قد لا تعدو أن تكون توسعا فى حالة العوامل القليلة، يتناسب طولها مع ما يقتضيه الحادث الخبرى المعين.

ولقد كانت الصحافة العالمية قبيل الجزء الأول من ١٨٦٥ م تكتب أخبارها بلغة أدبية ودون مراعاة لقواعد معينة أو دراسات علمية.. وفى إبريل ١٨٦٥ م قتل الرئيس الأمريكى إبراهيم لنكولن، وكان أول تقرير خبرى كتبه مندوب وكالة الأنباء الأمريكية الأسوشيتدبرس فى واشنطن هو:

"أطلق الرصاص على الرئيس هذا المساء وهو فى المسرح ومن المحتمل أن تكون الإصابة قاتلة".

هذا الخبر البسيط، القصير، اشتمل على أغلب العناصر التى يمكن أن يبادر القارئ بطلبها:

من هو الذى أصيب؟ الرئيس ابراهام لنكولن.

أين أصيب الرئيس الأمريكى؟ .. فى المسرح.

متى أصيب لنكولن؟ .. مساء اليوم .

وطبيعى أن القارئ يهتم أن يعرف بعد ذلك إجابة عن سؤال آخر هو:

ولماذا أطلق الرصاص على الرئيس الأمريكى؟

ومتى عرف القارئ السبب الذى دفع المتهم إلى إطلاق النار. فإنه يريد أن يعرف

أيضا إجابة أخرى عن سؤالين آخرين هما:

ماذا حدث بالتفصيل؟ وكيف حدث؟

وعندما تكتمل كل الإجابات المطلوبة يحس القارئ أنه قد ألم بكل التفاصيل التى يهتم أن يعرفها، وما زاد على ذلك من بيانات إنما هو مزيد من التفاصيل التى لا يمكن لرواية إعلامية أن تكتمل بدونها، وهى فى نفس الوقت التفاصيل التى تميز الصحفيين بعضهم من بعض، والتى تتوفر نتيجة ليقظة المندوب الصحفى ومحاولته جمع أكبر قدر من التفاصيل.

والشقيقات الخمس والأخت السادسة - كيف - مما يندرج تحت باب "الاستفهام" وفى لغتنا العربية قد يكون - الاستفهام سؤالاً عما لا تعلمه لتعلمه، فيخص باسم الاستفهام، ومنه ما يكون سؤالاً عما تعلمه ليقر لك به، فيسمى تقريراً".

وتهدف الأسئلة الستة إلى تحقيق الغرضين معا، كما أنها ليست كل شىء فى "الموضوع الصحفى، ولكنها فى حقيقة الأمر المفاتيح اللازمة لفتح الأبواب المؤدية إلى كل التفاصيل - على حد تعبير الأستاذ الحمامسى - وليس كل موضوع صحفى مما تتوفر فيه الإجابة عن كل هذه الأسئلة فوراً، فقد يصادفك حادث وليس فيه إلا إجابة

واحدة على استفهام واحد منها.. وهنا نقود الأسئلة الأخرى إلى معرفة بقية التفصيلات التي تعطى للموضوع وحدة إعلامية.

ويتطلب هذا الأسلوب فى كتابة المقدمة الصحفية أن نجيب، عن الأسئلة التي تخطر على بال أى شخص عادى يكون فى موقف يحتم عليه إعلان حدث ما.

وسواء كان الخبر مجرد خبر عادى أو خبراً ضخماً الأهمية، فيجب أن تتضمن المقدمة: حقائق الرواية الجوهرية. ولقد ذكر أحد محررى الأنباء المحلية قواعد صناعة الأخبار من ألفها إلى يائها عندما صاح مجيباً عن سؤال مندوبه، قائلاً "أسرد الخبر كله فى الفقرة الأولى، وحافظ على التشويق طوال ما تبقى من العمود".

على أن أفضل المقدمات الصحفية لا تكتفى بمجرد إشباع الفضول الأولى للقارئ فحسب، ولكنها تفتح شهيته إلى الاستزادة، من القراءة كما تقدم. ويمكن القول إذن أن على المحرر الصحفي أن يتأكد من أن مقدمته التحريرية تؤدي الوظائف الخمس التالية:

- ١ - تعرض ملخصاً للموضوع الصحفي.
- ٢ - تكشف عن هوية الأشخاص والأماكن ذوى العلاقة بالموضوع.
- ٣ - تبرز الطابع المميز للخبر
- ٤ - تعطى آخر الأنباء عن الحدث.
- ٥ - تثير اهتمام القارئ إذا أمكن متابعة قراءة الموضوع.

ويميل الاتجاه الحديث إلى تحقيق هذه الأمور كلها بأكثر ما يمكن من السرعة والإيجاز ومع أن رودولف فليش، أحد مستشارى وكالة الاسوشيتدبرس فى "الانقرائية" أو تيسير القراءة، يصر على أن المقدمة المبنية على أساس الإجابة عن الشقيقات الخمس، قد أصبحت قديمة العهد، فهناك كثير من التقاليد العظيمة والقديمة التى ما تزال حية، وعلى الرغم من ذلك فقد كان من شأن نشرات الأخبار المذاعة من الراديو والتلفزيون ، ومن شأن المجلات الخيرية أن حفزت الصحف ونبهتها إلى ضرورة إدخال المزيد من الأساليب فى كتابتها وتيسير القراءة، وتظهر آثار ذلك الاتجاه السائد الآن نحو الاختصار للفقرة الاستهلالية فى المقدمة الخيرية.

ويذهب "بوندي" إلى أن المقدمة العادية ينبغي ألا تزيد في مجموعها على الثلاثين كلمة، ويستطيع كتاب العناوين أن يرووا النبأ في عشر كلمات.

ويشير هذا الاتجاه الحديث في كتابة المقدمة إلى أهمية الخبر أو الموضوع الصحفي؛ ويعد ذهن القارئ للتفصيلات التي ستتبع.

وعملية إعداد ذهن القارئ تتوقف بطبيعة الحال على الشقيقات الخمس، أيهن أقوى أثراً وإثارة في الحادث، فالذي لا شك فيه أن هذا الأثر يختلف باختلاف الأحداث وباختلاف أمزجة القراء. ومن هنا تبدأ النظرية الأولى في كتابة الخبر بسؤال هو: "أي الشقيقات أكثر أهمية كي نبدأ الإجابة عنه؟".

وتتوقف الإجابة عن هذا السؤال على عامل أساسي يتصل "بواقعية الخبر ذاته، وما فيه من وقائع، وأخيراً يرضى ذوق الجمهور

١ - الاسم - (من؟)

مثال ١ - "وجه الرئيس السادات أمس نداء عاجلاً إلى كافة أطراف الحرب الأهلية في لبنان" يطالبهم فيه بوقف هذه المأساة الدامية التي تنذر بأوخم العواقب، ليس فقط على أطراف الأزمة اللبنانية، بل على الأمة العربية بأسرها".

في هذا المثال نجد أن اسم الرئيس السادات جاء في بداية الخبر. ومعنى ذلك أن الإجابة جاءت عن السؤال: "من؟". ذلك أن الخبر حينما يتعلق بشخص أو مكان أو شيء مشهور فلا بد من تصديره في مقدمة الخبر، لأن الاسم كاف في حد ذاته لتهيئة ذهن وجذب الاهتمام.

وما لم يتفوق عنصر غير "من" على سائر العناصر وجب أن تكون الأولوية للاسم الكبير. وعلى نفس القياس يمكن الاستهلال "بما" إذا تعلق الخبر بمكان أو بشيء ذي أهمية قصوى.

مثال ٢ - "يرتفع علم مصر ابتداء من ظهر اليوم فوق حقول بترول أبو رديس التي يدخلها الخبراء المصريون في الساعة الثانية عشر ظهراً، ويזור هذه الحقول بعد غد المهندس أحمد هلال وزير البترول الذي يحضر شحن أول دفعة من إنتاج هذه الحقول إلى معامل التكرير بالسويس نحو نصف مليون برميل تبلغ قيمتها ٥ ملايين دولار".

٢ - الشيء - (ماذا؟) :

مثال ٣ - "اصطدم مقدما سيارتين فى طريق صلاح سالم فأدى ذلك إلى نقل سائق السيارة السيد زيد العامل بشركة (...) إلى مستشفى الحسين الجامعى، وهو فى حالة سيئة صباح اليوم.

يلاحظ أن خبر الحادث هو الذى تقدم على غيره من العناصر الأخرى فى المقدمة، لأن المندوب شاهد الحادث بنفسه، أى أن الاستفهام (بماذا؟) هنا أهم.

مثال ٤ - "كشف جواهر وحلى داخل مومياوات الفراعنة" .. فقد تضمن تقرير البعثة المصرية الأمريكية المشتركة الصور التى التقطت بالأشعة للمومياوات الملكية أنها قد كشفت عن جعران كبير فى حجم الطبق وعلى شكل قلب، داخل مومياء الملكة نجمت (أى الجميلة) زوجة الملك حريحور فى الأسرة الـ ٢١ بالإضافة إلى ٤ تماثيل صغيرة أخرى داخل بطنها لأولاد الإله حورس".

وهذا الخبر كذلك يبدأ بالإجابة عن "ماذا اكتشف" فى بداية الخبر، لأن خبر الإكتشاف أهم من الإجابة عن العناصر الأخرى فى الاستهلال.

٣ - الزمان .. (متى؟) :

مثال ٥ - "بعد خمس عشر دقيقة من وضع علامة "الخطر" بمعرفة شرطة المرور عند تقاطع المتديان مع مترو حلوان، أصيب السيد زيد السائق فى النقل العام إصابة شديدة فى حادث سيارة وقع عند ذلك التقاطع.

مثال ٦ - "خلال ٦٠ يوما من لحظة وقف القتال تسحب أمريكا كل قواتها من فيتنام وتفرج هانوى عن كل الأسرى.. أذيعت أمس فى كل من باريس وواشنطن وهانوى، نصوص اتفاقية "إنهاء الحرب واستعادة السلام فى فيتنام عند منتصف ليلة - السبت - الأحد".

فإذا كان عنصر الزمان قلما تفوق أهميته غيره من العناصر، إلا أن هناك من الظروف كما تبين فى المثالين السابقين، ما يجعل لعنصر الزمان شأنًا كبيرًا، فلعنصر الزمان أهمية واضحة فى حادث المتديان، كما أن له أهمية تنصدر مقدمة الخبر

الثاني لتحديد موعد سحب أمريكا قواتها من فيتنام بعد حرب طال مداها، مما يسوغ وضع هذا العنصر في منزلة الصدارة على ما عداه.

٤ - المكان .. (أين) !

مثال ٧ - "من أعلى برج الجزيرة، وقف شاب يهدد بإلقاء نفسه إذا لم تتحقق رغبته في الحصول على وظيفة حكومية تقدم لها مع آخرين^(١)."

فلو أن هذا الشاب وقف مثلاً في نافذة الدور الثاني وهدد بإلقاء نفسه لما استحق تحديد المكان في بداية الخبر، ولكن وجوده في أعلى برج القاهرة . وقد يكون الحادث الأول من نوعه.. هذا السبب يفسح المجال للشققة "أين". المكان الأول فعنصر المكان يتقدم غيره من العناصر بسبب اختيار "مكان الانتحار" وذيوع شهرته.

٥ - السبب .. (لماذا؟) :

كثيراً ما يكون سبب الحادث أو الحافز عليه عنصراً من عناصر الخبر، فإذا عز على المندوب أن يتبين سبب الحادث أو علته، فقد تضيع عليه فرصة استهلال خبره بعنصر مشوق.. وللتمثيل على ذلك نورد المقدمة الاستهلالية التالية:

مثال ٨ - "بسبب إسراع السائق ليكون إلى جوار فراش أمه المحتضرة أصيب إصابة خطيرة في حادث نقل على أثره إلى مستشفى الحسين الجامعي.. فقد اصطدمت مقدمة السيارة التي كان يقودها السيد زيد بسيارة أخرى واقفة عند تقاطع شارعي .. و...". وهكذا يحرص المندوب على أن يبرز سبب الحادث في المقدمة الاستهلالية للخبر نظراً لأهمية التساؤل (بماذا؟) في هذا الحادث بالذات.

مثال ٩ - بأمر الجان .. نفذت سيدة حكم الإعدام في صديقة لها عمرها ١٩ سنة زاعمة أنها تنفذ أوامر الجان والغريب أن الفتاة استسلمت للقتل دون أى مقاومة وأن السيدة قامت بإبلاغ الشرطة بجريمتها".

مثل هذا الخبر كان من الممكن أن يبدأ بالطريقة التقليدية "قتلت سيدة صديقة لها.. ثم نبدأ بعد ذلك في رواية الأسباب .. ولكن من الواضح أن السبب قد تقدم غيره

(١) الحمامصي: المندوب الصحفي ص ٦١.

من العناصر، لأن السيدة المريضة توهمت أن الجان هم الذين أصدروا إليها حكم الإعدام في صديقتها فنفذته على الفور!

ويمكن تسمية هذا النوع السببي من أنواع المقدمات بمقدمة "الذافع" حيث تكشف دائماً عن الدوافع والأسباب في حادث من الأحداث، تؤدي إلى نتائج معينة.

٦ - مقدمة الطريقة (كيف؟)!

والتساؤل "بكيف" يصلح أحياناً في المقدمة الصحفية ليكشف عن "الطريقة" أو كيفية حدوث الحدث، ومن أمثلة ذلك:

مثال ١٠ - اندفع السائق من نافذة السيارة عقب اصطدام مقدمتها بسيارة أخرى فنقل إلى المستشفى في حالة سيئة.. وقد وقع الحادث للسيد زيد في طريق صلاح سالم.

وهنا يبرز المندوب "طريقة" وقوع الحادث للسائق، حين يقدم عنصر الإجابة عن "كيف" على سائر العناصر المكونة للخبر.

التجديد في تحرير

المقدمة الصحفية:

وفى تحرير المقدمات الصحفية؛ فى صدر الخبر؛ أو الموضوع الصحفى؛ وفنون العالم من: تحقيق؛ وحديث؛ وتقرير؛ ومقال؛ يستطيع المحرر استهلال الخبر أو الموضوع عن طريق عدة أشكال تعتبر فى حد ذاتها نوعا خاصا من أنواع المقدمات الخبرية، لأنها لا تحرص على مراعاة استخدام العناصر الستة فى صدر الخبر، ولعل المقصود من هذه الطرق الجديدة هو أن تكون وسيلة من الوسائل التى يراد بها إضفاء الوضوح والتميز على طابع الخبر. ويلاحظ أن معظم الطرق الجديدة من المقدمات الخبرية يعتمد على عنصر الترقب والانتظار اعتمادا كبيرا لإثارة اهتمام القارئ من هذه الزاوية، وربما "ورد فى المقدمة عنصر من العناصر الاستفهامية الستة، غير أن بقية العناصر ترد عادة قبل أن يصل القارئ إلى نهاية الفقرة الثانية أو الثالثة من الخبر"^(١).

وقد أثبتت عدة أشكال من هذه الطرق صلاحيتها للقراءة وأصبحت بمثابة قواعد قياسية تقريبا فى كتابة المقدمة، ولكنها لا تنفصل عن طبيعة المادة الخبرية بحال من الأحوال، ذلك أن هذه الطبيعة هى التى تملى على المحرر اختيار الطريقة الملائمة للمقدمة الخبرية.

١ - المقدمة الساخنة:

يقول "هوارتون": إذا استطاع المحرر أن يحتفظ فى أسلوبه بعامل الإثارة الذى أودعه العبارة الأولى، لكان أحد طلبة الجامعة من الكتاب الأفذاذ، فقد بدأ ذلك الطالب قصته: "بحق الشيطان.. قالت الدوقة وهى تشعل سيجارتها.. الخ.

وتقوم المقدمة الساخنة على أساس من حشد جميع عناصر الإثارة فى الجملة الأولى من الجمل التى يشتمل عليها الصدر. وهى الجملة التى تقوم مقام العنوان فى معظم الأحيان.

(١) د. حمزة: المرجع السابق ص ٩٧.

مثال ١ - رئيس جمعية منع المسكرات يدخل السجن بتهمة ضبطه سكرانا فى الطريق.. قال له القاضى: لقد ارتكبت جريمة فادحة فى حق الأخلاق.. الخ.

هذا النوع من المقدمات يثير الاهتمام، فهو يعطى القارئ من المعلومات ما يكفى لتحريك شهيته إلى المزيد منها، لا أكثر.. وبعد المقدمة، تسرد القصة عادة حسب تتابع وقائعها الزمنية بحيث يحب القارئ أن يتابعها حتى النهاية. ليبلغ ذروتها. ويستعمل المحررون هذا النوع من المقدمات فى الأخبار القصيرة بصفة رئيسية على أساس النظرية القائلة بأن استعماله فى الموضوعات الطويلة يجعل القراء يحجمون عن الخوض فيها فقرة بعد فقرة.

مثال ٢ - "عاملان بالمطار يسرقان ملابس داخلية مصدرة للخارج من أجل استعمالها الشخصى.. فقد انتهز العاملان فرصة تكس صناديق وأكياس الملابس بمخازن المطار وقاما بسرقة مجموعة من فانات "جيل" المعدة للتصدير.. قام النقيب على فوزى بمباحث المطار بضبط المسروقات مخبأة داخل "الدواليب" الخاصة بالمتهمين وقد اعترفوا بالسرقة وقالوا إن الهدف من السرقة هو الاستعمال الشخصى وليس بقصد المكسب.. ومن المعروف أن هذا النوع من الفانات غير متوافر فى السوق المحلى".

٢ - مقدمة الصورة:

من طرق التجديد فى صدر الخبر أن تعتمد إلى رسم صورة حية للشخص الرئيسى فى القصة الخبرية، حتى تمكن القارئ من تخيل القصة بسهولة، دع القارئ يرى الشخص كما تراه ويتخيل الحادث كما رأيته بنفسك، .. وهذه المقدمة تفيد فى تحرير فنون المعالم؛ كما تستخدم فى الخبر أيضا:

مثال ٣ - كانت عيناه نصف مغمضتين وكان وجهه لا يعبر عن شىء عندما ارتقى عمرو عبدالباقي على المقعد والنائب العام يصفه بأنه قاتل لا قلب له".

مثال ٤ - "خطوات متزنة مثل نغمات موسيقاه الهادئة الرائعة، والأنظار كلها مركزة عليه، تقدم الطفل (وهنا يذكر اسم الطفل) إلى المنصة الكبرى فى قاعة الاحتفالات بجامعة القاهرة ليصافح نائب رئيس الجمهورية الذى جاء إلى الحفل ليقلد هذا النابغة الصغير نيشان الفنون تقديرا من الدولة لنبوغه.. لم يلتفت الطفل

يمينا أو يسارا.. لم يهزه دوى التصفيق الذى انبعث من كل ركن فى القاعة الكبرى. نظرة واحدة هى التى جعلت الدموع تترقرق فى عينيه. إنها نظرة أمه إليه التى كانت تجلس إلى جانب نائب رئيس الجمهورية . لقد تقدم منها وقبل أن يقدم يده لمصافحة نائب الرئيس انحنى على يدها وقبلها قبلة الوفاء.. واحتضنته أمه.. ودوت القاعة بالتصفيق الذى لم تشهد القاعة مثله من قبل".

هذا التصوير "البسيط" فى ألفاظه - كما يقول الأستاذ الحمامسى - والذى روعى فيه أن يكون كل لفظ فيه معبرا ببساطة لا تعقيد فيها، هو الذى يحرك مشاعر الجماهير القارئة ويجعلها تحس أنها ترى ملامح "الصورة" الخاطفة التى مضت بين تقدم الطفل من مكانه إلى حيث طبع على يد أمه قبلة الوفاء..

٣ - المقدمة المقارنة :

من طرق التجديد كذلك: الاعتماد على المفارقات والتناقضات... وفى هذا النوع من المقدمات يقابل المحرر بين المفارقات والأضداد؛ كمقابلته بين الصغير والكبير، والمهابة والمأساة، والماضى والحاضر:

مثال ٥ - " أقيم هنا احتفال عظيم من خمسين سنة .. فقد احتشد الناس جميعا لمشاهدة عملية إرساء الحجر الأساسى لأول مبنى ارتفاعه ستة طوابق يقام فى المدينة. أما اليوم فلم يحفل بإرساء الحجر الأساسى لعمارة "هالى" التى سترتفع إلى خمسة عشر طابقا.

فالمقابلة بين الأضداد تجد طريقا سهلا إلى قلوب القراء ونفوسهم فإذا وقف عملاق فى السيرك يصافح قزما فإن هذا المنظر يثير الجماهير أكثر مما يثيره منظر كل واحد منهم على حدة، ونفس الشيء ينطبق على فنون التحرير الصحفى.

مثال ٦ - "لقد كانت الوحوش الضاربة فى الغابة حيوانات أليفة يلهو بها (فلان) وهو يصيد النمر فى الأسبوع الماضى.. واليوم يرقد صاحبنا فى المستشفى بسبب فأر وليم ...

مثال ٧ - "حصل عبد السميع إبراهيم أمس على جائزة مائة جنيه لأنه ساق سيارته التاكسى ٢٥ عاما دون أن يرتكب حادثة أو توقع عليه مخالفة مرور واحدة.. وبعد

أن غادر مكان الحفل فى طريق عودته إلى منزله ليحتفل مع أولاده بهذه الجائزة صدم طفلة صغيرة فى الطريق فماتت لفورها وبات ليلته فى السجن^(١).

٤ - المقدمة التساؤلية:

اختلف علماء الصحافة فى هذه الطريقة فبعضهم يرى أن استهلال القصة الخبرية بسؤال فيه غموض على القارئ" ومعناه عدم نقل معلومات جديدة إليه، وإنه من واجب الصحفى أن ينقل الأنباء إلى القارئ لا أن يقدم إليه سؤالاً.. ورغم وجهة الحجة، فإن بدء القصة بسؤال قد يكون بداية ناجحة فى بعض الأحيان لإثارة اهتمام القارئ.

مثال ٨ - "هل من حق الزوج أن يصفع زوجته إذا رفضت أن تغلق الباب؟ تلك هى المشكلة التى واجهت القاضى (وهنا يذكر اسمه) فى محكمة الأحوال الشخصية. وقد قضى بالنفى^(٢)."

وتعد الطريقة التساؤلية بعيدة الأثر متى كان قوام مشكلة من المشكلات التى يعزى الاهتمام إلى علاج لها مثل:

مثال ٩ - "كيف يمكن إنقاص عدد ضحايا حوادث المرور؟

"هذا سؤال بحثه اليوم ثلاثة من كبار المسئولين فى المدينة هم: المحافظ ومدير المرور ونقيب السائقين بعد أن تلقوا نبأ وفاة شخص سابع نتيجة لحوادث المرور فى هذا الشهر^(٣)."

وتستخدم المقدمة التساؤلية كذلك فى الأخبار ذات الصلة بواجب الجمهور إزاء بعض الإجراءات الحكومية وغير الحكومية ، مما يكسب الخبر نوعاً من الجدية والأهمية.. حتى ولو لم يكن فيه سوى التنبيه فقط :

مثال ١٠ - هل دفعت الضرائب المطلوبة منك؟."

يذكر ابن وهب فى "البرهان" أن أنواع البحث والسؤال التى يمكن الإفادة منها فى المقدمة التساؤلية، تسعة أنواع:

(١) الحماصى : المرجع السابق ص ٨٠.

(٢) كارل وارين : المرجع السابق ٦٠ .

(٣) جونسون وهاريس : المرجع السابق ص ١٢٤ .

أولها: البحث عن الوجود بـ "هل" تقول "هل كان كذا وكذا" فيقال .. "نعم" أو "لا" (وذلك فى الفقرة التالية للفقرة التساؤلية فى المقدمة بطبيعة الحال، كما رأينا فى الأمثلة المتقدمة).

والثانى: البحث عن أنواع الموجودات بـ "هل" كان كذا وكذا فيقال .. "نعم" أو "لا" (وذلك فى الفقرة التالية للفقرة التساؤلية فى المقدمة بطبيعة الحال، كما رأينا فى الأمثلة المتقدمة).

والثالث: البحث عن الفصل بين الموجودات بـ "أى" نقول: "أى الأشكال المربع؟" فيقال: "هو الذى تحيط به أربعة خطوط".

والرابع: البحث عن أحوال الموجودات بـ "كيف" تقول: كيف الإنسان". فيقال: منتصب القامة".

والخامس: البحث عن عدد الموجودات بـ "كم؟".

والسادس: البحث عن زمن الموجودات بـ "متى" تقول: "متى كان هذا؟ فيقال "فى زمن الرشيد".

والسابع: البحث عن مكان الموجودات بـ "اين" تقول "اين زيد؟ فيقال: "فى الدار". و"من" لا تستعمل إلا فى المسألة عمن يميز ويعقل.

والثامن: البحث عن اشخاص الموجودات بـ "من" تقول "من خرج؟ فيقال زيد". والتاسع: البحث عن علل الموجودات بـ "لِمَ".

٥ - المقدمة الاقتباسية :

وقد تسمى "مقدمة الحديث المنقول"، ذلك أنه فى بعض الأحيان تبرز عبارة صغيرة أو جملة مقتضبة فى تصريح أو حديث خاص، وتظل وحدها أهم نقطة فى الحديث كله، ومثل هذه العبارة جديرة بأن تتصدر المقدمة الصحفية، ولكن يجب على المحرّر أن يشرح تلك العبارة فى صلب الخبر:

مثال ١١ - "أستطيع أن أقتل أى واحد منكم بثلاثمائة دولار".

"هكذا أعلن رئيس البوليس (وهنا يذكر اسمه) على ثلاثمائة من أعضاء نادي (كذا) الذين اجتمعوا أمس. ثم استطرد رئيس البوليس يقول: "لقد هبطت أسعار القتلة المحترفين كثيرا في العام الأخير^(١)".

وفى معالجة الأخبار السياسية وغير السياسية ذات الصلة بالجمهور والتي قد يكون فيها تحديد مصائر وسائل معينة، ينبغي أن تبدأ المقدمة بجملة مقتبسة أو عبارة قوية:

مثال ١٢ - "قال وزير الخزانة إن قانون تعديل ضريبة كسب العمل سيصدر خلال أيام .."^(٢).

فمن الأفضل أن تبرز في مقدمة الخبر كلاما "منسوباً" إلى مصدر مسئول.

مثال ١٣ - "إن ثقتي كاملة في الوزير (وهنا يذكر اسمه) ولن يخرج من الوزارة.. بهذه الكلمات قال (وهنا يذكر اسم المسئول) كلمته الحاسمة في مؤتمره الصحفي الذي عقده أمس"^(٣).

وهنا يستشهد المحرر بقول هام موجز أفضى به صاحبه، والأغلب أن يكون شخصا، مسئولا أو مشهورا أو ذا حيثية:

مثال ١٤ - "السادات يعلن: "المصالحة الوطنية اللبنانية تمثل خطوة السلام القادمة" وذلك في الكلمة التي ألقاها الرئيس السادات في ختام أعمال المؤتمر الاستثنائي للقمّة العربية".

٦ - المقدمة الوصفية:

وإذا كانت مقدمة "الصورة" نعى بالشخص أو الأشخاص الذين اشتركوا في صنع الخبر، فإن المقدمة الوصفية تعنى بالمنظر الذي وقع فيه الحادث إذا كان أهم من الأشخاص، ويوسع المحرر في هذه المقدمة أن يعدّ المسرح لتمثيل قصته الصحفية، فيصف المشهد المعنى بالخبر أو الموضوع؛ وأكثر ما يكون ذلك في الحفلات والمهرجانات والمعارض العامة، والحدائق، والأماكن التي تصنع فيها الأحداث ونحو ذلك:

(١) كارل وارين : المرجع السابق ص ٦١ .

(٢) الحماصي : المرجع السابق ص ٨٢ .

(٣) الحماصي : المرجع السابق ص ٨٢ .

مثال ١٥ - " نفذ منه الوقود، وليس عنده مظلة، ولكن الحظ حالفه، واستطاع طيار ذو أعصاب من حديد أن يهبط مضطرا ليلة أمس في عاصفة ثلجية بالقرب من مطار (...) دون أن يصاب بأذى إلا من خدشات بسيطة في جناح الطائرة.

مثال ١٦ - "بريق أخضر يخطف الأبصار أضواء ليلة أمس نصف المحافظة عندما شاهد الناس طريقا من نار يصل الأرض بالسما ويسقط منه شهاب ملتهب فى بحيرة راكدة بالقرب من (وهنا يذكر أسم المدينة) (١).

مثال ١٧ - تحولت معارك سيناء - التى بدأت صباح يوم الأربعاء - إلى أكبر صدام، بالدبابات فى تاريخ الحروب فى العالم يدور فيه قتال شرس وعنيد بمئات الدبابات ومئات العربات المدرعة وبطاريات المدفعية والصواريخ المضادة للدبابات وكذلك قوات الطيران والدفاع الجوى..

"وقد ذكر خبراء وزارة الدفاع الأمريكية الذين يتابعون المعركة. مع كل الدوائر العسكرية فى العواصم الكبرى. أن معركة الدبابات الحالية ربما تكون لها نتائج هامة فى سير القتال كله، وأضاف الخبراء أن هذه المعركة الضخمة قد لا تنتهى قبل بضعة أيام أخرى".

٧ - المقدمة الإذاعية :

ومن طرق التجديد فى صياغة صدر الخبر أو الموضوع الصحفى؛ أيضا الطريقة التى تسمى بالخطاب المباشر أى توجيه الخطاب إلى القراء مباشرة، غير أن هذه الطريقة. أقرب للإذاعة وبها أشبه، ولذلك نسميها بالمقدمة الإذاعية الشخصية التى تستثير الاهتمام. فالمحرر يخاطب القارئ مباشرة أو ضمنا، باستعمال ضمير المخاطب "أنت" ومن شأنه أن يحمل القارئ على التضامن معه بالنسبة إلى القول الذى يتبع.. وغالبا ما يبدأ هذا الأسلوب بعبارات مثل: "لو أنك فكرت قط" أو "لو أنك شاهدت أو قرأت قط".

مثال ١٨ - إذا كنت تظن أنك تتحمل الكثير عندما تضطر إلى الاستماع إلى شقيقتك الصغرى وهى تتمرن على البيانو، فارث لحال (فلان) الذى كان عليه أن

يستمع خلال الثلاثين سنة الماضية إلى ٢٠,٥٠٠ طفل وهم يعزفون على البيانو . ومع ذلك يحبّ عمله".

مثال ١٩ - لا تتوقع رحمة من خبير الأرصاد الجوية، لأنه يتكهن باستمرار موجة البرد.

وإذا كانت الأصالة تأبى النمطية التي تتعدى حدود القول العام. فإن طريق التجديد أمام المحررين الممارسين الذين يخترعون كل يوم جديداً في كتابة صدر الخبر أو مقدمة الموضوع الصحفي؛ تقتضى من المحررين التفكير الدائب؛ ابتداءً من جمع المعلومات عن خبر من الأخبار، وحتى لحظة كتابتها، لإيجاد مقدمة مناسبة: يختار لها هذا العنصر أو ذاك؛ من العناصر؛ والذي يتقدم غيره في الأهمية، حتى يمكننا أن نذهب إلى أن الطريقة المثلى لاكتساب الخبرة التحريرية إنما هي في ممارسة تحرير المقدمات الصحفية.

ثانياً: حلقة الاتصال في الهيكل الصحفي

بعد الانتهاء من كتابة المقدمة ووضعها في صيغتها النهائية تبدأ المهمة الثانية وهي سرد الموضوع. ويشبه "وارين" المقدمة بالرأس والأكتاف من التمثال، والصلب بمثابة الجسم، وعلى المحرر أن يلائم بين هذين الجزئين ملاءمة تامة.

ذلك أن فنون التحرير الصحفي تعتمد على لغة النثر، وهي فنون أقرب ما تكون إلى فن الترسل في تراثنا، والترسل من : "ترسلت - أترسل - ترسل" وأنا مترسل كما يقال "توقفت بهم - وأتوقف - توقفاً، وأنا متوقف ولا يقال ذلك إلا فيمن تكرر فعله في الرسائل... ويقال " أرسل - يرسل - إرسالاً - وهو مرسل، والاسم "الرسالة" أو "راسل يرسل وهو مراسل، وذلك إذا كان ومن يرأسله قد اشتركا في المراسلة.. وأصل الاشتقاق في ذلك أنه كلام يرسل به من بعيد، فاشتق له اسم الترسل، والرسالة من ذلك".

فإذا كنا نتفق على أن المحرر يقوم بدور "المرسل" في نظرية الإعلام وأنه يقوم بتحرير "الرسالة" الإعلامية" وهي هنا فن الخبر أو الموضوع الصحفي، فإنه لا بد كما يقول علماء البلاغة. أن يكون "عارفاً بمواقع القول وأوقاته واحتمال المخاطبين به، فلا يستعمل الإيجاز في موضع الإطالة فيقصر عن بلوغ الإرادة، ولا الإطالة في موضع الإيجاز فيتجاوز في مقدار الحاجة إلى الإضجار والملالة"

ومن أجل ذلك عني القدامى من الصحفيين بوضع قواعد يستطيع المحرر المبتدئ، إتباعها، فلا بد بعد كتابة المقدمة أن يعثر المحرر على جسر يربطها دون افتعال أو التواء ببقية الخبر، وغالباً ما يكون هذا الجسر جملة أو جملتين على الأكثر:

مثال ١ - "وصف (تيرز) مدير إدارة الحداثق الاقتراح بأنه سخيـف وليس فيه نوع من الاقتصاد، ورفض مشروعاً لبناء حديقة حيوانات صغيرة تكلف ٢٥ ألف دولار في الجزء الشمالي من حدائق جرين ميدلز".

"وقد ناقش جرين المشروع مع أعضاء جمعية الحيوان في المدينة أثناء مأدبة أقيمت في فندق شيراتون".

"وكيف نحصل أولاً على مبلغ ٢٥ ألف دولار؟ تساءل جرين... وهكذا جاءت الفقرة الثانية جملة واحدة تربط بين المقدمة والموضوع وغالباً ما تكون هذه الفقرة جواباً عن أحد الأسئلة الستة، وعادة ما تكون جواباً عن سؤال: أين .. ولماذا؟

ومع أن الخبر قد لا يتطلب حلقة الاتصال هذه؛ إلا أنها فى الواقع كما يذهب إلى ذلك الاستاذ الحمامسى . تخدم واحدا من الأغراض الآتية:

(أ) أنها "تكمل" بعض البيانات الأساسية التى قد لا يكون لها مكان فى المقدمة خشية أن تسبب ازدحاما بها .

(ب) أنها توفر المكان لابرار واقعة أو أكثر أهمية من وقائع المقدمة.

(ج) إنها قد تفسح المجال أمام تسجيل تصريح منسوب إلى شخصية رسمية وهذا التسجيل يعطى قيمة للخبر، وفى نفس الوقت يدعم ما جاء فى المقدمة.

(د) تفسر واحدة من الشقيقات الخمس، وهى فى الغالب "لماذا".

(هـ) تلخص ما سبق حدوثه فى فترة سابقة - إذا ما كان الموضوع الصحفى تكملة لموضوع سبق نشره فى اليوم السابق أو منذ فترة زمنية غير محددة.

ويذهب بعض العلماء إلى أن الجهد المستمر لتقصير الجمل إنما يكون فى الغالب على حساب الوضوح، ولذلك يجب على محرر الأخبار أن يكون أثناء معالجته لمادة خبرية، هادئاً متجردا موضوعيا، فى معالجة الحقائق التى قد يكون جمعها بنفسه أو تلقاها من مصادر أخرى، وعلى أية حال عليه أن يختار أهم حقيقة فى مجموعة الحقائق المعروضة أمامه ليضع منها المقدمة، ويأتى بعد ذلك دور تحرير هيكل الخبر، وهنا عليه أن يشرح المقدمة. وأثناء هذه العملية كلها عليه أن يتذكر ضرورة استعمال الجمل القصيرة نسبيا، والمرتبة فى فقرات قصيرة، ومكتوبة بالفاظ مألوفة وكثيرة التداول، وبلغة واضحة قوية، كما يجب أن يكون الخبر فى مجموعه قصيرا.

والإصرار على ذكر مصدر الخبر - شخصا أو مؤسسة أو جماعة - يسبب للمحرر غير الخبير الوقوع فى حيرة تؤدى إلى تشويش مقدمته. وليس من الضرورى أن تذكر أسماء المصادر أو ألقابهم أو أماكن عقد المؤتمرات الصحفية فى المقدمة، ذلك أنها ستجد مكانها الطبيعى فى حلقة الاتصال التى تمثل الفقرة الثانية فى أغلب الأحوال.

وعلى الرغم مما يتمتع به الفن الصحفى من حرية فى نقل المعلومات، إلا أنه لا يجوز لأى محرر أن يضمن وجهة نظره الخاصة فى خبر ما، وإنما يحتفظ بها ليكتبها فى

مقال أو تعليق، ولذلك يلقي مبدأ فصل أعمدة الأخبار عن أعمدة المقالات الافتتاحية تأييدا عاما من جميع الأوساط الصحفية المسؤولة. وإن لم توجد هناك اتفاقية عامة حول أين تبدأ هذه وأين تنتهى تلك. فالهدف واضح على أقل تقدير، وعندما يوضع موضع التنفيذ يصبح موضع معالجة خاصة^(١).

ويرتبط اصطلاح "التنوع اللطيف" بحلقة الاتصال، وهيكل الخبر أو الموضوع الصحفى؛ بوجه عام اتصالا وثيقا، ويعنى به علاج الرتابة فى تحرير الأخبار والفنون الصحفية الأخرى، فمثلا كثيرا ما يلاحظ فى نشرات وكالات الأنباء أن كلمة "قال" استعملت فى كل فقرة من فقرات الخبر، ولما كانت كلمة "قال" هى الكلمة الصحيحة، وتمنع "التنوع اللطيف" فليس هنالك من سبب يحول دون استعمالها مرة بعد أخرى ولكننا يمكن أن نستخدم كلمات مثل "صرح" و"أعلن" و"أكد" الخ وفقا لطبيعة المعلومات المتضمنة فى الخبر بطبيعة الحال.

ويقوم تحرير الخبر على مبدأ وضع فكرة واحدة فى كل جملة، كوسيلة لتوضيح كتابة الأخبار، ومن المؤكد أنه لا توجد قاعدة سواء أكانت مكتوبة أو متفقا عليها، تجبر محرر الأخبار والموضوعات الصحفية؛ على تكديس كل المعلومات فى المقدمة، ولذلك فإن حلقة الاتصال تقوم بدور أساسى فى تحقيق هذا المبدأ، بحيث تظل أقوى المقدمات تأثيرا هى التى تقود اهتمام القارئ إلى هيكل الخبر أو الموضوع الصحفى.

وغالبا ما يكون اختصار فقرات الأخبار من العضلات بالنسبة إلى محرر الأخبار عديم الخبرة، ولعله يكون قد اعتاد على الجمل الطويلة التى يبدأ المبتدأ فيها فى أول الصفحة، ولا يأتى الخبر إلا فى آخرها، ولذا فإنه يشعر بأنه من الصعب عليه فهم معنى الفقرة فى دنيا الصحافة، ولا يمكن أن يدرك بسرعة أن المقصود بالفقرة هو خلق انتباه عند القارئ.

وعندما يكتب الخبر بطريقة الفقرة الكاملة فإن كل فقرة باستثناء الأولى يمكن فصلها عن الأخرى. ويقصد من هذه الطريقة إتاحة الفرصة لاختصار الخبر من نهايته، ولو

(١) نفس المرجع ص ٨٤، ٩٢.

افتراضنا أن المحرر المسئول عن الإخراج لم يكن منتبها وقطع فقرة من آخر الخبر فإن ذلك لا يسبب إلا مشكلة ضئيلة.. وأنه لتقليد متبع أن تحرر الأخبار بصيغة الماضي للصحف، والعناوين بصيغة الحاضر في معظم الأحيان. وذلك بهدف تحقيق صفة الفورية الإعلامية على صفحات الصحف.

وإذا كان النقاد يذهبون إلى أن أسلوب الهرم المقلوب يرغب المحرر على ذكر القصة الخبرية ثلاث مرات أو أربع، مرة في العنوان وثانية في المقدمة، وثالثة في حلقة الاتصال ورابعة في صلب الخبر ذاته.. فإن هذا التكرار ليس عيبا في الأسلوب الصحفي في التحرير؛ كما يذهب إلى ذلك هؤلاء النقاد.

ونذكر هنا ما تذهب إليه البلاغة العربية من أن الإطالة مستحبة في مخاطبة العوام، ومن ليس من ذوى الإفهام ومن لا يكتفى من القول بيسيره، ولا يتفتق ذهنه إلا بتكريره، وإيضاح تفسيره" .. والمعروف أن جمهور الصحافة جمهور عام وليس جمهورا خاصا .. يقول ابن وهب: "ولهذا استعمل الله عز وجل - في مواضع من كتابه تكرير القصص، وتصريف القول، ليفهم من يبعد فهمه، ويعلم من قصر علمه، واستعمل في مواضع أخرى الإيجاز والاختصار لذوى العقول والأبصار

ويقول: إن الإطالة "تحسن وسط الكلام في تفسير الجمل، وتكرار الوعظ، وإفهام العامة، ويليق ذلك بالأئمة والرؤساء ومن يقتدى به، ويؤخذ عنه".

ثالثا: الأنماط التحريرية في بناء الهرم

وشكل الهرم المقلوب الذى توجد قاعدته إلى أعلى يصبح أسلوبا خبريا عاما، يقوم على مبدأ أساسى هو مبدأ "الأهمية والدلالة الخبرية" ولذلك تتضمن المقدمة "أهم" حادث أو حقيقة ، ثم يستمر بناء الهرم قائما على مايلى ذلك أهمية، سواء أكان حادثا أم حقيقة أم تفصيلا من التفصيلات ، ثم الأقل أهمية، فالأقل، وهكذا ..

على أن هذا الأسلوب الهرمى فى تحرير الخبر، يمكن أن يتضمن فى ثناياه، ثلاثة أنواع من الأنماط التحريرية ، تقوم فى منطلقها وصلبها على طبيعة المادة الخبرية ذاتها، فالخبر الذى يقوم فى جوهره على الوقائع أو الحقائق يصلح له: النمط السردى. والخبر الذى يقوم فى طبيعته على "العمل" أو "الحركة" يصلح له نمط "القصة الخبرية"

وأما الخبر الذى يتعلق بتصريحات أو أقوال منسوبة لأشخاص أو "حديث منقول" فيصلح له: "النمط الاقتباسى".

على أن هذه الأنماط التحريرية ليست قوالب جامدة تصعب على التجديد، ففى مقدور المحرر المتمرس أن يتبع نمطا جديدا يتفق وشخصيته، وطابع الخبر أو الموضوع الصحفى ذاته.

١ - النمط السردى:

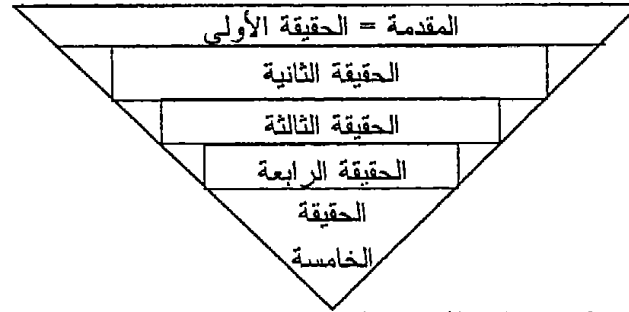
ويقوم هذا النمط السردى فى تحرير الخبر، على أساس من طبيعة الخبر كما تقدم، وهى هنا تقوم على "الوقائع" أو "الحقائق" المرتبطة برباط وثيق. ويتطلب هذا النمط التحريرى^(١):

(أ) التوفيق فى اختيار المقدمة وتطبيق ما درسناه حولها.

(ب) ترتيب الوقائع بعد ذلك حسب أهميتها - (وهذا هو الأهم).

(ج) الربط بين هذه الوقائع أو الحقائق - ربطا متجانسا بحيث يخرج الخبر مستكملا فى نهاية الأمر؛ لكل الاعتبارات الفنية.

وهكذا نجد أن الأسلوب الهرمى فى هذا النمط السردى يتكون على النحو التالى:



فالأجزاء التى يتكون منها النمط السردى، هى المقدمة والتى تتضمن الحقيقة الأولى التى تمثل الأهمية الأكبر بين زميلاتها، ثم تليها الحقيقة الثانية وهى التى تمثل بعدها مكانا مهما، وهنا تتوسع فى سرد الحقائق .

(١) الحمامسى : المرجع السابق ص ٥٩ .

مثال ١:

المقدمة - الحقيقة الأولى:

"مصر تشهد اليوم أول انتخابات من نوعها لاختيار مجلس الشعب الجديد.. يتوجه اليوم ٩,٥ مليون ناخب وناخبة إلى ١٥ ألف لجنة انتخابية في أول انتخابات من نوعها لمجلس الشعب يتم إجراؤها في إطار التنظيمات السياسية الجديدة.

الحقيقة الثانية:

"وقد بلغ عدد المرشحين في هذه الانتخابات ١٦٦٠ مرشحا يجرى التنافس بينهم لاختيار ٣٤٦ عضوا للمجلس الجديد الذي حدد يوم الخميس ١١ نوفمبر موعدا لعقد جلسته الافتتاحية.

الحقيقة الثالثة:

"ومن هذا العدد من المرشحين: ١٧١ من تنظيم الأحرار الاشتراكيين (اليمن) و ٥٢٧ من تنظيم مصر العربى الاشتراكى (الوسط) و ٦٥ من تنظيم التجمع الوطنى التقدمى الوحده (اليسار)، و ٨٩٧ مرشحا، الخ.

وهكذا لا نجد صعوبة في تركيب النمط السردى القائم على الحقائق أو الوقائع، ومفتاح التنظيم الصحيح في هذا النمط التحريري هو تقدير قيمة المعلومات التي تم جمعها حسب ترتيب أهميتها، في فقرات مختصرة مركزة يزيد الارتباط بينها من قوة الخبر وتسلسله، بحيث ينتقل الخبر من الحقيقة الأولى إلى الثانية إلى الثالثة وهكذا.

٢ - نمط القصة الخبرية:

القصص في اللغة هو تتبع الأثر لمعرفة المكان الذي نزل به أصحابه وسلوكه، والمعنى اللغوي أقرب إلى الدلالة الصحفية للقصة كما سنرى. ومن هنا - كما يقول الأستاذ العقاد. رحمه الله، للحكاية عن القوم أنها قصة، لأن من يحكى عنهم يتتبع أثرهم ليعرف خبرهم فهو يقص سيرتهم في الزمان كما تقص السير في المواقع والجهات.

وقد وردت الكلمة في القرآن الكريم بالمعنيين في سورة واحدة. فجاء في سورة الكهف: "فارتدأ على أثارهما قصصا" بمعنى تتبّع الأثر لمعرفة الطريق، وجاء فيها: "نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى" بمعنى تتبّع الخبر في التاريخ.

ويذهب العقاد^(١) إلى أن كلمة القصص في القرآن الكريم تنصرف على عمومها إلى معنى الهداية إلى الأخبار والآثار الباقية من سير القرون الغابرة، وهى تساق فى الكتاب لمقاصد كثيرة تجمعها كلها هذه المقاصد الثلاثة:

فهى تساق للعبرة والموعظة، أو تساق للقذوة وتثبيت العزيمة أو تساق للتعليم والهداية.

وتتلى قصص العبرة والموعظة فى القرآن الكريم لتذكير الأحياء بمصائر الغابرين من الأمم الأولى، وكانت توصف بأنها أساطير الأولين من الكلام المسطور أى المكتوب، وقد تكون الكلمة إحدى الألفاظ التى تعربت عن اليونانية لأن، "الاستوريا" عندهم بمعنى الخبر المسجل أو المعروف، ولا يبعد أن يكون اليونان قد أخذوها عن العرب، لأنهم أخذوا الكتابة عن الأمم السامية، وسبقهم عرب الشمال وعرب الجنوب إلى رسم الحروف، ولا تزال أسماء "الألفا والبيتا والجما" عندهم منقولة من الألف والباء والجيم، بل يرجح أن كلمة "كلموس" اليونانية أى "القلم" منقولة عن العربية، لأن القلامة أصيلة فيها ومن مادتها "القسم والقضم والقطم والقحم والقرم" وكلها تفيد القطع كما يفيد التقليم، وكذلك السطر والشطر بمعنى الخط أو القط فى العربية، يقال سطره وخطه وقطه بمعنى واحد، فليس من البعيد أن تنتقل هذه الكلمات مصاحبة للكتابة التى لا شكل فى انتقالها من الأمم السامية إلى اليونان.

وقد ترددت فى القرآن الكريم أخبار الأولين على سبيل العبرة والموعظة وكان مدارها جميعا على تحذير الأمم الباقية من الاغترار بالمتعة.. كما اغترت بها الأمم الخالية، وكانت هذه العظات - كما يقول العقاد كذلك^(٢) - ألزم العبر لتلك الأمم التى آمنت بالأوثان والأرباب ولم تؤمن بالوحدانية، فإنها إذا علمت أن أربابها لن تحميها من الكوارث، ولا تقدر على إصابتها بها، ذهب إيمانها بتلك الأرباب، ووجب عليها أن تبحث عن قوة إلهية تملك القدرة التى عجزت عنها معبوداتها.

وفى القرآن غير القصص التى تدعو إلى العبرة بمصير الكافرين أنباء تروى عن الأنبياء الذين أرسلوا إلى الأمم الغابرة فكذبتهن وتنكرت لهن، ثم ظهرت دعوتهم، وحاققت النعمة بمن كذبوهم وأنكروهم، وبقيت قدرتهم لينتفع بها من يعمل عملهم،

(٢، ١) فن المقال الصحفي فى أدب العقاد؛ القاهرة، هيئة الكتاب ص ٢٦٢.

ويقفو أثرهم، ويلقى من قومه مثل ما كانوا يلقونه من أقوامهم.. "وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك" كما جاء فى سورة هود .. وهذه على الجملة حكمة القصص، والتى جاءت فى الكتاب عن جهاد الرسل وعاقبة الصبر على الدعوة، تنبئنا للأفئدة وتبشيرا للدعاة والمصلحين بعاقبة الصبر على الجهاد.

والقصة الخبرية، لا تخرج فى دلالتها الحديثة، عن محاولة قصّ النبأ بالحق، ومن هنا كان الفرق كبيرا بينها وبين القصة الأدبية الخالصة، فالقصة الأدبية ليست مقيدة بقصّ الحقيقة، لأن مجال الخيال أمامها طلق فسيح، والوصف فيها أدبى من حيث الحياة والأشخاص ومجال الأحداث، وصراع الأشخاص النفسى، ولذلك كانت القصة الأدبية حديثة النشأة، تختلط فيها الحقائق الإنسانية بالأمور الخيالية فتبعد كثيرا عن حقيقة الواقع، لما يتميز به الأدب من ذاتية يستبعد بها التحرير الصحفى الموضوعى من خصائصه.

وليست القصة الأدبية الحديثة تقريراً عن التجربة، كما نجد فى القصة الصحفية، ولكن الأدبية تصوير حى للتجربة، يوحى بمعان تعتمد على خيال الكاتب وتقرأى من خلال موقفه الخاص فضلا عن الموضوعية التى تتميز بها القصة الصحفية، فإن هناك اختلافا فى البناء الفنى بين النوعين القصصيين، فالنوع الأدبى يقوم على التسلسل من البداية حتى الوسط والذروة، فى النهاية، أو كما يذهب أ.م فورستر فى كتابه عن "القصة" فإنها تقوم على السرد المجرد لعنصر أساسى وبدائى، وهو يسميه الإغراء الواقع تحت باب "ثم". وهو يتقدم سواه على أنه الجوهرى الوحيد بينها، لأنه سيبقى دائما هو الجوهر فى رواية القصص والخيال الذى يربط بين مراحل السرد. فقد تحاشت شهرزاد بلوغ المصير الذى بلغته الفتيات لأنها عرفت كيف تحسن استعمال هذا السلاح. سلاح التشويق الذى هو كما يشير إليه "فورستر" مرة أخرى، الأداة الأدبية الوحيدة التى لها أثرها فى الطغاة والمتوحشين.. فهى لم تعش إلا لأنها عرفت كيف تجعل الملك شهريار حائرا بالاستمرار فيما سيحدث بعد ذلك..

وكانت تتوقف كلما يدركها الصباح، فى منتصف جملة ما وتتركه فاغرا فاه. فتسكت شهرزاد عن الكلام المباح.

وإذا كانت الصحافة يجب أن تفيد من هذا العنصر، فإن عليها أن تطوعه لطبيعتها وخصائصها واسلوبها المتميز، ونعنى به أسلوب الهرم المقلوب، حيث تبدأ

القصة الخبرية بالذروة في بداية الهرم، على النقيض مما تفعل القصة الأدبية التي ترجئ الذروة إلى أن يدرك شهرزاد الصباح.

فالقصة الصحفية تنشر الفكرة الأساسية أولاً، ثم جسم الخبر أو التفاصيل بعد ذلك، بمعنى أنها تورد أحدث تطورات الخبر في المقدمة أو الصدر، ثم تتبعه بسرد بسيط يلتزم فيه المحرر جانب التتابع الزمني بعد ذلك، والصحيفة حين تستعمل كلمة "القصة" كلفظ عام يشمل المواد الخبرية، فإنما تستخدمها بمعنى مختلف عن المعنى الأدبي للقصة، حيث تلتزم الصحيفة بالوقائع الحية التي تحدث بالفعل، فهي تحكى عن المجتمع متتبعة "أثر" كل "عمل" أو "حركة" تتميز بها الأحداث، وهي تقص "سيرة" الأشخاص والشهود وبيانات أخرى تفصيلية من الواقع اليومي المعاش. فهي إذن تجد مثلها الأعلى في الدلالة القرآنية لقصّ "الأنبياء" بالحق، وتتبع الخبر والآثار تسوقها للعبارة والموعظة، والمقدرة، على تثبيت العزيمة، وللتعليم والهداية، أو هكذا نتصور رسالة القصة الصحفية فيما ينبغي أن تكون.

والقصة الخبرية على هذا النحو، هي التي تروى "الأنباء" المتعلقة "بعمل" أو "حركة" إلا أن طبيعتها تشتمل في الغالب على الوقائع والأحداث ووصف الأشخاص، وشهادة الشهود والمذكرات وما إلى ذلك، مما يتصف بالحركة والحيوية في واقع الحياة اليومية.

وفى بناء هذا النمط الخبري لا ينبغي على المحرر أن يصوغها على أساس من النمطين السابقين، فيكتفى بكتابة المقدمة أو صدر الخبر، ثم ينتقل إلى سرد الموضوع بترتيب الحوادث دون اعتبار للمعلومات الهامة التي قد تتضمنها القصة أو تفسير تلك الحوادث وتصويرها، ولكن حرصاً على ألا تفقد القصة أهميتها - يجب أن يحرص على أن يكون هناك رباط وثيق بين وحداتها المختلفة؛ حتى وإن كان على حساب تطور الحوادث في بعض الأحيان.

وهنا ينهض سؤال هام هو: كيف يستطيع المحرر أن يصوغ قصته متناسقة قوية الأسلوب ويبقى في الوقت ذاته على الحقائق بارزة في ذهن القارئ؟

والجواب: أنه يمكن بلوغ هذا الهدف بسرد ملخص كامل للقصة في المقدمة، أي يضع المحرر فيها كل النقاط الهامة، ثم يتبع ذلك بملخص أوسع، وفي النهاية يعرض،

التفاصيل. وكل جزء من هذا التصميم الثلاثى يمكن تشبيهه بمثلث يضيق من أسفل تدريجياً، ولكن فى نطاق الأسلوب الهرمى الذى يتميز به تحرير الأخبار:

الفقرة الأولى: مقدمة تمثل ملخصاً كاملاً للقصة.

الفقرة الثانية: تفاصيل جديدة.

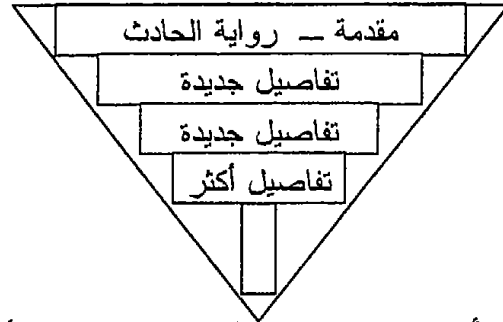
الفقرة الثالثة: تفصيل أكثر.

وهكذا تمضى الفقرات موضحاً التفاصيل الجديدة الواحدة تلو الأخرى.

المقدمة ١ - رواية الحادث.

"فوجئ العالم أمس بنبأ اغتيال الملك فيصل بن عبد العزيز على يد ابن أخيه الأمير فيصل بن مساعد والذى وصفه البيان الرسمى السعودى بأنه "مختل العقل والشعور".

ومن الواضح أن هذه المقدمة على الرغم من إيجازها الشديد، قد وضحت ماذا حدث؟ ومن الذى اغتيل؟ ومن الذى اغتاله؟ وما هى صفته؟ وفى الإمكان بطبيعة الحال أن تتسع المقدمة لتشمل بيانات أكثر من ذلك.



ولكن - كما يقول الأستاذ الحماصى. ليس من المصلحة أن نزيد فيما تتضمنه المقدمة من معلومات، مادامت قد اشتملت على الأهم، ذلك لأن رواية الوقائع الأخرى بعد ذلك قد تتطلب التوقف عن المضى فى السرد المسلسل، لأن ما جاء فى المقدمة نفسها يحتاج إلى مزيد من التفاصيل.

والصعوبة التى يواجهها المحرر بعد كتابة المقدمة هى كيف ينتقل منها إلى الفقرة الثانية إلى الثالثة وهكذا، ولكى يتغلب على هذه الصعوبة فإن عليه أن يجعل الفقرة الثانية مخصصة لتفاصيل جديدة تلى المقدمة فى الأهمية. فمثلاً السؤال الذى يتبادر إلى الذهن بعد قراءة المقدمة هو:

"كيف تم اغتيال الملك؟ ولماذا سُمح للقاتل "المختل الشعور" باقتحام مجلس الملك؟" وهنا يجب أن نحدد ما نكتبه في الفقرة الثانية:

٢ - تفاصيل جديدة.

"وقد جرى حادث الاغتيال أثناء وجود الملك فيصل في مجلسه الذي تعود أن يحضره صباح كل يوم ويستقبل فيه أفراد أسرته في قصره بالرياض.

وكان الأمير القاتل أحد الذين حضروا هذا المجلس أمس وقد تقدم إلى الملك الذي كان يتصدر قاعة المجلس فتظاهر بالسلام عليه. ولكن ما أن اقترب منه حتى أخرج مسدسا أطلق منه الرصاص على الملك عدة طلقات، وقد نقل الملك على الفور إلى مستشفى الرياض في محاولة مستميتة. لانقاذه إلا أنه لفظ أنفاسه هناك".

وهنا نجد أن هناك إعادة لرواية بعض ما جاء في المقدمة. ولكن في شيء من التفصيل، وخاصة في الإجابة عن السؤالين الخاصين بكيفية الاغتيال ودخول القاتل إلى مجلس الملك، وكان من المفروض أن تأتي على سرد أسباب ارتكاب هذه الجريمة، ولكن صحيفة (الأهرام) التي نشرت هذا الحادث في صفحتها الأولى تذكر في الفقرة الثالثة:

٣ - تفاصيل أكثر

"ورغم أن الحادث كما ذكر أول بيان سعودي قد وقع في الصباح فإن راديو الرياض الذي كان المصدر الوحيد للخبر الذي صدم الأمة العربية ومختلف العواصم لم يشير إليه إلا في الساعة الثانية عشر ظهرا..

ولم يشير البيان الأول إلى موت الملك ولكنه أشار فقط إلى حادث الاغتيال ونقل الملك إلى المستشفى للعلاج؛ وأوضح أن البيان قد أكد على عدة نقاط أراد إبرازها هي:

- أن الحادث وقع أثناء وجود الملك فيصل في مجلسه أي بحضور كل الذين تعودوا أن يحضروا هذا المجلس.

- أن مرتكب الحادث مختل الشعور.

- أنه قام بما قام به منفردا.

- أنه "ليس لأحد علاقة بما أقدم عليه".

ونلاحظ هنا أن الصحيفة قد أعادت رواية بعض ما جاء ذكره في المقدمة، ولكن مع شيء من التوثيق والتفصيل، وخاصة حول علامات الاستفهام التي تدور في الأذهان عند قراءة مقدمة وعنوان القصة الصحفية.

وبنفس الطريقة التي ينبغي فيها تحديد الوقائع التي وردت في المقدمة فإن على المحرر أن يختار منها الواقعة التي تلى ما سبق في الأهمية ويزيدها تفصيلا، لتتضمنها الفقرة التالية وهكذا، إلى نهاية القصة الخبرية.

وهكذا نلاحظ أننا لا نمضي في تسجيل الوقائع كما حدث، بل نقدم ونؤخر ما نشاء لنجعل القارئ على بينة من الظروف التي أحاطت بهذا الحادث، ونحن بهذه الطريقة - كما يقول الاستاذ الحمامصي - لا نسبب له ارتباكاً، أو ننقله من واد إلى واد آخر، لأن كافة البيانات الهامة قد سجلت في المقدمة، وهو بعد أن يقرأ قصة يرى في تكوين هيكلها أن توافر البيانات التي تجعله يعيش في الجو الكامل للحادث وما أحاط به من ملابسات قد يرجع تاريخ بعضها إلى أسابيع وإلى شهور مضت. ومع المضي بعد ذلك في سرد ما تجمع لدى المحرر من بيانات تكمل القصة على أساس مراعاة الدقة في جمع المعلومات.

فالمندوب - المحترف حين يستقى الأنباء المتعلقة بعمل أو حركة مثل الحوادث المفاجئة - الصدام - الحريق.. الخ.. يعرف أن مهمته هي جمع الحقائق واضحة بارزة، حقائق واضحة ملموسة. وعندما يذهب إلى مكان الحادث يلقي ضجيجا واختلاطا وهستيريا وإشاعات. ولكنه يتخطى تلك العقبات كما يقول وارين. إذ أن عليه أن يحتفظ بتوازن تفكيره وأن يسأل كثيراً وينحى المبالغات والتحسينات جانباً، وأن يميز بين الحقيقة والكذب، ويجب أن يصل إلى الأشخاص الذين يستطيعون ذكر الحقيقة وأن ينقل أخباره إلى الصحيفة دون إبطاء، حتى يكون قد "قص الأنباء بالحق".

٣ - النمط الاقتباسي في تحرير الخبر:

وطبيعة هذا النمط الاقتباسي في تحرير الخبر أو الموضوع الصحفي، تقوم على الخطب والبيانات والرسائل وإلى حد ما الأحاديث الخاصة والصحفية، والتي تعتمد جميعها على تسجيل المعلومات التي تذاغ مكتوبة أو شفوية ويدونها المندوب في

ملحوظات صغيرة. وهذه الأنباء جميعا يمكن وصفها بأنها تعتمد اعتمادا كلياً على أقوال مقتبسة^(١). والاقتباس هنا ينصب على ما تضمنته البيانات أو الخطب أو التصريحات، أو ما يرد في الأحاديث الصحفية.

وقد برز هذا النمط الاقتباسي في تحرير الخبر، قبل اختراع الراديو، لأن الصحف كانت وحدها هي الأداة التي تنقل إلى الناس الخطب العامة، وحتى الراديو كما يذهب إلى ذلك وارين. لم يستطع أن يقلل من اعتماد الجمهور على الصحف في هذه الناحية. لأن الصحف تلخص الخطاب وتركزه، فيقبل القارئ عليه.

وتعامل جميع الخطب على هذا النحو؛ سواء أكانت رسمية، أُلقيت في مناسبات خاصة أم ملاحظات مرتجلة قيلت في اجتماع عادي.

وهناك ثلاثة عناصر لابد من مراعاتها عند تحرير النمط الاقتباسي:

١ - المتكلم.

٢ - السامعون.

٣ - الخطبة أو البيان.

وهناك اعتبار رابع هو ما قد يحتاج إليه أى من العناصر الثلاثة من تفسير أو شرح. أما نسبة كل من هذه العناصر الثلاثة في الخبر الاقتباسي، فإنها تتوقف على الأهمية النسبية لكل منها، ولكن لا تكمل الخطبة أو البيان ما لم يتوافر لها العناصر الثلاثة جميعاً.

والأغلب أن تكون الخطبة أو البيان أهم هذه العناصر الثلاثة، فطبيعى أن يكون السؤال الأول الذى يعرض للمحرر عند الاستفسار عن اجتماع ما؛ هو:

"ماذا قال المتكلم؟ فإذا كان لكلامه أهمية، استحق النشر، ولم يكتف بايراد خبر موجز عن عقد الاجتماع. وكثيراً ما يكون خبر الاجتماع ذريعة. كما يقول جونسون وهاريس. أو سبيلاً لنشر الخطبة أو البيان.

(١) الحماصي: المرجع السابق ص ١٠٥.

والخطب العامة والمحاضرات والأحاديث والعظات والبيانات التي تذاغ بالراديو تعتبر مادة للصحافة لا تنضب ويعتمد عليها المحررون كثيرا. وقد أصبحت الخطب والمناظرات تلعب دورا هاما في حياة الناس، ويستطيع الصحفي أن يجد فيها مادة لصحيفته، ولا بد للصحيفة أن تختار أحسنها مثبتة بذلك نظرية داروين التي تقول إن البقاء للأصلح^(١).

وتتطلب هذه المهمة من المندوب مقدرة على تدوين النقاط والملاحظات وجمع الحقائق الأخرى، فإن لم تكن لديه نسخة من الخطاب أو البيان تلقاها مسبقا وجب عليه أن يدون البيانات العامة ونقط التحول في الموضوع وأن يلخص الحجج التي يسوقها المتكلم، مقتبسا أقواله حرفيا في بعض الأحيان. يعتمد المندوبون الأذكياء على حديث خاص مع المتكلم بعد انتهاء حديثه، وقد يطلب منه معلومات أو إحصائيات لمساعدة القراء على تكوين فكرة أوضح عن الموضوع.

وعند ترتيب المواد المتعلقة بخطاب أو بيان أو حديث الخ، يتعين على المندوب أن يبحث عن موضوع الحديث وعن أقسامه المنطقية وعن الأقوال المثيرة أو الغريبة الواردة فيه، لأن الحديث قد يشتمل على عنصر هام واحد أو أكثر من عنصر شأنه في ذلك شأن بقية أنماط التحرير الصحفي.. والأحاديث الجيدة تدور عادة - كما يقول جونسون وهاريس - حول موضوع رئيسي ويشتمل على الحجج التي تؤيد هذا الموضوع، غير أنه ليس من عمل المندوب أن ينقل الخطاب أو الحديث كله، فمسئوليته أمام القراء تقتصر على كتابة خبر صحيح دقيق ذي أهمية خبرية. وقد يبرز المحرر في صدر الخبر ما يراه باعثا على اهتمام القراء، وقد لا ينقل منه إلا الأجزاء التي يرى أنها تستحق النشر. على أن هناك اعتبارات كثيرة تحدد أهمية أى خطاب أو حديث هام: أولها: شخصية المتحدث، فكل كلمة يقولها رئيس الجمهورية تعتبر خبرا، بينما يصح صبي المدرسة بأعلى صوته طوال النهار، وصياحه لا يهم الناس في قليل أو كثير. فإذا قال الصبي: "يجب إبادة الذباب من الشوارع جميعا" فلن يهتم أحد بهذا القول، أما إذا قال هذا الكلام وزير الصحة مثلا فإن الصحف تنشر هذا التصريح - وحين يقول رئيس الجمهورية: "ليس أمامنا سوى التضامن والعمل الجماعي" فإن هذا القول يجب أن يتصدر الصفحة الأولى.

(١) كارل وارين: المرجع السابق ص ١٠٠.

هذا هو الاعتبار الأول.. أما الاعتبار الثاني فيتعلق بمدى اختصاص المتحدث في الموضوع فحديث الشيخ الشعراوي عن الإسلام، وعالم الفلك عن الكواكب أو الشهب، وعضو البرلمان عن السياسة، ومغنى الأوبرا عن الصوت، ورجل الأعمال عن المنافسة التجارية.. كل ذلك يكون مادة للقراءة.

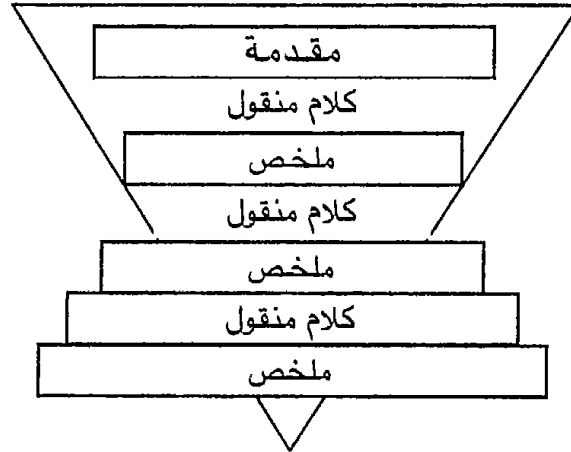
والاعتبار الثالث هو عامل التوقيت، فإذا أصاب البلاد وباء الانفلونزا فإن بيانا لوزير الصحة عن طريق الوقاية والاحتياطات التي اتخذتها الدولة قد ينشر في الصفحات الأولى، أما إذا تحدث في نفس الوقت عن الطاعون البقري فينشر حديثه في سطور قليلة في ذيل إحدى الصفحات الداخلية.

والاعتبار الرابع هو الأثر الذي يتركه الحديث، فإذا وقف زعيم حزب اليمين يهاجم أو يسخر من زعيم حزب اليسار، وأثار هذا التصريح موجة من المناقشات كان لدينا موضوع هام. ولكن يجب على المندوب أن يتوخى الدقة والحذر في مثل هذه المناسبات حتى لا يخرج بالموضوع عن غرضه الحقيقي. وآخر هذه الاعتبارات أن يطمئن المندوب أن الخطاب أو البيان الذي ينقله جديد إذ الملاحظ كما يقول وارين - أن بعض رجال السياسة خاصة يرددون خطبا قالوها من قبل في أماكن أخرى.

وقبل أن نبدأ في كتابة موضوع للصحيفة عن بيان أو حديث أو خطاب؛ نذكر ما سبق من قبل عن ربط عربات القطار، إذ ينطبق المثل على هذه الناحية. وأحسن الوسائل - وأقربها إلى قلوب القراء - هي ألا نقدم هذه التصريحات كما يوزعها أصحابها، بل وفقا للشكل الهرمي، فكثيرا ما نقرأ في الصحف:

"أذاعت وزارة التموين البيان التالي، وفيما يلي نص البيان، ثم تنشر الصحف البيان بعد ذلك كله كما وزعته الوزارة بلا تدخل من جانبها؛ يهدف إلى "إراحة القارئ" عن طريق غريلة ما جاء في هذا البيان، وتقديم الفقرات الهامة على الأقل أهمية مدعمة بما جاء في بيان الوزارة من أقوال مقتبسة.. إن القارئ في الحالة الأولى يحس في ذلك إهمالا من الجريدة وعدم تقدير له. فالذي لا شك فيه أن المحرر في مثل هذه الحالة لم يفكر في أن يقرأ البيان إلا لكي يشتق منه سطرًا أو أكثر للعنوان، أو ربما قرأه ولكنه لم يفكر في تقديمه للقارئ بالصورة التي تيسر له طواعية القراءة وتجعله يضع عينيه مباشرة على ما يهمه في هذا البيان.

والنمط الاقتباسى هو أصلح الأنماط التحريرية للخبر القائم على الحديث المنقول: تصريحاً أو خطبة، أو بياناً، ويقوم هذا النمط على شكل مستطيلات كثيرة وصغيرة، ويمكن تبويبها فى: "ملخص - وكلام منقول - وملخص - وكلام منقول .. وهكذا" أى عبارات منقولة رأساً عن المتحدث تربطها فقرات تفسيرية.



ومن أمثلة ذلك ما نشرته صحيفة "الأهرام"^(١).

المقدمة - ملخص:

أعلن الرئيس السادات أن نتائج مؤتمر القمة السداسى فى الرياض والتي جاءت عميقة ومدرسة وعلى مستوى المرحلة سوف تنعكس على القضايا العربية الرئيسية وسوف تنقل القضية العربية بالتأكيد إلى مرحلة جديدة.

وقد أدلى الرئيس السادات بهذه التصريحات قبل أن يغادر الرياض فى طريق عودته إلى أرض الوطن، حيث وصل إلى القاهرة بعد ظهر أمس يرافقه أعضاء الوفد المصرى. وكان فى استقباله لدى وصوله إلى مطار القاهرة السيد حسنى مبارك نائب الجمهورية وكبار رجال الدولة والمسؤولين.

(١) ٢٠ أكتوبر ١٩٧٦.

عبارة منقولة.

وقال الرئيس فى تصريحاته التى أدلى بها لوكالة الأنباء السعودية: "إن ما حدث فى اليومين الماضيين خلال اجتماع الزعماء العرب كفيل بالرد على كل من تصور أن الخلافات بين الأشقاء العرب قد عصفت بالاجماع العربى، وماحدث فى الأيام القليلة الماضية هنا فى الرياض، أمر لابد أن يلتفت له كل من حاول أن يرسم للعرب صورة غير صحيحة. وأظن أن الذى حدث فى اليومين الماضيين على المستوى العربى والمستوى العالمى كفيل بالرد على كل من تصور أن التضامن العربى قد انتهى".

ملخص.

وأكد الرئيس فى تصريحاته أن ما أسفر عنه مؤتمر الرياض لن يظهر أثره فقط على الأمة العربية أمام العالم الخارجى، بل سينعكس أيضا على قضايانا الأساسية فى العالم وهى قضية النزاع العربى الاسرائيلى.

عبارة منقولة:

وأضاف الرئيس أن "بقية القضايا الأخرى الخاصة بنا، وهى وجود بعض الخلافات بين بعض الأخوة والأشقاء، لابد أن تنتهى، كما انتهت فى الرياض فى اليومين الماضيين خلافات كثيرة. واتفقنا على بناء كبير وأسس كبيرة، ستعود بغير شك على لبنان وشعبه وعلى الفلسطينيين بالخير. بمعنى أننا سنخرج من هذه المحنة الأليمة التى تعرض لها اللبنانيون والفلسطينيون خلال السبعة عشر شهرا الماضية وكان المفروض أن تخرج هذه القرارات فى هذا الوقت بالذات لكى يعرف العالم من هم العرب..".

ملخص.

وأكد الرئيس أنه كان فى قمة السعادة لأن القادة العرب فى الرياض، واجهوا العالم كله بحقيقة فهمهم للمسؤولية سواء على مستوى الأمة العربية أو على مستوى العالم الذى نعيش فيه.

عبارة منقولة.

ثم قال الرئيس: "إنه بعد حرب أكتوبر أصبح العرب القوة السادسة فى العالم، ولكن البعض تصور أنه بالخلافات التى تحدث بيننا أننا فقد مركزنا، ولكنه قد ثبت اليوم أننا القوة السادسة وفى سبيلنا أن نتقدم لنكون أقرب من ذلك كقوة خامسة. كما نثبت لهم أنه مهما حدث ومهما كان فإننا عندما نجتمع كأخوة، فكل شئ يذوب ونعود أخوة متضامنين.

ملخص.

وكان الرئيس السادات قد غادر الرياض ظهر أمس، حيث كان على رأس مودعيه الملك خالد بن عبد العزيز والأمير فهد بن عبد العزيز النائب الأول لرئيس مجلس الوزراء وكبار رجال الدولة.

وهكذا يحس القارئ أن المحرر قد بذل جهداً فى تحرير التصريحات، واستخلاص النقاط الأساسية التى يهيمه الاطلاع عليها، ثم إبرازها وتدعيمها بألفاظ وجمل مستخلصة من واقع البيان. ذلك لأن الجمهور كما يقول الاستاذ الحمامصى. كلما رأى هذا الذى ترويه الصحيفة مدعماً بكلام رسمى وجمل مختارة كلما ارتاح إلى ذلك، ولأن القارئ يهيمه أيضاً أن يحكم بنفسه وأن يقرأ الكلام الرسمى ويقسمه ويحلله، فالصحفى هنا يحلل البيان ويختار بياناته، ويقدمه للقارئ مجزئاً، ثم يدعمه بالكلام الرسمى، فيعطى للقارئ ما يريحه، وفى نفس الوقت يقدم له ما يمكنه من الاطلاع على البيانات والأقوال الرسمية ليفسرها تفسيره الشخصى. ولهذا السبب فإن بعض الصحف لا تكتفى فقط بتقديم هذا الهيكل الهرمى للبيان، وإنما تورد نص البيان بعد الانتهاء من وضع البيانات الهامة فى صورة الهيكل الهرمى. وعلى هذا الأساس فهناك حالتان:

الأولى: أن، نقدم الهيكل الهرمى من غير نص البيان، وفى هذا الحالة يتحتم أن يكون الهيكل متكاملًا، كما رأينا فى النموذج المتقدم.

والثانية: أن نقدم البيان مع الهيكل الهرمى، وعندئذ فإن تقديم الهيكل الهرمى يكون ملخصاً ومركزاً منعاً للاطالة والتكرار، كما نجد فى النموذج التالى:

قرار من مؤتمر الرياض

بوقف القتال فوراً في لبنان

٩ قرارات هامة يصدرها مؤتمر القمة السداسى

- قوة أمن عربية رادعة من ٣٠ ألف جندى تتولى تنفيذ القرار تحت اشراف الرئيس سركيس .

- وقف القتال تماما اعتبارا من بعد الخميس.

- لجنة من السعودية ومصر وسوريا والكويت لتنفيذ اتفاقية القاهرة فى ٩٠ يوما .

- رفض تقسيم لبنان واجراء حوار للمصالحة الوطنية.

- جدول زمنى لاعادة الحياة الطبيعية إلى لبنان.

أصدر مؤتمر القمة قرارا بوقف اطلاق النار فوراً وإنهاء القتال بصورة نهائية فى لبنان. وطالب المؤتمر كافة الأطراف الالتزام بوقف القتال التزاما كاملا، كما قرر المؤتمر تعزيز قوات الأمن العربية ليصل عدده إلى ٣٠ ألف جندى ولتصبح قوة ردع تعمل داخل لبنان تحت إمرة الرئيس اللبنانى الياس سركيس شخصيا.

وأجمع المؤتمر فى بيان رسمى صدر مساء أمس - بعد اجتماع ختامى عقده الملوك والرؤساء للتوقيع على القرارات التى اتخذها رؤساء الدول الست - على رفض تقسيم لبنان تحت أى صورة والحفاظ على وحدته، وعدم التدخل فى شؤونه الداخلية، كما دعا البيان إلى اجراء حوار سياسى، يهدف إلى تحقيق المصالحة الوطنية الداخلية فى لبنان، وتم الاتفاق على تنفيذ اتفاقية القاهرة وملحقاتها التى أعلن رئيس منظمة التحرير الفلسطينية السيد ياسر عرفات التزامه الكامل بها.

وتقرر - تدعيما لذلك - تأليف لجنة تضم ممثلين من مصر وسوريا والكويت والسعودية، تتولى بالتنسيق مع الرئيس اللبنانى، كل ما يتعلق بتنفيذ بنود اتفاقية القاهرة، وذلك لمدة ٩٠ يوما تبدأ من تاريخ إعلان وقف إطلاق النار، كما جددت الدول العربية المجتمععة التزامها بمقررات مؤتمرى القمة فى الجزائر والرباط، بدعم المقاومة واحترام حق شعب فلسطين فى الكفاح.

وكان المؤتمر قد بدأ اجتماعه الأخير في الساعة السابعة والنصف مساء أمس، للنظر في البيان والقرارات التي أعدها وزراء الخارجية العرب، وأنهى المؤتمر الذي عقد حول مائدة مستديرة بقصر الضيافة بالرياض أعماله في الساعة الحادية عشرة والنصف. وشهده الملك خالد بن عبد العزيز والوفد السعودي، والرئيس أنور السادات وأعضاء الوفد المصري، والرئيس حافظ الأسد والوفد السوري، والرئيس اللبناني الياس سركيس والوفد اللبناني، والسيد ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية وأعضاء الوفد الفلسطيني.

نص البيان الرسمي

وفيما يلي نص البيان الصادر عن مؤتمر القمة السداسي في ختام جلسته التي عقدها مساء اليوم ، بناء على مبادرة من المملكة العربية السعودية ودولة الكويت.

اجتمع في الرياض، في الفترة من ١٦ إلى ١٨ أكتوبر، كل من الرئيس محمد أنور السادات رئيس جمهورية مصر العربية، والرئيس حافظ الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية، والرئيس الياس سركيس رئيس الجمهورية اللبنانية والسيد ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية، وصاحب السمو الشيخ صباح السالم الصباح أمير دولة الكويت وصاحب الجلالة الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية في مؤتمر سداسي لبحث الأزمة في لبنان ودراسة وسائل حلها والاتفاق على الخطوات اللازمة لوقف نزيف الدم في لبنان، واللجوء إلى الحوار بدلا من القتال، والحفاظ على أمن لبنان وسلامته واستقلاله وسيادته، وحماية المقاومة الفلسطينية، ممثلة في منظمة التحرير الفلسطينية.

وقف إطلاق النار

وانطلاقا من موقع الالتزام بالمسئولية القومية والتاريخية، بوجوب تعزيز الدور العربي الجماعي، بما يكفل حسم الموقف في لبنان - والحيلولة دون تفجره في المستقبل، وانطلاقا من الحرص على تجاوز سلبيات الماضي ورواسبه، وضرورة التحرك إلى المستقبل بروح المصالحة والسلام والبناء والتعمير، وتوفير الضمانات اللازمة لاستقرار الحياة الطبيعية في لبنان والحفاظ على مؤسساته السياسية والاقتصادية

وغيرها وصيانة السيادة اللبنانية واستمرار الصمود الفلسطيني، درس المؤتمر الوضع في لبنان والخطوات والاجراءات اللازمة لاعادة الحياة فى اطار الحفاظ على سيادته واستقلاله وتضامن الشعبين اللبناني والفلسطينى والضمان العربى الجماعى لكل ذلك.

وقرر اعلان وقف اطلاق النار وإنهاء القتال بصورة نهائية والالتزام به التزاما كاملا من كافة الأطراف، كما قرر تعزيز قوات الأمن العربية الحالية لتصبح قوة ردع تعمل داخل لبنان تحت إمرة رئيس الجمهورية اللبنانية شخصيا.

تنفيذ اتفاقية القاهرة

وقد اجمع المؤتمر على رفض تقسيم لبنان تحت اى صورة وبأى شكل قانونيا أوواقعيا، صراحة أو ضمنا، وعلى تأكيد الالتزام بالحفاظ على وحدة لبنان الوطنية وسلامته الإقليمية وعدم المساس بوحدة أراضيه أو التدخل فى شئونه الداخلية بأى صورة.

ودعا المؤتمر كافة الأطراف اللبنانية لإجراء حوار سياسى يهدف إلى تحقيق المصالحة الوطنية وتثبيت دعائم الوحدة بين أبناء الشعب اللبنانى وتم الاتفاق على تنفيذ اتفاقية القاهرة وملحقاتها التى أعلن رئيس منظمة التحرير الفلسطينية التزامه الكامل بها، وفى هذا الصدد قرر تأليف لجنة تضم ممثلين عن المملكة العربية السعودية، وجمهورية مصر العربية، والجمهورية العربية السورية ودولة الكويت، تقوم بالتنسيق مع رئيس الجمهورية اللبنانية فيما يتعلق بتنفيذ اتفاقية القاهرة، وتكون مدتها تسعين يوما من تاريخ إعلان وقف إطلاق النار

الالتزام بقرارات الرباط والجزائر

وقد أكد المؤتمر التزامه بمقررات مؤتمر القمة العربى السابع فى الرباط باعتماد منظمة التحرير الفلسطينية ممثلا شرعيا وحيدا لشعب فلسطين.

٤ - النمط المركب

والنمط المركب هو النمط التحريرى الذى يتناول وقائع متعددة. ولقد تناولنا فيما تقدم الأخبار التى تتعلق بحادث واحد فقط، سواء كان واقعة من الوقائع أو قصة صحفية تقوم على حركة أو عمل، أو خطبة أو تصريحاً أو بيانا من البيانات. على أن

مهمة المندوب أو المحرر ليست دائما على هذا النحو اليسير، فقد يقف أمام خبر تتعدد فيه الحوادث الهامة أو الزوايا التي تتساوى في أهميتها الظاهرة .. كيف يتسنى له أن يعالج الخبر المتعدد العناصر؟

إن النمط المركب في تحرير الخبر هو الحل لهذه المعادلة الصعبة.

فهو يحتاج إلى تنسيق وقائع كثيرة، ويتضمن وحدات كثيرة كلها أخبار جديدة ووقائع كثيرة، وقد يتناول بعضها المستقبل، يضرب كارل وارين. مثلا على ذلك:

- مات أربعة سكان: إحدى المدن الكبرى بالأنفلونزا في أربع وعشرين ساعة وقد فهم المحرر المسئول أن هذا المرض منتشر، فيكلف أحد المندوبين بمقابلة وزير الصحة، ويعلم المحرر المسئول أن هناك خمسين إصابة بالأنفلونزا وفي ذات الوقت يتقرر إغلاق مدرسة وعزل فندق ويجتمع المسئولون في وزارة الصحة لبحث التدابير الوقائية.

- وفي يوم آخر تشتعل ستة حرائق في حي من أحياء هذه المدينة نشبت أربعة منها بسبب خرق بالية مبللة بالكبروسين، ويعلم المندوب الصحفي أن البوليس قد عثر على قنابل حارقة يشتبه في أمرها، وبينما كانت وابورات الإطفاء في طريقها إلى أماكن الحريق انقلبت إحداها وأصيب سائقها وبعض من فيها.

وكل واحدة من هذه الحقائق - على الرغم من أنها تصل إلى مكتب المحرر المسئول بطرق مختلفة ومن مصادر مختلفة - تعتبر جزءا من موضوع واحد، ونشر كل منها على حدة ينتج عنه تكرار لا مبرر له وضياع لوقت القارئ، وشغل حيز أكثر من الورق، وقضاء على الموضوع فاهتمام القارئ لا ينصب على الحوادث في ذاتها، بل على الربط بينها. وكثير من الصحف تضع عناوين ثابتة للأخبار المركبة التي تحدث بين وقت وآخر، فجميع حوادث السيارات تحت عنوان السرعة، والأخبار السياسية تحت عنوان السياسة، وأخبار البوليس تحت عنوان الجريمة، وأخبار التعليم تحت عنوان المدارس، وهكذا.

وإليك مثل عن خبر مركب^(١) :

تعرضت مدينة. والمناطق المحيطة بها لأمطار غزيرة لا تنقطع منذ يومين، وقد بلغ أشده ليلة أمس، وفاضت مياه النيل وكلف أحد المندوبين بكتابة خبر تحت عنوان الفيضان.

وعندما زار هذا المندوب منطقة الرياح وجد أن عشرات البيوت قد غرقت وأن مائة وخمسين شخصاً قد خرجوا من بيوتهم إلى العراء. وعلم أن رجلاً فقيراً كان ينام على حافة النهر قد غرق وهو يسبح طلباً للنجاة وأن سيارة تقل بعض السياح قد أشفروا على الموت ولكنهم أنقذوا في آخر لحظة.

ووجد المندوب أن خمسة وسبعين شخصاً من اللاجئين يقيمون الآن في المساجد ومراكز الشرطة وأن الهلال الأحمر يتولى العناية بهم، وعلم أيضاً أن البوليس أقام دوريات تطوف أثناء الليل بالأحياء الغارقة وأن جثة الغريق قد وجدت وعرف صاحبها.

وتلقى أحد المراجعين بالصحيفة بالتليفون أن رجال الأعمال بدأوا حملة الاكتتاب بعشرة آلاف دولار لمساعدة الضحايا. ويتلقى مراجع آخر من مصلحة الأرصاد أن الطقس غداً سوف يكون صحواً وأن الأمطار سوف تتوقف، بينما تصل أنباء من المدن الواقعة عند أعلى النهر تقول إن المياه آخذة في الارتفاع وأن ذروة الفيضان سوف تصل تلك المدينة ظهر غد.

وعندما يصل المندوب إلى مكتبه يتلقى المعلومات التي جمعها الآخرون ويجد رسائل تلقتها الصحيفة من مدن أخرى وقصاصات مما نشر في الصحف المسائية. وعليه بعد ذلك أن يعرف المساحة المخصصة للموضوع ليبدأ في صياغة قصة شاملة مركبة.

وكتابة الخبر المركب، لا تختلف عن كتابة الأنماط التحريرية الأخرى من حيث عنايتها بالمقدمة والهيكل الخبري، ولكن كيف يتسنى للمحرر أن يكتب المقدمة من مجموعة مختلفة من الزوايا؟

هناك ثلاثة أنواع لمقدمات هذا النوع من الأخبار:

أولاً: تركيز جميع النقاط الهامة في فقرة واحدة شاملة.

ثانياً: اختيار أهم نقطة للبداية بها.

ثالثاً: الربط بين الطريقتين الأولى والثانية، ونخلص منهما إلى مقدمة متكاملة.

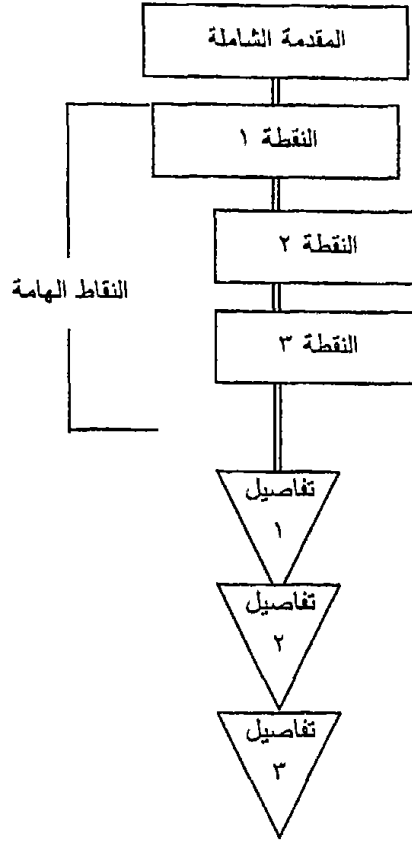
والمقدمة الشاملة: هي أكثر المقدمات شيوعاً، تستعمل عادة عندما تتساوى الأهمية بين جميع النقاط، كما يذهب إلى ذلك "وارين" مثلاً:

"قتل شخصان وأصيب أربعة بجراح فى سلسلة من حوادث المرور وقعت أمس عندما خرجت آلاف السيارات إلى الحوادث تقل الناس الذين جذبتهم شمس الشتاء الدافئة".

وهكذا نلاحظ أن المقدمة قد اتسعت، ولم تركز على حادث واحد، بل إنها ربطت بين الحوادث جميعاً، وتركزت حول الزاوية العامة؛ وهى حوادث المرور، وأوضحت النتائج الإجمالية؛ ثم تركت التفاصيل لهيكل الموضوع الصحفى نفسه.. أما عن هيكل الخبر الصحفى فيجب - كما يقول الأستاذ الحماصى - أن يراعى فى كتابته الانتقال من المقدمة إلى إبراز النقاط الهامة التى جاءت فى المقدمة نقطة نقطة، ثم يعود إلى إبراز التفصيل الكامل لكل نقطة من هذه النقاط.

وهناك بعض المصاعب التى يواجهها المحرر المبتدئ تحرير الخبر المركب على هذا النحو: فى هيكل الخبر تبسيط فى شرح النقاط التى وردت فى المقدمة، وقد يعتمد المبتدئ بعد أن يهتدى إلى العناصر التى لها جاذبية فى المقدمة، إلى التخلّى عن بعض تلك العناصر تماماً فلا يشير إليها بعد ذلك فى هيكل الخبر، أو لعله لا يعود إلى الإشارة إليها إلا فى موضع من الرواية سحيق. ويحذر "جونسون وهاريس" من ذلك لأنه يخل بالغرض المقصود من الهيكل الخبرى، وهو الإسهاب فى شرح عناصر المقدمة، كما أنه يخلّ بمبدأ الترتيب المنطقى.

وإذا كانت لعنصر ما قدرة على استمالة القراء سوغت تقديمه فى المقدمة وإبرازه فى صدر الخبر، فلا ريب فى أن ذلك العنصر يستحق أن يكون له موضع فى هيكل الخبر، وأن يكون الموضع ظاهراً "فلا يدفن تحت أطباق من الوقائع التى تقل عن هذا العنصر شأنًا وأهمية".



ويقول جونسون وهاريس كذلك: إن جسم الخبر أو هيكله مجال لإضافة عناصر ثانوية وللتوسع في إيرادها، وهي عناصر لم ترد مجملة في المقدمة. ولتحقيق هذا الغرض يتعين على المندوب أن يكون قادراً على التفرقة بين تفاصيل العناصر التي ترد في المقدمة من ناحية، والعناصر الثانوية الأخرى من ناحية أخرى. وحتى تتضح هذه التفرقة بجلاء، نجد أن القاعدة الثابتة في هذا الشأن فحواها: أنه إذا كانت العناصر الهامة تلخص في المقدمة قبل الاستطراد في ذكر تفصيلاتها، فإن جميع العناصر الثانوية ينبغي تلخيصها عند تقديمها إلى القراء قبل الاستطراد في عرض تفاصيلها. بعبارة أخرى، إن المقدمة ليست الموضع الوحيد الذي تلخص فيه عناصر الخبر، وأنه يجب تلخيص تلك العناصر في موضعها المنطقي من هيكل الخبر قبل الاستطراد إلى ذكر التفاصيل.

أما المقدمة الثانية: فهي التي تقوم على اختيار أهم نقطة أو عنصر للبدء بها، وهنا يمكن إيراد العناصر الثانوية الأخرى ملخصة في الفقرة الثانية، حيث لا يقتصر

الأمر في هذا النوع على جملة استهلاكية واحدة، أو اعتبارها "كتلة استهلاكية" على تعبير "جونسون.. وهاريس".. ومتى أورد الخبر الفقرة المشتمة على تلخيص للعناصر الثانوية، عاد إلى العنصر الهام البارز فساق جميع التفاصيل المتعلقة به. ويراعى الترتيب المنطقي عند تناول كل من العناصر الثانوية والعنصر الهام البارز. والمثال التالي يوضح هذا المنهج^(١).

أكد الملوك والرؤساء العرب في البيان الذي صدر أمس في ختام أعمال المؤتمر الاستثنائي للقمة العربية، التزامهم بالعمل على توفير الضمانات اللازمة لتثبيت وقف إطلاق النار في لبنان والحفاظ على المقاومة الفلسطينية. كما أعلن الملوك والرؤساء رفضهم تقسيم لبنان تحت أى صورة وأكدوا الالتزام بعدم التدخل فى شؤونه الداخلية.

وقد جاء بيان الملوك والرؤساء العرب متضمناً قرارات محددة فى ثلاث من القضايا العربية المصرية وصفها الرئيس السادات فى خطابه فى ختام المؤتمر بأنها تشكل خطوة هامة ورئيسية على طريق التحرير واستعادة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى. والقضايا الثلاث التى تناولتها القرارات بالعلاج هى القضية اللبنانية، وقضية التضامن العربى، وقضية حماية المقاومة الفلسطينية.

أولاً :- القضية اللبنانية:

١ - الترحيب بأعمال مؤتمر القمة السداسى فى الرياض، والمصادقة على قراراته.

١

٢ - التزام الملوك والرؤساء العرب بالعمل على توفير الضمانات اللازمة لتثبيت وقف إطلاق النار، واستعادة الحياة الطبيعية.. كما أكدوا على تعزيز قوات الأمن العربية ودعمها لتصبح قوة ردة تعمل تحت إمرة رئيس الجمهورية اللبنانية شخصياً.

٣ - رفض تقسيم لبنان، تحت أى صورة وبأى شكل، قانوناً أو صراحة، أو ضمناً، وتأكيد الالتزام بالحفاظ على وحدة لبنان وعدم التدخل فى شؤونه الداخلية.

٤ - درس الملوك والرؤساء الوضع فى الجنوب اللبنانى وأعربوا عن قلقهم البالغ إزاء الاعتداءات الإسرائيلية.

(١) جريدة الأهرام فى ٢٧/١٠/١٩٧٦.

٥ - التأكيد على تنفيذ اتفاقية القاهرة التي تنظم العلاقة بين المقاومة الفلسطينية والسلطة اللبنانية، والتي أعلن رئيس منظمة التحرير الفلسطينية التزامه الكامل بها.

٦ - تشكيل لجنة تضم ممثلين عن المملكة السعودية وجمهورية مصر العربية والجمهورية العربية السورية، ودولة الكويت تقوم بالتنسيق مع رئيس الجمهورية اللبنانية فيما يتعلق بتنفيذ اتفاقية القاهرة وتكون مدتها ٩٠ يوماً من تاريخ إعلان وقف إطلاق النار.

٧ - مساهمة الدول العربية في إعادة تعمير لبنان وإزالة آثار النزاع المسلح والأضرار التي حلت بالشعبين اللبناني والفلسطيني.

٨ - إقرار إنشاء صندوق خاص للإنفاق على قوات الأمن العربية الرادعة على أن تساهم كل دولة من الدول العربية فيه حسب طاقتها.

ويشرف رئيس الجمهورية اللبنانية على الصندوق، ويضع - بالتشاور مع الأمانة العامة لجامعة الدول العربية والدول المساهمة بنسبة ١٠٪ على الأقل، نظاماً عاماً للصندوق يوضح طريقة الإنفاق منه وتصفيته عند انتهاء مدته. ويعمل بالنظام الحالي لقوات الأمن العربية إلى أن يتم وضع نظام جديد لها.

وقد تقرر تحديد مدة الصندوق بفترة ستة شهور قابلة للتجديد بقرار من رئيس مجلس الجامعة الذي ينعقد بطلب من رئيس الجمهورية اللبنانية.

(علم مندوب الأهرام أن نفقات قوات الأمن تبلغ ١٥ مليون دولار شهرياً وقد أعلنت السعودية إسهامها بـ ٢٠٪ من النفقات والكويت بـ ٢٠٪ والإمارات بـ ١٥٪ وقطر ١٠٪. وعلم المندوب أن مصر أعلنت مساهمتها بمليون دولار كما أعلنت موريتانيا مساهمتها بمبلغ ٢٥ ألف دولار).

ثانياً: القضية الفلسطينية:

تفاصيل العنصر الأول
من العناصر الأخرى

١ - أكد الملوك والرؤساء العرب الالتزام بمقررات مؤتمر الرباط باعتماد منظمة التحرير الفلسطينية ممثلاً شرعياً وحيداً لشعب فلسطين.

٢

٢ - مطالبة دول العالم وشعوبه بإدانة العدوان الإسرائيلي

المستمر في الأراضي المحتلة، وأعمال الإرهاب والتشريد ومصادرة الأراضي وانتهاك حرمة المقدسات الدينية وخاصة الحرم الإبراهيمي.

ثالثاً: التضامن العربي:

١ - دعم التضامن العربي بوصفه قاعدة أساسية لنجاح العمل العربي المشترك.
تفاصيل العنصر الثاني من العناصر الأخرى



٢ - الالتزام الكامل بأحكام وقرارات مؤتمر القمة.

٣ - الالتزام بميثاق التضامن العربي الصادر في قمة الدار البيضاء ووضعه موضع التنفيذ.

بيان المؤتمر ووثيقته

فيما يلي نص البيان: تفاصيل العنصر الثالث

إن ملوك ورؤساء دول الجامعة العربية، في اجتماعهم بالقاهرة بمقر جامعة الدول العربية يومي ٢،٣ من ذي القعدة لعام ١٣٩٦هـ، الموافق ٢٥،٢٦ من أكتوبر (تشرين الأول) لعام ١٩٧٦م.



وبعد أن تدارسوا الوضع الراهن في لبنان، ونتائج أعمال مؤتمر القمة العربي السادس بالرياض، الصادر في ١٨/١٠/١٩٧٦، وأهمية دعم التضامن العربي يقررون ما يأتي:

أولاً: الوضع الراهن في لبنان :

١ - المصادقة على البيان والقرارات وملحقاتها الصادرة عن مؤتمر القمة العربي السادس بالرياض في يوم ١٨/١٠/١٩٧٦، والموافقة بهذا (لم يوافق وفد الجمهورية العراقية على هذه الفقرة).

٢ - أن تساهم الدول العربية، كل حسب إمكانياتها، في إعادة تعمير لبنان وتقديم الاحتياجات المادية المطلوبة لإزالة آثار النزاع المسلح والأضرار التي حلت بالشعبين اللبناني والفلسطيني، وأن تبادر الدول العربية بتقديم العون العاجل للحكومة اللبنانية ومنظمة التحرير الفلسطينية.

ثانياً: دعم التضامن العربي :

تأكيد التزام الملوك والرؤساء العرب بأحكام قرارات مؤتمرات القمة ومجلس الجامعة في هذا الشأن، وخاصة ميثاق التضامن العربي الصادر في قمة الدار البيضاء في ١٥/٩/١٩٦٥، والعمل لوضعها جميعاً موضع التنفيذ التام الفوري.

ثالثاً: تمويل قوة الأمن العربية:

توفيراً للموارد المالية اللازمة للإنفاق على قوات الأمن العربية في لبنان، والمنصوص عليها في القرار الثاني من مقررات مؤتمر قمة الرياض..

وبعد الإطلاع على تقرير الأمانة العسكرية لجامعة الدول العربية في هذا الشأن..

يقرر مؤتمر القمة ما يأتي:

- ١ - إنشاء صندوق خاص للإنفاق على متطلبات قوات الأمن العربية في لبنان.
- ٢ - تساهم كل دولة من الدول الأعضاء في الجامعة العربية في الصندوق بنسبة مئوية تحددها كل دولة حسب طاقتها.
- ٣ - يشرف رئيس الجمهورية اللبنانية على الصندوق ويضع، بالتشاور مع الأمانة العامة لجامعة الدول العربية والدول المساهمة بنسبة ١٠٪ على الأقل نظاماً عاماً للصندوق، يوضح طريقة الإنفاق منه وتصفيته عند انتهاء مدته، ويعمل بالنظام الحالي لقوات الأمن العربية إلى أن يتم وضع نظام جديد لها.
- ٤ - تحدد مدة الصندوق بفترة ستة شهور قابلة للتجديد بقرار من مجلس الجامعة الذي ينعقد بطلب من رئيس الجمهورية اللبنانية.

السادات يعلن:

تفاصيل العنصر الهام البارز

المصالحة الوطنية اللبنانية
تمثل خطوة السلام القادمة

١

وفي الكلمة التي ألقاها الرئيس السادات في ختام أعمال المؤتمر أكد الرئيس على الحقائق التالية:

- أن القرارات التي صدرت عن المؤتمر بوقف نزيف الدم في لبنان والحفاظ على المقاومة إنما تمثل خطوة هامة ورئيسية على طريق التحرير واسترداد حقوق شعب فلسطين الوطنية.

- أن الدعوة للمصالحة الوطنية اللبنانية إنما تمثل الخطوة التالية المنطقية في مسيرة تحقيق السلام في ربوع لبنان.

- أن قوة الردع العربي المقدمة إلى لبنان للمساعدة في إقرار السلام فيه ودعم العلاقات اللبنانية الفلسطينية في إطار اتفاقية القاهرة إنما هي دليل آخر على فعالية العمل العربي الجماعي في مساعدة قطر عربي على النهوض من كبوته والحفاظ على المقاومة الفلسطينية.

- العدوان الإسرائيلي المستمر على جنوب لبنان يشكل تهديدا خطيرا للأمة العربية، ولن نسمح مطلقا للعريضة الاسرائيلية بأن تنطلق من جديد مهددة حياة أبنائنا وحقوق شعوبنا وسلامة أراضينا.

نشاط واسع
لرؤساء في سلسلة
المشاورات الجانبية

تفاصيل العنصر الهام البارز

١

وقد سبق الجلسة الختامية اجتماع عقده في السادسة والنصف مساء ملوك ورؤساء سبع دول عربية هي مصر والسعودية والكويت وسوريا ودولة الامارات العربية والبحرين وقطر.

وعقد الاجتماع في جناح الملك خالد بفندق هيلتون وذلك إطار سلسلة الاجتماعات والمشاورات الجانبية بين الملوك والرؤساء العرب، وكان الرئيس السادات قد اجتمع أمس في إطار هذه المشاورات مع كل من الشيخ صباح السالم الصباح امير دولة الكويت والرئيس السوداني جعفر نميري والرئيس اللبناني الياس سركيس والرئيس الصومالي محمد سياد بري، والشيخ خليفة بن حمد أمير دولة قطر والشيخ عيسى بن سليمان حاكم البحرين والدكتور سعدون حمادي وزير خارجية العراق ورئيس وفدها في اجتماع القمة. وحضر المقابلات جميعها السيد حسنى مبارك نائب رئيس الجمهورية.

كما اجتمع الملك خالد بن عبد العزيز ملك السعودية مع الرئيس جعفر نميري وحضر الاجتماع الأمير سلطان بن عبدالعزيز وزير الدفاع واجتمع الملك حسين ملك الأردن مع كل من الشيخ خليفة بن حمد أمير قطر كلا من الملك خالد ثم السيد سالم ربيع رئيس اليمن الديمقراطية. كما قام الشيخ خليفة بزيارة الملك حسين والرئيس حافظ الأسد.

جميع الفقرات الأخرى

٤ اجتماعات لوزراء الخارجية

لاعداد مشروع البيان والقرارات

وقد جاءت قرارات الملوك والرؤساء بعد ٣ اجتماعات لوزراء الخارجية العرب كان أطولها اجتماع أمس الذي وضع فيه اجماع كل المشتركين على التمسك بمقررات قمة الرياض وميثاق التضامن العربي كقاعدة للعمل العربي المشترك. كذلك استعرض وزراء الخارجية في اجتماع امس الصباحي ورقة عمل قوات الردع العربية من حيث تشكيلها وتمويلها واستغرق موضوع التمويل وقتا طويلا طرحت خلال ٣ اقتراحات.. اقتراح أول بأن تساهم كل دولة عربية في تمويل القوات بقدر مساهمتها في ميزانية الجامعة العربية. وكان معنى ذلك أن تتحمل مصر العبء الأكبر باعتبار حصتها في تمويل ميزانية الجامعة.. ثم اقتراح بإنشاء صندوق تساهم فيه كل دول عربية حسب قدرتها المالية، ثم اقتراح من الكويت بإقامة صندوق تساهم فيه أساسا كل من الكويت والسعودية بنسبة ٢٠٪ باعتبارهما الدولتين الداعيتين إلى مؤتمر القمة المحدود، على أن تساهم الدول العربية الأخرى القادرة بالنسبة الباقية، وأسفرت المناقشات عن اقتراح وافق عليه الجميع بإنشاء صندوق تساهم فيه كل دولة عربية حسب طاقتها حيث لا تقل المساهمة عن ١٠ في المائة.

كما طرحت منظمة التحرير الفلسطينية وجهة نظرها في نقطتين أساسيتين هما:

١ - ألا يزيد تمثيل أية دولة في قوات الأمن العربية عن الثلث.

٢ - أن تشمل قوات الردع قوات من أية دولة عربية راغبة في المشاركة، في حين أعلن وفد لبنان أن قوة الردع طبقا لمقررات الرياض لا تتبع أية هيئة أو دولة معينة وأنها تخضع للرئاسة الكاملة والمباشرة للرئيس سركيس ومن ثم فإن سلطات الرئيس اللبناني في إدارة شئون هذه القوات تعطيه الحق في قبول أو رفض مشاركة أية قوات^(١).

(١) الأهرام في ١٣/١٠/١٩٧٧.

وأحيانا تكون العناصر الثانوية أقل شأنًا من بعض التفاصيل المتعلقة بالعنصر الهام البارز. وللمحرر في هذه الحال أن يرجئ إيراد الفقرة المشتملة على تلخيص العناصر الثانوية ريثما يورد التفاصيل الخاصة بالعنصر البارز ما دامت تستحق التقديم.

أما المقدمة الثالثة وهى المزج بين البيان الشامل والحادث المعين، فإنها تستعمل عندما تبرز أهمية حادث واحد، ولكن أهميته لا تبرر إغفال الوقائع الأخرى، ويذهب الأستاذ الحمامصى، إلى أن هذا النوع يحتم على المحرر المكلف بكتابته وكتابة الموضوع الصحفى كله؛ الا يزحم المقدمة بالشرح، ذلك لأن الأصل فى هذه المقدمة، أنها يجب أن تكون قوية، جامعة، متماسكة، مرتبطة، مجردة من كل شئ الا المواجهة التى سنقدم بها القصة الكبيرة التى ستنتشر؛ بعد المقدمة.

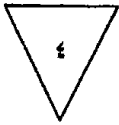
الرسم التوضيحي

المقدمة = ملخص لعنصرين وليس

للعناصر جميعا



ملخص لعنصرين آخرين



وفى القاهرة أعلن السيد اسماعيل فهمى نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية أن الرئيس السادات تلقى فى الساعات الأخيرة رسالة عاجلة من ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية يشرح فيها أبعاد الهجوم السورى الشامل.

وقال السيد اسماعيل فهمى، إن السادات، أمضى

يوم أمس فى متابعة أنباء الغزو السورى الذى يستهدف وضع مؤتمر القمة العربى الموسع المقرر عقده فى القاهرة يوم ١٨ الحالى أمام الأمر الواقع.

وأعلن إسماعيل فهمى، أن مصر تدين الغزو السورى إدانة كاملة، وأنها ترى أن التصرف السورى ينطوى على تحد سافر للملوك والرؤساء العرب.

وفيما يلى تفاصيل الموقف فى لبنان وردود أفعاله فى القاهرة والعواصم العربية الأخرى:

تفاصيل العنصرين

الأول والثاني

في المقدمة

المقاومة: محادثات شتورا
كانت لعبة تمثيلية



بيروت في ١٣ - وكالات الأنباء - تحركت صباح اليوم القوات السورية التي تعززها الدبابات المتمركزة في الجبال جنوب شرقي بيروت، نحو ميناء صيدا (في الجنوب) لشن هجوم كبير على الميناء، بعد أقل من ٢٤ ساعة من التوصل إلى اتفاق مبدئي لإنهاء الحرب الأهلية في لبنان، وبعد مرور ١٢ ساعة على ما أعلنه الدكتور حسن صبري الخولي المستشار السياسي للأمين العام للجامعة العربية، من أن وقف إطلاق النار على مشروع الاتفاق، الذي أرسل إلى الرئيس إلياس سركيس، والرئيس حافظ السد، وياسر عرفات للموافقة عليه .

وأعلن متحدث باسم منظمة التحرير الفلسطينية أن وقوع هذا الهجوم بعد التوصل إلى اتفاق في شتورا لانتهاء البقتال، يؤكد شكوك الفلسطينيين من أن محادثات شتورا بالنسبة للسوريين مجرد "لعبة تمثيلية".

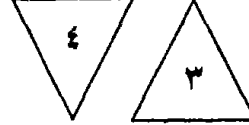
وقد عقدت قيادة المقاومة الفلسطينية اجتماعا اليوم برئاسة ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، وذلك في أعقاب الهجوم: وذكرت المصادر الوطنية ان عرفات قد طلب عقد اجتماع طارئ لوزراء الخارجية العرب لبحث الموقف المتفاقم في لبنان في أعقاب الهجوم الجديد على جنوب لبنان. وذكرت المصادر أن قيادة المقاومة قد أجرت اتصالات بعد ظهر اليوم بحسن صبري الخولي ممثل جامعة الدول العربية في لبنان وطلبت منه التوجه إلى القاهرة للاعداد لعقد الاجتماع الطارئ.

وقد غادر الخولي بيروت اليوم متوجها إلى دمشق حيث من المتوقع أن ينتقل منها إلى القاهرة، وأعلن مصدر فلسطيني أنه قد تم الاجتماع الثلاثي اللبناني السوري الفلسطيني الذي كان من المقرر عقده في شتورا غدا الأربعاء وذلك بسبب الهجوم الذي شنته القوات السورية على جنوب لبنان.

وقد انهالت مئات القذائف الثقيلة على هذه المواقع، ولكن القوات المشتركة التي تدافع عنها، قاتلت بشراسة ضد قوات المشاة السورية المقدمة.

تفاصيل العنصرين الثالث والرابع

جنبلات: مقترحات مصرية
أمام القمة لوقف الغزو



علم مندوب "الأهرام" الدبلوماسي أن الرئيس السادات قد أمضى يوم أمس في بحث الموقف المتدهور في لبنان بالاشتراك مع عدد من مساعديه وقد اضطر السيد اسماعيل فهمي نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية إلى الغاء كل مقابلاته ليكون على اتصال دائم بالرئيس.

وكان الرئيس السادات قد استقبل أمس السيد كمال جنبلات زعيم القوى الوطنية اللبنانية، وأعلن جنبلات في نهاية المقابلة أن الرئيس السادات يتابع أولاً بأول أنباء الغزو السوري، وأنه بحث مع الرئيس السادات المقترحات التي يمكن أن يناقشها مؤتمر القمة العربي لوقف الغزو السوري.

وقال جنبلات، إن الرئيس السادات أبدى اهتماما كبيرا بضرورة العمل على عودة المهجرين اللبنانيين إلى مناطقهم في إطار حل للمشكلة اللبنانية.

ومن المقرر أن يغادر كمال جنبلات القاهرة اليوم إلى السعودية على طائرة خاصة لاجراء محادثات عاجلة مع المسؤولين السعوديين، وسوف يطير جنبلات من السعودية إلى عدد من دول الخليج لمحادثات مماثلة تتعلق بتدهور الأوضاع في لبنان نتيجة تجدد الغزو السوري ثم يعود إلى القاهرة للالتقاء بالملوك والرؤساء العرب خلال مؤتمر القمة للتباحث معهم بشأن القضية اللبنانية.

ومن ناحية أخرى أبدت الدوائر المسؤولة في القاهرة دهشتها الكامنة من التصريح الذي أعلنه حسن صبري الخولي ممثل الجامعة العربية في لبنان والذي أعلن فيه أنه يتوقع تقدما في محادثات شتورا بالرغم من الغزو السوري، وأكدت هذه الدوائر، أن المعلومات والوقائع التي تلقتها القاهرة - وتلقته في نفس الوقت عواصم

عربية أخرى - كانت تؤكد أن الغزو السوري سيقع قبل ٤٨ ساعة من اجتماع وزراء الخارجية العرب، وقبل أيام محدودة من اجتماع مؤتمر القمة.

وفي الكويت حذر ممثل منظمة فتح من التفاؤل الذي أبداه ممثل الجامعة العربية في بيروت، ذلك أن سوريا لن تلتزم بهذا الاتفاق الذي تم خرقه بالفعل، وأشاد ممثل فتح بالدور الذي يقوم به الرئيس السادات لدعم نضال الثورة الفلسطينية ووقف المذابح في لبنان.

وقد يجد المحرر المبتدئ صعوبة في صياغة الموضوع يجد أمامه عناصر كثيرة، إنه يعرف أن هناك حقيقة واحدة ذات أهمية كبيرة، ولكنه يضع معها حقيقتين أخريين أو ثلاثاً لا يستطيع إغفالها فكيف يربط بينها؟ يذكر العلماء طريقة واحدة لمعالجة تلك المشكلة وهي تحليل مادة الموضوع قبل الكتابة. ويستطيع المحرر أن يدون على ورقة أمامه أهم العناصر في الموضوع ويدرسها ويوازن بينها. ثم ينظم المعلومات حسب قراره في أهمية كل واحدة منها ويحرر الموضوع وفقاً للقواعد العلمية المدروسة.

٥ - النمط التتابعى.

ويقصد بهذا النمط الأنباء التى تعيش فترة طويلة وتتوقعها الصحف مرة ومرات.. وتنقسم هذه الأنباء إلى ثلاثة أقسام^(١):

١ - الخبر القادم.

٢ - خبر اليوم.

٣ - الخبر التتابعى المستمر.

أما الخبر القادم فهو الذى تتوقع الصحيفة حدوثه فى موعد معين. وخبر اليوم يعالج حادثة جديدة غير متوقعة. أما الخبر التتابعى المستمر فهو الذى توالى الصحف معالجته فترة طويلة من الزمن.

وإذا كانت المهمة الأولى للصحافة هى إعلام القارئ بما سوف يحدث، فإنها بذلك تؤدى خدمة جليلة للجمهور، وأبلغ مثل على ذلك؛ تحديد مواعيد الجولات الانتخابية التى يقوم بها المرشحون وبرامجهم ووعودهم، ولولا "الصحيفة لذهب الناخبون إلى صندوق الاقتراع وهم لا يعلمون شيئاً عن الشخص الذى سوف ينتخبونه، ولا عن برنامجه وسياسة الحزب الذى ينتمى إليه سواء أكان اليمن أو الوسط أم اليسار، والذى يحدث أن الصحيفة تستمر قبل موعد الاقتراع بأسابيع فى نشر كل شىء عن المعركة الانتخابية؛ وقد يذهب البعض إلى التنبؤ بنتيجة المعركة^(٢). ولقد وجدنا جريدة "الأهرام" يوم ٢٨ أكتوبر ١٩٧٦، أى يوم اجراء الاقتراع، تتوقع "إجراء الاعادة فى دوائر كثيرة" وأن "عددا كبيرا من المرشحين لن يحصل على الأغلبية المطلقة اللازمة للنجاح فى انتخابات اليوم بسبب كثرة عددهم فى معظم الدوائر يوم الخميس القادم". وقد صح تنبؤ هذه الصحيفة فظهرت النتائج مؤكدة دور الصحافة التنبؤى الذى لا يقتصر على المعارك الانتخابية؛ وإنما يشمل مجالات كثيرة كالرياضة. وفى كل صحيفة عدد من المندوبين الذين تخصصوا فى معرفة اتجاه النتائج الرياضية. واتجاهات التنسيق والقبول بالجامعات وهناك أخبار أخرى من هذا النوع ولكنها - أقل أهمية لتذكير القراء بما سيقع من أحداث فى بلادهم كأن يقول لهم مثلا إن غدا هو عيد السويس أو أن الجامعات ستفتتح يوم ٢٣

(١) كارل وارين : المرجع السابق ص ٩٤ .

أكتوبر أو إن تقول لهم أن احتفالا معيناً سيقام يوم كذا أو(أن مسرحية لشوقي مثلا سوف تقدم على المسرح القومى يوم كذا).

ويجب أن يدرك المندوبون أنه لا يوجد شيء مؤكد فى هذا العالم، ولذلك يجب عليهم ألا يلبسوا ثياب العرافين، فإذا كلفوا بمهمة استقصاء ما سوف يقع من أحداث؛ فعليهم التزام الحرص، وخاصة إذا كان الحادث يتناول أسماء وأرقاما وفى بعض الأحيان يلجأ الصحفيون الذين يكلفون بمهمة من هذا النوع إلى اقتباس قول شخص مسئول عن حادث سوف يقع، ثم يردفون ذلك القول بتحفظ لانقاذ الصحيفة إذا لم يتحقق ما قاله المسئول.

أما الخبر التتابعى المستمر فهو يبدأ عادة بحادث جديد. وعلى المندوب الذى روى الحادث مرة أن يوالى الكتابة عنه، فإذا حدث انفجار فى مدينة مثلا، وروى التفاصيل على النحو المعروف ، وعليه أن يجيب عن عدة أسئلة: كيف دخل الديناميت إلى المدينة؟ لماذا انفجر؟ كيف حال ضحايا الانفجار؟ .. وعليه أن يتتبع حالة كل ضحية فى المستشفى وتطور صحته إلى أن يخرج من المستشفى. ويضرب "وارين". مثلا لقصة جريمة من الجرائم؛ وتطوراتها:

٢٥ مايو لص يطلق النار على صاحب متجر ثم يفر.

٢٦ مايو يموت صاحب المتجر ويبدأ البوليس فى البحث عن اللص.

٢٧ مايو البوليس يقبض على المتهم.

٣ يونيو النيابة تحقق مع المتهم وتعد صيغة الاتهام.

١٧ يوليو تبدأ المحاكم أمام القضاء.

١٨ يوليو الشهود يدلون بأقوالهم وينسحب القضاء للمداولة.

١٩ يوليو يعلن القضاء قرارهم ويصدر الحكم.

١٠ أغسطس يقدم المتهم استئنافا.

٣١ أغسطس محكمة الاستئناف تؤيد الحكم.

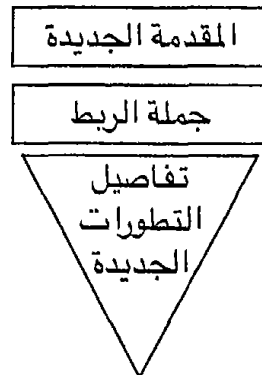
٣ سبتمبر تنفيذ العقوبة على الجانى.

وعلى المندوب أن يرجع بين وقت وآخر إلى الأرشيف كلما عاود الكتابة عن الموضوع؛ حتى لا يخطئ في سرد المعلومات. وقد يضطر في بعض الأحيان إلى أن يعيد بعض وقائع القصة التي نشرت من قبل، وعندما يريد أن يضيف إليها معلومات جديدة لابد من أن يحكم على علم بالقصة وأن يضع في اعتباره أن من القراء وأن بعضا آخر لم يقرأها بالمرّة.. وهذا يتطلب أن يتضمن الجزء الجديد من الخبر التتابعى المستمر ملخصا قصيرا لما سبق سرده من حوادث هامة؛ في الخبر وفي بعض الحالات يضطر المندوب الصحفي إلى رواية معلومات غير جديدة، في أكثر من فقرة.

ويتكون - على ذلك - النمط الخبرى التتابعى المستمر، على النحو المبين بالشكل.

على أن الصحفي المبتدئ قد يجد صعوبة في تحرير الأخبار المتتابعة بسبب التعقيدات التي تنشأ عن الحاجة إلى ربط المعلومات القديمة بالحديثة، وقد يحاول بعض هؤلاء أن يحشد أكبر عدد ممكن من المعلومات القديمة بالحديثة، وقد يحاول بعض هؤلاء أن يحشد أكبر عدد ممكن من المعلومات في فقرات الربط، وهذا يعوق تطور الحوادث، وما عليه إلا أن يسرد الحقائق عارية مجردة من العبارات الطنانة والمبالغات، ثم ينتقل إلى التطورات الجديدة في بساطة طبيعية^(١).

وحيثما يجد الصحفي نفسه في مأزق بين ضغوط مواد لا حصر لها حتى في الاخبار البسيطة نسبيا وبين حدود ثابتة لحيز الصحيفة، فلا سبيل له إلى دفع هذا الضغط أو الافلات من تلك الحدود والقيود. وليس أمامه إلا سبيل التركيز والاقتصار على المعلومات الجوهرية الهامة وتحريرها وفق القواعد العلمية التي تنظم له أساليب التفكير وتجنّبه مزالق الوقوع فريسة للسطحية الموقوتة.



(١) الحماصي: المرجع السابق ص ١٢٤.

الفصل الخامس

فن الحديث الصحفي

فى كثير من مجالات العمل الصحفي؛ تمثل المهارة فى فن المقابلة أمراً لاغنى عنه. ذلك أن الصحفي شأنه شأن أى إنسان - يقابل الناس ويستقبل غيره من الناس. على أن الصحفي بالضرورة يجب أن ينمى مهارته فى هذه الوسيلة التى يمكن بها الحصول على كثير من المعلومات ووضع الكثير من خطط أعماله الصحفية. ذلك أن اكتشاف الحقيقة هو جوهر العمل الصحفي؛ والأحاديث الصحفية. ومقابلة الناس والتحاوور معهم هى الوسائل التى تتيح للمندوب أن يعرف ما قد حدث، وما قد يحدث. ولذلك يذهب علماء الصحافة إلى أن "كل حوار صحفى يجيء إنما بالتفاصيل التى تجعل الموضوعات جديرة بالثقة".

وتعتبر المقابلة من صميم التقرير الصحفي؛ ذلك أن كل تقرير يتضمن - فى الغالب - مقابلات مع أشخاص مطلعين وأحاديث مع اختصاصيين؛ لكن دون ذكر أسمائهم. وفى المقابلة التى تعتبر نوعاً قائماً بذاته، يعطى الكلام للشخصية، وينحصر دور الصحفي فى حمل الشخصية على الكلام، والحديث معها بما يهم الجمهور.

والمندوب الصحفي لى يحقق النجاح فى عمله اليومى؛ عليه أن يعرف كيف يُجرى الأحاديث مع الناس. فالمقدرة على الاستجواب؛ كما يقول علماء الصحافة؛ أمر ضرورى "لسبب واضح بسيط هو أن معظم الأنباء تُستقى مباشرة من الاتصال الشخصى. ذلك أن جميع الأخبار، بداية من المؤتمر الصحفى الرسمى فى القصر الجمهورى، ونهاية بالحديث مع عابر السبيل الذى شهد حادثة سيارة، هو إلى حد كبير استجواب لأناس من مختلف الأنواع وفى مختلف الأحوال. ونظراً إلى أهمية الاستجواب القصوى فى جمع الأخبار؛ فإن المندوب الصحفي يجتهد باستمرار من أجل تنمية قدرته فى هذا المضمار"^(١).

وحين نتساءل: "لماذا ينبغى أن تصبح صحفياً يجرى مقابلات جيدة؟".. نقول مع شيرلى بياجى: "إن الموضوعات الصحفية الحافلة بالمعلومات والتى تشد القارئ إنما تنبع من مقابلات صحفية يجرى الإعداد لها جيداً، ويتم تنفيذها أيضاً بصورة جيدة. ومن النادر أن يدرك قارئ الصحيفة أو مشاهد التلفزيون كم من المقابلات، وكم

من الأبحاث ومن الوقت يمضيه الصحفيون وراء كل قصة صحفية. إن جميع الموضوعات الصحفية والبرامج التليفزيونية والإذاعية تنتج عن أنواع مختلفة من توجيه الأسئلة^(١).

والتميز في إجراء المقابلات الصحفية من أهم أسس العمل الصحفي الناجح. وهو كذلك بالنسبة للكتابة الصحفية أيضاً: يقول "كريس جيلجر" الصحفي بجريدة "تايمز بيكايون": "إننى أعتقد أن معظم الصحفيين على قدر من الكفاءة يكفى لإجراء مقابلة صحفية. ولكن المشكلة تكمن فى المعلومات الناقصة فى المقابلة؛ إما لأن الصحفى سبق أن حدّد فى ذهنه ما الذى يريده من المقابلة. فينهيها قبل أن تتاح الفرصة للمتحدث لأن يدلى برأيه، أو لأن الصحفى ينقصه التعاطف وحب الاستطلاع للحصول على ما هو أكثر من الحقائق الأساسية فى القصة - مثل الوصف والتفاصيل، أو ما نسميه بلغة الصحافة: "لماذا وأين وكيف ومتى"^(٢).

من "المقابلة إلى الحديث":

والعمل الصحفى يقوم فى جوهره على جمع المعلومات الكاملة؛ الدقيقة؛ الموضوعية؛ ولذلك فإن الصحفى الذى يُجرى مقابلات جيدة؛ إنما يبحث باستمرار عن شىء جديد؛ أو عن معلومات متعمقة؛ أو فكرة أو وجهة نظر تثير الاهتمام فى القصة؛ وتكون جديرة بالاستماع إليها ويحيث لا تكون شائعة أو معروفة من قبل.

وتعتبر "المقابلة الصحفية" مثل المحادثة؛ "نوعاً من تبادل المعلومات، والآراء، والتجارب، بين شخص وآخر. وفى أثناء المحادثة فإن السيطرة على المناقشة تنتقل من شخص لآخر مرات عديدة. ولكن فى المقابلة الصحفية فإن الصحفى هو الذى يتحكم فى سير المناقشة، ويحدّد اتجاه الأسئلة"^(٣).

وحين يحرص الصحفى على "القول المصيب"؛ على نحو ما نجد فى التراث العربى؛ استلهاماً لقول الله عز وجل: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا

(١) شيرلى بياجى : المقابلة الصحفية.. فن، دليل عملى للصحفى، ترجمة كمال عبدالرؤوف؛ ص ١٥.

(٢) نفس المرجع ص ١٧.

(٣) نفس المرجع ص ٢٣.

مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا [النبأ/٣٨]؛ فسيجد عوننا من البيان العربى الذى يقول: ومن الصواب أن نعرف أوقات الكلام، وأوقات السكوت، وأقدار الألفاظ، وأقدار المعانى، ومراتب القول، ومراتب المستمعين له، وحقوق المجالس، وحقوق المخاطبات فيها، فنعطى كل شىء من ذلك حقه، وضمه إلى شكله، ونأتيه فى وقته وبحسب ما يوجبه رأى لنا، فإنه متى أتى الإنسان بالكلام فى وقته أنجحت طلبته، وغضمت فى الصواب منزلته، ولذلك ترى من له الحاجة إلى الرئيس رقب لها وقتاً يراه فيه نشيطاً فيكلمه فى حاجته، فيكون يسير القول منه فى ذلك القول منجحا، ومتى عجل وكلمه وهو ضيق الصدر أو مشغول ببعض الأمر، كان ذلك سبب حرمانه وتعذر قضاء حاجته. وارتقاب الأوقات التى تصلح للقول وانتهاز الفرصة فيها إذا أمكنت من أكثر أسباب الصواب وأوضح طرقه. ثم متى سكنت عن الكلام فى الأوقات التى يجب أن يتكلم، لحقه من الضرر بترك انتهاز الفرصة مثل ما يلحقه من ضرر الكلام فى غير وقته، ولذلك قال أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام "انتهزوا الفرص فإنها تمر كمر السحاب".

وحين تذهب "ساندرا تومسون" الصحفية فى جريدة "سانت بيتربيرج تايمز" إلى أن "المقابلة الصحفية ليست نوعاً من المحادثة؛ وإنما تشير إلى تجنب وجوه المحادثة المرفوضة فى الهزل؛ والقيح؛ والخطأ؛ ولذلك تنصح الصحفى بأن يكتب "أى نوع من حب الظهور عنده تماماً، وفى نفس الوقت يسيطر على الموقف بطريقة خفية" وهذا أمر صعب - كما تقول: "فأنت تراقب كل شىء يقال؛ وفى نفس الوقت تحاول أن تخلق جوّاً ودياً يدعو إلى الاسترخاء وعدم الشعور بالخطر من جانب المصدر وفى الواقع فإن داخل عقل الصحفى جهاز "تيكرز" يدق طول المقابلة، وهو يتساءل: ترى ماذا سيكون سؤالى التالى، وما الذى تدلّ عليه حركات أيدي المتحدث، وماذا تشير إليه نبرة صوته؟

إن الذى يجرى المقابلة الصحفية عليه أن يصغى للمتحدث؛ ويراقب، ويتحرى، ويستجيب ويسجل كل ما يجرى فى وقت واحد". وللسكوت: أوقات هو فيها أمثل من الكلام وأصوب، فمنها السكوت عن جواب الأحق الهازل والمتعنت. وفى ذلك يقول الشاعر:

[من الوافر]

وأصمْتُ عن جوابِ الجَهْلِ جُهْدِي

وبعضُ الصَّمْتِ أبلغُ فى الجوابِ

وقال بعضهم: "رُبَّ سَكُوتٍ أبلغُ من مُنطِقٍ".

وقال آخر: [من الطويل]

وقد أسمعُ القولَ الذي كاد كلما
إذا ذكّرته النَّفْسُ، قلبي يُصدِّعُ
فأبدي لمن أبداه منى بشاشة
وإني مسرورٌ بما منه أسمعُ
وما ذاك من عُجْبٍ به غير أننى
أرى أن تترك الشرَّ للشرِّ أقطعُ

يقول "تيد كوبل" التليفزيونى فى محطة "A. P. C." : "فى بعض الأحيان أتحوّل إلى محقق؛ وفى أحيان أخرى أتحوّل إلى فراشة تطير حول المصدر وتزعجه. فى أحيان أحاول أن أوضح وأفسّر، وفى أحيان أخرى أتعمد أن أكون متغائباً. أما كيف تنجح فى مقابلاتك الصحفية فهذا يتوقف على مقدرتك فى أن تؤدى هذا الدور الصحفى".

وقد مدح الله - عزل وجل - الحلم، فقال: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة ١١٤] وسمى نفسه الحليم. وقال الشاعر: [من الطويل]

ولم أرَ مثْلَ الحِلْمِ زِيناً لصاحبٍ
ولا صاحباً للمرءِ شَرّاً من الجَهْلِ

وقال الله - عزل وجل - فى وصف المؤمنين وتنزّهمهم عن مقابلة الجاهلين: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾^(٣)، وقال - عز وجل^(٤): ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾^(٥). وقال ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾^(٦). وقال الشاعر: [من الوافر]

مُتَارِكَةُ اللَّئِيمِ بِلَا جَوَابٍ .: أَشَدُّ عَلَى اللَّئِيمِ مِنَ الْجَوَابِ

ومما يستحسنه الأدباء، ويراه صواباً كثير من العلماء: الحلم عن النظير ممن هو دون النظير، لأنّه يبين عن فضل الإنسان فى نفسه ويرفعه عن مقابلة من جهل عليه ووضّح نفسه لأذيته. وقد قيل : "من عاجلِ نفعِ الحلم، كثرةُ أعوانِ الحليم على الجاهل".

يقول ابن وهب:

"وأما أقدار الألفاظ وأقدار المعاني، فهو أن يأتي بالمعنى فيما يليق به من اللفظ. وأما مراتب القول ومراتب المستمعين له، فهو حسن التلطف فيه والإتيان به على تقدير وتمرين لسامعه، وحسن حيلة في إيراد ما يقبل عليه، وتجنبيه ما ينكره. وأن لا يهجم منه عليه بما يغضبه، أو لا يحتمله قلبه، ولا يسعه صدره، ولا يليق به قبوله. ثم يزيده شيئاً بعد شيء حتى يبلغ به أقصى مراده منه فيكون في ذلك مثل المربي للصبي؛ فإنه متى هجم عليه بالغذاء من أول مرة قتله، ولكنه يسقيه اللبن ثم ينقله في الغذاء من حال لطيفة إلى ما هو فوقها حتى يكمل تربيته، أو كالطبيب الحاذق الذي إذا رأى العليل يكره الدواء، ويمتنع من أخذه لطف له واحتال في إقامة شيء مكان شيء، وخلط ما يستبشع طعمه بما يذهب بشاعته، والتدبير لذلك حتى يسهل عليه أخذه، ويبلغ مراده من نفعه. ولذلك بدأ الرسول - عليه السلام - في أول النذارة بالدعاء إلى التوحيد بشهادة الإخلاص، فنظر، ثم لم يزل يزيدهم فريضة بعد فريضة، وأمرأ بعد أمر، إلى أن أكمل لهم الدين وانتهى في ذلك. ولو هجم به عليهم في أول وهلة، لاستثقلوه، ورفضوه، وخالفوه ولم يقبلوه. فينبغي للعاقل أن يكون بصيراً بترتيب قوله، عالماً بمراتب المستمعين له في قبوله، فلا يأتيهم منه بما ينافر طبائعهم، ويكون سبباً إلى إعراضهم، ثم لا يزال يلطف لهم في ذلك ويوفيه من حال إلى حال فيه حتى يبلغ بهم مقصده، فإن ذلك أصوب في الرأي وأولى بالقبول. وقد أوصى بعض حكماء العرب بنحو ما قلناه فقال: اعلم أنه لا يتهيأ لك نقل رجل عن طريقته بالمناقضة والمكابرة، لاسيما إذا كان ذا سلطان أو ذا نخوة، ولكنك تقدر أن تعينه على رأيه وتنبهه على إحسانه وتقربه من قلبه، فإنك إذا قربت منه المحاسن كانت هي التي تكفيك المساوي، وإذا استحكمت منه ناحية من الصواب كان ذلك الصواب هو الذي يبصره الخطأ بالطف من تبصرك، وأعدل من قصتك، لأن الصواب يؤيد بعضه بعضاً، ويدعو بعضه إلى بعض. وأما حقوق المجالس وحقوق القول فيها. فإن مجالس السلطان مخالفة لمجالس الرعية ومجالس العلماء مخالفة لمجالس الجهال، ومجالس الجد مخالفة لمجالس الهزل. فحق العاقل أن يعظم مجالس السلطان والعلماء، فلا يأتي فيهما بشيء من الخناء، ولا الهزل، ولا اللهو، إلا أن يشاء السلطان ذلك منه، فيأتي ما يأتي من ذلك

عن إدته وطاعة لأمره، ويحسب ما يحتمله نشاطه من غير زيادة على ما يخرج به عن حد الخلاف عليه والعصيان لأمره. ولا يملئ لنفسه مع ذلك في الاسترسال والجرى على عادة النفس في الإهمال، وأن يكون في مجلس السلطان بين ثلاثة أحوال: إما أن يكون مُنصتاً، أو معظماً لحقه عن الابتداء بالكلام في مجلسه، أو مُجيباً عما يسأل عنه من غير دخول في جواب مسألة لغيره، أو مُنهيّاً نصيحةً إليه فيما أصلح ملكه ورعيته من غير أن يشوب النصيح بالسعاية به، أو يخلط المشورة بالنميمة والتحميل على الرعية، فالتوقير للرؤساء والأئمة مما قد أمر الله - سبحانه - به حيث يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ * إِنَّ الَّذِينَ يَعْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَعْفَرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ^(١).

والنصيحة للأمة واجبة، فقد روى جرير أنه بايع رسول الله - (ﷺ) - على السمع والطاعة والنصيحة. وروى عن رسول الله - (ﷺ) - : "إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ لِلَّهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ"^(٢).

والسعاية والنميمة وتحميل السلطان على الرعية مذمومان عند الحكماء، وقد روى أن أفلاطون أعرض عن ارسطاطاليس لشيء بلغه عنه، فسأله عن سبب إعراضه فقال: "شيء بلّغنيهِ الثقةُ عنكَ". فقال: "الثقةُ لا يكونُ نَمَاماً". وروى أن رجلاً سعى إلى الاسكندر ببيع أصحابه فقال: "إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَقْبَلَ قَوْلَهُ فَيْكَ، فَعَلْتُ، وَإِلَّا فَدَعِ الشَّرِيدَ عَنكَ".

وأن يكون في مجلس العلماء في أحد ثلاثة أحوال: إما سائل متعلم، أو منصت متفهم، أو مذاكر بالعلم للمتعلم، فقد روى: "كُنْ عالماً أو متعلماً، أو منصتاً، ولا تكن الرابع فتهلك".

وأن توقّر العلماء، فقد روى في بعض الحديث: "ليس الملق في أخلاق المؤمن إلا في طلب العلم". وروى عن أمير المؤمنين - عليه السلام: "حق العالم أن لا تُكثّر عليه السؤال حتى تُضجره، وأن لا تأخذ بثوبه".

(١) سورة الحجرات، الآيتان ٢، ٣.

(٢) في النهاية ج ٤ ص ٣٥٨: "ليس من خلق المؤمن الملق". واللق - بالتحريك - الزيادة في التودد والدعاء والتضرع فوق ما ينبغي.

وإذا دخلت على قوم فسلم عليهم جميعاً، وحُصَّه بالتحية واجلس بين يديه، ولا تغمز بعينك ولا تُشرب بيدك إلى مجلسه، ولا تكثر من القول : "قال فلان، وقال فلان"، خلافاً عليه. ولا تضجر بصحبته.

وأن يكون في مجلس الجد جاداً في منطقه وقوله، غير مهجن بكلامه ونفسه باستعمال الهزل والإفاضة فيه. فقد قيل: "لا يخلط الجد بالهزل فيُسَخِّفه، ولا يخلط الهزل بالجد فيكدره". وإن اضطرته حال إلى حال فجالس السفهاء وأهل الهزل فليكن بينهم متملساً^(١)، وعن جملتهم خارجاً، ولما هم فيه ماقثاً، وعته بسمعه معرضاً. وليكن في استعمال ما لا إثم فيه من المرح والهزل، وما لا يسقط مروءة، ولا يثلم ديناً ولا جاهاً قاصداً إلى ترويح قلبه وإجمامه لمعاودة ما فيه نفعه. فقد روى أن في حكمة إلى داود: "على العاقل ما لم يكن مغلوباً على أمره أن يجعل نهاره أربع ساعات: فساعة يناجي بها ربّه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يُفَضِّي بها إلى إخوانه الذين ينصحون له ويصدقونه عن عيوبه، وساعة يخلّي فيها : يخلّي بين نفسه وبين شهواته ولذاته فيما يحل ويجمل، فإن في هذه الساعة له عوناً على هذه الساعات".

من هذا النص التراثي، يتضح لنا أن لفن الحديث؛ الذي يضرب بجذوره في التاريخ الإنساني أصولاً وقواعد يجب أن تُرعى؛ وأن تستهدى بها الأجيال على النحو الذي يؤدي بنا إلى القول بأن فهم الطبيعة الإنسانية؛ هو الأساس الذي يبنى عليه فن الحديث الصحفي الفعّال؛ في صورته المعاصرة.

الحديث الصحفي وحواجز السلوك الإنساني:

والأسباب التي تكمن وراء بعض أساليب السلوك الإنساني؛ أكثر ما تكون وضوحاً للمشتغلين بالصحافة، إذ يعتمد العمل الصحفي في جوهره على فهم هذا السلوك. ولذلك يذهب الدارسون إلى أن إجراء الحديث الصحفي مهمة صعبة، وبخاصة في هذا العصر الذي يميل فيه الأفراد إلى أن يكونوا شديدي الشك والارتياب حيث

(١) يقول الدكتور مصطفى جواد : "لعل الأصل (متملساً)، يقال : تملس من الأمر : افلت وتخلص كما في معجمات اللغة. وتملس الرجل من غيره : خرج من عهده، كما في كتب الأدب". البرهان في وجوه البنيان ص ٢٥٨.

ينظرون إلى كل شيء بشك بما في ذلك الصحافة. ومن ثم يجب أن يكون المتحاور مرناً مع. وبعض المواقف التي تحتاج إلى الجرأة والشجاعة؛ والبعض الآخر الذي يحتاج إلى التسامح. وهناك عنصران متصارعان يتحرك المتحاور في إطارهما: أولاً: من حق الناس أن يعرفوا كل الحقائق، وأنت أحق المسؤولين عن تقديم هذه المعرفة لهم؛ ثانياً: لا أحد ملزم قانوناً بالتحدث معك، ومن ثم على الإنسان أن يلجأ إلى فهم السلوك الإنساني وطبيعته.

والحوافر اللاشعورية عامة تكون بصورة أقوى مما نتصور عن محاولاتنا لفهم الناس؛ فإننا في الأغلب نعد إلى البحث عن أسباب سيكولوجية عميقة الجذور مرتبطة بانفعالاتنا وحياتنا الوجدانية. و"الدوافع قوى انفعالية. والأفعال التي تسيطر عليها هذه الدوافع لها أصلها الراسخ في الوجدان أكثر منه في العقل" على حد تعبير أنيث جاريث التي تشير لنا إلى الجوانب الذاتية والموضوعية في كل موقف. وأن المران والمهارة يؤديان إلى إدراك مدى الارتباط بين الناحيتين الموضوعية والذاتية. كما أن معرفة العوامل الذاتية قد تكون ضرورة ليتمكن بعدها تصميم الخطط الموضوعية في الحديث الصحفي. ولذلك يذهب علماء الصحافة إلى أن ترتيب لقاء صحفي أشبه بعملية فك قنبلة. فأى إنسان في موقع القوة. ويمتلك الكثير من المال – وهم أكثر الناس حيطة ومعارضة للحديث معك – يكون في الغالب محاطاً بمجموعة كبيرة من مديري المكاتب والسكرتيرية ورجال العلاقات العامة. وفي أوقات أخرى ستتعامل مع نوعيات عانت الكثير من الإساءة والحرمان؛ لدرجة أنهم أصبحوا يتشككون في أى مخلوق يسأل أى سؤال.

وفيما يلي بعض الأساليب والطرق التي تمكنك من مواجهة هذه المواقف: (١).

الاتصال المباشر: ارفع سماعة التليفون واطلب الشخص الذي تريده. وأخبره بما تريد: "آلو، أنا السيد فلان من صحيفة كذا، وأود التحدث معك بشأن الفواكه المصنوعة من البلاستيك".

الوسيلة المتاحة: في مكاتب الحكومة والمصالح تسعى السكرتيرية دائماً لصرفك بفضاظة من المكتب برغم أن رئيسهم يريد الحديث معك (إنها مجرد عادة لا أكثر)،

(١) مدخل في الصحافة السابق ص ١٤٤.

فاجعل من هذا السكرتير - أو من يحمى الرئيس - صديقاً وحليفاً لك، وأخبره "أن الأمر بالغ الأهمية، ويجب أن أتحدث إلى السيد فلان للأهمية القصوى". فإذا عطّلك بعض الوقت، فعدّ وذكرهم مرة أخرى أن الأمر في منتهى الخطورة. "لكن إياك والعواء والعويل".

لا مفر من المواجهة. إذا تكرر فشلك في الاتصال بشخص ما تليفونياً أو إذا كان هذا الشخص محظوظاً ولا يملك تليفوناً.. قم على الفور باقتحام مخبئه وقدم العديد من الاعتذارات والأسف والندم لفعلتك هذه، ثم ادخل في الموضوع مباشرة.

المكوث لفترة طويلة. إذا كنت بالفعل تريد لقاء شخص ما، وحاول السكرتير أو من يحميه إقناعك بأنه مشغول جداً جداً اليوم. ولن يتمكن من لقائك فقل لهم بهدوء: إنه لا مانع لديك من الانتظار ولا مانع أيضاً من إحضار وجبة الغداء معك، ليعرف الجميع مدى إصرارك على البقاء.

الهجوم. إذا حدث أن لمحت الشخص الذي تريد التفاوض معه - وهو يرفض - فاندفع نحوه في إصرار وقل له، لقد توافرت لدينا معلومات يمكن أن تدينك، فهل ترغب في إضافة شيء؟

ولكن.. كن لطيفاً. فإن الناس الذين اعتادوا عنف الظروف تأسروهم الرقة كثيراً، وقل إننا نعرف أن هناك وجهين لكل قصة، ونحن نوافقون لسماع القصة منك.

شارك وجدائياً: لا شيء يجدى مثل المشاركة الوجدانية. وقد يفرض على المندوبين أن يحاوروا مع نجوا من المآسى، ولكي تنجح معهم أبداً بالتعبير عن عدم ارتياحك شخصياً لعملية توجيهه أى أسئلة وأنتك جد آسف على هذا، ولكن "من فضلك، نرجوك أن تخبرنا ما هو شكل (زيد)، وهل عندك صورة له؟".

غالباً ما ينجح الأسلوب المباشر في إنجاز المهمة. حتى الناس الذين لا يقرأون الصحف يتأثرون جداً لفكرة أن هناك من يريد أن يسمع ما يقولون. كثير من الناس سيوافقون على الأقل على إجراء الحوار معهم، ولكن هذا لا يعنى أبداً أنهم سيتحدثون معك فور وصولك.

من المفيد جداً أن تعرف الكثير عن الموضوع الذي كلفت به قبل ذهابك إلى لقاء الصحفي. وقد يسكتك بعض المسئولين بقوله. "لقد تحدثت في هذا آلاف المرات" أو "لقد

سبق أن أوضحت موقفى من قبل بخصوص هذا الموضوع". إن عملية البحث فى مكتبة الصحيفة تمكنك من معرفة وتقييم الشخص المراد التحوار معه. هل هو فى العادة شخص مكفهر ونكد دائماً؟ هل يحب الثرثرة؟ مثل هذه المعلومات تساعدك فى تحديد هل أنت مقبل على حوار عصيب أم على حوار مسهل.

التخطيط السليم يجعل هروب المتحوار صعباً: إن "ليونارد راي تيل"، خبير فى تغطية أخبار السجون ومحاور فذ اعتاد أن يحتفظ بقائمة بأسماء نزلاء السجون وبأوراقهم الدالة عليهم فى السجون. هذه المعلومات تحولت إلى أداة لها قيمتها تماماً حين ذهب يوماً لعمل لقاء صحفى مع مأمور السجن حول ما أشيع عن وجود مخبأ للأسلحة المصنعة داخل السجن والمخبأة داخل بعض الزنزانات بسجن أطلنطا. ولما كان مساعد المأمور معروفاً بعدائه للصحفيين، فقد أخبر تيل المأمور أنه غير موجود. فرد عليه بهدوء إنه لا مانع لديه من انتظاره. لكن مساعد المأمور عاد وقال إن المأمور فى مكان ما يتعذر الوصول إليه فى السجن. فرد "تيل" بأن المكوث طويلاً لن يضايقه وأخرج له حقيبة بنية اللون وأخبره أنه قد أحضر معه غداءه تحسباً لهذا، فأصر مساعد المأمور على موقفه. وعلى الفور قال له "تيل" حسناً ما دمت سأمكنك هنا ولمدة طويلة فأرجو لقاء المسجون فلان رقم كذا وأخرج ورقة من جيبه وكتب عليها الاسم ونظر لمساعد المأمور. عادة يقدم الصحفى طلبه للقاء أى سجين قبل الموعد بأربع وعشرين ساعة. وبما أن "تيل" يعلم القوانين جيداً فقد كان يرجوا استثناء من القاعدة. وبعد أن أسقط فى يد مساعد المأمور، ذهب على مضض ليسأل السجين إن كان يرغب فى التحدث إلى "تيل". ثم عاد وأخبر تيل أنه قد رفض، وعلى الفور كتب "تيل" اسم سجين آخر ورقمه وأعطاه للمساعد. وفى غضب ذهب إلى الزنزانة المغلقة وعاد ليخبر "تيل" برفض السجين الثانى أيضاً. فأعطاه "تيل" اسماً ورقماً آخر وطلباً رسمياً كتبه على ورقة منزوعة من مفكرته. واستمرت هذه المحاولات على مدى ساعة كاملة إلى أن شعر "تيل" بالفعل بمقدم المأمور نحوه. فى الحقيقة كان المأمور بالفعل داخل مكتبه القريب من ذاك المكان وخرج لتوه للذهاب إلى الحمام. واقتنص "تيل" الفرصة والمأمور معاً. وحتى لا يشعر المأمور بالحرص أمام تيل فقد رحب كثيراً بإجراء الحوار معه وفى مكتبه. وخرج "تيل" بحديث صحفى بالغ الأهمية مزود بمجموعة من صور الخناجر التى تم صنعها داخل السجن.

إن الإلحاح في حد ذاته قد لا يجدى دائماً، ولكنه على الأقل أفضل من عدمه. فبعد حوار تقليدى حزين مع والدى فتاة صغيرة قُتلت، علم "رون تيلور" أن الشرطة قد قبضت على أحد أعمام الفتاة ورفضوا ذكر اسمه. فى الحقيقة لم يكن "تيلور" هو صاحب فكرة الخطوة التالية وإنما أحد المخبزين السريين واسمه "باد سكينز" وكان صديقاً للمصور. وكان لهذه الخطوة أهميتها البالغة للموضوع. قال الرجل إن الأسرة ذاتها لن تتردد أبداً فى التصريح باسم العم. فذهبا إلى بيت الأسرة، ولم يحصلوا على الاسم فقط، وإنما استطاع "تيلور" والمصور التقاط صور بالغة التأثير فى لحظات الغضب وجيشان المشاعر. صرخت إحدى العمات تقول "لقد جلس إلى مائدتنا وأكل من طعامنا". وهدد أحد أبناء العموم بأنه سيقول العم فى أول فرصة تسنح. وهكذا انبثق هذا الموضوع المعبر عن مأساة إنسانية من داخل أسرة تسعى للانتقام بعد أن فجعت بحقيقة أن مرتكب هذه الجريمة البشعة هو أحد أعضائها.

فى مثل هذه القضايا جرى العرف أن تنطلق الأسرة التى مسها الكرب فى الكلام دون ضابط ما دامت قد سنحت لها هذه الفرصة، وكأنهم يسعون للتعبير عن مشاعر غضبهم لأى غريب.. مثل هذا الاتجاه المفاجئ، وغير المتوقع يستطيع أن يحول مسار أى مهمة صعبة. ذات مرة ذهب أحد مندوبى المهام العامة فى أطلنطا لإجراء حديث مع والدى أحد ضحايا سفاح فى "هيوستن". كان حزن الأبوين بالغاً لأن البوليس قد أرشدهم إلى جثة غير جثة ابنهم. وبدلاً من رفضهم لقاء المندوب الصحفى تحدث الوالدان إليه طويلاً وكأنهما يعبران عن ارتياحهما لوجود شخص يشاركهما فى لوعة القلب ومرارة الغضب.

وهذا ما حدث حين ذهب أحد الطلبة المتدربين فى "ميامى هيرالد" إلى إحدى المزارع للتداول مع أسرة أحد عمال المزارع والمتهم بقتل فتاة فى العاشرة من عمرها. كان عليه أولاً العثور على البيت المتنقل وسط المزارع المتوامية الأطراف. فاستغرق البحث قرابة الساعة. طرق الباب وأخبر السيدة التى ردت عليه أنه مندوب صحفى يريد أن يسمع منها الجانب الآخر من القصة. رفضت السيدة الحديث وأغلقت الباب فى وجهه، لكن بلطف، فعاد إلى سيارته واعتقد أن الموضوع قد انتهى عند هذا الحد. وجلس يفكر فيما ينبغى عمله إلى أن لمح شخصاً بالبيت يشير إليه ليعود. فعرف أن

أسرة المتهم قد دار بينها حوار انتهى بقرارهم بضرورة عرض الجانب الآخر من القصة. كان المتهم معروفاً بأنه جليس هذه الفتاة الطيبة. فظل المندوب يسمع على مدى ساعة كاملة. بعد ذلك قاد سيارته- وقد ثارت مشاعره - بحثاً عن أول تليفون يصادفه على الطريق الرئيسى ليتحدث إلى مكتب الصحيفة. وبفضل هذا الحديث الصحفي تم تعيين هذا المندوب تحت الاختبار فى وظيفة ثابتة بالجريدة فور تخرجه فى الجامعة. لقد مهد له نجاحه فى هذه المهمة طريق الاحتراف.

وإذا كانت الأخبار فى أبسط صورها هى خروج عن المألوف؛ فإن دقة الملاحظة لا تقل أهمية عن أى وسائل تدريبية أخرى بالنسبة للمتجاوز. وأما المندوب فيجب أن تكون عيناه كعينى الصقر حين يلمح بسرعة حدثاً عابراً وسط الزحام ويركز عليه تماماً. وهذا ما يؤكد المندوبون المكلفون بكتابة موضوعات مختلفة الألوان^(١).

من هذا النص المعاصر؛ يتضح لنا أن فن الحديث الصحفي؛ يتواصل مع أصوله فى التاريخ الإنسانى؛ الأمر الذى يقتضى على فهم حوافز السلوك البشرى وطبيعته.

كيفية القيام بالمقابلة وإدارة الحديث الصحفي:

على الرغم من أن المقابلة المثالية فى مظهرها تبدو مجرد أخذ ورد هادئ بين المندوب الصحفي ومحدثه؛ فإن المهارة الصحفية لا تكتسب إلا بعد دراسة عميقة ومراحل متتالية من التدريب..

وعلى القائم بالمقابلة أن يكون دقيقاً حتى لا تفوته الهنات المختلفة قبل أن يتشبع بها فى استجاباته التلقائية، فهو فى مبدأ الأمر يعرفها. ولكنها بعد مدة تصبح جزءاً من مهارته بحيث يستطيع استعمالها استعمالاً طبيعياً فى كل خطوة من خطواته دون بذل أى مجهود. "فنحن نسمع كثيراً عن القائم بالمقابلة اللبق الذى يستشف الحقائق ويعرفها، ولكن تقبع وراء هذه المهارة دراسة عميقة للعمليات المختلفة والعلاقات المتشابكة فى المقابلة. فالمتزحلق على الجليد الماهر لا يلقى بالاً إلى الحركات الكثيرة المتكاملة التى يؤديها فى فقراته الرائعة، ولكنه قد ثابر على تعلمها قبل ذلك واحدة تلو أخرى ثم تعلم كيف يربطها معاً كوحدة متوافقة منسجمة"^(٢).

(١) نفس المرجع ص ١٤٧.

(٢) أينيت جاريت : فن المقابلة ص ٥٨.

يقول صاحب المدخل إلى الصحافة: "إذا أردت أن تعلم شخصاً ما كيف يدير الحديث الصحفي فعلمه كيف يتحدث، كلنا نقوم بنفس العمل ولكن بصور مختلفة. فبعض الناس عدائيون وصريحون بالفطرة، وهذا له فائدته ولا يعنى هذا أن الخجل شئ معوق. فبعض الناس يرتاحون لإفشاء أسرارهم للشخص الخجول.

عليك أن تواظب على توجيه الأسئلة دائماً حتى ولو ضايق هذا المتحاور معه بعض الشئ، فإذا لم تكن بالطبيعة فضولياً ومحباً للاستطلاع فإن مهنة الصحافة لا تناسبك. وطرح الأسئلة هو نصف المهنة فقط لأن هدفك فى النهاية هو الحصول على الأجوبة. ومع ذلك فالأمر كله نسبى تماماً. فالصحفيون يسخرون ما يرون من الأساليب المناسبة حسب مقتضيات الظروف والمواقف. فالأساليب والمواقف تختلف دائماً.

إدارة اللقاءات الصحفية إذن، مثل ترتيبها، أنواع: فالحرر الخبير يستطيع أن يقيم الشخص ذا الأهمية فى ثوان معدودة. هل هذا الشخص غريب الأطوار؟ هل هو أمين؟ فيم يخادع؟ ما الذى يحاول إخفاءه؟ هل يجعلك تحصل على الإجابة منه بصعوبة؟ إن ما تقرأه فى عيون الناس وفى سلوكياتهم هو المفتاح الذى يرشدك إلى كيفية إدارة الحوار.

والتجهيز المسبق مفيد جداً: ومن الاقتراحات المفيدة للمندوب الصحفى المبتدئ أن يقوم بتجهيز عشرة أسئلة. وهى فكرة لا بأس بها. لكن ضع فى اعتبارك جيداً أن أى لقاء صحفى لا يسير فى الغالب طبقاً لما هو مخطط له. ففى الأحاديث التليفزيونية المتعجلة.. سنكتشف أن الأسئلة التى خططت لها قد انحرف الموضوع بعيداً عنها بما يقدمه المتحاور معه من عناصر جديدة أثناء الحديث. ومع ذلك دع الحديث يأخذ مجراه الطبيعى. وفوق كل الاعتبارات أنصت جيداً. قد تجرى حديثاً يؤدي بالمتحاور إلى السجن إن حاول الإجابة عن أسئلتك الاستفزازية برغم أن لديه دليل براءته، لا تدع سعيك لقصة صحفية كبيرة يؤدي بك إلى تجاهل الحقائق التى يفضون بها إليك. وسيمر عليك وقت تكتشف فيه أن لديك أفكاراً شاحبة عما تبحث عنه. وهذا يحدث فعلاً عندما تتناول الموضوعات ذات الملامح العريضة. ولا تخش من الاعترافات بأنك متخبط فى بحثك. فى مثل هذه الأحوال قم بسرعة بعمل تخطيط مختصر لموضوعك الرئيسى ولا تتردد فى التساؤل بسذاجة: "هل لديك أى شئ تخبرنى به يفيدنى فى مهمتى؟". وستدهش كثيراً

حين تكتشف أن مثل هذا السؤال يزودك بتفاصيل هامة جداً. وسر أو اثنان يمكن أن يضعاك على الطريق الصحيح الذى تتبعه فى بحثك.

وإذا كان فن التماور يعتمد كثيراً على الفطرة، فإن الفطرة تحتاج دائماً للعون والدعم. لذا يقدم العلماء إليك عشر تلميحات عن عملية التماور وإجراء الحديث الصحفى:

أولاً: حاول أن تصل فى الموعد المحدد: ستدهش حين تعرف أن كثيراً من الرجال المهمين لا عمل لديهم طول اليوم إلا الحديث إليك، إلا أنهم سيحاولون إيهامك بأن مسئولياتهم رهيبة. ومع ذلك فهم يبدون تبرمهم الشديد إن تأخرت عليهم.

ثانياً: أوجد مبررات مسبقة لوجودك هناك: ثم قم بإخطار الطرف بآخر تطورات الموضوع وبما تريد أن تعرفه بالتحديد. إلا إذا كان الموضوع حرجاً وحساساً إلى الدرجة التى تمنع إفشاء أى معلومات عنه. فإذا كان لديك معلومات لا يستهان بها حول الموضوع فالأجدر أن تخطره بها - ما استطعت - تجنباً للتكرار.

ثالثاً: يفضل أن تبدأ بسؤال كبير متشعب: وهذا طبعاً ليس أمراً مطلقاً وبخاصة إذا لم يكن لديك الوقت الكافى. ولكن مثل هذا الاتجاه يحقق غرضين :

١ - يهئ لك فسحة من الوقت لتقييم الإنسان أمامك وتنظيم تفكيرك.

٢ - يمنحك فرصة جيدة لتلقى معلومات لم تكن تتوقعها، وأن تستعد لأى اتجاه تفرضه المحادثة.

رابعاً: لا تقاطع المتحدث أبداً: إلى أن تشعر أنه يريد أن يلتقط أنفاسه. فإن تحولت المحادثة من بداياتها إلى شىء غير مريح؛ تفقد قيمتها على الفور، إلا إذا كان المتماور يهوى المشاكسة، وتكون أنت قد حصلت على المعلومة التى تريدها فعلاً. لكن بشكل عام حين يشعر المتحدث بالارتياح إليك... يصبح أكثر نفعاً.

خامساً: التزم بالموضوع. يعتبر السماح للشخص بالتحدث عن أبنائه أو عن المجتمع مقبولاً إلى حد ما، ويساعد على خلق جو من الألفة. ولكن قد تكون هذه الثروة أيضاً خدعة لتجنب الموضوع. فإذا شعرت أن المتحدث قد حاد بك عن جوهر الموضوع، تخلّص برفق وبسرعة: وقل له "بمناسبة الحديث عن حديقة زوجتك.. ما هو الجديد بشأن مذبة الأشجار التى تتعرض لها.

سادساً: عليك أن تبتسم من حين لآخر: فلا يحب أى إنسان أن يشعر أن حديثه متجاهل. أن تتظاهر بتدوين أشياء لا قيمة لها أو معلومات تافهة أمر له فائدته أيضاً. فهؤلاء الذين يتوهمون أنهم يدلون بمعلومات هامة وخطيرة يفضلون أن يتخيلوا أنه يتم تسجيل كل شىء.

سابعاً: عليك بالسيطرة على مشاعرك: لأنك ستتحاور مع أناس قد تبغض أفكارهم. وبرغم أن هذا قد لا يضيف الكثير إلى شهرتك كصحفى موضوعى إلا أنه سيفيد فى إتمام الموضوع.

ثامناً: أنصت.. أنصت.. أنصت: ذلك أن الاتصالات لن يجعل المتحدث يشعر بأنه على جانب من الأهمية والحكمة فحسب، بل يساعدك أيضاً على السيطرة على الحوار، فالمتحدث قد ينحرف عن نقطة ترى أنت أنها بالغة الأهمية وقد ينحرف إلى الترترة. فلو كنت تجيد الإنصات استطعت أن تعيده إلى الموضوع فيما بعد بأن تقول له : "بالمناسبة لقد قلت شيئاً من قبل عن الأيام التى قضيتها فى السجن، متى كان هذا على وجه التحديد؟".

تاسعاً: لا تنصرف قبل أن تتأكد أنك حصلت على الأساسيات: كيف يتهدى الشخص اسمه أو اسمها. ما هو اللقب الرسمى الذى ينادونه به؟ كم عمره؟ لا تفترض أنك تعرف كل هذه الأشياء مسبقاً. ومن الأفضل بشكل عام أن تبدأ حديثك معه بطرح مثل هذه الأسئلة فربما انصرف الشخص قبل أن تتمكن من سؤاله.

عاشراً: كن متفهماً: فلا أحد يحب تبلد المشاعر. حتى اللصوص الذين تساعد فى إرسالهم للسجن لن ينسوا تعاطفك معهم.

ضع فى اعتبارك دائماً أن المتحاور معه يكون أكثر حدة وعصبية منك. حول الخطيئة أو المأساة التى جئت تحاوره بشأنها. والشخص الذى لم يسبق له الإدلاء بحديث صحفى يصبح أكثر توتراً، فساعدته أنت على الهدوء والاسترخاء. ولا يتأتى هذا إلا إذا كنت أنت شخصياً هادئاً ومستريحاً، ولا يؤتى ثماره إلا إذا كنت طبيعياً. فإن شعرت بعقلك فجأة قد توقف عن العمل وسط المحادثة، فلا تجلس فجأة تضرب أخماساً فى أسداس، فأنت فى النهاية بشر. وعليك أن تقول ببساطة "معذرة لقد نسيت أين كنا ونسيت السؤال الذى كنت سأوجهه لك"^(١).

مراحل إعداد الحديث الصحفي :

يقول "كلايتون": "إن على المندوب أن يكون له صفات البائع، فهو مضطر إلى أن يذيب شخصيته في شخصية محدثه، وتلك صفة ضرورية لا يقصد بها إلا الإقناع فقط، ولكنها ألزم ما تكون في الحقيقة لا يجاد المشاركة الوجدانية بينه وبين المتحدث، ونحن نعلم أن الطبيعة البشرية تجعل الناس يميلون إلى التبسط في الحديث بحرية وصراحة مع أولئك الذين يشاركونهم عواطفهم ومذاهبهم، أكثر من أولئك الذين يعارضونهم معارضة ما في كل ذلك، أو يقيمون من أنفسهم أوصياء على فكرة معينة، أو رأى معين".

وهنا يتعين على المندوب الصحفي أن يقف على أكبر قدر ممكن من المعلومات الخاصة من الأسئلة التي تلم بأطراف موضوع الحديث.

وقد نشرت مجلة الهلال مقالاً للأستاذ كريم ثابت بعنوان :

كيف أجارت العظماء

مهنة الصحفي وما فيها من تبعات ومفاجآت

قدمت له بقولها:

"يندر أن يكون في مصر أمير أو وزير أو زعيم أو كبير لم يحدثه الأستاذ كريم ثابت غير مرة وهذا علاوة على العظماء الأجانب الذين حدثهم كملوك العرب وأمرائهم والسنيور موسولينى وغاندى والرئيس ماساريك رئيس جمهورية تشيكوسلوفاكيا والدكتور سترزمان وزير خارجية ألمانيا المتوفى والدكتور بينش والكونت ابونى السياسى المجرى الكبير والكولونيل هاوس صديق الدكتور ولسن ومستشاره الأمين والملكة مارى الرومانية والمسيو موتا الوزير السويسرى الشهير والمسيو هيمنس وزير خارجية البلجيك والرئيس الأول لجمعية الأمم المتحدة والملكة ثريا وغيرهم. وهو هنا يشرح لقراء "الهلال" الطريقة التى يفوز بها بأحاديثه وما يتخلل مهنة الصحفي من المفاجآت"

يقول كريم ثابت تحت عنوان : كيف تعد الأحاديث ؟ :

"يتاح للصحفى، بحكم الصناعة التى يزاولها، أن يجتمع بأشخاص كثيرين فى أثناء اشتغاله بالصحافة، وخصوصاً إذا كان من الذين يقضى عليهم نوع عملهم

الصحفي بغشيان الدوائر والمجتمعات، وقد أتيج لى فى السنوات الثمان الماضية، وفى مناسبات شتى، أن أجمع بعدد ليس بيسير من الزعماء والعظماء ومشاهير الرجال، إما فى مصر أو فى الخارج، وفزت منهم بأحاديث متنوعة نشر بعضها فى الصحف اليومية وأدرج البعض الآخر فى "الهلال" والمجلات التى تفرعت عن دار الهلال.

والسؤال الذى ما برج عارفى يوجهونه إلى عقب نشر أى حديث أعقده مع أحد العظماء هو السؤال التالى:

"كيف تحصل على أحاديثك؟"

وهم يريدون بذلك أن يسألونى "كيف أعد أحاديثى أو كيف أهيتها؟" والواقع أن الرد على هذا السؤال لا يخلو من صعوبة لأننى لا أذكر أن الظروف التى أحاطت بحديث ما كانت مماثلة للظروف التى أحاطت بحديث آخر.

عدم تدوين أقوال المحدث:

"ولكن هناك مبدأ عاماً أستطيع أن أقول إننى أطبقه على جميع الأحاديث التى أعقدها، وهو أننى لا أدون شيئاً من أقوال محدثى فى أثناء كلامه معى.

ولذلك سببان، الأول أننى لاحظت أن أشخاصاً كثيرين ينزعجون من رؤية صحفى جالس أمامهم يسجل عليهم كل كلمة تصدر عنهم، فإما أن يتجنبوا الكلام قصارى طاقتهم — وهذا ليس فى مصلحة الصحفى — أو أن انصرفهم إلى اختيار الألفاظ وتنميق العبارات يلهيهم عن لب الحديث نفسه فيضيع جانب كبير من طلاوته.

أما السبب الثانى فهو أننى لو عكفت على تدوين أقوال محدثى لما تيسر لى التفكير فى أقواله لانشغالى بالكتابة ولما اتسع لى الوقت فى ذهنى لاعداد سؤال أطرحه عند انتهائه من التكلم فى "النقطة" التى يكون الكلام دائراً عليها.

على أن تدوين الملاحظات جزء لا يتجزء من عملية إجراء الحديث الصحفى. ومرة أخرى نعود ونقول: إن الأسلوب هنا يخضع للشخصية. بعض المندوبين — لا يتركون التافهة ولا الجادة، يكتبون أى كلام ينطقه المتحدث، وكثيراً ما وجدوا فى دفاترهم الكثير من العبارات العميقة جداً جداً مثل: "قليل من الوقت ينقذ تسعه" و"لا

يهم أن تخسر أو تفوز" و "لا خوف إلا من الخوف ذاته"^(١). ربما حظى بعض الصحفيين بشهرتهم في كتابة مثل هذه العبارات بالاسترشاد بما يسمعون من المتحاورين معهم. خلاصة القول كما يقول صاحب المدخل إلى الصحافة"^(٢): إنك ستوفر على نفسك مشقة محاولة فهم ما كتبت إذا التزمت بتدوين الكلام الذى له صلة بالموضوع فقط. وهذا ليس متيسراً دائماً، وذلك لسببين:

١ - الناس يتوقفون أحياناً عن الكلام تلقائياً عندما تتوقف عن الكتابة.

٢ - أنت لا تعرف دائماً الكلام وثيق الصلة بالموضوع إلا إذا كتبت كنهه كله وراجعت بعد ذلك. إن تدوين قدر كبير من الملاحظات سوف يوفر عليك مشقة مكالمات تليفونية زائدة للتأكد من شىء كان من المفروض تدوينه فى اللقاء الأول. كما أنها تتيح لك فرصة لمراجعة الحديث الصحفى فيما بعد، بعد الاختصارات التى قد تبدو غير مفهومة. ومع ذلك يفضل بعض المندوين تدوين القليل، معتمدين على تذكركم لكل ما سمعوه. قبل أن تفعل ذلك تأكد أولاً أن لك ذاكرة قوية جداً. أما أن تدعى أنك تتذكر عبارات معينة ثم تخطئ فى كتابتها فهذا معناه أنك أصبحت فى مأزق مهنى حرج. أما فيما يتعلق بصياغة الموضوعات الإخبارية التى تحتم تسجيل كل وقائعها فور حدوثها فيلزم أن تدون كل الملاحظات إذ أن عواقب القذف جدّ وخيمة.

وتدوين الملاحظات لأى موضوع مسألة تعتمد على الحس الغريزى. فأحياناً تدون ملاحظات أكثر من المعتاد لأنك تسعى للوصول إلى فهم اللهجة أو التلميحات الذكية وراء عبارات المتحاور معه. وأحياناً أخرى تجد أنك لم تدون أى ملاحظات على الإطلاق، إذ قد يتركز الموضوع حول المزاج العام أو الموقع أو مدى إدراكك لموقف معين. من الصعب فعلاً أن تفقد ما تحس به.. برغم أن تدوين ملاحظات عن لون الثوب أو نقوش على شاهد قبر لن تضر (برغم أنها قد تفيد فيما بعد أكثر من قدرتك على استيعاب الملاحظة ذاتها فى حينها).

(١) راي تيل : مدخل إلى الصحافة؛ جولة فى قاعة التحرير، ترجمة كمال عبدالرؤوف ص ١٥٣.

(٢) نفس المرجع السابق ص ١٥٣.

تعددت أدوات وأساليب تدوين الملاحظات بحلول عالم الترانزستور ورقائق الكمبيوتر. فالمندوب الذى اعتاد على الورق المكتوب بالاختزال أو القلم الرصاص بوسعه الآن أن يجلس ويرفع سماعة التليفون ويدون ملاحظاته بسرعة فائقة على آلة كاتبة كهربائية أو بسرعة على جهاز عرض فيديو على بعد، وتلك عجيبة من عجائب عالم الكمبيوتر فى تخزين المعلومات لاستخدامها فيما بعد. (واحذر أيضاً فقد يفترس الكمبيوتر كل البيانات التى تقدمها له إذا حدث أى خلل فى نظامه الإلكتروني). وقد يحتاج المندوب لاستعمال سبائته ولا للكتابة على الآلة الكاتبة، وإنما ليضغط على زر المسجل الذى يقوم بتسجيل الملاحظات نيابة عنه.

ومع ذلك فالمندوب غالباً ما يُمَيِّز بالقلم بين أصابعه ودفتر الكتابة المطبوع فوقه، "دفتر خاص بالمندوبين الصحفيين"، وذلك ليأخذ الشكل الرسمى!

وفيما يلى بعض النقاط الهامة التى تفيد فى تدوين الملاحظات بهذا القلم وفى دفتر المحرر كما لخصها "راى تيل" و"رون تيلور":

أولاً: اكتب بأسرع وأفضل ما تستطيع: قليل من المندوبين يجيدون الاختزال. وكبدل عن هذا قم بالتدريب على الكتابة بسرعة بطريقة مميزة بما فى ذلك التدريب على الاستخدام المكثف للاختصارات والرموز مثل # بمعنى رقم و α بمعنى: (و).. وعموماً استخدم الرموز التى تفيد منها.

ثانياً: استخدم عقلك ويدك. فإن كان الشخص يقول ما لا قيمة له لا تكتبه. وأنصت جيداً لداخل الجمل أو لفاتيح الكلام الهامة. وفى أثناء الحديث يرفع المتحدث صوته أو يبطئ من سرعة الكلام حين يشعر — أو تشعر — أن الملاحظات التى يقولها أصبحت لها أهميتها.

ثالثاً: أحياناً تفوتك تماماً بعض العبارات الهامة: لأنك لا تستطيع أحياناً كتابة كل شيء. فينبغى أن يكون دفتر المندوب مجرد تجميع لفاتيح الكلمات والعبارات أكثر منه للجمل. فمن هذه الكلمات والعبارات يستطيع المندوب أن يكون جملاً دقيقة. ستفشل أحياناً لكن يجب أن تبذل قصارى جهدك.

رابعاً: ضع عنواناً للملاحظاتك: اكتب على الأقل الاسم الأخير للشخص الذى تحاورت معه فوق الجزء الخاص به فى الدفتر، وإلا واجهتك مصاعب جمة فيما بعد إذا حاولت معرفة من قال ماذا. وبعض المندوبين يكتبون تاريخ اليوم الذى تمت فيه المقابلة.

خامساً: قم بترتيب ما لم يسعك الوقت لهجائه: فقد يبدو من الصعب جداً الربط بين الاسم والأقوال وبخاصة عندما تتحاور مع عدد كبير من الناس فى وقت واحد. ولكى تقوم بتدريب ممتاز: قم بكتابة اسم كل شخص عند بداية الكلام، وحدد لكل اسم رقماً. وبهذه الكيفية يمكن تحديد ما إذا كان المتحدث هو رقم واحد أو اثنين أو ثلاثة. بعد ذلك اربط الرقم بالاسم عند مراجعة دفترك فى وقت لاحق.

سادساً: لا تفقد دفترك أبداً. فمن الصعب استعادة المعلومات التى تفقدها. قم بكتابة اسمك ورقم تليفونك على غلاف الدفتر حتى يتمكن أى إنسان يعثر عليه من إعادته إليك مرة أخرى.

أجهزة التسجيل أصعب فى فقدها من الدفاتر، وربما كان هذا سبب تفضيل المندوبين لاستعمالها. إن صندوق الثروة هذا والذى أصبح متوافراً الآن فى أحجام صغيرة يمكن حملها قد أحرز التفوق على "دفتر المندوب الصحفى" وقلمه للأسباب التالية :

- المسجلات تقدم لك العبارات حرفياً: وهذا له قيمة إذا كنت تتناول موضوعاً له حساسيته وبخاصة إذا حدث أن تراجع المتحاور معه فى كل ما قاله. وفى المقالات الخاصة يسهم المسجل فى التقاط اللهجات غير العادية التى تعطى للمقال مذاقاً خاصاً. كما أنه يفيد فى حالة تحدث الشخص بسرعة أكبر من قدرة المندوب على تدوينها فى دفتره.

- يتيح لك المسجل فرصة مراجعة الحديث بدقة.

- أصبح استعمال المسجل أمراً تقتضيه الضرورة العملية فى الموضوعات التى تعتمد على الأسئلة والأجوبة. حيث ينبغى كتابة أسئلتك وإجابة المتحدث بدقة. ولهذا السبب كان من النادر أن يكتب المندوبون الأسئلة التى يوجهونها^(١).

"ومع ذلك فالمسجل له عيوبه أيضاً. دفتر المندوب لا تنفذ بطاريته ولا ينتهى الشريط أيضاً كما يحدث أحياناً فى المسجلات. ولضمان تجنب مثل هذه العيوب يحسن أن تدون أيضاً فى دفتر جنباً إلى جنب مع عملية التسجيل. ومن بين أكبر عيوب جهاز التسجيل: إغراقك بالتفاصيل المملة. فإذا كان التسجيل نقياً ونظيفاً فذلك يغريك بحشر كل هذه المعلومات فى الموضوع الذى تكتبه ويكون لديك أيضاً ميل لإعادة العبارات. لابد من عملية "تركيز الموضوع" فى أثناء النسخ، بأن تنزع منه الكلمات التى يشوبها الغموض، وذلك بدلاً من أن تقوم بعملية أصعب كثيراً وهى الشرح والتفسير. وعملية النسخ هذه فى حد ذاتها مشكلة عويصة. فأحياناً يمكنك كتابة ثلاثة موضوعات فى نفس الوقت الذى تستغرقه عملية تفريغ أو نسخ حديث صحفى واحد على شريط تسجيل.

ولذلك لا يؤيد "راى تيل تيلور" عملية المسجلات هذه، إلا فى الموضوعات التى تعتمد على التحاور والأسئلة والأجوبة، أو فى الموضوعات النادرة التى يلزم نقل كل تعبير حرفياً على المسجل لخدمة الأجيال القادمة. ويذهب إلى أن دفتر المندوب أداة عظيمة تجبر المندوب على حسن الإصغاء. فلا يمكن أبداً أن تكتب ما لا تسمع. ومع ذلك فإن الاتجاه العام يميل نحو المسجلات وبخاصة الحديث منها:

"إن أحد العناصر الهامة فى تدوين الأحاديث هو أن تعرف متى لا تدون الحديث. ذلك أن الهدف الرئيسى من الحوار الصحفى هو الحصول على الإجابات. فإذا شعرت أن منظر الدفتر أو المسجل قد أسكت المتحدث، فأبعدهما عن نظره. غالباً ما تكون المعلومة التى تحصل عليها (على الأقل تلك التى تتذكرها جيداً) أهم من أى تحد يمكن أن يواجه منهجك فى المهنة. قد يشعر بعض من لم يألّف الحوار الصحفى بالقلق لرؤيتك تدون ما يقولون برغم موافقتهم المسبقة على هذا. إن المسجل يبدو معوقاً لانسيابية الحوار، وهذا أحد عيوبه أيضاً. أضف إلى هذا أن ذلك الصندوق السحري قد ينقل المتحدث إلى حالة من الآلية أو يجعله يشعر بأنه مراقب.

ومن الممكن طبعاً أن يخفى المندوب أو المندوبة المسجل عن الضيف الفزع، ولكن لا يجوز أخلاقياً. ومنذ وقت قريب أقدمت مندوبة الشؤون التعليمية على هذه الفعلة فى أثناء التحاور مع رئيس إحدى الجامعات الأمريكية. الذى رحب جداً بإجراء الحوار

الصحفي معها، ولكنه كان يسقط في هوة الصمت لمجرد رؤيته لأى مسجل، فجاءت النتيجة مشوشة. استطاع المسجل تسجيل بعض الفقرات الهامة، إلا أن بعض الفقرات الأخرى لم تكن واضحة تماماً لبعد المسافة بين الضيف وحقيبة يد المندوبة التى بها المسجل وفى وسط الحوار سمعت المندوبة الصوت الدال على انتهاء شريط التسجيل. ولكن من حسن حظها أنها كانت أيضاً تدون الحديث فى دفترها^(١).

فيتضح من حديث كريم ثابت عن العظماء الذين قابلهم؛ حين يقول :

هذه خلاصة التجارب فى الأحاديث الصحفية؛ فى نهاية القرن العشرين؛ إما عن هذا الفن فى النصف الأول من القرن والعظماء الذين أتيح لى مقابلتهم مصريون وأجانب، ولا مشاحة أن مقابلة المصريين منهم أسهل من مقابلة الأجانب لأن جميع الذين حادثتهم أو أحادثهم من المصريين هيأت لى صناعتي فرصة معرفتهم والاجتماع بهم غير مرة، فأصبحت ملماً بأخلاقهم عارفاً بميولهم، فصار من السهل على أن أكيف تصرفاتي معهم بما يطابق أمزجتهم ويلائم طباعهم فأحصل منهم على التصريحات والبيانات التى أرومها بدون مشقة كبيرة، وتهون مهمتى كثيراً عندما أتوجه لمقابلة شخص سبق لى أن عقدت أحاديث معه أوردته بعد ذلك بأمانة فى الصحف التى اكتب فيها لأن هذه الأمانة فى النقل والتصوير تكون قد ولدت فيه ثقة هى أنثن عدة يقتنيها الصحفي.

حديث ضريح سعد

ومما اذكره على سبيل الاستشهاد أنه لما اشتد الجدل على نوع الطراز الذى يبني به ضريح المغفور له سعد زغلول باشا وهل يكون فرعونياً أو عربياً، كنت جالساً يوماً مع سعادة عثمان محرم باشا وزير الأشغال السابق، فسألته لماذا يرى أن يكون الضريح فرعونياً لا عربياً فبسط لى وجهة نظره فى هذا الموضوع بسطاً ضافياً رأيت أنه يحسن نشره لكى يطلع الجمهور عليه، فنشرت كلامه بشكل حديث فى مجلة "كل شىء" بدون أن أعرضه عليه لعلمى أن عثمان باشا ليس من الأشخاص الذين لا يأنسون فى أنفسهم الشجاعة الأدبية اللازمة للتمسك بوجهة نظرهم إذا أثارت ضجة حولها. فلما نشر الحديث اطلع عليه حضرة الزميل الأستاذ عبد القادر حمزة صاحب "البلاغ"

(١) نفس المرجع ص ١٥٦.

فارتاح إليه واستصوب نقله في جريدته الغراء فخاطب عثمان باشا بالتلفون وقال له إنه اطلع على حديث له في "كل شيء" عن ضريح سعد باشا وأنه يحب نشره مرة أخرى في "البلاغ" إذا كان ليس عند سعادته مانع. فقال له عثمان باشا : "ارسل لي الحديث أولاً لكي أطلع عليه" فارسله إليه، وبعد قليل خاطبه سعادته بالتلفون أيضاً ووافق على ايراد الحديث في "البلاغ" كاملاً.

في مقابلة أمير جليل

ومن الحادث المتقدم يتبين للقارئ مبلغ التبعة التي يأخذها الصحفي على عاتقه أحياناً. ومما أرويه بهذه المناسبة أيضاً أنه في سنة ١٩٢٩ سافرت إلى الإسكندرية وتشرفت بمقابلة سمو الأمير الجليل عمر طوسن لأعقد معه حديثاً "لللهال" فتلطف سموه وقابلني برقته وبشاشته اللتين اشتهر بهما فأوضحت له الغرض من زيارتي فأظهر استعداداً للرد على أسئلتى فأخذت اطرحها عليه الواحد تلو الآخر إلى أن اجتمع عندي "محصول" يكفيني لمقال كبير فانصرفت شاكراً داعياً. وبعد أيام ظهر الحديث في "اللهال" فأرسلت عدداً من المجلة إلى سمو الأمير فلم ألبث أن تلقيت منه كتاباً رقيقاً ضمنه موافقته على الحديث... وفي الصيف الماضي تشرفت بزيارة سموه في الإسكندرية فابتدرني بقوله باسمي : "اياك أن يكون حديثاً كالحديث الأول".

وهنا قد يتساءل القارئ لماذا لم أعرض الحديث على سموه قبل نشره إراحة لبالي، والجواب عن ذلك أن المقال كان يتضمن عبارات إعجاب وإطراء لسموه في أكثر من موضع واحد، فكنت أخشى إذا اطلع عليها سموه أن يدفعه تواضعه إلى حذفها، فآثرت تحمل تبعة الحديث كله على حذف ما أعتقد أنني قلته في سموه حقاً.

محمد محمود باشا وذكرياته

ثم انه يجب على الصحفي الذي يود أن يظفر بحديث من كبير أن يتحين الفرصة الملائمة لذلك، فقد يفضي إليك هذا الكبير في ساعة انشراح وارتياح بأضعاف أضعاف ما قد يفضي به إليك في ساعة انزعاج أو توقع مزاج، بل إنه قد يعتذر في هذه الحالة عن إجابتك إلى طلبك فلا يفيدك إلحاح ولا الحاف في الإلحاح. أذكر أنه لما كان دولة محمد محمود باشا رئيساً لمجلس الوزراء خاطبني سكرتيه الخاص يوماً

بالتليفون وقال لى إن دولته يود مقابلتى فى داره فى الساعة الخامسة بعد الظهر فقلت له: "وما عسى أن يكون موضوع هذه المقابلة؟" فقال: "لا أستطيع أن أقول لك ذلك الآن"... وقبل الساعة الخامسة بقليل دخلت حديقة دار الرئيس فاستقبلنى أحد أفراد أسرته وأبلغنى أن دولته "غير موجود" ولكنه أوصى قبل انصرافه بأن أنتظره إلى أن يعود، ولم يدم انتظارى طويلا، فإنه بعد دقائق أقبل محمد باشا ودخل توأ إلى الحجرة التى كنت جالسا فيها فصافحنى ودعانى إلى الجلوس، ثم قال لى: "إننى عائد من السراى وقد تشرفت بمقابلة جلالة الملك لأبلغه أن جامعة أكسفورد أنعمت على بلقب دكتور فخرى ولأستأذنه فى السفر إلى إنجلترا قريبا لكى أتسلم البراءة فى الاحتفال الرسمى المعتاد" فهنأت دولته بهذا التقدير الجليل من أشهر جامعة فى العالم. وفى هذه اللحظة شعرت أن دولته منشرح الصدر وأنه مستعد للكلام فقلت فى نفسى هذه فرصة من الصعب خلقها كل يوم، فرجوت من دولته فوراً أن يحدثنى عن أيامه فى أكسفورد وعن ذكرياته فيها، فطلق يحدثنى عن ذلك كله بإفاضة على منوال لم ألفه منه مع أننى كنت أقابله كل يوم تقريبا أثناء رئاسته للوزراء.

النحاس باشا ودخوله الوفد

ومن الحوادث التى أسوق ذكرها هنا للدلالة على أهمية "اختيار الفرصة" الملائمة أنه على أثر انتخاب دولة النحاس باشا رئيساً للوفد المصرى أخذت أتردد على بيت الأمة لعلى اظفر "بربع ساعة" من الرئيس فأحتلى به واسأله أن يحدثنى عن الظروف التى انتظم فيها فى سلك الوفد المصرى وعن غير ذلك من الذكريات التى يتوق الجمهور إلى الاطلاع عليها. وذهبت إلى بيت الأمة لهذا الغرض غير مرة بدون أن أتمكن من تحقيق أمنيته لأننى كنت أجد المكان غاصاً بالزوار فى كل مرة، وأخيراً صممت على التوجه إلى بيت الأمة ليلاً، وفعلاً توجهت إليه يوماً فى الساعة السابعة مساء فلم أجد الرئيس، ولكنه حضر بعد قليل واطلع على بعض الأوراق المستعجلة التى عرضت عليه، ولما لم يكن هناك زوار فى تلك الليلة هم دولته بالانصراف فدنوت منه وحييته ورجوت منه أن يعطينى "دقيقتين فقط" من وقته فأجابنى إلى طلبى بوداعته المعروفة، ودخل حجرة السكرتيرية وجلس على المقعد الذى فى صدرها تحت صورة كبيرة للمغفور له سعد باشا، ودعانى إلى الجلوس إلى يساره ودعا الأستاذ عبد الرحمن الجدبلى إلى

الجلوس إلى يمينه، وطفق يحدثنا عما استفسرت منه عنه، وكان الأستاذ الجديلى يصغى إلى حديث دولته بانتباه شديد فقلت له: "يا أستاذ جديلى هذه المعلومات لى ولا يحق لك أن تنشرها قبلى". فابتسم الرئيس وقال: "هذا حق" ومضى فى حديثه ولما انتهى منه ونهض منصرفاً شكرته على ما تفضل به على، فنظر إلى ساعته فإذا "بالدقيقتين" قد أصبحنا نصف ساعة وأكثر قليلاً فابتسم دولته وصافحنا وركب سيارته إلى داره.

كيف تحمله على الكلام

وفى أواخر صيف سنة ١٩٢٨ خطر لدار "الهلال" أن تعد عدداً خاصاً من "كل شئ" بمناسبة ذكرى ١٣ نوفمبر وتقرر أن يصدر هذا العدد بمقابلة كبيرة عن الظروف التى تألف فيها الوفد المصرى، وطلب إلى أن اعد هذه المقالة فكان لابد لى من جمع موادها من مصادر مختلفة، وكان يحضرة صاحب العزة أحمد لطفى السيد بك وزير المعارف إذ ذاك ومدير الجامعة المصرية المستقيل أحد تلك المصادر، وكنت أعرف حضرته معرفة يسيرة، فأخذت أفكر فى الطريقة التى أدبر بها فرصة ملائمة للحصول على المعلومات والبيانات التى أريدها منه. وكانت الوزارة لا تزال فى الإسكندرية يومئذ فسافرت إليها، وفى المساء ذهبت إلى فندق "سان استفانو"، حيث كان دولة محمد محمود باشا وأحمد لطفى السيد بك نازلين؛ وسألت عن موضع المائدة التى يجلس إليها محمد باشا فى العشاء كما سألت عن موضع المائدة التى يجلس إليها أحمد بك لطفى السيد ولما عرفتهما طلبت من كبير الخدم أن يحجز لى مائدة للعشاء على مقربة من مائدة محمد محمود باشا ففعل، وكانت خطتى تتلخص فى أنى بعد العشاء أنهض للسلام على محمد باشا؛ وأسأله عن ذكرياته الخاصة بتأليف الوفد المصرى لما كان له من أثر فى تأليفه وبينما دولته يقص على ذكرياته فى هذا الصدد يقبل علينا أحمد بك لطفى السيد ويجلس مع الرئيس فينضم بحكم الحال إلى الحديث وقد كان ذلك، فإن حضرته أقبل علينا وأنا أصغى إلى بيانات محمد باشا ثم لم يلبث دولته أن طلب من أحمد بك أن يذكره بحادث من الحوادث فذكره له ومضى فى سرد الظروف الملائسة له فكان ذلك فاتحة الحديث معه.

في حديقة جروبي

وكما أن هناك "ظروفاً" ملائمة يجب على الصحفي إعداد الجولها، كذلك هناك "ظروف ملائمة" تحين من تلقاء نفسها فلا يطلب من الصحفي أكثر من أن يفتن إليها ولا يدعها تغفلت منه. ومن ذلك أنه لما كان حضرة الأستاذ محمود فهمي النقراشي وزيراً للمواصلات كنت أقابله كل يوم تقريباً. وطالما حاولت الفوز بحديث منه فلم أفلح، حتى أنه اتفق مرة أن يحدثني حضرته حديثاً طريفاً عن الطيران فنشرته ونسبته إليه فلما قابلته بعد ذلك عاتبني وقال لي أنه كان يجب على أن أطلع عليه قبل نشره فقلت: "لو فعلت ذلك لما وافقتم على نشره بشكل حديث" فابتسم، غير أنه حدث في مساء أحد الأيام أن التقيت بحضرته في حديقة محل جروبي الجديد، وكان قد ذهب إليها لمشاهدة السينما في الهواء الطلق فتلطف ودعاني إلى الجلوس معه، ثم ابتدأت السينما فكان بين المناظر التي شاهدناها منظر يمثل حياة النفي، فقال الأستاذ النقراشي: "إن هذا الشريط يذكرني بأيام الاعتقال والنفي في أثناء الثورة.." وهنا أخذ حضرته يحدثني عن بعض ذكرياته الخاصة بتلك الأيام، إلى أن اجتمعت عندي معلومات تكفي لمقال طريف، فاستأذنته في نشر حديثه، فابتسم وقال: "برده؟" وأذن لي في نشره.

مع صدقي باشا في القطار

وفي شهر أكتوبر الماضي كنت بين الذين رافقوا دولة إسماعيل صدقي باشا رئيس مجلس الوزراء في رحلته إلى واحة سيوه. وبينما كان القطار ينهب الأرض نهباً بين الإسكندرية ومرسى مطروح جلس الرئيس يحادث مرافقيه عن بعض الأمور التي تزعجه. فقال في سياق حديثه إنه في مقدمة الأمور التي تزعجه، أن يزوره شخص ليرجو منه أن يزيد مرتب موظف انتظم في سلك الحكومة حديثاً، وهنا ذكر دولته أنه دخل خدمة الحكومة بمرتب لا يزيد على سبعة جنيهات في الشهر، فانتهزت هذه الفرصة لاسأله عن الظروف التي التحق فيها بالحكومة وعن كيفية ترقيته بعد ذلك، فحدثني عن ذلك حديثاً مسهباً هو في الواقع ترجمة طريفة لحياته..

وصفوة القول أن هناك فرصاً كثيرة تعرض للصحفي، فيجب عليه أن يعرف كيف ينتهزها ويستفيد منها إذ أن بعضها لا يعوض أحياناً إلا بعد صعوبات جمة.

العلاقات الطيبة وتغذيتها

وأهم عامل يسهل للصحفي مهمته علاقاته الطيبة مع عظماء البلاد وأقطابها وكبار رجال حكومتها، ولذلك ينبغي له تغذية هذه العلاقات وتعهدها على الدوام؛ ولو أدى ذلك إلى بعض التضحيات الصحفية، كأن "يلف" خبراً عزاه إليهم أو "يصحح" حديثاً فازبه من أحدهم بشرط أن يتم ذلك بطريقة لا يكون فيها مساس بكرامته.

حدث مرة أن كان سعادة عثمان محرم باشا وزيراً للأشغال، فافضى إلى بحديث لنشره في "المقطم" عن تعليية خزان أسوان وبعض مشروعات الري الكبرى، ولما انتهى من الإفضاء ببياناته؛ حملتها إلى المكتب وصغتها ثم أرسلتها إلى المطبعة، وفي الساعة الثانية إلا خمس دقائق خاطبني سكرتير الوزير بالتلفون وقال لي إن عثمان باشا ينتظرني في ديوانه لأمر هام ومستعجل فوافيته في الحال فقال: "إننى أريد أن أعطيك حديثاً جديداً بدلاً من الحديث الأول، فقلت: إن الحديث الأول أعد في المطبعة وأن آلة المقطم تشرع في الطبع الساعة الثانية وربعاً فلا سبيل إلى حذف الحديث أوإبداله بغيره" فقال: إن المصلحة تقضى بعدم نشر بعض البيانات التى وردت فيه لأسباب قد تعرفها فيما بعد. فقلت إننى أحب أن اخدم سعادتك، وخصوصاً إذا كانت المصلحة تقضى بذلك ولكن المقطم كما قلت لكم يطبع الساعة الثانية والربع، وليس فى استطاعتى انتزاع الحديث من المكان الذى وضع فيه لأن العمل انتهى، غير أن هناك شيئاً واحداً أستطيع عمله وهو أن أحذف عبارة "حديث مع وزير الأشغال" واضع مكانها "حديث مع موظف كبير فى وزارة الأشغال" فى كل موضع ورد فيه ذكر وزير الأشغال فى الحديث ثم أضيف إليه فى النهاية ثلاثة أسطر أقول فيها أننا سننشر غداً حديثاً هاماً لوزير الأشغال فى هذا الموضوع، فسر سعادته بهذه الفكرة وحل الإشكال على هذا المنوال.

مقابلة عظماء الأجانب

وقد ذكرت فى مستهل هذا المقال أن مهمة عقد أحاديث مع عظماء المصريين أسهل من مهمة عقد أحاديث مع عظماء الأجانب.

لماذا؟

لأن عظماء الأجانب الذين أعقد أحاديث معهم لا تكون بينى وبينهم معرفة سابقة، بل إن السواد الأعظم لا تكون عينى قد وقعت عليهم قبل اجتماعى بهم ساعة الحديث. ثم إنه ينجم عن عدم "المعرفة السابقة" إن المقابلة تظل محاطة بالتقاليد والقيود الرسمية، ويقضى بعضها بالأ تزيـد المقابلة على دقائق معدودة.

ففى خلال هذه المدة القصيرة يجب على الصحفى أن يكتسب عطف العظيم، وأن يفتن إلى الطريقة التى ينبغى أن يوجه بها أسئلته إليه وأن يستوعب الأقوال التى تقال له. أما اكتساب "عطف العظيم" فأمر مهم جداً لأنه إذا فاز الصحفى بتحقيق ذلك أمكنه أن يستخرج من محدثه أضعاف ما كان يتوقع استخراجه منه، وكذلك أمكنه أن يطيل مدة المقابلة إلى أقصى حد مستطاع.

ولاكتساب عطف العظيم وسائل شتى، كأن تقول له مثلاً: إنك قرأت عنه عدة كتب ومقالات فأعجبت بمشروعه الفلانى إعجاباً خاصاً؛ وقدرت أهمية مشروعه الفلانى الآخر، لما سيكون له من نتائج سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية... وصفوة القول إنه يتعين عليك "أن تضرب على الوتر الحساس" كما يقول بعضهم، إذ لكل عظيم "وتر حساس" مهما عظم شأنه ويمكنك أن تعرف ما هو "الوتر الحساس" من سؤال بعض أصدقائه وعارفيه أو من سؤال بعض معاونيه ومساعديه.

ومما لا ريب فيه أن الاطلاع على سير العظماء قبل مقابلتهم تفيد فائدة كبيرة، أولاً لأنك: تظهر لهم عندئذ بمظهر المهتم بهم حقيقة، وثانياً: لأن اطلعك على سيرهم يفتح أمامك أبواباً كثيرة تستطيع بطرقها أن تحصل على بيانات طلية وكثيرة.

مهمة تسقط الأخبار

أما مهمة تسقط الأخبار واستقاء المعلومات، فتختلف عن مهمة الحصول على الأحاديث اختلافاً تاماً. وهى تقتضى قبل أى شىء أن يكون لك أصدقاء ومعارف فى جميع الدوائر تستطيع أن تقابلهم بسهولة؛ وأن تسألهم فى أى وقت كان؛ عن الخبر الذى تريده أو عن البيانات التى أنت فى حاجة إليها، وغنى عن البيان أن الأشخاص الذين تطرق أبوابهم لهذا الغرض قد لا يفضون إليك بما عندهم إلا إذا كانوا واثقين من أنك تعرف كيف تكتم اسم المصدر الذى استقيت منه خبرك؛ وهذه الثقة فيك لا تتولد بين عشية وضحاها.

ثم إنك تجد دائماً فى كل وزارة وفى كل هيئة أشخاصاً يتكلمون بسهولة أكثر من غيرهم؛ فهؤلاء الأشخاص يجب أن تعرفهم وأن تعرف الطريقة التى تحملهم على الكلام دون أن تجعلهم يشعرون بأنك تسجل عليهم ما يقولون. أذكر أنه لما كانت المفاوضات دائرة بين الحكومة المصرية والحكومة الإيطالية على مسألة جفوب والحدود الغربية؛ كان بين أعضاء اللجنة المصرية كبير معروف بصراحته وبعدم ميله للإيطاليين، فكنا نذهب إليه ونستطلع أعمال اللجنة فيعذر عن الإجابة على أسئلتنا؛ "لأن أعمال اللجنة سرية" فنخترق إشاعة ليست فى مصلحة مصر، ونقول له إن الإيطاليين يشيعونها فينفعل ويقول إنهم يكذبون؛ والحقيقة كيت وكيت وهنا يندفع فى الكلام، ندعه يسترسل فيه إلى أن نفوز بطائفة من المعلومات "السرية" ثم يودعنا وهو يقول: "لا تؤاخذونى فإننى لا أستطيع أن أصرح لكم بشيء لأن أعمال اللجنة ومداولاتها سرية".

الاستفادة من المنافسة

ولا اخالنى أذيع سراً إذا قلت إنه فى كل دائرة من الدوائر وفى كل مصلحة من المصالح تجد أشخاصاً يتنافسون على السلطة؛ أو يدعون كل عمل لأنفسهم، فهؤلاء الأشخاص ينبغى أن تعرفهم؛ وأن تكسب صداقتهم؛ لأنك تستطيع أن تعلم من فريق منهم ما يعمله الفريق الآخر.

حدث فى عهد وزارة محمد محمود باشا أن اجتمع مجلس الوزراء يوماً ووافق على البرنامج الذى وضعه وزير الأشغال يومئذ، وكان إبراهيم فهمى كريم باشا، لمشروعات الرى الكبرى فى السنوات العشر المقبلة وبينها مشروع إنشاء خزان جبل أولياء بعد تعلية خزان اسوان. وفى اليوم التالى زرت أحد أعضاء الوزارة فسررد لى البرنامج كله من أوله إلى آخره فنشرته فى اليوم عينه.

أهمية "الحظ" فى مهمة الصحفي

ثم إن "الحظ" يخدم الصحفي الذى يتنسم الأخبار ويتسقطها أجلّ خدمة، فكم من مرة يذهب الصحفي إلى دائرة من الدوائر فلا يكاد يطأها حتى يقال له : "لقد جئت فى وقتك فهناك المسألة الفلانية..." وكم من مرة يكون الصحفي جالساً فى

مجلس دون أى غرض كان فيسمع خبراً هاماً أو يقف على معلومات تنفعه فى استطلاع بعض البيانات الخطيرة، وكم من مرة يكون الصحفي فى زيارة كبير؛ فيسأله هذا الكبير سؤالاً عن مسألة لا علم له بها فيتنبه لها ويعيرها اهتمامه، ولو شئت أن أحصى للقراء عدد المرات التى خدمنى "الحظ" فيها خدمة جليلة لضاقت بها هذه الصفحات، ولما أتيت عليها كلها ولكن مما لا ريب فيه أن "الحظ" من أكبر عوامل النجاح فى مهمة الصحفي.

غير أنه ينبغى للصحفى ألا يعتمد على "الحظ" وحده بل لابد له من "شم" الأخبار كما يقول الأوربيون، ومملكة "شم الأخبار" تنمو فى الصحفي بالتجارب وعلى مر الأيام. ويشعر الصحفي أحياناً بدافع خفى يدفعه إلى زيارة الجهة الفلانية أو الدائرة الفلانية الأخرى. وعندى أنه يحسن به دائماً أن يصغى إلى هذا الدافع فإنه لا يندم عليه فى معظم الأحيان. ومن أغرب ما أقصه على القراء من هذا القبيل أنه لما زارت جلالة الملكة ماري ملكة رومانيا القاهرة قيل إنها لا تقابل الصحفيين ولا تحدثهم لأن بعض الصحفيين اليونانيين عزوا إليها عند مرورها باليونان أقوالاً لم تفه بها، فلم أحاول بعد ذلك طلب التشرف بمقابلة جلالته، غير أنه فى صباح يوم من الأيام شعرت بذلك الدافع الخفى يحثنى على التوجه إلى دار المفوضية الرومانية فتوجهت إليها ولما وصلت إليها استقبلنى وزير رومانيا المفوض وابتدرنى بقوله: "أنا عارف أنك مستاء لانك لم تقابل الملكة. ولكن من حسن حظك أن جلالته ستتغدى هنا اليوم فإذا جئت الساعة الثانية أمكننى أن أقدمك لها" ... وتم ذلك فعلاً وما كان ليتم لولم أذهب إلى المفوضية... فهلا أو من بالحظ بعد ذلك؟

من هذا النص فى تاريخ الصحافة المصرية؛ يتضح لنا أن فن الحديث الصحفي؛ إنما يتواصل مع : أصوله فى التاريخ الإنسانى، كما يتواصل مع نتائج الدراسة الحديثة فى الفن الصحفي وأنه - كما يقول أستاذنا د. حمزة رحمه الله -:

"ليس صحيحاً ما يقال إن فن الحديث الصحفي من ابتكارات القرن العشرين، وابتداع هذا القرن وحده. فالذى نعرفه من تاريخ الصحافة فى إنجلترا - على سبيل المثال - أن الصحفي الإنجليزى المشهور ديفو Defoe استطاع فى القرن الثامن عشر أن يحصل على حديث صحفى من قاطع طريق اسمه جاك شبرد J. Shepherd وكان هذا قبيل تنفيذ الحكم عليه بالإعدام شنقاً ببضع دقائق.

بل إن الأستاذ ولزلى فى كتابه Explpring Journalism يرى أن حوار أفلاطون يعتبر نوعاً من الأحاديث. ذلك أن الأسئلة التى وجهت إلى سقراط حيناً، وإلى غيره من أصدقاء أفلاطون وتلاميذه حيناً آخر، كانت تحمل فى طياتها صفات الحديث الصحفى. ومثل ذلك كثير من أخبار الأدب العربى فى قصور الخلفاء والأمراء حيث كان الحوار يدور بينهم فى مسائل شتى".

بين "الحديث" و"الحوار":

وفى بيان أهمية الحديث الصحفى يقول "اميل لودفيج": يعتبر الحديث الصحفى من ألمع الفنون الصحفية فى الوقت الحاضر، ومن أكثرها استهواء للقارئ، وقد تظن أن الحديث الصحفى لا يزيد عن كونه مجرد تسجيل لمناقشة، أو حوار دار بين طرفين، غير أن حقيقة الأمر هى أن الحديث الصحفى أهم من ذلك، لأنه يتطلب قدراً كبيراً من المهارة والتفنن، ويحتاج إلى توافر صفات من نوع خاص فى المندوب الصحفى..

والأستاذ إميل لودفيج كاتب ألمانى شهير، قال ذلك فى مقالة له فى مجلة "ريفى دى بارى" عدد ديسمبر ١٩٤٦ - عن فن الأحاديث الصحفية وهو يرى أن هذا الفن من أمتع الوسائل الصحفية، وأنه ليس مجرد نقل حديث كما قيل حرفياً، بل إنه يحتاج إلى فن وأسلوب أكثر مما يعتقده القارئ العادى..

وأول خطوة فى هذا الفن هى إظهار البساطة، وذلك ما يمتاز به الصحفيون الأمريكيون. فإن مشاهير الرجال يؤثرون بأحاديثهم الصحفى البسيط على الرجل المتعلم الذى يناقشهم القول.

وذكر الكاتب أمثلة من حياته عندما كان صحفياً مبتدئاً أثناء الحرب العالمية الأولى، إذ عهد إليه التحدث إلى عدد كبير من الأمراء والقواد ورجال السياسة، وكان قليل العلم بأمور السياسة، فكان يوجه إليهم فى بساطة أسئلة يتحاشاها عادة العالم بالأمور كأن يسأل أحدهم : لماذا تصرف أمس مثل هذا التصرف، فكان يمثل هذه الأسئلة البسيطة يفتح له القائد أو السياسى قلبه.

ويقول "لودفيج" إن من الواجب على الصحفى أن يدرس أخلاق العظيم الذى يريد أن يتحدث إليه بكل الوسائل الممكنة. والصور الفوتوغرافية هى ضرورة أساسية، ففيها

تظهر خصائص الرجل على وجهه بالرغم من إرادته. ومن الواجب على الصحفي أن يجذب إليه اهتمام المسئول، فلا يقنع بمجرد السؤال والجواب، إذ من الخير في هذه الحالة أن نفضل الأسطوانة الحالية، فليس الغرض أن يذكر المتكلم آراءه، بل الغرض الحقيقي هو طريقة الحديث وحالته العقلية عند الإفشاء بالحديث. فقد لا يهتمنا سؤال ماركوني مثلاً: ما هي عواطفك عند اكتشافك التليغراف اللاسلكي؟ بقدر ما يهتمنا سؤاله: كيف حدث أن قضيت أنت وغيرك من العلماء سنين عديدة إلى جانب هذا الاختراع؟

وذكر لودفيج أنه استطاع أن يمضى عدة أيام في حديث مع "اديسون" المخترع الشهير، وأخذ منه أجمل الإجابات، وذلك لأنه لم يحب قط الجانب الفني. وقد وجد فيه رجلاً ذا شعور حساس، تكفى مجرد الإشارة ليفتح كنوز عقله. ففي ذات مرة كان يتحدث إليه بما كان من أمر "فاوست". وعلى حين فجأة أمسك بيد امرأته التي كانت جالسة إلى جانبه وقال ضاحكاً: "وهذه هي مرجريت"! ويجب ألا يتحدث الصحفي إلى الثرى الكبير في أمر قيمة النقود، بل يدفعه إلى الكلام في هذا الأمر بوسيلة أخرى. وروى لودفيج أنه دفع روكفلر مرة إلى هذا الحديث بأن قصّ مرة إلى مليون الثرى الصموت وصاحب البنوك العديدة ولقبه في أثناء الحديث بتاجر البندقية، فكأنه فك بذلك عقدة لسانه وسمع منه أروع القصص عن بواخره وثروته.

فالواجب إذن على الصحفي المتحدث أن يظهر شيئاً من البساطة. وقد حدث للودفيج ذات مرة أن دفع هنرى فورد القليل الكلام إلى النطق بعبارة تسترعى النظر، فقد كانا سائرين في الطريق، فرأى لودفيج سيارة صغيرة فأخذ يمتدحها، ولكنه سأل سؤال المتجاهل..: أظن هذه السيارة أكبر بعض الشيء من النموذج الذى تخرجه مصانعك..؟ فاستولى على "فورد" شعور الأم التى ترى تجاهل أبنائها فتحركت عيناه حركة خاصة، وقال: "إنها إحدى سياراتى.. لقد أخرجت ١٤ مليون مثلها" وفى هذه العبارة القصيرة وصف حياة جد طويلة تدل على خيال واسع..

ولعل الصحفي الذى خبر التأليف للمسرح والإذاعة يكون فى يده سلاح قوى، فالكتابة للمسرح تقتضى إدارة الحوار فى مهارة وبطريقة نفسانية، وإن كان المتحدث لا يذكر الحوادث الماضية كما يفعل المؤلف المسرحى. فقد ذهب لودفيج ذات مرة إلى لندن خاصة ليحدث "لورد جراى" وزير الخارجية البريطانية عندما أعلنت الحرب

١٩١٤ على ألمانيا، واجتمع به فى حفلة غداء، ودار الحديث على جلسة مجلس العموم فى اليوم السابق. وقد جاء فيه ذكر خلاف برز بين الوزراء، واخذ "لورد جراى" يشرح الموقف، فقال لودفيج وكأنه يتحدث لنفسه: "هذا شبيه بموقف يوليو سنة ١٩١٤" وقال: هذه العبارة فى صوت خفيض ولكنه مسموع، وإذ باللورد بعد الغداء ينتحى به ناحية ويتكلم فى إسهاب ليسوغ موقفه فى تلك الفترة الخطيرة، وكيف أنه لم يكن ليستطيع منع سير الحوادث إلى الحرب. ولو أن "لودفيج" ذكر هذا الخلاف رأساً "للورد" على صورة سؤال لتلقى رداً قصيراً فاتراً، ولما استرسل اللورد فى الحديث..

وكثيراً ما تكون العبارة القصيرة التى تلقى إلقاءً أبلغ أثراً من الأسئلة الطويلة فى اجتذاب الحديث. ولذلك ربما كان الصحفى الصوت القوى الملاحظة أنفع من الصحفى المدرب اللسان الذى لا يلاحظ الظروف. والواقع إن الأذن تخطئ أكثر من العين..

وتزداد أهمية الحديث الصحفى تبعاً لأهمية صاحبه، ومدى شهرته، وليس معنى ذلك أن الحديث الصحفى لا يجرى إلا مع المشهورين البارزين فى المجتمع وحدهم، فقد تكون الأحداث المثيرة التى تقع لبعض المغمورين من الناس سبباً فى الاهتمام الشديد بأحاديثهم وتصريحاتهم، وخاصة حين تكون مادة الحديث متصلة اشد الاتصال بموضوع من موضوعات الساعة.

والحوار فى الحديث الصحفى؛ هو أداة هذا الفن؛ كما أنه أداة المسرحية حين يعرض الحوادث؛ ويصور الأشخاص؛ ويقيم النص من مبدئه إلى ختامه.. ويذهب أستاذنا "الحكيم" رحمه الله؛ إلى أن الصفة الضرورية فى الحوار هى: "التركيز والإيجاز؛ والإشارة التى تفصح عن الطبائع، واللمحة التى توضح المواقف؛ وهذه الصفة لا تناسب كل الناس؛ ولا تلاصق كل الأدباء (والصحفيين أيضاً) فمنهم من خلق للإفاضة والتحليل والإسهاب، فإذا طلبت إليه أن يوجز أحسّ الضيق، وشعر كأنك حبسته أو حبست قلمه الفياض؛ وكتمت بيانه المسترسل؛ وحُلّت بينه وبين سليقته الميالة إلى العرض والسرْد!

"على عكس ذلك الأديب المسرحى (والمحاور الصحفى أيضاً)؛ فكلاهما يضيق بالإفاضة والوصف؛ والاسترسال؛ ويحبّ إصابة الهدف بكلمة، أو رسم الشخصية فى إجابة أو الإحاطة بالمعنى فى عبارة".

هذه الصلة بين الأديب المسرحي؛ والمحاوِر الصحفي؛ نبتت في الآداب القديمة؛ وتمثل الصحفيَ وظيفتها في وسائل الإعلام الحديثة؛ امتداداً لها؛ وتكبيراً لأغراضها؛ فالحوار "باعتباره أداة المسرحية؛ ثم الحديث الصحفي تقع عليه أعباء كثيرة؛ بل عليه وحده تقع كل الأعباء..

فمنه تعرف قصة المسرحية أو قضية الحديث الصحفي، وما انطوت عليه من حوادث ومواقف، وهو لا يقصّها علينا حكاية وقعت في الماضي، ولكنه يقيمها أمام أعيننا في الحاضرة حيّة نابضة تتحرك!..

"فالحوار هو الحاضر؛ هو ما يحدث في اللحظة التي نحن فيها. حاضر أبديّ لا يمكن أن يكون ماضياً أبداً"^(١).

مهمة الحوار إذن - كما يقول حكيم الأدب العربي - ليست أن يروى ما حدث لأشخاص؛ ولكن مهمته "أن يجعلهم يعيشون حوادثهم؛ أمامنا مباشرة، دون وسيط أو ترجمان؛ فإذا قام الحوار بهذه المهمة فإن واجبه لم ينته بعد؛ فنحن لا يكفينا منه في المسرحية أن يكشف لنا عن حوادث ومواقف، بل عليه - فوق ذلك - أن يلوّن لنا هذه الحوادث وهذه المواقف، باللون الموافق لنوع المسرحية؛ فإن كانت مأساة تخيّر من الألفاظ ما يثير في نفوسنا الرهبة والجزع والجلال والخشوع، وإن كانت ملهاة انتقى من العبارات ما يشيع في قلوبنا روح الفكاهة والمرح والسخرية والعبرة!".

وفي الحديث الصحفي؛ بعد مرحلة المقابلة؛ ينتقل المحرّر إلى مرحلة "التحرير"؛ وفي هذه المرحلة يستلهم المحرّر مقومات الحوار؛ التي تتيح له أن يقدّم نصّاً متميزاً؛ لا تقف مهمته عند رسم الحوادث، وتصوير المواقف، بل يضع نُصب عينه أن يؤدي وظائف الحديث الصحفي؛ وهذه الوظائف هي التي تحدّد:

أنواع الحديث الصحفي:

ذلك أن الحديث يتنوع؛ بتنوع وظائف الاتصال الصحفي، تأسيساً على أن الاتصال هو عملية بثّ المعاني بين الأفراد، ولذلك رأينا أن "الحديث" يضرب بجذوره

(١) توفيق الحكيم: فن الأدب؛ ص ١٤٩.

فى التراث الأدبى القديم؛ استجابة للحاجة الإنسانية المؤسسة على قدرة الإنسان على نقل نواياه ورغباته واحساساته ومعرفته وخبرته؛ من شخص لآخر.

وإذا كانت التطورات التكنولوجية الحديثة فى وسائل الإعلام؛ قد يسرت شكلا جديدا من أشكال الاتصال الإنسانى؛ فإن الفنون التحريرية؛ ومنها الحديث الصحفى فى هذه الوسائل أيضا، إنما جاءت استجابة لوظائف هذا الاتصال؛ وهى الوظائف التى يحصرها "لازويل" فى:

أولا: رصد البيئة ومراقبتها.

ثانيا: إيضاح العلاقة المتبادلة المتلازمة بين أجزاء المجتمع فى رد الفعل نحو البيئة.

ثالثا: نقل التراث الاجتماعى من جيل إلى جيل. ويضيف إليها علماء الاتصال:

رابعا: الترفيه.

وتأسيسا على هذا الفهم؛ فإن أنواع الحديث الصحفى تكاد أن "تنحصر فى الأنواع التالية":

١ - حديث الخبر (أو الحقائق) Information Interivew.

٢ - حديث الرأى Opinion Interview.

٣ - حديث المعلومات والتسلية والإمتاع Feature Interview.

٤ - حديث الجماعات Group Interview.

٥ - حديث المؤتمرات الصحفية Press Conference Interview.

وفى كل نوع من الأنواع الخمسة المتقدمة لابد من مراعاة الشروط التى روعيت فى تقويم الخبر الصحفى من حيث هو، وهذه الشروط أو الخصائص المطلوبة هى^(١):

١ - الجدة من حيث الزمان Timeliness.

٢ - القرب من حيث المكان Proximity.

٣ - الضخامة (وهى اتصال الحادث بأكبر عدد من الناس).

(١) د. عبداللطيف حمزة : المرجع السابق ص ٢٢٢.

٤ - قوة الدلالة Significance.

٥ - سياسة الصحيفة Policy.

ومعنى ذلك أن على المحرر الصحفي أن يحقق هذه الشروط الخمسة عندما يشرع في كتابة الحديث الخاص^(١).

أولاً: حديث الخبر "أو البحث عن الوقائع":

وهو النوع الذى يعتمد عليه فى جمع الأنباء والمعلومات حول حادث معين، ويرجع فيه المندوب إلى "شهود الغيان" أو المشتركين فى الحديث. وفى هذا يقول الصحفيون الإنجليز "إن القصد من هذا النوع من الحديث هو الحصول على ما يعبر عنه بينهم بهذه العبارة : "News not View" فكأن الهدف من هذا النوع هو الوصول إلى أوثق الأنباء، ومن الواجب على الصحفي فى الحالات المعتمدة على شاهد عيان ألا يعتمد على شهادة واحد فقط، اللهم إلا إذا كان هو وحده الذى شهد الواقعة. ويتوسل المندوب بهذا النوع من الأحاديث كذلك فى المتابعة الإخبارية، وفى المطارات والموانئ، والنواحي السياسية الهامة، وعودة المسئولين من الخارج.. الخ.

وهذا النوع الخبرى من أنواع الحديث؛ إنما جاء استجابة للوظيفة الإعلامية فى الرصد والمراقبة وجمع المعلومات التى تتعلق بالأحداث فى البيئة داخل نطاق المجتمع وخارجه. فحديث الخبر أو البحث عن الوقائع؛ معنىً - إلى حد كبير - بخدمة الأخبار؛ وأداء الوظيفة الأساسية التى تقوم عليها الصحافة؛ من أجل إخبار الناس بكل ما يقع من أحداث هامة داخلياً أو خارجياً، فى جميع ميادين الحياة؛ من سياسية أو اقتصادية أو ثقافية؛ حتى يكونوا على علم "بمجريات الأمور، ويتابعوا المسائل العامة ويتعرفوا على كل شئ يتعلق بوطنهم وبالعالم الخارجى من حوله أيضاً؛ وبذلك يشعرون أنهم يعيشون فى عصرهم حقاً"^(٢).

والمندوب الصحفي - على حد تعبير "جايار" إنما هو "شاهدٌ أو محققٌ؛ إنه يشهد الأحداث المتوقعة ويجهد نفسه بملاحقة توالى وقائع حدث طارئ؛ ولكنه شاهد مهنى، أو

(١) نفس المرجع السابق ص ٢٢٣.

(٢) د. حسنين عبدالقادر : الصحافة كمصدر للتاريخ ص ٧.

محقق يؤدي حساباً للجمهور، وليس لأية إدارة أو مصلحة. وهذا يرتب عليه واجبات معينة ومنهجية في العمل خاصة". على الرغم من ضغط الوقت في هذا النوع الخبرى من أنواع الحديث الصحفي؛ الأمر الذى لا يتيح له الفرصة لإعداد أسئلته.

ومهما يكن من أمر؛ فإن هذا النوع الخبرى لا يشكل أوسع حقول الحديث الصحفي لأنه يمثل الجانب الأكبر من المواد المنشورة. ومع أن كثيراً من المقابلات قد يتم بواسطة مندوبين خارجيين (الوكالات البرقية، وكالات الأخبار والمقالات الصحفية والكتّاب غير المقيدين بجريدة معينة) فإن الموضوعات الإخبارية تنطوى أكثر مما ينطوى عليه أى نوع آخر من المواد المنشورة على أحاديث ومقابلات يجريها محررو الجريدة الأصليون. ويكون المندوب الذى يعالج موضوعاً إخبارياً محكوماً، على العموم، بضغط الوقت الضيق كما تقدم، لأن معظم المادة التى يعالجها من الأخبار الوامضة ذات المدى الزمنى القصير. ذلك أن الأخبار تنتشر بسرعة. وعليه أن ينجز المقابلة بسرعة. وعليه كذلك أن يعمل فى جو من المنافسة الحامية مع مندوبى الصحف الأخرى ليقدم الخبر قبل الموعد المقرب بسرعة لعمل التحرير. ويترتب على ذلك أنه غالباً ما يضطر إلى القيام بالمقابلة، وهو يتفقد الساعة تفقداً حثيثاً من أجل أن يؤمن فرصة النشر لمادته.

أما لماذا لا يتيح الحديث الصحفي - فى حالة الخبر الصرف - للمخبر أو المندوب إلا أقل علم مسبق؛ فإن ذلك يرجع إلى طبيعة الخبر ذاته. فثمة شطركبير من الأخبار، كما نعلم، لا يتكشف عن نذير مسبق بأنه سيذيع وينتشر، وبالتالي فقد يجد المندوب نفسه يستجوب عدة أشخاص فور الاتصال بهم. ومن الأمثلة على هذه الحالات المقابلات مع ضحايا أحد المحتالين، والمقابلة مع موظفى البلدية الذين أقيلا فجأة، وشهود العيان لحادث من الحوادث^(١).

وتعبير "شاهد عيان" - كما يقول الاستاذ الحماصى^(٢) - تعبير يتردد كثيراً فى الصحف: قال (شاهد عيان). ويقصد به: أن المندوب الصحفي كان غائبا فى لحظة وقوع الحادث؛ ولهذا يستعين على بدء قصته الصحفية بأقوال من شهد بدايتها، أو بأقوال من يعرفون "كيف وقع الحادث". ومن الواجب على الصحفي فى هذه الحالة

(١) الصحافة اليوم ص ١٤٦.

(٢) جلال الدين الحماصى: المندوب الصحفي؛ السابق؛ ص ١٦٨.

ألا يعتمد على شهادة واحدة فقط؛ اللهم إلا إذا كان هو وحده الذى شهد الواقعة. ذلك أن الشهود كثيرا ما يدلون بأقوال يلعب فيها التناقض دورا كبيرا. ولهذا فإن الوظيفة الإعلامية تقتضى أن يسأل الصحفي أكثر من شاهد ضمانا للوصول إلى الحقيقة المجردة من خيال بعض الشهود".

تحرير الحديث الخبرى:

وتحرير الحديث الصحفى يقوم على مراعاة القيم الخبرية العامة: الجدة الزمنية - القرب المكانى - الضخامة - الدلالة - سياسة الصحفية، من جهة، ويتسم بالدقة والأمانة والصدق الإعلامى من جهة أخرى.

وفى تحرير حديث الخبر أو البحث عن الوقائع، نفيد من الأنماط الخبرية فى التحرير الصحفى والنمط الاقتباسى خاصة، والذى فصلنا فيه الحديث. فى الفصل الخاص بالخبر الصحفى؛ وكذلك النمط التحريرى الخاص بالقصة الخبرية".

حيث يمكن صياغة "مقدمة للحديث" Lead؛ بحيث تحتوى على أهم النقاط الخبرية المثارة، مع تصوير جذاب لشخصية المتحدث. وفى "صلب Body" الحديث تصاغ الأسئلة والإجابات بطريق مباشر حيناً، وبأسلوب غير مباشر حيناً آخر.

ويفيد المحرر كثيرا من الوصف فى صلب الحديث حتى يتسنى للمحرر توضيح وجهة نظر المتحدث، وإلقاء الضوء على شخص محدثه.

ثانيا: حديث الرأى أو البحث عن الآراء:

وهذا النوع من الأحاديث الصحفية يغطى جانبا كبيرا من النواحي التى تبحث عن الحقائق التى تقابل من الجمهور برعاية واهتمام، لأنه كما يقول استاذنا جلال الدين الحمامصى رحمه الله - يجد فيه غذاء قويا ومتعة تجعله يحس أنه يشترك فى معركة من معارك الرأى. وهذا النوع من الأحاديث يمكن اجراؤه مثلا: عندما تسند وظيفة كبيرة إلى شخص ما فى الحكومة أو المؤسسات العامة، أو فى أى عمل آخر له صلة بالجمهور، وكذلك الشخص الذى يترك منصبه، والتعليق الذى يحصل عليه الصحفى من متخصص حول موضوع مثار، ثم الأحاديث التى يجريها الصحفى حول رأى معين فى قضية أدبية أو فنية أو علمية أو سياسية.. الخ مع المتخصصين من كبار الشخصيات.

وهذا النوع من أنواع الحديث الصحفي؛ يؤدي إلى جانب الوظيفة الإعلامية: وظائف الشرح والتفسير؛ والتوجيه. وهى الوظائف التى أجملها د. محمود عزمى للصحافة فى قوله: إنها "توجيه الرأى العام عن طريق نشر الأخبار والأفكار + News Views الخيرة الناضجة معممة ومنسابة إلى مشاعر القراء خلال صحف دورية".

وحديث الرأى أو البحث عن الآراء والأفكار؛ إذن؛ يسهم فى توضيح العلاقة المتبادلة بين أجزاء المجتمع فى رد الفعل نحو البيئة. وهذه الوظيفة فيما يرى "تشارلز رايت"؛ تتضمن تفسير المعلومات المتعلقة بالمجتمع وترشيده، وتنويره بالآراء والأفكار إزاء الأحداث. ذلك أن الوظيفة الرئيسية للتفسير والترشيد هى أن تجنب الناس النتائج غير المرغوب فيها المترتبة على إذاعة الأخبار مثل تلك الانذارات بالأخطار التى لايفسرها صاحب الرسالة؛ والتى قد تؤدي إلى إحداث الذعر لدى الجمهور، ومازال المثال الذى يردده الباحثون عن إذاعة "أورسون ويلز" عن غزو أهل المريخ لكوكب الأرض؛ يؤكد ذلك، فاعتقاد الناس بأن "راوية" أورسون ويلز؛ كانت تقريراً خبرياً واقعياً أدى إلى الذعر الشديد لدى الناس^(١).

ومن النتائج المرغوب فيها؛ فى تحليل "رايت"؛ أنباء الأخطار فى المجتمع؛ ذلك أنها بدلاً من أن تؤدي وظيفة الإنذار يمكن أن تزيد من القلق فى نفوس الناس، والحرب النفسية مثال على ذلك. وكذلك الكثرة الزائدة من الأنباء قد تؤدي إلى التوقع من جانب التلقى؛ أو الشعور بالسلبية واللامبالاة، وقد يتوهم أن المواطن المطلع؛ هو نفسه المواطن النشط. وهذه الوظيفة العكسية أطلق عليها "لار سفيلد" و"ميرتون" صفة الإدمان.

وحين يؤدي حديث الرأى أو البحث عن الآراء؛ جانباً من جوانب الوظيفة التفسيرية فى الاتصال الصحفي؛ فإنه بذلك يسهم فى تجنب القراء النتائج غير المرغوب فيها، ذلك أن الاختيار؛ والتفسير للأخبار؛ من الأمور التى يحرص عليها القارئ حرصه على الأخبار نفسها.

(١) ذلك أن الممثل السينمائى أورسون ويلز؛ كان قد أذاع برنامجاً خيالياً بالراديو تصور فيه أن كوكب المريخ مسكون، وأن سكانه قاموا بغزو كوكب الأرض، فلما أذيع البرنامج فى الراديو ظنه الناس برنامجاً "إخبارياً" واقعياً. واستبد بهم الهلع فهجروا بيوتهم وخرجوا لا يلبسون على شئ واعتصم بعضهم بالجبال. وعندما تبين لهم حقيقة الأمر أحرقوا محطة الإذاعة، محمد فتحى، ترجمة: المنظور الاجتماعى للاتصال الجماهيرى تشارلز رايت ص.س.

ثالثاً: الأحاديث المتصلة بالشخصيات:

وهي الأحاديث التي تستهدف تقديم الشخصيات التي تسلط عليها الأضواء، وقد يكون الحديث الواحد مجموعة من الأحاديث مع المحيطين بالشخصية بهدف إلقاء المزيد من الضوء عليها، مثل: وزراء جدد يدخلون الوزارة لأول مرة - رجل مشهور - الزوار المعروفون القادمون من الخارج - رجال كبار السن ويقومون بأعمال طريفة مثلاً - شخصيات صنعتها الأنباء، مثل: رجال الفضاء؛ أو الحصول على جائزة عالمية أو محلية .. الخ.

وهذا النوع من الأحاديث يؤدي جانبا مهما من وظائف التثقيف؛ والتنشئة الاجتماعية؛ من خلال تقديم "نماذج القدوة" للأجيال؛ وبتثقيف من جيل لجيل؛ أو مايسميه "رايت" تنمية الروح الاجتماعية، ثم الإمتاع والمؤانسة، وي طرح التحليل الوظيفي لهذا النوع من الأحاديث عددا من التساؤلات: إلى أى حد يؤدي مضمون الحديث الصحفي إلى توحيد المجتمع بما يهيئ له من قاعدة عريضة للقيم؛ وأنماط القدوة؛ والتجربة الشاملة المشتركة عند الأفراد جميعاً؟

أو إلى أى حد يكون فقدان التنوع الثقافي ناتجا عن بث فكر ثقافى موحد؟

تحرير أحاديث الشخصيات :

يقوم تحرير هذا النوع من الأحاديث الصحفية فى جوهره على ارتباط الشخصيات بحركة الأحداث؛ فى سياق عناصر التقويم الصحفى؛ كما تقدم ويعتمد فى بنائه على تصوير الشخصية تصويراً فنياً، وحتى لقد يجد دارسو الاجتماع وعلم النفس الاجتماعى فى هذه الشخصيات التى تجرى معها الأحاديث الصحفية إجابة موضوعية عن التساؤلات التى يطرحها التحليل الوظيفى لوسائل الإعلام .

والأساس الأول لتصوير الشخصية فى الحديث الصحفى ألا تفقد هذه الشخصية صلتها بحركة الأحداث فى المجتمع؛ وبالعالم الناس، والأساس الثانى: وحده الشخصية فى عمقها؛ هذا هو التعبير الحديث كما سماه أرسطو من قبل: التكافؤ المنطقى. وهذه الوحدة هى التى تسمح بأنواع من الاختلاف مع طبيعة الشخصية فى مجرى الحديث، فمواجهة قضية تنقصها فى مجرى الحوار الصحفى؛ خير تجسيم لفكرة "هيجل" وللنزعة الديالكتيكية بعامة" لتوليد قضية جديدة تترأى من وراء تصارع الآراء. ولهذا يغدو الحديث الفردى Monologue معيباً إذا طال فى المقال الحديث.

وللمحرّر فى طريقة تقديم الشخصية؛ أن يصوّرها من خلال حركتها ومواقفها فى الحوار الذى يجريه معه، والحديث الصحفى فى هذه الحالة ذو طابع مسرحى؛ لأن أبطاله (وهم هنا المتحاورون)؛ يصورون أنفسهم فى حركتهم؛ ويرتسمون أمامنا وهم يتحاورون؛ وبهم يكتسب الحديث الصحفى طابعاً درامياً؛ إن جاز التعبير، وهو الطابع الذى نبه "أرسطو" أى قيمته فى الملحمة من قبل؛ ومدح "هوميروس" من أجله^(١).

وقد يلجأ المحرّر فى تحرير حديثه إلى عنصر قصصى فى حكايته؛ ثم إلى وصف المجال الذى يتحرك فيه محدثه؛ فهو تفسير بعض ما يقوم به من أفعال. وقد يعتمد المحرّر فى شىء من ذلك على التقديم الدرامى - كما تقدم؛ ولكنه يستقل بالحديث عنه خارج هذا التقديم.

ومنذ الواقعيين والطبيين أصبح المؤلف القصصى يقوم بهذا الوصف والتفسير؛ الذى يقوم به المحاور الصحفى، دون أن يظهر ظهوراً مباشراً.. فهو يذكر الحقائق والآراء من غير طابع وجدانى؛ ويحيث تظهر كأنها صادرة عن قاض محايد مصاحب للشخصيات، وقد تتطابق آراء المحاور مع الشخصية التى يحاورها فى الحديث الصحفى؛ ولكن دون أن يظهر ظهوراً مباشراً، فعليه أن يسجل الآراء فى السياق الذى يجعلها تبدو موضوعية خالصة.

ويستحسن فى تحرير الحديث الصحفى؛ ألا يتدخل المحرّر تدخلاً سافراً بالشرح أو التعليل مستقلاً فى ذلك عن الحوار. وينبغى أن يكون تدخله فى أضيق الحدود. كأن يقصد فى تدخله إلى الغوص فى أعماق الشخصية فى إجمال دون تفصيل.

والبنية القصصية فى فن الحديث الصحفى؛ تقوم على تصوير الشخصيات؛ التى تثير كثيراً من المشاعر؛ وألوانا من العطف والتقدير؛ وتولد الفكرة إثر الفكرة، والرأى إثر الرأى. ومن هنا كانت أهمية التشخيص القصصى Charaterization فى الحديث الصحفى. ولكى يستطيع المحرّر أن يجعل القارئ متعاطفاً وجدانياً مع الشخصية التى يجرى معها الحوار؛ يجب أن تكون هذه الشخصية كما هى فى سياق التقويم الصحفى.. شخصية متحركة فى التعبير والحوار؛ فالقارئ يريد أن يراها وهى تتحرك؛ وأن يسمعها وهى تتكلم، يريد أن يتمكن من رؤيتها رأى العين.

(١) د. محمد غنيمى هلال : السابق ص ١٤٤ . ١٤٥ .

وكما يميز النقاد فى أنواع القصة؛ بين ما يعرف بقصة "الحادثة" وبين "قصة الشخصية"^(١). فإن التحرير الصحفى يميز بين ما يعرف بحديث القصة الخبرية الذى يقوم على الحركة؛ وبين حديث الشخصيات؛ فالأولى تمثل الوقائع؛ والأخرى تمثل المواقف. ففي الأولى يكون الاهتمام بالحادثة أولاً، ثم تختار الشخصيات المناسبة وفى الأخرى يكون العكس.

رابعاً: حديث الإمتاع والمؤانسة:

ويهتم المندوب الصحفى فى هذا النوع من الحديث بشخصية المتحدث، وفلسفته فى الحياة أكثر مما يهتم بنوع اختصاصه، بهدف تقديم المعلومات والتسلية وإلقاء الضوء على الجوانب الخفية من حياة الشخصيات مثلاً، على النحو الذى يؤدى وظيفة الإمتاع والمؤانسة فى الاتصال الصحفى.

وقد أظهرت الدراسات؛ أن الراشدين من قراء الصحف؛ يلتفتون إلى الموضوعات الخفيفة والأشرطة المتتابعة والرسوم أكثر من التفاتهم إلى المعلومات حول المسائل العامة أو الاعلانات. ومع أن المجلات قد أخذت تزيد من جديتها؛ منذ مقدم التليفزيون؛ فإن بعضها لا يزال يقدم التسلية أساساً، وبعض أجزاء المجلات الجادة ترفيحية صريحة.

على أن الترفيه ليس عنصراً سلبياً - كما يُظن.. لذلك يجب أن ننظر فى آثاره الإيجابية من منظور الإمتاع والمؤانسة "فى الاتصال الصحفى". ومن القلائل الذين استطاعوا الدفاع عن الترفيه بأسلوب أكثر وضوحاً "تشارلين براون" من جامعة "ستانفورد" حين يقول: "إن الترفيه ضرورى لمنح الراحة التى تمكن البشر من مواجهة متطلبات الحياة الحديثة - أو حتى متطلبات الحياة فى عمومها فقط - وليس لنا جميعاً نفس الأحاسيس. وصفوة المثقفين يفضلون أن يتخذ الترفيه عندهم أشكالاً مختلفة عن الأشكال التى يقبلها ذوو الثقافة المتواضعة؛ ومع ذلك فهو ترفيه مهمما يكن أسلوبه الفنى أو مضمونه المثقل بالمعانى والناس بحاجة إلى الاسترخاء ونضيف إلى ذلك الصحبة والمؤانسة أيضاً.

(١) د. عز الدين إسماعيل: الأدب وفنونه؛ ص ١٨٠.

وليس معنى ذلك أن الصحف تهمل المضمون الجاد الذى يقدم بطريقة جادة؛ فمن المؤكد أنها تقوم بعملها فى هذا المجال؛ بطريقة أفضل مما كانت تفعله من قبل. ومع ذلك فمن الصحيح أن الصحف لابد أن تراعى القارئ دائماً، عندما تقدم مناقشة جادة، أو معلومات. ونظراً لطبيعة عدم التجانس بين القراء، فلا ينبغى للصحفيين أن يترجموا الموضوعات والقضايا المعقدة إلى عبارات مفهومة لدى القراء فحسب، بل عليهم أن يفعلوا ذلك بطريقة أيضاً. فالهدف الأساسى للتحرير الصحفى، قبل كل شئ هو أن يجعل ما يقدمه مقروءاً ويستهدف المحرر المراجع جذب الانتباه بالعنوان.. فإذا ما كانت طريقة معالجة الموضوع وعنوانه يجتذبان القارئ إلى المادة الجادة؛ فإن ذلك له ما يسوغه فى حد ذاته" على حد تعبير "ريفرز"؛ الذى يذهب إلى أن إيجاد جمهور كبير والمحافظة عليه، أحياناً وخاصة فى مجال المجلات ذات التوزيع المرتفع؛ كان من نتائجه الدمج بين وظيفة الترفيه ووظيفة التنوير. ومنذ الحرب العالمية الثانية قامت كثير من المجلات بتقصير موضوعاتها غير القصصية؛ على افتراضات أن القراء لم يعودوا يطبقون الموضوعات الطويلة؛ وإن كان هناك بعض المجلات التى تخصص بعض أعمدها لموضوعات أطول وأكثر جدية. ومع ان بعض المجلات قد وجد أشكالاً قيمة بديلة عن المقال التقليدى؛ فإن الكثير من الكتاب لا يزال يطور مقالاته، وموضوعاته، لا عن طريق العرض المباشر، وإنما عن طريق تقديم بعض العموميات؛ أو الحوار؛ وإيضاح كل منها بالعديد من الحكايات والأحاديث المسرحية.

وغالباً ما تكون النتيجة قليلاً من المعلومات مغلفة فى كثير من الترفيه، وعندما اكتشفت بعض المجلات أن القراء يهتمون بالناس أكثر من اهتمامهم بالأفكار أخذت تستخدم الشخصيات كمشجب تعلق عليه ما تقدمه من موضوعات عامة.

ويذهب "جوزيف ت. كلابار" فى دراسته لآثار وسائل الإعلام؛ إلى أن الناس يستخدمون الترفيه أحياناً للهروب من الشعور بعدم الإطمئنان؛ وذلك بتقصص الشخصيات الناجحة فى القصص والمقالات والأحاديث والأفلام والإذاعات. وإذا ييسر التقمص المشاركة الخيالية فى حياة الآخرين الطيبة؛ وانتصاراتهم؛ فإنه يمنح الإحساس بالهيبة؛ ويذهب "كلابار" إلى أن ذلك لا ضرر منه فى أسوأ الأحوال، كما أنه مفيد فى أحسن الأحوال.

وتأسيسا على هذا الفهم؛ فإن المهم في هذا النوع من أنواع الحديث الصحفي ليس "ما يقال" ولكن "كيف يقال"؟

ولذلك فإن المتحدث هنا - كما يقول د. حمزة - هو "محور الحديث". إذ الغرض الأساسي في الواقع هو تصوير هذه الشخصية الإنسانية بما فيها من طرافة أو غرابة أو تعقيد أو بساطة.. ولذلك يعنى المحرر الصحفي بنبزات الصوت، وحركات المحدث، وتعابير الوجه، ولون الملابس، وطريقة الجلوس وما إلى ذلك كله.

وباختصار - يهتم المخبر الصحفي في هذا النوع من الحديث؛ بشخصية المتحدث، وفلسفته في الحياة أكثر مما يهتم بنوع اختصاصه أو بنوع تجاربه وخبراته. وإذا عرض لشيء من ذلك فإنما يكون من أجل تصوير شخصيته أكثر من الاهتمام بما يصدر عنها من رأى^(١).

وإذا كان على المندوب أو المحرر أن يصنع ذلك في مرحلة الإعداد للحديث؛ فإن مرحلة قيادة الحديث تتخذ خطوات أخرى هي: استهلال الحديث، توجيه الأسئلة، للحصول على إجابات شافية - خطوة المراجعة.

تحرير الحديث الصحفي :

وتحرير الحديث الصحفي يقوم على مراعاة القيم الخبرية العامة: الجودة الزمنية - القرب المكاني - الضخامة - الدلالة - سياسة الصحيفة - من جهة، ويتسم بالدقة والأمانة والصدق من جهة أخرى.

وإذا كانت الصحافة الحديثة قد عدلت عن طريقة نشر الأسئلة والإجابات نشرًا حرفيًا، فإنها اتخذت من النمط التحريري الخاص "بالقصة الخبرية" نمطًا فنيًا لصياغة الحديث، وهو النمط الذي تحدثنا عنه في كتاب "فن التحرير الإعلامي" بالتفصيل حيث يمكن صياغة "صدر Lead" الحديث بحيث يحتوى على أهم نقاطه المثارة مع تصوير جذاب لشخصية المتحدث "صلب Body" الحديث تصاغ الأسئلة والإجابات بطريق مباشر حينًا، وبأسلوب غير مباشر حينًا آخر. ويفيد المحرر كثيرًا من

(١) د. عبداللطيف حمزة : السابق ص ٢٢٧ .

الوصف فى صلب الحديث حتى يتسنى للمحرر توضيح وجهة نظر المتحدث، والقاء الأضواء على شخص محدثه.

وفى حديث الخبراء والبحث عن الوقائع، نفيد من الأنماط الخبرية فى التحرير والنمط الاقتباسى خاصة. وكذلك فى حديث الرأى - حيث نركز على الرأى الذى خرج به المتحدث فى المقدمة (النمط الاقتباسى خاصة).

والعناية بتحرير مقدمة الحديث تقتضى الإفادة من أنواع تحرير المقدمات التقليدى منها والجديد، وهى التى تحدثنا عنها تفصيلا فى الفصول السابقة من هذا الكتاب: الشقيقات الخمس - التجديد فى المقدمة: المقدمة الساخنة - مقدمة الصورة - المقدمة المقارنة - المقدمة التساؤلية - المقدمة الاقتباسية - المقدمة الوصفية - المقدمة الإذاعية.

نصوص للدراسة

أولاً: نماذج للحوار في الأدب العربي القديم

والحوارُ ضربٌ من الأدب عُرف منذ الجاهلية في خطب المفاخرات والمنافرات ولكنه مُنذُ الإسلام أخذ هذا الاسم لما في التسمية الأولى من ظاهر المخالفة للدين الذي نهى عن تفاخر الجاهلية وتنافرها، القائم على عصبيتها وتُعرّتها، والدعاء - عن جهل وسفه بدعوتها.

ولقد بقي ذا مكانةٍ وشرف طَوالَ القرنين الأولين من الهجرة تقريباً، وكانت قريش أحضَرَ العرب فيه بديهة، وأسرعها عند السؤال جواباً، وقد أَسَالَتْ أوديته الخلافات السياسية والمذهبية. وبخاصة في عهد معاوية الذي فتح بابَه على مصراعيه لقيام سياسته على التغاضي عن القول والتحلم إزاء التَّزْيُدِ فيه.

وفيما يلي نماذج في العصر الأموي والصدر العباسي تتبين منها كيف كانت قوّة الحوار وكيف تمثّل رافداً من روافد تأصيل الحوار والحديث الصحفي في العصر الحديث:

بين معاوية وعقيل بن أبي طالب.

لما اعتزل عقيلُ بنُ أبي طالب أخاه علياً كرم الله وجهه، إلى معاوية يطلب عنده الدنيا، قال له معاوية : أنا خير لك من أخيك عليّ، فقال عقيل : صدقت، إن أخي آثر دينه على دُنياه، وأنت قد آثرت دنياك على دينك، فأنت خير لي من أخي، وأخي خير لنفسه منك.

ما فَضَّلَ لأبيك، وكان أبوك كذلك لأبي، ولكن من هُنَا أباك بإخاء أبي أكثر ممن هُنَا أبي بإخاء أبيك، نصر أبي أباك في الجاهلية، وَحَقَّنَ دمه في الإسلام^(١)، وأمّا استعمالُ عليّ إيانا فلنفسه دون هواه، وقد استعملت أنت رجالاً لهواك لا لنفسك : منهم ابن الحَضْرَمِيِّ على البصرة فقتل، وبُسْرُ بْنُ أَرْطَاةَ على اليمن فخان، وَحَبِيبُ بْنُ مُرَّةَ على الحجاز فرّد، والصَّحَّاحُ بْنُ قَيْسِ الْفَهْرِيِّ على الكوفة فَحُصِبَ، ولو طلبت ما عندنا وقينا أعراضنا، وليس الذي يبلغك عنا بأعظمَ من الذي يبلغنا عنك، ولو وُضِعَ

(١) يشير إلى ما كان من خروج العباس مع أبي سفيان يوم بدر ثم إلى ما كان من شفاعته له يوم فتح مكة عند رسول الله (ﷺ).

أصغر ذنوبكم إلينا على مائة حسنة لمخفها، ولو وضع أدنى عُذْرنا إليكم على مائة سيئة لحسنها، وأما حَدُّلنا عثمانَ فلو لزمنا نصره لنصرناه^(١)، وأما قتلنا أنصاره يوم الجمل فعلى خروجهم مما دخلوا فيه، وأما حربنا أياك بصفين فعلى ترك الحقِّ ودعائك الباطل، وأما إغراؤك إيانا بثيِّم وغديّ فلو أزدناها ما غلبونا عليها^(٢) وسكت^(٣).

بين معاوية وعبد الله بن الزبير

دخل الحسينُ بنُ علي رضي الله عنهما يوماً على معاوية وعنده جماعة من قريش فيهم ابنُ الزبير فرحَّب به وأجلسه على سريره وقال: ترى هذا القاعد - وأشار إلى ابن الزبير - فإنه ليدركه الحسدُ لبني عبد مناف^(٤) فقال ابنُ الزبير لمعاوية: قد عرفنا فضل الحسين وقرباته من رسول الله (ﷺ)، لكن إن شئت أعلمتك فضل الزبير على أبيك أبي سفيان فعلت، فقال معاوية:

قاتلك الله يا ابن الزبير ما أعياك وأبعاك^(٥)! أتفخرُ بين يدَي أمير المؤمنين وأبي عبد الله^(٦)؟ إنك أنت المتعدِّي لطورك، الذي لا تعرف قدرك، فقسْ شبرك بفترك^(٧)، ثم تعرَّف كيف تقعُ بين عَرائينَ بني عبد مناف^(٨)، أما والله لئن دَفَعْتَ في بحور بني هاشم وبني عبد شمس لَتَقَطَعَنَّك بأمواجها، ثم لَتُوهِينَنَّ بك في أجاجها^(٩)، فما بقاؤك

(١) يعرض بمعاوية إذ كان أولى من بني هاشم بنصرة عثمان لأنهما أمويان.

(٢) الضمير للخلافة.

(٣) في هذه المحاوره يقول ابن أبي لهب:

كان ابن حرب عظيمُ القدر في الناس .: حتى رماه بما فيه ابن عباس
ما زال يهبطه طوراً ويصعده .: حتى استفاد وما بالحق من باس
لم يتركْ خطة مما يذللُّه .: إلا كواه بها في فروة الراس

(٤) عبد مناف الجد الذي يجمع بين بني هاشم وبني أمية فهاشم ابن عبد مناف وأميه ابن عبد شمس بن عبد مناف، أما آل الزبير فمن عبد العزى أخى عبد مناف بنى قصى.

(٥) ما أعياك: ما أعجزك.

(٦) كنية الحسين.

(٧) الشبر: ما بين طرفي الإبهام والخنصر، والفتر: ما بين الإبهام والسبابة.

(٨) العرائن في الأصل الأنف أو ما صلب من عظمه وهو هنا السيد الشريف.

(٩) أوهاه: أسقطه والأجاج: الملح الم.

في البحور إذا غمرتك، وفي الأمواج إذا بهرتك^(١)؟ هُتالك تعرفُ نفسك وتندمُ على ما كان من جرأتك، وتمنى^(٢) ما أصبحت فيه من أمان، وقد حيلَ بين العَيْر والنَّزوان^(٣).

فأطرق ابنُ الزبير ملياً ثم ربع رأسه فالتفت إلى من حوله وقال :

أَسْأَلُكُمْ بِاللَّهِ، أَتَعْلَمُونَ أَنَّ أَبِي حَوَارِيُّ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ)^(٤). وَأَنَّ أَبَاهُ أَبَا سَفِيَانَ حَارِبَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ)، وَأَنَّ أُمِّي أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ وَأُمُّهُ هِنْدُ آكَلَةُ الْأَكْبَادِ^(٥) وَجَدَى الصَّدِيقِ وَجَدَهُ الْمَشْدُوحُ بِبَدْرِ رَأْسِ الْكَفْرِ^(٦)، وَعَمَّتِي خَدِيجَةُ ذَاتُ الْخَطَرِ وَالْحَسْبِ وَعَمَّتُهُ أُمُّ جَمِيلِ حِمَالَةَ الْحَطَبِ^(٧)، وَزَوْجُ عَمَّتِي خَيْرُ وَلَدِ آدَمَ مُحَمَّدٌ (ﷺ) وَزَوْجُ عَمَّتِهِ شَرُّ وَلَدِ آدَمَ أَبُو لَهَبٍ، ﴿سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ وَخَالَتِي عَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ وَخَالَتَهُ أَشْقَى الْأَشْقَى، وَأَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَهُوَ مُعَاوِيَةُ.

فقال معاوية:

وَيْحَكَ يَا بَنَ الزَّبِيرِ؟ كَيْفَ تَصِفُ نَفْسَكَ بِمَا وَصَفْتَهَا، وَاللَّهِ مَا لَكَ فِي الْقَدِيمِ مِنْ رِيَاسَةٍ. وَلَا فِي الْحَدِيثِ مِنْ سِيَاسَةٍ، وَلَقَدْ قُدْنَاكَ وَسُدْنَاكَ قَدِيمًا وَحَدِيثًا، لَا تَسْتَطِيعُ لَذَلِكَ إِنْكَارًا، وَلَا عَنْهُ فِرَارًا، وَإِنْ هَؤُلَاءِ الْحُضُورَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّ قَرِيشًا قَدْ اجْتَمَعَتْ يَوْمَ الْفَجَارِ^(٨). عَلَى رِيَاسَةِ حَرْبِ بَنِ أُمِيَّةٍ، وَأَنَّ أَبَاكَ وَأَسْرَتَكَ تَحْتَ رَايَتِهِ رَاضُونَ بِإِمَارَتِهِ غَيْرُ مُنْكَرِينَ لِفَضْلِهِ وَلَا طَامِعِينَ فِي عِزِّهِ، إِنْ أَمْرُ أَطَاعُوا وَإِنْ قَالِ أَنْصَتُوا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِينَا الْقِيَادَةَ وَعِزَّ الْوِلَايَةِ، حَتَّى بَعَثَ عَزَّوَجَلَّ مُحَمَّدًا (ﷺ)، فَانْتَحَبَهُ بَيْنَ خَيْرِ خَلْقِهِ، مِنْ أَسْرَتِي لَا أَسْرَتِكَ، وَبَنِي أَبِي لَابْنِي أَبِيكَ، فَجَحَدْتُهُ قَرِيشَ أَشَدَّ الْجُحُودِ، وَأَنْكَرْتُهُ أَشَدَّ الْإِنْكَارِ، وَجَاهَدْتُهُ أَشَدَّ الْجِهَادِ، إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ مِنْ قَرِيشٍ، فَمَا سَادَ قَرِيشًا وَقَادَهُمْ إِلَّا أَبُو سَفِيَانَ ابْنُ حَرْبٍ، فَكَانَتِ الْفِتْنَتَانِ ثَلَاثَتَيْنِ وَرَأْسُ الْهَدْيِ مِنَّا، وَرَأْسُ الضَّلَالَةِ مِنَّا،

(١) بهره بهرا كفتح : غلبه.

(٢) أصله تتمنى، ويروى وتسمى بمعنى تودع.

(٣) العير: الحمار وغلب على الوحش، ونزوانه : وثوبه، وهو مثل يضرب للقوى تخور قواه.

(٤) الحواري : الناصر أو ناصر الأنبياء.

(٥) يشير إلى ما فعلته هند يوم أحد.

(٦) المشدوخ : المكسور المقتول وهو يعني عتبة بن ربيعة جد معاوية لأمه.

(٧) هي زوج أبي لهب وفيهما نزلت السورة.

(٨) هي حرب هاجت بين قريش وكنانة، وبين هوازن.

فهديكم تحت راية مهدينا، وضالكم تحت راية ضالنا، فنحن الأرباب وأنتم الأذئاب، حتى خلص الله أبا سفيان بن حرب بفضل من عظيم شركه، وعصمه بالإسلام من عبادة الأصنام، فكان في الجاهلية عظيما شأنه، وفي الإسلام معروفا مكانه، ولقد أعطى يوم الفتح ما لم يعط أحد من آبائك، وإن منادى رسول الله (ﷺ) نادى "من دخل المسجد فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن" فكانت داره حرما لا دارك ولا دار أبيك. وأما هند فكانت امرأة من قريش في الجاهلية عظيمة الخطر، وفي الإسلام كريمة الخبر، وأما جدك الصديق فبتصديق عبد مناف سمي صديقا، لا بتصديق عبد العزى، وأما ما ذكرت من جدى المشدوخ ببدر، فلعمري لقد دعا إلى المبارزة هو وأخوه وابنه فلو برزت إليه أنت وأبوك ما بارزوكم ولا رأوكم لهم أكفاء، كما طلب ذلك غيركم فلم يقبلوهم، حتى برز إليهم أكفأؤهم من بنى أبيهم، فقضى الله منايهم بأيديهم، فنحن قتلنا ونحن قتلنا، وما أنت وذاك؟، وأما عمك أم المؤمنين فبنا شرفت وسميت أم المؤمنين، وخالتك عائشة مثل ذلك، وأما صفة فهي التي أدنتك من الظل، ولولا هي لكنت صاحبا^(١). وأما قولك أنا عبد الله وهو معاوية، فقد علمت قريش أننا أجود في الإزم^(٢). وأحزم في القدم^(٣). وأمنع للحرم، لا والله ما أراك منتهيا حتى تروم من بنى عبد مناف ما رام أبوك، فقد طالعهما الذ حول، وقدم إليهم الخيول، وخدعتم أم المؤمنين ولم تراقبوا رسول الله (ﷺ)، إذ مددتم على نسائكم السجوف^(٤). وأبرزتم زوجه للحتوف، ومقارعة السيوف، فلما التقى الجمعان، نكص أبوك هاربا فلم يذ جه ذلك أن طحنه أبو الحسين بكلكلة طحن الحصيد بأيدي العبيد^(٥). وأما أنت فأفلت بعد أن خمشتك برأئينه^(٦). ونالتك مخالبيه، وايم الله ليقومنك بنو عبد مناف بثقافها^(٧).

(١) يشير إلى أن شرف آل الزبير جاءهم من مصاهرة أبيهم لعبد المطلب في ابنته صفة.

(٢) كعنب جمع أزمة وهي الشدة والقفل.

(٣) القدم بفتححتين : السابقة في الأمر.

(٤) القدم بفتححتين : السابقة في الأمر.

(٥) جمع سجع بالفتح ويكسر وهو الستر.

(٦) كل ما يحصد من زرع، وقد كان الطحن يوكل أكثر ما يوكل إلى العبيد.

(٧) الثقاف : حديدة تسوى بها الرماح.

أولُثْصِيحْنَ منها صباح أبليك بوادي السَّباع^(١). وما كان أبوك المُدْهَنَ حَدَه^(٢). ولكنّه كما قال الشاعر:

تناول سرحانَ فريسةً ضيغم .: ففَضَّقْضُهُ بالكفِّ منه وَحَطَّما

بين عبد الملك بن مروان ورجل من آل صُوحان^(٣)

خطب عبدُ الملك بن مروان يوماً فلما بلغ الغلظة قام إليه رجل من آل صُوحان فقال: مَهْلاً يا بني مروان، تأمرون ولا تأثمرون، وتُنهَوْنَ ولا تنتهون، وتَعْظون ولا تتعظون، أفنَقْتَدِي بسيرتكم في أنفسكم، أم نُطِيع أَمْرَكُمْ بالسنتكم، فإن قُلْتُمْ اقتدوا بسيرتنا، فأني، وكيف، وما الحجة، وما المصير من الله؟ أنقُتدي بسيرة الظلّمة الفسقة الجورة الخونة، الذين اتَّخذوا مالَ الله ذولاً^(٤). وعبيده حوْلاً^(٥). وإن قُلْتُمْ اسمعوا نصيحتنا وأطيعوا أمرنا، فكيف ينصح لِغيره من يُعْش نفسه؟ أم كيف تجب الطاعة لمن لم تثبت عند الله عدالته؟ وإن قُلْتُمْ خذوا الحكمة من حيث وجدتموها، واقبلوا العِظة من سمعتموها، فعلام وليناكم أمرنا، وحكمناكم في دماننا وأموالنا؟ أمّا عِلِمْتُمْ أن فينا من هو أنطق منكم باللغات، وأفصح بالعِظات، فتخلّوا عنها وأطلقوا عقالها^(٦). وخلّوا سبيلها، يَنْتَدِبْ إليها^(٧). آلُ رسول الله (ﷺ) الذين شرّدتموهم في البلاد، ومرّقتموهم في كل واد. بل تُثَبِّت في أيديكم لانقضاء المدة، وبلوغ المهلة، وعِظَم المِحْنة،

(١) اسم موضع وهو المكان الذي قتل فيه ابن جرموز الزبير بن العوام وهو قافل من وقعة الجمل.

(٢) الحد: البأس، والمدّهن: المغشوش يريد أن يقول إن الزبير كان ذا شجاعة ولكنه طمع في بني عبد مناف وهم أشجع منه.

(٣) هم آل بيت عرفوا على شجاعتهم وجودهم بالفصاحة واللسن؛ قال معاوية لعقيل بن أبي طالب يوماً: ميز لي أصحاب على وأبدأ بآل صُوحان فإنهم مخاريق الكلام فقال "أما صعصعة فعظيم الشأن؛ قائد فرسان، قاتل أقران، يرتق ما فتق، وينفق ما رتق، قليل النظر، وأما زيد وعبد الله فإنهما نهران جاريان، يصب فيهما الخلجان، ويغاث بهما البلدان، رجلا جد لا لعب معه، وأما بنوهم فكما قال الشاعر:

إذا نزل العدو فإن عندي أسوداً تخلص الأسد النفوسا

(٤) جمع دولة بالضم أى تداولوه بينهم دون غيرهم.

(٥) ما خولك الله وأعطاك من العبيد والإماء وسائر النعم.

(٦) الضمير للخلافة.

(٧) انتداب إلى الأمر: أسرع إليه.

إن لكل قائم قدراً لا يعدوه، ويوماً لا يخطوه، وكتاباً بعده يتلوه، ﴿ لا يُعَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ﴾ ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾.

بين خالد بن يزيد وعبد الملك بن مروان

جاء عبد الله بن يزيد بن معاوية إلى أخيه خالد في أيام عبد الملك فقال: لقد هممت اليوم يا أخى أن أفتك بالوليد بن عبد الملك، فقال له خالد: بئس والله ما هممت به في ابن أمير المؤمنين وولى عهد المسلمين، فما ذاك؟

قال: إن خيلي مرت به فعبت بها وأصعزني، فقال له خالد: أنا أكفيك، فدخل على عبد الملك والوليد عنده فقال: يا أمير المؤمنين إن الوليد ابن أمير المؤمنين وولى عهد المسلمين، مرت به خيل ابن عمه عبد الله بن يزيد فعبت بها وأصغره، وكان عبد الملك مُطرقاً، فرفع رأسه وقال: ﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَةَ أَهْلِهَا أَذَلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ فقال خالد: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ فقال عبد الملك: أفي عبد الله تكلمنى؟ والله لقد دخل أمس على، فما أقام لسانه لحناً، فقال خالد: أفعلى الوليد تغول يا أمير المؤمنين؟

قال عبد الملك: إن كان الوليد يلحن فإن أخاه سليمان، فقال خالد: وإن كان عبد الله يلحن فإن أخاه خالد، فالتفت الوليد إلى خالد وقال له: اسكت يا خالد فوالله ما تُعَدُّ في العير ولا في النفير، فقال خالد: اسمع يا أمير المؤمنين، ثم التفت إلى الوليد فقال له: وَيَحْكُ فَمَنْ صَاحِبُ الْعِيرِ وَالنْفِيرِ غَيْرُ جَدِّي أَبُو سَفْيَانَ صَاحِبُ الْعِيرِ وَجَدِي عُثْبَةُ صَاحِبُ النْفِيرِ^(١)؟ ولكن لو قلت غنيمات وحبيلات، والطائف، ورحم الله عثمان، لقلنا صدقت^(٢).

(١) العير: الإبل تحمل الميرة، والمراد هنا عير قريش التي كان يقودها أبو سفيان، وترصدها رسول الله، فساحل بها أبو سفيان وترك بدرا يسارا. والنفير: القوم ينفرون للحرب، وهم هنا مشركو مكة الذين خرجوا يستنقذون العير تحت رئاسة عتبة بن ربيعة جد معاوية لأمه ولم يتخلف إلا بنو زهرة، فقبل فيهم المثل "لا في العير ولا في النفير".

(٢) يشير إلى ما كان من طرد رسول الله (ﷺ) الحكم بن العاص جد عبد الملك بن مروان بن الحكم إلى الطائف وإقامته هناك طريداً يأوى إلى حبيلات أى كريمات يستظل بها ويرعى غنيمات يشرب لبنها إلى أن آلت الخلافة إلى عثمان فريده للرحم بينهما، وقيل بأمر كان قد حصل عليه من رسول الله لو آلت إليه الخلافة.

بين عبد الملك وخالد بن عبد الله بن أسيد

جلس عبدُ الملك بنُ مروانَ يوماً وعند رأسه خالدُ بن عبد الله بن أسيد بن أبي العاص بن أمية وعند رجله أميةُ أختُ خالد، وأدخلت عليه الأموال التي جاءت من قبل الحجاج فوضعت بين يديه فقال :

"هذا والله التوفيز وهذه الأمانة، لا ما فعل هذا وأشار إلى خالد، استعملته على العراق فاستعمل كل مُلِطٍ فاسق^(١)، فأدوا إليه العشرةَ واحداً وأدى إلى من العشرةَ واحداً. واستعملت هذا على خراسانَ وأشار إلى أمية فأهدى إلى بِرْذَوْنَيْنِ حَطِمَيْنِ^(٢)، فإن استعملتكم ضيَعْتُمْ، وإن عزلتكم قلْتُمْ استخفَّ بنا وقطع أرحامنا. فقال خالد:

استعملتني على العراق وأهله رجلاً، سامع مطيع مناصح، وعدو مبغضٍ مُكَاشِحٍ^(٣)، فأما السامع المطيع المناصح فإنما جزيناه ليزداد ودّاً إلى وده، وأما المبغض المكاشح فإنما داريناه ضيغته، وسلّلنا حقه، وكثّرنا لك المودّة في صُدور رعيّتك، وإن هذا^(٤) جَبَى الأموال، وزرع لك البغضاء في قلوب الرجال فيؤشّك أن تُنبتَ البغضاء فلا أموال ولا رجال.

فلما خرج ابن الأشعث على عبد الملك قال عبد الملك : هذا والله ما قال خالد.

بين عبد الملك وأحد عماله

بلغ عبدُ الملك أن عاملاً من عمّاله قبِلَ هديةً فأمر بإشخاصه إليه، فلما دخل عليه قال : أَقْبَلْتَ هدية منذ وليتك؟ قال يا أمير المؤمنين، بلادك عامرة، وخراجك موفور، ورعيّتك على أفضل حال، قال، أجب فيما سألتك عنه، أَقْبَلْتَ هدية منذ وليتك؟ قال: نعم فقال له:

لَئِنْ كُنْتَ قَبِلْتَ ولم تعوّض، إِنَّكَ لِلثَّيْمِ، وَلَئِنْ أَتَلْتَ مهديك لا مِنْ مالِكَ أَوْ اسْتَكْفَيْتَهُ ما لَمْ يَكُنْ يُسْتَكْفَاهُ، إِنَّكَ لَجَائِرُ خَائِنٍ، وَلَئِنْ كَانَ مَذْهَبُكَ أَنْ تَعْوِضَ الْمَهْدَى

(١) لطفه وألطه: جده.

(٢) يقال فرس حطم كفرح : إذا هزل وأسن فضعف وتهدم.

(٣) المكاشح : الذي يضمرك العداوة بين كشحيه ومثله الكاشح.

(٤) يعنى الحجاج.

إليك من مالك وقبيلت ما اتهمك به عند من استكفأك ويسط لسان عائبك وأطمع فيك أهل عملك، إنك لجاهل، وما فيمن أتى أمراً لم يخل فيه من دناءة أو خيانة أو جهل مُصْطَنَعٌ، ثم نحاه عن عمله.

بين عبد الملك والعجاج الراجز

دخل العجاج بن رُوَيْة على عبد الملك بن مروان فقال عبد الملك، يا عجاج بلغني أنك لا تقدر على الهجاء، فقال: يا أمير المؤمنين: من قدر على تشييد الأبنية أمكنه إخراب الأخبية. قال: فما يمنعك من ذلك؟ قال إن لنا عزاً يمنعنا من أن نُظْلَمَ، وإن لنا حلماً يمنعنا من أن نُظْلَمَ، فعلام الهجاء؟ فقال: لكلماتك أشعر من شعرك، فأتى لك عز يمنعك من أن تُظْلَمَ؟ قال: الأدب البارع، والفهم الناصع، قال: فما الحلم الذي يمنعك من أن تُظْلَمَ؟ قال الأدب المستطرف، والطبع التالد. قال: يا عجاج اقد أصبحت حكيماً. قال: وما يمنعني وأنا تجيُّ أمير المؤمنين؟.

بين الحجاج وكعب الأشقرى

لما هزم المهلب بنُ صُفْرَةَ الأزارقة وقتل خليفتهم عبد ربه الصغير أوفد بذلك إلى الحجاج كعب بن مَعْدَانَ الأشقرى، فلما دخل عليه قال له الحجاج: أخبرني عن بنى المهلب، فقال: المغيرة فارسهم وسيدهم، نازكية، وصعدة عالية^(١)، وكفى ببيزيد فارساً شجاعاً، ليث غاب، وبحر جُم غباب، وجوادهم وسخيهم قبيصة، ليث المغار^(٢)، وحامي الدمار، ولا يستحيى الشجاع أن يفر من مُدْرِك، وكيف لا يفر من الموت الحاضر، والأسد الخاد، وعبد الملك سُم ناقع، وسيف قاطع، وحبیب الموت الزعاف^(٣)، إنما هو طود شامخ، وفخر باذخ، وأبو غِيثَةَ البطل الهمام، والسيف الحسام^(٤)، وكفك بالمفضل نجدة، ليث هذار، وبحر مَوَّار^(٥)، ومحمد ليث غاب، وحسام ضرباب. قال: فكيف كانوا فيكم؟ قال: كانوا حُمة السرحِ نهاراً فإذا أَلِيلُوا ففرسان البَيَات^(٦). فقال: فأيهم كان

(١) الصعدة: القناة تنبت مستوية مثقفة.

(٢) المغار: مصدر ميمي أى الإغارة.

(٣) الزعاف وبالدال أيضاً: السم القاتل لساعته.

(٤) الحسام القاطع: من حسم الشيء قطعه.

(٥) الموار: المضطرب بأواجه.

(٦) السرح: السائمة تسرح المرعى، وأليوا: دخلوا فى الليل.

أنجد، قال: كانوا كالحلقة المفرغة لا يدري أين طرفاها، قال: فكيف كان لكم المهلب وكنتم له؟ قال: كان لنا منه شفقة الوالد، وله منابر قال: فكيف كان جماعة الناس؟ قال: على أحسن حال؛ أدركوا مارجوا، وأمنوا مما خافوا، وأرضاهم العدل، وأغناهم النفل^(١)، قال: فكيف كنتم أنتم وعدوكم؟ قال: كنا إذا أخذنا عفونا، وإذا أخذوا يئسنا منهم، وإذا اجتهدوا واجتهدنا طمعنا فيهم، فقال الحجاج: إن العاقبة للمتقين، كيف أفلتكم قطري^(٢)؟ قال: كذناه ببعض ما كادنا به فصرنا منه إلى الذي نصب، قال: فهلا اتبعتموه! قال: كان الحد عندنا آثر من الفل^(٣). قال: أكنت أعددت لي بعض هذا الجواب؟ قال: لا يعلم الغيب إلا الله، فقال الحجاج: هكذا تكون والله الرجال، المهلب كان أعلم بك حيث وجّهك، وأمر له بعشرة آلاف درهم، وحمله على فرس، وأوفده إلى عبد الملك، فأمر له بعشرة آلاف أخرى.

بين الحجاج وسليك بن سلكة

دخل على الحجاج سليك بن سلكة فقال:

أصلح الله الأمير، أعزني سمك، واغضض عني بصرك، واكفف عني غربك^(٤)، فإن سمعت خطأ أو زللا فدونك والعقوبة، قال: قل. فقال: عصى عاص من عرّض العشيرة، فحلّق على اسمي^(٥)، وهدمت داري، وحُرمت عطائي، فقال: هيهات أما سمعت قول الشاعر:

جَانِيكَ مَنْ يَجْنِي عَلَيْكَ وَرَيْمًا : ثَعْنَى الصَّاحِ مَبَارَكُ الْجُرْبِ
وَلَرِبَ مَاخُوْزٍ بِذَنْبِ عَشِيْرَةٍ : وَنَجَا الْمَقَارِفُ صَاحِبُ الذَّنْبِ

قال أصلح الله الأمير ولكني سمعت الله قال غير هذا، قال: وما ذاك؟ قال: قال ﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدًا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ * قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعًا عَنْدَهُ إِنَّا إِذَا لَطَالِمُونَ﴾ قال الحجاج: على

(١) بفتح فسكون الغنيمة والهيئة.

(٢) يريد قطري بن الفجاءة وكان خارجيا كعبد ربه ولكنه فر من وجه المهلب وثبت عبدربه.

(٣) الحد : الحديد. والفل : المفلول المكسور يعنى بالأول عبد ربه والثاني قطريا.

(٤) غرب السيف : حده.

(٥) أدير عليه بحلقة من المدار ليبعد من ديوان العطاء.

بيزید بن أبی مسلم^(١)، فأتی به فمَثَل بین یدیه فقال له: أفکک لهذا عن اسمہ واصکک له بعطائه^(٢)، وابن له منزله، ومر منادیا ینادی فی الناس: صدق الله وكذب الشاعر.

بین سلیمان بن عبد الملك ویزید بن أبی مسلم

ودخل یزید بن أبی مسلم علی سلیمان بن عبد الملك وكان دمیماً، فلما رآه قال: قَبَّحَ الله رجلاً أَجَرَكَ رسنه^(٣)، وأشركك فی أمانته، فقال له یزید: یا أمیر المؤمنین رأیتنی والأمرُ لك وهو عنی مُدْبِر، ولو رأیتنی والأمرُ علی مقبل لاستکبرت منی ما استصغرت، واستعظمت منی ما استحققت، قال: أترى الحجاج استقر فی قاع جهنم بعد؟ قال: یا أمیر المؤمنین لا تقل ذاك فإن الحجاج وطأ لكم المناбір، وأذل لكم الجبابر، وهو یجئ یوم القيامة عن یمین أبیک وعن یسار أخیک فحيث كانا كان.

بین خالد بن صفوان وهشام ومسلمة ابنی عبد الملك

قال هشامُ بن عبد الملك لخالد بن صفوان بن الأهتم وعنده جریر والفرزدق والأخطل وهو یومئذُ أمیر: صفهم لنا یا بن الأهتم فقال:

أما أعظمهم فخراً، وأبعدهم ذكراً، وأحسنهم عُذراً، وأسيرهم مثلاً، وأقلهم غزلاً، وأحلاهم غللاً، الطامی إذا رَحَرَ، والحامی إذا زَارَ، والسامی إذا خطر، الذی إن هدر قال، وإن خطر صال، الفصیحُ اللسان، الطویلُ العنان، فالفرزدق؛ وأما أحسنهم نعتاً، وأمدحهم بيتاً، وأقلهم فُوتاً، الذی إن هجا وضع، وإن مدح رفع، فالأخطل؛ وأما أغزرهم بحراً، وأرقهم شعراً، وأهتكهم لعدوه سِتراً، الأغرُّ الأبلق، الذی إن طالب لم یسبق، وإن طُلب لم یُلحق، فجریر، وكلهم ذکیّ الفؤاد، رفیع العمام، واری الزناد.

فقال له مسلمة: ما سمعنا بمثلک یا خالد فی الأولین ولا رأینا فی الآخرین، وأشهد أنك أحسنهم وصفاً، وألینهم عطفاً، وأعفهم مقالاً، وأكرمهم فعلاً، فقال خالد: أتمَّ الله علیکم نغمه، وأجزل لדיکم قسَمَه، وأنس بکم الغربة، وفرَج بکم الکربة، وأنت

(١) یزید بن أبی مسلم كان كاتب الحجاج وكان كلاهما مُبْعِضاً إلى سلیمان بن عبد الله كما سیتضح من الحوار الآتی.

(٢) اکتب له صکابه.

(٣) الرسن: محرکة الحبل وما كان من زمام علی الأنف، وأجره إياه : أى سلمه له ليقوده والرجل المقصود هنا الحجاج وكان یزید كاتبه كما تقدّم .

والله ما علمتُ أيها الأمير كريم الغراس، عالم بالناس، جواد في المحل، بسام في البذل، حلیم عند الطيش، في ذروة قريش، ولباب عبد شمس، ويومك خير من أمس، فضحك هشام وقال، ما رأيتُ كتخلصك يا بن صفوان في مدح هؤلاء ووصفهم حتى أرضيتهم جميعاً وسلمت منهم.

بين خالد بن صفوان وأخوال السفاح

دخل خالد بن صفوان على أبي العباس السفاح وعنده أخواله من بني الحارث ابن كعب فقال: يا خالد ما تقول في أخوالي؟ قال: هم هامة الشرف، وعزّنين الكرم، وغرّس الجود، إن فيهم خصالاً ما اجتمعت في غيرهم من قومهم، لأنهم أطولهم لِمَمًا^(١)، وأكرمهم شيما، وأطيبهم طُعماً، وأوفاهم ذمماً، وأبعدهم همماً، الجَمرة في الحرب، والرّفْد^(٢) في الجذب، والرأس في كل خطب، وغيرهم بمنزلة العَجَب^(٣) فقال: وصفت أبا صفوان فأحسننت، فزاد أخواله في الفخر، فغضب لأعمامه^(٤) فقال: افخر يا خالد على أخوال أمير المؤمنين وأنت من أعمامه فقال خالد:

وكيف أفاخر قوماً بين ناسج بُرد، ودابخ جلد، وسائس قرد، وراكب عَرْد^(٥)؟ دلّ عليهم هُدهُد^(٦)، وغرقهم جُرْد^(٧)، وملكتهم امرأة^(٨)، فأشرق وجه أبي العباس.

بين خالد بن صفوان ورجل من بني عبد الدار

فاخر خالد بن صفوان رجلاً من بني عبد الدار^(٩) فقال له العبدريُّ: من أنت؟ قال: أنا خالد بن صفوان، فقال: أنت خالد «كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ» وأنت ابن صفوان

(١) جمع لمة بالكسر وهي الشعر المجاوز لشحمة الأذن.

(٢) الرّفْد: بالكسر العطاء والصلة.

(٣) أصل الذنب ومؤخر كل شيء.

(٤) من مضر، وأخواله من قحطان.

(٥) العرد: الحمار وكانت تكثر باليمن الحمر وبسائر الجزيرة الخيل.

(٦) يشير إلى حديث الهدهد مع سليمان.

(٧) يشير إلى ما يزعمه المؤرخون من أن سبب سيل العرم كان قرض جرد لسد مأرب.

(٨) هي بلقيس ملكة سبأ.

(٩) عبد الدار أحد أبناء قصي قيل إنه نشأ مضطرباً دون إخوته فأعطاه أبوه دار الندوة ومفتاح الكعبة ليشرّف بهما.

﴿ كَمَثَلِ صَفْوَانَ عَلَيْهِ ثَرَابٌ ﴾ وَأَنْتَ ابْنُ الْأَهْتَمِ وَالصَّحِيحُ خَيْرُ مِنَ الْأَهْتَمِ^(١)، فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ : يَا أَخَا بَنِي عَبْدِ الدَّارِ أَتَتَكَلَّمُ وَقَدْ هَشَمْتُكَ هَاشِمٌ، وَأَمَتُّكَ أُمِيَّةٌ، وَخَزَمْتُكَ مَخْزُومٌ، وَجَمَحْتُكَ جُمَحٌ^(٢)؟ فَأَنْتَ عَبْدُ دَارِهِمْ تَفْتَحُ إِذَا دَخَلُوا، وَتُغْلِقُ إِذَا خَرَجُوا، فَقَامَ الْعَبْدِيُّ مَحْمُومًا.

بين المنصور وجعفر الصادق

لَمَّا حَجَّ الْمَنْصُورُ مَرَّ بِالْمَدِينَةِ فَقَالَ لِلرَّبِيعِ الْحَاجِبِ: عَلَيَّ بِجَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، قَتَلَنِي اللَّهُ إِنْ لَمْ أَقْتُلْهُ، فَلَمَّا كُشِفَ السِّتْرُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، تَقَرَّبَ جَعْفَرٌ وَسَلَّمُ فَقَالَ الْمَنْصُورُ: لَا سَلَامَ اللَّهُ عَلَيْكَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ، تَعْمَلُ عَلَى الْغَوَائِلِ فِي مُلْكِي، قَتَلَنِي اللَّهُ إِنْ لَمْ أَقْتُلْكَ، قَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ سَلِيمَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَيْهِ أُعْطِيَ فَشَكَرَ، وَإِنْ أَيُّوبَ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ، وَإِنْ يُوسُفَ ظَلِمَ فَغَفِرَ، وَأَنْتَ عَلَى إِرْتٍ مِنْهُمْ، وَأَحَقُّ مِنْ تَأْسَى بِهِمْ، فَنَكَسَ أَبُو جَعْفَرٍ رَأْسَهُ مَلِيًّا ثُمَّ رَفَعَهُ وَقَالَ لَجَعْفَرٍ: إِلَيَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ فَأَنْتَ الْقَرِيبُ الْقَرَابَةِ وَذُو الرَّجَمِ الْوَاشِحَةِ^(٣)، السَّلِيمُ النَّاحِيَةِ، الْقَلِيلُ الْغَائِلَةِ، ثُمَّ صَافَحَهُ بِيَمِينِهِ وَعَانَقَهُ بِشِمَالِهِ وَأَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى فَرَّاشِهِ، وَانْحَرَفَ لَهُ عَنْ بَعْضِهِ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ يَحَادِثُهُ وَيَسْأَلُهُ، ثُمَّ قَالَ : يَا رَبِيعَ عَجَّلْ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ كُسُوتَهُ وَجَائِزَتَهُ وَإِذْنَهُ.

بين المنصور والربيع بن يونس

دَعَا الْمَنْصُورُ بِالرَّبِيعِ بْنِ يُونُسَ حَاجِبِهِ وَوَزِيرِهِ فَقَالَ لَهُ : سَلَّنِي مَا تَرِيدُ فَقَدْ سَكَنْتُ حَتَّى أَنْطَقْتَ، وَخَفَفْتَ حَتَّى ثَقُلْتُ، وَقَلَّلْتَ حَتَّى أَكْثَرْتَ، فَقَالَ : وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَرْهَبُ بُخْلَكَ، وَلَا أَسْتَقْصِرُ عَمْرَكَ، وَلَا أَسْتَصْغِرُ فَضْلَكَ، وَلَا أَعْتَنِمُ مَالَكَ، وَإِنْ يَوْمِي بِفَضْلِكَ عَلَيَّ أَحْسَنُ مِنْ أَمْسِي، وَغَدُكَ فِي تَأْمِيلِي أَحْسَنُ مِنْ يَوْمِي، وَلَوْ جَازَ أَنْ يَشْكُرَكَ مِثْلِي بِغَيْرِ الْخِدْمَةِ وَالْمَنَاصِحَةِ لَمَّا سَبَقْنِي لَذَلِكَ أَحَدٌ، قَالَ : صَدَقْتَ، عَلِمِي بِهَذَا مِنْكَ أَحَلَّكَ هَذَا الْمَحَلَّ، فَسَلَّنِي مَا شِئْتَ، قَالَ : أَسْأَلُكَ أَنْ تَقَرَّبَ عَبْدُكَ الْفَضْلُ^(٤). وَتُؤَثِّرَهُ وَتَحْبَهُ، قَالَ: يَا رَبِيعَ إِنْ الْحُبَّ لَيْسَ بِمَالٍ يُوْهَبُ، وَلَا رُتْبَةٌ تَبْذَلُ، وَإِنَّمَا تُؤَكِّدُهُ الْأَسْبَابُ، قَالَ: فَاجْعَلْ لِي طَرِيقًا إِلَيْهِ بِالتَّفْضِيلِ عَلَيْهِ، قَالَ: صَدَقْتَ وَقَدْ وَصَلْتَهُ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ، وَلَمْ

(١) الهم : تكسر الأسنان من أصولها.

(٢) كل من ذكر من هامات قريش.

(٣) المشتبكة لشدة القرابة.

(٤) هو ابنه الفضل بن الربيع وقد وُزِّرَ للرَّشِيدِ بَعْدَ الْبَرَامِكَةِ وَابْنَهُ الْأَمِينَ وَبِهِ يَكْنَى الرَّبِيعُ.

أصل بها أحداً غير عُمومتي، لثعلم ما له عندي، فيكون منه ما يستدعى به محبتي، ثم قال: فكيف سألت له المحبة يا ربيع؟ قال: لأنها مفتاح لكل خير، ومغلاق لكل شر، تُستَرَّبها عندك عيوبه، وتصير حسناتٍ ذنوبه. قال صدقت.

بين المنصور ومعن بن زائدة

دخل معن بن زائدة الشَّيْبَانِيَّ على المنصور وقد أسنَّ فقارب في خطوه فقال له المنصور: لقد كَبُرَتْ سِنُكَ يا معن. قال في طاعتك يا أمير المؤمنين، قال: وإنك لَجُلْد. قال: على أعدائك يا أمير المؤمنين، قال: وإن فيك لَبَقِيَّة. قال: هي لك يا أمير المؤمنين، قال: فأَيُّ الدولتين أَحَبُّ؟ هذه أم دولة بنى أمية، قال: ذلك إليك يا أمير المؤمنين إن زاد برك على برهم كانت دولتك أَحَبُّ إليَّ.

بين معن بن زائدة وأحد رؤأره

دخل رجل على معن بن زائدة فقال له معن: ما هذه الغيبة؟ قال: أيها الأمير ما غاب عن العين من يذكره القلب، وما زال شوقي إلى الأمير شديداً وهو دون ما يجب له، وذكرى له كثيراً وهو دون قدره، ولكن جَفَوَةُ الحجاب وقلة بشر الغلمان منعاني من الإكثار، فأمر بتسهيل حجابهِ وأَجْزَلَ صلته.

بين المهدي ووزيره يعقوب بن داود

لما سَخِطَ المهديُّ على وزيره يعقوب بن داود أحضره فقال: يا يعقوب. قال: لَبَّيْكَ يا أمير المؤمنين تلبيةً مكروب لموجدتك، شَرَقَ بغصتك، قال: ألم أرفعُ قدرك وأنت خامل، وأسَيَّرُ ذكرك وأنت هامل، وألْبَسَكَ من نِعَمِ اللَّهِ تعالى ونعمي ما لم أجد عندك طاقة لحمله، ولا قياماً بشكره، فكيف رأيتَ اللَّهَ تعالى أَظْهَرَ عليكَ ورْدَ كَيْدِكَ إليك؟ قال: يا أمير المؤمنين إن كنتَ قلتَ هذا يَتَيَقَّنَ وعلم فإنني معترف، وإن كان بسعاية الباغين ونمائم العاندين فأنت أعلمُ بأكثرها، وأنا عَائِذُ بكرمك وعميم شرفك. فقال: لولا الحِنْتُ في دَمِكَ لَأَلْبَسْتُكَ قميصاً لا تُشَدُّ عليه أَرْزَاراً، ثم أمر به إلى السجن فتولى وهو يقول: الوفاء يا أمير المؤمنين كرم، والمودة رجم، وما على العفو ندم، وأنت بالعفو جدير، وبالمحاسن خليق، ولكنه بقي في السجن إلى أن أخرجته الرشيد.

بين الرشيد وأم جعفر بن يحيى

كانت أم جعفر بن يحيى قد أرضعت الرشيد وكفلته لأن أمه ماتت عن مهده، فكان الرشيد يشاورها مظهرًا لإكرامها والتبرُّك برأيها، وكان آلى وهو فى كفالتها ألا يَحْجُبَهَا، ولا استشفعته لأحد إلا شفَّعها، وآلت هى أن لا دخلت عليه إلا مأذونا لها، ولا شفعت لأحد مقترف ذنبًا، وكان الرشيد قد احتجب بعد قتل جعفر وحبس يحيى، فطلب الإذن عليه، ومنتت بوسائلها إليه، فلم يأذن لها ولا أمر بشئ فيها، فلما طال ذلك بها خرجت كاشفة وجهها، واضعة لثامها، مُحْتَفِيَةٌ فى مشيتها، حتى صارت بباب قصر الرشيد، فدخل عبدُ الملك بن الفضل الحاجبُ فقال: ظنُّرُ أمير المؤمنين بالباب^(١) فى حال تقلب شماتة الحاسد إلى شفقة أم الواحد، فقال الرشيد: وَيَخْكَ يا عبد الملك أو ساعية! قال: نَعَمْ يا أمير المؤمنين وحافية، قال: "أَدْخُلْهَا يا عبد الملك فربَّ كَبِدٍ غَذَّتْهَا، وَكُرْبَةٍ فَرَجَّتْهَا، وَعَوْرَةٍ سَتَرْتَهَا، فَدَخَلْتَ، فلما نظر الرشيد إليها داخلة محتفية قام محتفيا حتى تلقاها بين عمَد المجلس، وأكبَّ على تقبيل رأسها ومواضع ثدييها، ثم أجلسها معه فقالت: يا أمير المؤمنين أَيْعَذُو عَلَيْنَا الزمان، ويجفونا خوفاً لك الأعوان، ويُحَرِّدُكَ بِنَا الْبُهْتَانُ"^(٢).

وقد رَيَّيْتُكَ فى حجرى، وأخذتُ برضاعك الأمان من عدوى ودهرى؟ فقال لها: وما ذاك يا أم الرشيد؟ قالت: ظنُّرُك يَحْيَى وأبوك بعد أبيك: ولا أَصِفُهُ بأكثر مما عَرَفَهُ به أمير المؤمنين من نصيحته وإشفاقه عليه وتعرُّضه للَحْتَفِ فى شأن موسى أخيه^(٣)، قال لها: يا أم الرشيد أمرٌ سبق، وقضاء حُمٌّ^(٤)، وغضب من الله نفذ، قالت: يا أمير المؤمنين ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ قال: صدقت فهذا مما لم يَمْحُ اللَّهُ، فقالت: الغيبُ محجوبٌ عن النبيين فكيف عنك يا أمير المؤمنين؟ فأطرق مليا ثم قال: وإذا المنية أنشبت أظفارها .: أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لا تنفعُ

(١) الظنر: المرصعة ولد غيرها والعاطفة عليه.

(٢) أحرده: أغضبه.

(٣) تشير إلى ما كان من معاونة يحيى للرشيد فى التمسك بعهد أبيه أمام ما كان يريده أخوه موسى الهادى من نقل ولاية العهد عنه إلى ابنه.

(٤) حم: قدر

فقالت بغير زوئية: ما أنا ليحيى بتميمة يا أمير المؤمنين وقد قال الأول^(١):
وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد .: ذخراً يكون كصالح الأعمال

هذا بعد قوله عز وجل ﴿ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾، فأطرق ملياً ثم قال: يا أم الرشيد أقول:
إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكذب .: إليه بوجه آخر الدهر ثقب^(٢)

فقالت يا أمير المؤمنين وأقول:
سَنَقْطَعُ فِي الدُّنْيَا إِذَا مَا قَطَعْتَنِي .: يمينك فانظر أيَّ كَفٍّ تَبَدَّلُ

قال هرون: رضيتُ، قالت: فهبه لي يا أمير المؤمنين، فقد قال رسول الله (ﷺ):
"من ترك شيئاً لله لم يُوجدْه الله لفقده" فأكب هرون ملياً ثم رفع رأسه يقول: ﴿ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ﴾ قالت: يا أمير المؤمنين ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بَنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ واذكري يا أمير المؤمنين أليتك^(٣) ما استشفعتُ إلا شفعتنى، قال: واذكري يا أم الرشيد أليتك أن لا شفعت لمقترف ذنباً، فلما رأته صرَّح بمنعها ولأذ عن مطلبها أخرجت حُقاً من رُمْدَةِ خضراء^(٤) فوضعت بين يديه، فقال الرشيد: ما هذا؟ ففتحت عنه قُفْلاً من ذهب فأخرجت منه خَفَضَتَهُ^(٥) وذوائبه وثناياه قد غَمَسَتْ جميع ذلك في المسك، فقالت: يا أمير المؤمنين أستمشع إليك وأستعين بالله عليك وبما صار معي من كريم جسدك وطيب جوارحك ليحيى عبدك، فأخذ هرون ذلك فَلَثِمَهُ ثم استعبر وبكى بكاء شديداً وبكى أهل المجلس، ومرَّ البشير إلى يحيى وهو لا يظن إلا أن البكاء رحمة له ورجوع عنه، فلما أفاق الرشيد رمى جميع ذلك في الحق وقال لها: لَحَسَنٌ ما حَفِظْتَ الوديعَةَ، قالت: وأهلٌ للمكافأة أنت يا أمير المؤمنين، فسكت وأقفل الحق ودفعه إليها وقال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ﴾ قالت: والله يقول: ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ ويقول: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ

(١) هو الأخطل.

(٢) هذا البيت والذي بعده من لامية معن بن أوس المشهورة.

(٣) الألية: القسم.

(٤) الزمرد بذال ودال: حجر نفيس معروف.

(٥) خفضة الصبي: ختنه والأكثر استعمالها للصبيّة واستعمال الختن للصبي.

إذا عاهدتُم^(١)، فقال: وما ذاك يا أم الرشيد، قالت: أو ما أقسمت لي ألا تُحجبنى ولا تمتهننى؟ قال: أحب يا أم الرشيد أن نشترية مُحكَّمة فيه، قالت: أنصفت يا أمير المؤمنين وقد فعلتُ غير مُستقيلة لك ولا راجعة عنك، قال: بكم؟ قالت: برضاك عمن لم يُسخطك، قال: يا أم الرشيد، أمالى عليك من الحق مثل الذى لهم؟ قالت: بلى يا أمير المؤمنين، أنت أعرُّ على وهم أحبُّ إلى، قال: فتحكمى فى تمنية بغيرهم، قالت: بلى قد وهبته وجعلتك فى حل منه، وقامت عنه وبقي مبهوتا ما يُحير لفظه.

بين الرشيد وعبد الملك بن صالح

لما غضب الرشيد على عبد الملك بن صالح اتهمه بالعمل على أخذ الخلافة وحبسه، كان يستحضره أحيانا لسمع منه، فدخل عليه مرة فسلم فلم يرد عليه، فقال عبد الملك: ليس هذا يوما أحتج فيه، ولا أجاذب مُنازعا وخصما، قال: ولم؟ قال: لأن أوله جرى على غير السنة، فأنا أخاف آخره، قال: وما ذاك؟ قال: لم ترد على السلام، أنصف نصفة العوام، قال: السلام عليكم اقتداء بالسنة، وإيثارا للعدل، واستعمالا للتحية، ثم التفت نحو سليمان بن أبى جعفر فقال: وهو يخاطب عبد الملك:

أريدُ حياته ويريد قتلى .: عذيرك من خليلك من مراد (١)

ثم قال: أما والله لكأنى أنظر إلى شؤبوبها قد همع^(٢) وعارضها قد ألغ^(٣). وكأنى بالوعيد قد أدرى نارا تسطح، فأقلع عن براجم^(٤) بلا معاصم، ورءوس بلا غلاصم^(٥) فمهلا مهلا، فبى والله سهل لكم الوعر، وصفا لكم الكدر، وألقت إليكم الأمور أثناء أزمتها^(٦)، فنذار لكم نذار قبل حلول داهية خبوط باليد، لبوط بالرجل^(٧)، فقال عبد الملك: اتق الله يا أمير المؤمنين فيما ولاك، وفى رعيته التى استرعاك، ولا تجعل الكفر

(١) هذا البيت متمثل به وهو أبيات قالها عمرو بن معديكرب الزبيدي فى قيس بن مكشوح المرادى.

(٢) الشؤبوب: دفعة المطر. وهمع: هطل وهو يريد الفتنة التى كان يريد بها عبد الملك.

(٣) العارض: السحاب والمراد برقه.

(٤) جمع برجمة: وهى مفصل الأصبع.

(٥) جمع غلصمة: وهى رأس الحلقوم.

(٦) أثناء الشئ: طاقاته واحدها ثنى بالكس.

(٧) الخبط: الضرب الشديد. واللبط: الإسقاط على الأرض.

مكان الشكر، ولا العقاب موضع الثواب، فقد نَحَلْتُ^(١) لك النصيحة، ومحضت لك الطاعة^(٢)، وشددت أواخى ملكك^(٣) بأثقل من ركتي يَلْمُ^(٤)، وتركت عدوك مشتغلا، فالله الله في ذى رحمك أن تقطعه بعد أن يَلِثَ^(٥) بظن أفصح الكتاب لى بعَضْه^(٦) أو ببغى باغ ينهش اللحم^(٧) ويالغ الدم^(٨)، فقد والله سهلت لك الوعور، وذللّت لك الأمور، وجمعت على طاعتك القلوب فى الصدور، فكم من ليل تمام فيك كابدته، ومقام ضيق لك قمته، كنت فيه كما قال أخو بنى جعفر بن كلاب:

ومقام ضيق فرجته .: بينانى ولسانى وجدل
لو يقوم الفيل أو فياله .: زل عن مثل مقامى وزحل^(٩)

فقال الرشيد : أمّا والله لولا الإبقاء على بنى هاشم لضربت عنقك، ثم أعاده إلى السجن، فلم يزل به حتى توفى الرشيد فأطلقه الأمين وعقد له على الشام.
ولما خرج من السجن وذكر الرشيد وفعله قال يُبْرِئُ نفسه:

والله أن الملك لشيء ما نويته ولا تمنيته، ولا نصبت له ولا أردته، ولو أردته لكان إلى أسرع من الماء إلى الحذور^(١٠)، ومن النار إلى يبس العرفج^(١١)، وإنى لماخوذ بما لم أجن، ومسئول عما لا أعرف، ولكنه حين رآنى للملك قَمِينَا^(١٢)، وللخلافة حَظِيرَا^(١٣)، ورأى لى يدا تنالها إذا مُدّت، وتبلغها إذا بُسِطت، ونفسا تكمل الخصالها، وتستحقها بفعالها – وإن كنت لم أختَر تلك الخصال، ولم أصطَنع تلك الفِعال، ولم أترشّح لها فى

(١) صفيتها.

(٢) أخلصتها.

(٣) جمع أخيه وهى العروة.

(٤) جبل على مرحلتين من مكة جنوبا.

(٥) لزمته.

(٦) بكذبه ونميمته.

(٧) يتناوله بمقدم أسنانه.

(٨) يشربه بأطراف لسانه.

(٩) زحل : زلّ.

(١٠) المكان المنحدر.

(١١) شجر.

(١٢) جديرا.

(١٣) عظيم القدس

السر، ولا أشرت إليها في الجهر - ورأها تحنّ إلى حنين الوالدة الوالهة، وتميل إلى ميل الهلوك^(١)، وخاف أن ترغب إلى خير مرغّب، وتنزع إلى أخصب منزع، عاقبني عقاب من سهر في طلبها، وجهد في التماسها، فإن كان إنما حبسني على أنى أصلح لها وتصلح لي، وأليق بها وتليق بي، فليس ذلك بذنب جنيته فأتوب منه، ولا تطاولت له فأحط نفسي عنه، وإن زعم أنه لا صرف لعقابه، ولا نجاة من عذابه، إلا بأن أخرج له من جذ العلم والحلم والحزم، فكما لا يستطيع المضياغ أن يكون مصلحا، كذلك لا يستطيع العاقل أن يكون جاهلا، وسواء عليه أعاقبني على علمي وحلمي، أم عاقبني على نسبي وسني، وسواء عليه عاقبني على جمالي، أم عاقبني على محبة الناس لي، ولا أردتها لأعجلته عن التفكير، وشغلته عن التدبير، ولما كان فيها من الخطب إلا اليسير.

بين المأمون والفضل بن الربيع

لما ظفر المأمون بالفضل بن الربيع - وكان قد أغرى به أخاه الأمين - قال له: يا فضل أكان من حقّي عليك وحق آبائي ونعمهم عند أبيك وعندك أن تتلبّني^(٢) وتسبني وتحرض على دمي؟ أتحب أن أفعل بك ما فعلته بي؟ فقال: يا أمير المؤمنين إن عذري يُحَقِّدك إذا كان واضحا جميلا، فكيف إذا أخفته العيوب، وقبحته الذنوب؟ فلا يضيق عني من عفوك ما وسع غيري منك، فأنت كما قال الشاعر فيك: ^(٣)

صفوحٌ عن الأجرام حتى كأنه .: من العفول يعرف من الناس مجرما
وليس يبالي أن يكون به الأذى .: إذا ما الأذى لم يغش بالكُرّه مسلما

بين المأمون وإبراهيم المهدي

لما ظفر بعمه إبراهيم بن المهدي^(٤) أمر بإدخاله عليه، فجئ به يحجل في قيوده، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فقال له المأمون: لا سلم الله عليك ولا حفظك ولا رعاك ولا كلاك^(٥) يا إبراهيم، فقال له إبراهيم على رسلك^(٦) يا

(١) المتساقطة على الرجال.

(٢) تعيبنى.

(٣) هو الحسن بن رجاء.

(٤) لما عقد المأمون ولاية العهد لعلی الرضا العلوی أنكر العباسيون عليه ذلك وخلعوه من الخلافة وبايعوا بها عمه إبراهيم بن المهدي فأسرع إليه المأمون فهرب وتوارى ولكن المأمون ظفربه بعد.

(٥) حرسك.

(٦) على هينتك أي أروود قليلا فهي كما تقول رويدك.

أمير المؤمنين، ولّى الثأر مُحَكَّمٌ فى القصاص، والعفو أقرب للتقوى، ومن مدّ له الاعتذار فى الأمل هجمت به الأناة على التلف، وقد أصبح ذنبى فوق كل ذنب، كما أن عفوك فوق كل عفو، فإن تعاقب فبحقك، وإن تعف فبفضلك، ثم أنشأ يقول:

ذنبى إليك عظيمٌ .: وأنت أعظم منه
فخذ بحقك أو لا .: فاصفح بفضلك عنه
إن لم أكن فى فعلى .: من الكرام فكنه

فأطرق المأمونُ ملياً ثم رفع رأسه فقال: إني شاورت أبا إسحق والعباس^(١) فى قتلك فأشارا علىّ به، قال: فما قلبتَ لهما يا أمير المؤمنين؟ قال: قلت لهما: بدأنا له بإحسان ونحن نستأمره فيه، فإن غير فالله يغير ما به، فقال: أمّا أن يكونا قد نصحاك فى عظم قدر الملك وما جرت عليه عادة السياسة فقد فعلا، ولكن أثبتت أن تستجلب النصر إلّا من حيث عودك الله، ثم استعير باكياً. فقال له المأمون: ما يبكيك؟ قال: جَدلاً، إذ كان ذنبى إلى من هذه صفته فى الإنعام. ثم قال يا أمير المؤمنين إنه وإن كان جُرمى يبلغ سفك دمي فحلُمُ أمير المؤمنين وتفضُّله يُبَلِّغانى عفوهُ، ولى بعدهما شفاعَةُ الإقرار بالذنب، وحرمة الأب بعد الأب، قال المأمون: القدرة تذهب الحفيظة^(٢). والندم توبة، وعفو الله بينهما وهو أكبر ما يُحاول، يا إبراهيم لقد حببت إلى العفو حتى خفت ألا أوجر عليه، أما لو علم الناس ما لنا فى العفو من اللذة لتقربوا إلينا بالجنايات، لا تثريب عليك^(٣) يغفر الله لك، ولولم يكن فى حق نسبك ما يبلغ الصفح عن زلتك لبَلَّغك ما أملت حسن تَوْصُّلِكَ، ولطيف تنصُّلِكَ، ثم أمر برد ما له وضياعه فقال:

رددت مالى ولم تبخل علىّ به .: وقبل رذك مالى قد حَقَنْت دمي^(٤)

فأبت منك - وما كافأتها - بيد .: هما الحياتان من وفر ومن عدم^(٥)

مقاله ما لك - فاحتج منك - .: مقالته شاهد ما لا غرر متمم

بين إبراهيم بن المهدي وأحمد بن أبي دؤاد القاضي

تنازع إبراهيم بن المهدي هو ويختيشوع الطبيب بين يدَي أحمد بن أبي دؤاد القاضي في مجلس الحكم في عقار بناحية السواد^(١)، فزرى عليه إبراهيم^(٢) وأغلظ له، فأحفظ ذلك أحمد بن أبي دؤاد فقال: يا إبراهيم إذا نارعت أحداً في مجلس الحكم فلا أعلمن أنك رفعت عليه صوتاً ولا أشرت إليه بيد، وليكن قصدك أمماً^(٣)، وطريقك نهجاً^(٤)، وريحك ساكنة، وكلامك معتدلاً، ووفاً مجالس الحكومة حقوقها من التوقيير والتعظيم والاستكانة والتوجه إلى الواجب، فإن ذلك أشبه بك، وأشكل لمذهبك في محبتك، وعظيم خطرك^(٥)، ولا تعجل فرباً عجلة تهب ريثاً^(٦)، والله يعصمك من الزلل، وخطل القول والعمل، ويتم نعمته عليك كما أتمها على أبويك من قبل إن ربك حكيم عليم، فقال إبراهيم: أصلحك الله، أمرت بسداد، وحضضت على رشاد، ولست بعائد إلى ما يتلّم مروءتي عندك^(٧) ويسقطني من عينك، ويخرجني من مقدار الواجب إلى الاعتذار، فهأنا معتذر إليك من هذه البادرة^(٨) اعتذار مقرر بذنبه باجع بجرمه، فإن الغضب لا يزال يستفرني بمواده، فيردني مثلك بحلمه، وتلك عادة الله عندنا منك، وحسبنا الله ونعم الوكيل؛ وقد وهبتُ حقى من هذا العقار لبختيشوع، فليت ذلك اليوم يعول بأرث الجناية^(٩) ولم يتلف مال أفاد موعظة، وبالله التوفيق.

بين المعتصم وتميم بن جميل

قال أحمد بن أبي دؤاد: ما رأينا رجلاً عاين الموت فما هاله ولا أذهله عما كان يجب عليه أن يفعله إلا تميم بن جميل^(١٠) فإنه أوفى به الرسول باب أمير المؤمنين

(١) سواد العراق.

(٢) عابه.

(٣) قصداً : وسطاً.

(٤) واضحاً.

(٥) قدرك.

(٦) بطئاً.

(٧) ينقص.

(٨) ما يبدر في حدة وغضب من قول أو فعل.

(٩) الأرض : الدية.

(١٠) كان قد خرج على المعتصم بشاطئ الفرات فوجه إليه مالك بن طلق فظفر به وحمله إليه موثقاً.

المعتصم في يوم الموكب حين يجلس للعامة ودخل عليه، فلما مثل بين يديه دعا بالنطع^(١) والسيف فأخضرا، فجعل تميم ينظر إليهما ولا يقول شيئا، وجعل المعتصم يصعد النظر فيه ويصوبه، وكان جسيما وسيما، ورأى أن يستنطقه لينظر أين جناحه ولسانه من منظره، فقال يا تميم: إن كان لك عذر فأنت به أو حجة فأدل بها، فقال: أما إذ قد أذن لي أمير المؤمنين فأني أقول:

﴿ الحمد لله الذي أحسن كل شئ خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين * ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ﴾ جبر بك صدع الدين، ولم بك شعت المسلمين، وأوضح بك سبل الحق، وأحمد بك شهاب الباطل. يا أمير المؤمنين إن الذنوب ثخرس الألسنة الفصيحة، وتعيى الأفئدة الصحيحة، ولقد عظمت الجريمة، وانقطعت الحجة، وكبر الذنب، وساء الظن، ولم ينبق إلا عفوك أو انتقامك، وأرجو أن يكون أقربهما مني وأسرعهما إليّ، أولاهما بامتنانك وأشبههما بخلافتك، ثم أنشأ يقول:

أرى الموت بين السيف والنطع كامنا :. يلاحظني من حيثما أتلفت
وأكبر ظني أنك اليوم قاتلي :. وأى امرئ مما قضى الله يفلت
ومن ذا الذي يدلى بعذر وحجة :. وسيف المنايا بين عينيه مصلت
يعز على الأوس بن تغلب موقف :. يسئل على السيف فيه وأسكت
وما جزى من أن أموت وإننى :. لأعلم أن الموت شئ مؤقت
ولكن خلفي صبية قد تركتهم :. وأكبادهم من حسرة تتفتت
كأنى أراهم حين أنغى إليهم :. وقد خمشوا تلك الوجوه وصوتوا
فإن عشت عاشوا خافضين بغبطة :. أود الردى عنهم وإن مت موتوا
فكم قائل لا يبعد الله روحه :. وآخر جدلان يسر ويشمت

فتبسم المعتصم وقال: " كاد والله يا تميم أن يسبق السيف العذل^(٢)، اذهب غفرت لك الصبوة^(٣)، ووهبتك للصبية" ثم أمر بفك قيوده، وخلع عليه وعقد له بشاطئ الفرات.

(١) النطع كحمل وشمس وسبب وعنب : بساط من أديم، أحضر ليتلقى الدم.

(٢) العذل كسبب وشمس : اللوم، هذا مثل يضرب للشئ، يفوت أوانه.

(٣) جهلة الفتوة.

بين الواثق وابن أبي دؤاد

دخل أحمد بن أبي دؤاد على الواثق، فقال له الواثق: ما زال اليوم قوم في ثلبك ونقصك، قال يا أمير المؤمنين: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ﴾^(١) مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ وَاللَّهِ وَلِيَّ جَزَائِهِ، وَعِقَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ وَرَائِهِ، وَمَا نَالَ يَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْتَ نَاصِرُهُ، وَمَا ضَاقَ مِنْ كُنْتَ جَاراً لَهُ، فَمَا قَلْتَ لَهُمْ يَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: قَلْتُ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ:

وسعى إلى بعيب عزة معشر. .: جعل الإله خدودهن نعالها^(٢)

وقال له الواثق يوماً متضجراً بكثرة حوائجه: قد أخليت بيوت الأموال بطلباتك للأئذين بك، والمتوسلين إليك. فقال: يا أمير المؤمنين: نتأجج شكرها متصلة بك، وذخائرها موصلة لك، ومالي من ذلك إلا عشق اتصال الألسن بخلود المدح. فقال الواثق: "والله لا منعناك ما يزيد في عشقك، ويقوى في همتك فينا ولنا" وأمر فأخرج له خمسة وثلاثون ألف درهم.

بين ابن دؤاد والجاحظ

كان الجاحظ مختصاً بمحمد بن عبد الملك الزيات الوزير، مُحرّفاً عن أحمد أبي دؤاد القاضي، للمنافسة والشحناء بينهما، فلما نكب المتوكل ابن الزيات حمل الجاحظ من البصرة مقيداً وفي عنقه سلسلة وعليه قميص سمل^(٣)، فلما دخل على القاضي أحمد قال له: والله ما أعلمك إلا مُتناسياً للنعمة، كفوراً للصنعة، مَعْدِناً للمساوي، وما فَتَنَتْنِي باستصلاحى لك، ولكن الأيام لا تُصلح منك لفساد طَوَيْتِكَ، ورداءة دَخِيلَتِكَ، وسوء اختيارك، وغالب طباعك، فقال الجاحظ: خَفُضْ عليك - أيدك الله - فوالله لأن يكون لك الأمر على خيرٍ من أن يكون لى عليك، ولأن أسيئ وتُحسن، أحسن في الأحداث عليك من أن أحسن وتسيئ، ولأن تعفو عني في حال قدرتك، أجمل بك من الانتقام منى، فقال أحمد: والله ما علمتك إلا كثير تزويق الكلام، وحل عنه الغل والقيد، وأحسن إليه وصدره في المجلس.

(١) معظمه.

(٢) من قول كثير عزة، ويمثل به.

(٣) كخلق.

بين ابن أبي دؤاد وأبي العيناء

قال أبو العيناء: دخلت على ابن أبي دؤاد يوماً فقلت له:

إن قوماً من أهل البصرة قدِموا إلى سِرٍّ مَنْ رأى^(١) يَدُ علي^(٢) فقال: ﴿يَدُ اللَّهِ
فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ فقلت: إن لهم مكرأ فقال: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾، قلت إنهم
كثير، قال: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

(١) مدينة المعتصم والعاصمة الثانية للدولة.

(٢) ضد.

ثانياً : إبراهيم نافع

وحوارات للتاريخ

نقدم فيما يلي نماذج لفن الحديث الصحفي أجراها الأستاذ إبراهيم نافع مع الرئيس محمد حسنى مبارك. وقد ضمنها كتابة "حوارات للتاريخ". يقول فى تصدير هذا الكتاب:

"الحوار الصريح والمباشر مع الرؤساء والملوك، ينقل صورة صادقة وعفوية عن فلسفاتهم واتجاهاتهم واهتماماتهم وهمومهم، قد تفوق كثيراً ما تنقله عشرات التحاليل المطولة والبيانات المسهبة، وذلك نظراً لما يتسم به الحوار من تلقائية وتركيز على الشواغل الآنية التى تهم الناس جميعاً. ويوفر هذا الحوار بدوره مادة خصبة للدراسة والتحليل واستخلاص النتائج، على نحو أكثر عمقاً وصدقاً، ممع يجعل إصدار الأحكام بناء على ذلك أشد استناداً إلى الواقع والحقيقة.

وهذا الكتاب^(١). يرسم بانوراما عريضة لفكر وشواغل مجموعة مؤثرة من القادة والزعماء ذوى الدور المتميز فى حياة بلادهم وأمتهم، ويمثل شهادة للتاريخ تسجل المشكلات الأكثر إلحاحاً للمنطقة العربية والعالم، وموقف القادة من معالجاتها، والنهج الذى يتبعونه فى التصدى لها، وحجم ما حققوه من إنجازات وما يسعون لتحقيقه من وعود وتعهدات، والقصد منه إلقاء الضوء على شخصية هؤلاء القادة وأهدافهم وأساليبهم فى العمل، الأمر الذى يساعد كثيراً فى فهم الاتجاه الذى تسير فيه الأمور فى المنطقة والفلسفات، التى تحرك القائمين على أمور الناس فى هذه البقعة المهمة من العالم بكل المقاييس. وهو ما أدعوا الله أن أكون قد وفقت فيه، أولاً بإجراء هذه الأحاديث، وبنوعية الأسئلة التى تضمنتها، والتى أرجو أن تكون قد أجابت على ما يهم الناس معرفته، وأخيراً بإصدار هذا الكتاب.

إبراهيم نافع

(١) إبراهيم نافع : حوارات للتاريخ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ١٩٩٧،

دور مصر إقليمياً وعربياً.

دائماً، فإن الرئيس مبارك، يدرك الثقل الذي يتميز به الدور المصرى إقليمياً وعالمياً. ولهذا فإنه حين يتحدث عن أزمة الديون التى ترهق الاقتصاد المصرى، فإنه لا يفكر فى الأوضاع المصرية وحدها، وإنما يتناولها فى إطار الدور القيادى الذى تلعبه مصر فى العالم الثالث، وفى إطار الأهمية الاستراتيجية التى تمثلها مصر بالنسبة لدول العالم الغنية، أو ما يسمى بالعالم الأول.

ودائماً، كذلك، فإن الرئيس مبارك لا يغفل الأوضاع الداخلية، وإنما هو يميل دائماً إلى اتباع سياسات عملية حتى ولو كانت تحتاج إلى نفس طويل.

وأهم ما يميز هذه السياسات العملية هو الاتجاه بها نحو طرح البدائل الممكنة. ولهذا فإن أزمة البطالة – فى فكر الرئيس مبارك – يمكن أن تجد الحل التدريجى باتباع خطوات عملية.

فحين قرر الرئيس مبارك أن مصر فى حاجة إلى توفير ٤٠٠ ألف فرصة عمل سنوياً، فإنه اتجه إلى :

- أولاً: تمكين القطاع الخاص من توفير ٢٥٠ ألف فرصة منها.
- ثانياً: تشجيع الزراعة، بتجهيز الأرض بالمرافق وبيعها للاستزراع بسعر رمزى
- ثالثاً: نشر الصناعات الصغيرة بإضافة ٣٠ منطقة مجمعات صناعية جديدة.

وفى حوارى معه فى ١٩ ديسمبر ١٩٨٨ :

- قال الرئيس حسنى مبارك: إن مشكلة الديون، وإعادة جدولتها، بالإضافة إلى التركيز على قضية التنمية فى مصر، سوف تحكم تحركات الرئيس الخارجية والداخلية على مدى العام الجديد (١٩٨٩).

وأكد الرئيس مبارك أن مشكلة الديون أصبحت تقلق وتزعج دول العالم جميعها الغنية منها والفقيرة، مع اختلاف ظروف كل منها بطبيعة الحال، وقال إن العالم الثالث، أو بوصف أدق الدول الفقيرة قد تعثرت خطوات التنمية فيها بشكل واضح وملحوظ على

مدى السنوات الثلاث الماضية، بسبب تزايد الديون وما تتطلبه خدماتها من فوائد. وأوضح الرئيس أن ديون الدول النامية قد ارتفعت في هذه الفترة من ٩٠٠ مليار دولار إلى ما يزيد على ١١٠٠ مليار دولار، أى أن الزيادة في مديونية هذه الدول ترتفع بمعدل يتراوح بين ٨٠ و ١٠٠ مليار دولار سنوياً، وقد يبدو من ذلك أن هناك تمويلاً جديداً، أو قروضاً جديدة تتدفق على الدول النامية، لكن الحقيقة - فيما قطع به الرئيس - أن ذلك غير صحيح على الإطلاق فربح هذه الديون فقط يمثل بالفعل تمويلاً جديداً، والباقي يمثل في حقيقة الأمر زيادة في المديونية بسبب تراكم فوائد الديون، بالإضافة إلى فوائد تأخير السداد.

أما بالنسبة للدول الغنية - فيما أضاف الرئيس - فقد بدأت تشكو هي الأخرى بسبب توقف الدول الفقيرة عن استيراد الآلات والمعدات التي تمثل نسبة ٤٠ في المائة من إجمالي إنتاج المصانع في الدول الغنية، وهو الأمر الذي يهدد استمرار هذه الصناعات، وتحقيق العوائد الاقتصادية منها، فضلاً عما يمكن أن يؤدي إليه هذا الوضع من كساد وبطالة.

على أن الأهم من ذلك كله، في رؤية الرئيس مبارك، هو أن أغلب المنازعات الإقليمية التي تقع في دول العالم الفقيرة التي كانت تستورد السلاح من الدول الغنية، قد أخذت طريقها إلى الحل، وكان توقفها عن الأرجح بسبب الظروف الاقتصادية الخطيرة لبعض أطراف هذه المنازعات، ومن ثم سوف تنخفض بالضرورة وارداتها من السلاح مما يضاعف من تخوف الدول الغنية المصنعة له من تأثيرات ذلك على مستقبلها الاقتصادي والمالي.. وبالقطع الاستراتيجي أيضاً. وبالتالي تعود الكرة من جديد إلى ملعب الدول الغنية.

وقال الرئيس مبارك إنه بالرغم من هذا الموقف الصعب والمعقد الذي يواجهه العالم كله، غنيه وفقيره، فإن الدول الغنية لا تزال تصر على عدم زيادة مساعداتها أو تمويلها للدول الفقيرة، إلا إذا تلقت إشارة خضراء من المؤسسات المالية الدولية، تؤكد قبول الدول الفقيرة "الروشتة التقليدية" التي يفرضها صندوق النقد الدولي والتي يشارك فيها الآن معه، للأسف، البنك الدولي للإنشاء والتعمير. والغريب هو أن المؤسسات المالية الدولية تركز دائماً في هذه "الروشتة" على الجانب المالي فقط الذي يؤثر بطبيعة الحال على البعد الاجتماعي في البلد المدين.. وهو ما لا يمكن أن تتجاهله

الحكومات، حتى لو اعترفت بأنها قد تأخرت بعض الوقت في السير على طريق الإصلاح الاقتصادي والاجتماعي؛ بما كان واجبا عليها اتخاذه من إجراءات، فنجد أن هذه المؤسسات – فيما ذكره الرئيس على سبيل المثال – تركز على خفض العجز في الموازنة عن طريق إقرار الحكومات المدينة لإجراءات صعبة كتجميد الأجور أو رفع الدعم عن السلع والخدمات المختلفة، أو زيادة الأسعار للحصول على موارد أكبر. وجميع هذه الإجراءات تلقى بالضرورة بعبء إضافي على كاهل المواطنين.

ضرورة الاستمرار في التمويل مع خفض فوائد الديون

لذلك فإن إيجاد حل لمشكلة الديون أصبح في رأى الرئيس مبارك هدفاً أساسياً لكل من الدول الفقيرة والغنية أيضاً، ليس حبا في الدول النامية، ولكن تحقيقاً لمصلحة الدول الغنية بالدرجة الأولى، لكي تتمكن من زيادة تصدير السلع للدول الفقيرة، وحتى تتمكن الأخيرة من مواصلة تنفيذ خطط التنمية لكي تزيد من صادراتها، وبالتالي تضاعف من دخلها من النقد الأجنبي، الذي تستعيد به قدرتها على سداد الديون. وتحقيق هذا الهدف الذي تفيد منه الدول الغنية يفرض على المؤسسات المالية الدولية – فيما يطالب به الرئيس مبارك – الاستمرار في تمويل الدول الفقيرة دون تمسك بالشروط القاسية التي لا تطيقها، بسبب تأثيرها الحتمي على الاستقرار الاجتماعي بها. على أن يقترن استمرار التمويل بضرورة خفض فوائد الديون وإعفاء الدول النامية من جزء منها على الأقل. وهذا ما نادى به الكويت باعتبارها أكبر دول العالم الدائنة، ووافقت عليه بعض الدول الغنية وفي مقدمتها فرنسا واليابان.

يطالبون مبارك برئاسة منظمة الوحدة الإفريقية.

وفي ضوء هذه الرؤية المتكاملة لحل مشكلة الديون الذي أصبح مطلباً حتمياً لدول العالم بغير استثناء، يتوجه الرئيس مبارك إلى زيارة إفريقيا في يوليو القادم، لحضور مؤتمر القمة الإفريقي الخامس والعشرين باعتبار أن مشكلة الديون سوف تكون الموضوع الأساسي في جدول أعمال المؤتمر، بعدما أخذت المشكلات السياسية الحادة التي تواجه الدول الإفريقية طريقها إلى الحل. وهناك قيادات إفريقية كثيرة تطالب الآن الرئيس مبارك بأن يرأس منظمة الوحدة الإفريقية إيماناً بأهمية وتأثير دور مصر في الفترة القادمة، وبالأخص فيما يتعلق بحل مشكلة الديون.

ودفعاً لقضية التنمية اللصيقة التي تمثل المحور الثانى لحركة الرئيس مبارك خارجياً وداخلياً خلال العام الجديد، يزور الرئيس أيضاً فى الأشهر القليلة القادمة بعض دول الشرق الأقصى بدءاً باليابان والصين والهند، وبعض الدول الأخرى، يقوده فى هذه الزيارات ثلاثة أهداف رئيسية تهم مصر: الإسهام بأكبر جهد فى انطلاقة حركة عدم الانحياز التى تعود الآن إلى سابق عهدها، والتى ينتظر أن تنمو وتنطلق أكثر فى العام الجديد، وثانياً: نقل التكنولوجيا من الدول التى يزورها إلى مصر، وخاصة فى مجالات الزراعة والإنتاج الغذائى، وتأتى فى هذا الإطار تجربة الهند الخاصة فى زيادة إنتاجية الأرن، فضلاً عن دراسة الخبراء الذين يرافقون الرئيس فى زيارته القادمة لدول الشرق الأقصى لأوجه التقدم فى مجالات الصناعات الصغيرة التى يهتم الرئيس نشرها فى مصر على أوسع نطاق، ثم يتجه الهدف الثالث للزيارة إلى استثمار علاقة مصر الجيدة مع اليابان فى مناقشة خططها لمساعدة دول العالم الثالث، ومدى إفادة مصر.

استثمار العلاقات الممتازة لمصر مع الشرق والغرب.

ويتحقق هذا التحرك المرتقب للرئيس مبارك، بما يخدمه من أهداف، فى ضوء العلاقات الممتازة التى أصبحت تربط مصر فى السنوات الأخيرة، ولأول مرة فى تاريخها، مع كافة دول الشرق والغرب على السواء، بغير تعارض مع العلاقة الخاصة بين مصر والولايات المتحدة الأمريكية، والتى من المنتظر فى إطارها أن يكون الرئيس مبارك من أوائل رؤساء العالم الثالث الذين يجتمع بهم الرئيس الأمريكى المنتخب "جورج بوش" عقب تقلده مهام منصبه، لبحث أبعاد التحرك مع الإدارة الأمريكية الجديدة، وسوف يقترن ذلك - فيما أعلم - باجتماع الرئيس مبارك مع رئاسة صندوق النقد الدولى لبحث مشكلة الديون وإعادة جدولتها وخفض سعر الفائدة عليها.

وفى توقيت لاحق، يخدم أيضاً قضيتى الديون والتنمية، يزور الرئيس فرنسا فى ١٤ يوليو القادم فى مناسبة احتفالها بعيدها القومى، وهو ذات التوقيت الذى يعقد فيه مؤتمر بباريس لرؤساء الدول الصناعية الكبرى السبع - أمريكا واليابان وفرنسا وإنجلترا وألمانيا وكندا وإيطاليا - وسوف تكون بالقطع فرصة طيبة لكى يناقش الرئيس معهم مشكلة الديون فى الدول النامية، واحتياجاتها لنقل التكنولوجيا من هذه الدول الصناعية الكبرى لزيادة عائدات التنمية من النقد الأجنبى الذى يعينها على سداد الديون.

وهذا البرنامج المتوقع لزيارات الرئيس الخارجية خلال العام الجديد، لا يمنع بطبيعة الحال أن يقوم الرئيس مبارك بزيارات لبعض الدول الأوروبية الأخرى وبعض الدول العربية، وفي ذهنه أهمية تنشيط دور الصناديق العربية في مجالات التنمية في مصر وزيادة الاستثمار فيها.

طريقان لخفض تكس العمالة في القطاع الحكومي

على أن الأولوية الأولى في كافة تحركات الرئيس خلال العام الجديد سواء الخارجية أو الداخلية والتي سوف يواصل بها زيارته المستمرة لمواقع الإنتاج، ستظل تتركز في القضيتين المتلازمتين : حل مشكلة الديون، والإسراع بمعدلات التنمية..

فالمؤكد في حسابات الرئيس القائمة على الدراسة الدقيقة لاحتياجاتنا أنه لا بد خلال السنوات القليلة المقبلة من خلق ٤٠٠ ألف فرصة عمل سنوياً وهو يعلم أن الحكومة والقطاع العام مجتمعين لن يتمكنوا من توفير أكثر من ١٥٠ ألف فرصة عمل كحد أقصى، ولا بد للقطاع الخاص أن يوفر ٢٥٠ ألف فرصة عمل الباقية، والرئيس يرى أن تحقيق ذلك لا يتم إلا عن طريق تشجيع الزراعة والصناعات الصغيرة، ويرى أن تشجيع الزراعة يكون بتوفير المرافق الرئيسية بتمهيد الطرق وشق ترع الري وإقامة محطات الكهرباء، ثم بيع الأرض المستصلحة بمرافقها بأسعار رمزية لاستزراعها. وفي مجال نشر الصناعات الصغيرة يرى الرئيس أن هذا يتطلب أساساً زيادة عدد مناطق المجتمعات الصناعية المماثلة القائمة حالياً في مدن العاشر من رمضان والعامرية والسادات، بحيث تصل على الأقل إلى ٣٠ منطقة للمجتمعات الصناعية، وبهذا فقط يمكن تصويب الوضع الفريد للعمالة في الحكومة والقطاع العام، والتي تقول الإحصاءات الأخيرة إن هذين القطاعين يضمن ٥ ملايين من العاملين يمثلون عُشر المجتمع المصري، من بينهم ٣ ملايين و٣٠٠ ألف يعملون في الحكومة بما يمثل ٧ في المائة من تعداد السكان في مصر، وهي أكبر نسبة للعمالة الحكومية في دول العالم، في حين أن الدول الشيوعية ذاتها غالبية أبنائها في القطاع العام.

على أن هذا التوجه - الذي يطالب به الرئيس - إلى الزراعة والصناعات الصغيرة لا يمنع، فيما يراه، أن توفر الدولة التمويل اللازم لمساندة جهود الأيدي المصرية

التي تتجه إلى العطاء في الميدانين، وضرورة أن يقرن التمويل بالمرونة الكافية في منحه لتيسير التشغيل والتمكين من الاقتحام والمواجهة مع فرص الإنتاج الجديدة.

وفي زيارات الرئيس المتتابة لمواقع الإنتاج في مصر برزت إيجابيات عديدة لقيت منه التقدير، وتكشفت سلبيات تابعها بالتقويم، فضلاً عما أتاحته هذه الزيارات – وهذا جانب هام لها – من فرص لتعرف المواطنين على إنجازات ومشروعات عديدة في كافة مجالات الإنتاج والخدمات، فلم تكن الغالبية منهم تعرف على سبيل المثال أن هناك مشروعات ضخمة نفذت تحت الأرض للتليفونات ومياه الشرب والصرف الصحي الذي شق له نفق هائل بامتداد ١٨ كيلو متراً تحت الأرض. ونذكر هنا أنه في ٣٠ يونيو القادم تنتهى مشروعات للكهرباء طاقتها ١٥٠٠ ميجاوات، وهو ما يعنى إضافة طاقة خلال عام واحد تماثل طاقة الكهرباء التي ينتجها السد العالي والتي تبلغ ١٦٠٠ ميجاوات.

التوجه العربى عقيدة ومبدأ:

التوجه العربى لدى الرئيس مبارك يرقى إلى درجة العقيدة والمبدأ، دون إغفال الدواعى السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى تدفع إلى مزيد من التقارب والتماسك الوفى لصالح كافة الشعوب العربية.

وقد شهد عام ١٩٩٠ جهداً مكثفاً فى هذا الصدد، وهو العام الذى شهد شهر أغسطس منه أكبر حالة انقسام عربى حادة وشاملة بدأت بأزمة الخليج؛ وما تداعى منها من زلزال هز العالم العربى بشدة عنيفة.

ويذكر للرئيس مبارك – أولاً – أنه أعاد مصر إلى دورها العربى، وأعادها إلى موضع القيادة.

ويذكر له – ثانياً – أنه استطاع أن يتجاوز حالة الانقسام العربى التى ورثها من حكم الرئيس السادات، والتى نتجت من الخلاف حول السلام مع إسرائيل.

ويذكر له – ثالثاً – أنه صاحب فكر عربى استراتيجى يمكن تلخيصه فيما يلى:

– أولاً: تحقيق قدر أكبر من التماسك فى الجبهة العربية، وذلك بتخفيف حدة الخلافات بين الأقطار العربية.

- ثانياً: وضع خطة عربية أو برنامج عمل عربي متكامل للتحرك على صعيد الأمن القومي بمعناه الشامل.

- ثالثاً: التخلص من الأخطار التي تهدد أمن واستقرار الأقطار العربية في الداخل والخارج، بما في ذلك محاولات التقسيم القانوني أو الواقعي التي يتعرض لها بعض الأقطار.

وقد جرى الحوار في ٦ نوفمبر ١٩٩٠ على النحو التالي:

لابد لنا كعرب أن نكون على مستوى التحدي لمواجهة التطورات الدولية:

السؤال الأول: ما هي أولويات العمل العربي في التسعينات، وكيف ترونها بترتيب أهميتها وأي طرق الاقتراب منها تجدونها كفيلة بتحقيق ما تتطلعون إليه في عالم متغير؟ أو بمعنى أدق: ما هي القضايا التي ترونها جديرة باهتمام الأمة العربية في ظروف مستحدثة تماماً ليس علينا فقط وإنما مع اتساع العالم كله؟ وأي الوسائل وأساليب العمل سوف تكون الأقدر على توجيه فعل الأمة العربية في حقبة التسعينات؟ وكيف يجب أن يتجه الخطاب العربي إلى أطراف العالم المؤثرة في تشكيله الجديد؟

الرئيس: لا شك أن الأوضاع الدولية تتغير بإيقاع غير مسبوق في هذه الفترة الدقيقة من تاريخ العالم، ولست بحاجة إلى أن أتطرق إلى الحديث عن هذه التطورات ومدلولاتها وانعكاساتها العميقة، ويكفي أن أشير إلى أن باحثاً أمريكياً متخصصاً وصف تلك التطورات في عبارة موجزة حين قال إنها تعني "نهاية التاريخ". ومن المؤكد أن هذا التغير الرهيب يفرض علينا في مصر، والوطن العربي على امتداده، أن نواجهه بأسلوب متطور، يمكن أن يكون على مستوى التحدي. ولكي نحدد الأسلوب الذي نختاره للتعامل مع هذا الموقف الجديد، علينا أن نشير إلى أهم ملامح التغير الذي يشهده العالم في العقد الأخير من القرن العشرين ومطلع القرن الجديد، وهي:

أولاً: اختفاء حدة الصراع الأيديولوجي والاستقطاب الدولي اللذين سيطرا على المسرح الدولي منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، وتسببا في فرض سياسات وأولويات معينة على كافة دول العالم في الشرق والغرب، والشمال والجنوب.

وثقلت هذه السياسات أساساً فى سياق التسليح وتخصيص ميزانيات ضخمة لحيازة الأسلحة المتطورة ومنها السلاح النووى، والإعداد لحدوث مواجهة نووية سوف يترتب عليها إنهاء كافة صور الحياة على الأرض، وهو ما جعل معظم سكان العالم فى رعب من المستقبل ويفتقدون الشعور بالأمن والطمأنينة رغم التكتلات العسكرية المزودة بأحدث الأسلحة.

ثانياً: الاتجاه نحو إقامة الكيانات الاقتصادية الكبيرة التى تزيد من قدرة الدولة على مواجهة المشاكل والمطالب المتصاعدة.

ثالثاً: صعود التحدى الاقتصادى إلى قمة الأولويات الداخلية فى جميع الدول، لا فرق فى هذا بين الدول الصناعية المتقدمة والدول النامية التى تعاني من مشاكل طاحنة. وقد اقترن هذا التحدى بعنصرين أصبحت لهما صفة العالمية، أولهما هو ضرورة استيعاب التكنولوجيا الحديثة فى الإنتاج الزراعى والصناعى والخدمات، والثانى هو عامل البيئة وضرورة حمايتها من الأخطار المحدقة بها والتى أصبحت تهدد الحياة على الكرة الأرضية. خطة عربية متكاملة لتطوير الإنتاج ومواكبة طفرة التكنولوجيا:

وإذا عدنا للسؤال الذى طرحته، فإننى أضع أولويات العمل العربى فى العقد القادم على النحو التالى:

أولاً: تحقيق قدر أكبر من التماسك فى الجبهة العربية، وذلك بتخفيف حدة الخلافات القائمة بين الأقطار العربية، بحيث يكون الوطن العربى قادراً على التصدى بقوة وفعالية للتحديات المستجدة، وطالما أن العالم سوف يشهد قريباً ظهور تجمعات قوية فى أمريكا الشمالية وأوروبا الموحدة. — بدرجة أو بأخرى — والشرق الأقصى، فإن قدرة الدول العربية وغيرها من بلدان العالم الثالث على التعامل مع هذه التكتلات سوف تتوقف إلى حد كبير على حجمها والثقل الاقتصادى والسياسى الذى تمثله. وباختصار فإنه لن يكون هناك مكان يذكر للكيانات الصغيرة، ويعنينا بالدرجة الأولى فى هذه المنطقة أن نزيد من قدرتنا على التعامل مع الكيان الأوروبى الذى يتحرك بسرعة فى اتجاه الوحدة، حتى إذا كانت هناك قيود أو حدود معينة لهذه الوحدة، وإننى أتساءل كيف تستطيع دولة من دول جنوب حوض البحر المتوسط أو البحر الأحمر أو

الخليج أن تتعامل وحدها مع هذا العملاق الجديد الذى لن يقتصر على دول السوق الأوروبية، بل إنه سوف يمتد إلى دول شرق أوروبا عاجلاً أو آجلاً.

ثانياً: وضع خطة عربية أو برنامج عمل عربى متكامل للتحرك على صعيد الأمن القومى بمعناه الشامل، وتطوير وسائل الإنتاج وتنمية الموارد الطبيعية والبشرية وتطوير نظم التعامل بما يمكن الوطن العربى من مواكبة الطفرة التكنولوجية والتقدم العلمى الهائل الذى نشهده فى الحاضر والمستقبل القريب.

ويجب أن نحرص على ألا تكون هذه الخطة العربية خطة نظرية تعتمد على العبارات الإنشائية والبلاغة اللفظية، وأن تبتعد عن إطلاق الشعارات المستهلكة التى جربتها الشعوب وفقدت كل مصداقية لديها، وإنما يجب أن تعتمد الخطة منهجاً عملياً، وأن تشترك فى إعدادها الحكومات والمتخصصون والمثقفون، بحيث تأتى معبرة عما يشبه الإجماع القومى العام، وتكون خلاصة رؤية شاركت فى صياغتها جميع الفئات القادرة.

ثالثاً: التخلص من الأخطار التى تهدد أمن الأقطار العربية واستقرارها فى الداخل والخارج، بما فى ذلك محاولات التقسيم القانونى أو الواقعى التى تتعرض لها بعض الأقطار العربية الشقيقة مثل لبنان.

مصر تقوم بدور نشيط فى مواجهة المشاكل العربية والإفريقية

السؤال الثانى: ما هو الدور الذى يستطيع وطنكم بالذات أن يؤديه فى تحقيق هذه الأولويات؟ وما هى الاشتراطات الواجبة له حتى يستطيع تحقيق هذا الدور؟ وبالتالي ما الذى يجب أن يتوافروا الذى يتحتم على أمته العربية أن توفره له؟

الرئيس: مصر جزء من الأسرة العربية الكبيرة، كما أنها دولة تضطلع بدور هام داخل منظمة الوحدة الإفريقية وحركة عدم الانحياز وهى قادرة بحكم تاريخها ورصيد شعبها النضالى على القيام بهذا الدور الطليعى، ليس عن طريق فرض سياستها أو خياراتها على أحد، بل بالأساليب الآتية:

أولاً: بتقديم النموذج الصالح لاقتحام المشاكل ومواجهة التحديات، فى ظل مناخ من الاستقرار الاجتماعى والاقتصادى.

ثانياً: القيام بدور نشيط في مواجهة المشاكل التي تظهر على الساحتين العربية والإفريقية، وبالتعاون والتنسيق مع الأقطار الشقيقة المعنية بهذه المشاكل والمنازعات، ونحن ننطلق في هذا الدور من حقيقة أنه ليس هناك نزاع بيننا وبين أى قطر عربى أو إفريقى، وليس لدينا حسابات نريد تسويتها أو ارتباطات تتعارض مع مصالح الأقطار التى هى طرف فى المنازعات. كما أن مصر لا تؤمن بسياسة المحاور على الصعيد العربى أو الإفريقى ولا ترى مصلحة فى التفريق بين دول معينة المفروض أن مصلحتها واحدة.

ثالثاً: القيام بدور حلقة الوصل بين المناطق العربية المختلفة، فمن جهة، تعتبر مصر هى الجسر الذى يربط بين عرب المشرق وعرب المغرب. إن جاز هذا التعبير - ومن جهة أخرى تقوم مصر بدور خاص للربط بين المجالس العربية الثلاثة التى قامت فى العامين الأخيرين، باعتبار أنها مجالس لم تنشأ كتكتلات إقليمية منفصلة، بل هى قنوات للتنسيق داخل مجموعات متقاربة بهدف إعطاء دفعة للعمل القومى الشامل فى إطار جامعة الدول العربية التى هى فى حاجة إلى تعزيز فى المرحلة القادمة.

أما فيما يتعلق بالإمكانات التى يجب توفيرها لمصر حتى تتمكن من الوفاء بهذا الدور فهى العمل الجاد الحثيث، والجهد الصادق، ونحمد الله أن الإخوة العرب جميعاً يحيطون مصر بثقتهم وتأييدهم، ونحن لا نشعر بأننا وحدنا فى مواجهة أى تحد.

لا بد أن تكون للوفاق امتداداته على العالم الثالث:

السؤال الثالث: تشهد الساحة العالمية، وبالتحديد فى الاتحاد السوفيتى وأوروبا الشرقية، تحولات كبرى يمتد أثرها إلى أوروبا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية، وهذه التحولات سوف تؤثر بالتأكيد على التركيب الدولى كما عرفناه فى نصف القرن الأخير فكيف تتصورون شكل التركيب الدولى الجديد وعلاقات القوى بين أطرافه، وقوانين أو قواعد الحركة فى هذه الظروف الهائلة؟

الرئيس: من المؤكد أن العلاقات بين هذه القوى سوف تحكمها قواعد وقوانين جديدة تختلف جذرياً عن القوانين التى حكمت مرحلة الحرب الباردة، وأهم الاختلافات التى حدثت فى هذا الشأن هو أن الصراع بين الشرق والغرب لم يعد ينظر إليه باعتباره صراعاً حتمياً يقوم على أساس مفهوم الصراع الطبقي أو توازن قوة

الرعب النووي كما كان الحال فى العقود الثلاثة السابقة، وإنما يتحول هذا الصراع تدريجياً إلى منافسة سلمية تكون رعاها هى التقدم الاقتصادى والتكنولوجى والقدرة على الإبداع المستمر.

ويهمنا فى هذا المجال بصفة خاصة أن نضع تصوراً معيناً لانعكاس هذا التطور على القضايا والمشاكل الإقليمية، فليس من المعقول أو المقبول أن يقتصر الوفاق والانفراج على القوى الكبرى ولا تكون له امتداداته على دول العالم الثالث التى تمزقها الخلافات والصراعات، مع أنها أحوج ما تكون إلى كل قرش فى حوزتها فى عملية التنمية والتطوير الاقتصادى والاجتماعى.

ولكى تتحقق هذه النتيجة المرجوة، فلا يجوز أن يقتصر دور هذه البلدان على المطالبة بأن تشملها الموجة الجديدة التى تجتاح العالم فى هذه المرحلة، بل يجب أن تركز على التعبير عما هى مستعدة لتقديمه لإنجاح هذه الحركة والإسهام فى تطويرها لأن العالم الذى نعيش فيه اليوم وغداً ليس عالم عواطف ومشاعر، بل هو عالم مصالح يتحدد فيه دور كل دولة بقدرتها على الفعل والمساهمة.

الجفوة مع السودان:

ما هى رؤية الرئيس حسنى مبارك للحدث السودانى الكبير (ثورة الإنقاذ)؟ وماذا عن حقائق حالة "الجفوة" التى انتابت علاقات شطرى الوادى خلال الفترة القريبة التى سبقت إمساك القوات المسلحة السودانية بزمام الأمور؟

قال الرئيس مبارك : لابد أن يكون واضحاً تماماً أن علاقتنا بالسودان ظلت طول عمرنا طيبة للغاية.. ولو أن زعيماً من أحد البلدين حاول فى وقت من الأوقات أن يخلق مشكلة بين الشقيقين... فإنهما يستحيل أن ينفصلا يوماً عن بعضهما... ومن جانبى ظلت بطبعى أتعامل مع السودان على أفضل وجه... وذلك من منطلق فهمى الكامل للسودان ومختلف ما يتعلق به... وقد ظلت لى دائماً علاقات طيبة مع السودان... حتى منذ كنت فى القوات الجوية... ثم وأنا نائب للرئيس... واستمرت وأنا فى فترة الرئاسة الأولى... ومن بعدها الثانية... وهنا ينبغى أن أشير إلى حقيقة أخرى راسخة... وهى أننا فى مصر لم نعتد أبداً ولم نعرف عمرنا التدخل فى الشؤون الداخلية

لأية دولة... ولا نعمل على إزاحة زعيم... أو إعادة أو تعيين زعيم... هذا خيار الشعب السوداني... ونحن نتفهمه تماماً... ونتعامل مع الشرعية... صحيح أن علاقتنا مع نميري كانت طيبة جداً... ولكن ليس لشخص نميري... ولكن لأنه كان رئيس السودان... وكان من الأشخاص الذين يساعدون على حسن العلاقات... وكنا نتشاور معه باستمرار للمصلحة العامة المشتركة بين مصر والسودان... وحينما وقعت انتفاضة سوار الذهب... وجاء نميري إلى هنا... سألناهم في الحال : هل نبعث إليكم بنميري أو نقنعه بذلك... وأجابوا بالرفض... واعترفنا على الفور بشرعية الوضع... لأنه خيار السودان وليس قرارنا... ونحن لا نتدخل في شئون السودان ولا في شئون غيره... وبعدها جاء خيارهم التالي لحكم الصادق المهدي... وقلنا خيراً... ولم أكن أعرفه... ولا تقابلت معه من قبل... ولكن كنت أسمع عنه فقط... وأنا اعتدت ألا أحكم على إنسان من سماعى عنه... ولكن من خلال ما ألسه بالفعل من أعماله... فمن طبائع البشر أن يأتيك من يسمعك الكثير عن فلان الفلاني... وتسرع باتخاذ موقف منه... لكنى أؤثر دائماً انتظار الأفعال... فإما أن تؤكد ما سمعت... وأما أن يكون هراء لا أعول عليه... والحقيقة أن تصرفات الصادق المهدي بدت لنا غريبة... ففي أول مرة قابلته فيها في أديس أبابا في يونيو من عام ١٩٨٦... أمضى ساعة وربع الساعة في حديث عن علاقاته الخارجية ومدى رغبته في أن تكون طيبة جداً... وقلت له إننى أحاول أن تكون لمصر علاقات طيبة مع جميع دول العالم... ثم وجدته يؤكد لى أنه سوف ينهى مشكلة الجنوب... والمشكلة الاقتصادية... على آخر ديسمبر... أى بعد ستة أشهر من لقائنا... أقول لك الحق... أنا دهشت... كيف يمكن أن يحقق ذلك في سنة أشهر... لكننى تمنيت من كل قلبى أن يصبح ما يقوله حقيقة... فكلما كان السودان بخير... ارتحنا وسعدنا كثيراً...

قلت للرئيس: سيادتكم تكلمتم مع الرئيس الأنثيوبي مانجستو... وأظن أنه قال لكم - إن كان ما أعلمه صحيحاً - إن الصورة مختلفة بالكامل عن التى رواها الصادق المهدي...

الرئيس مبارك: حينما قلت لمانجستو - وكنا نتحدث معاً في أديس أبابا وتطرق الحديث إلى موضوع السودان - إننى علمت من رئيس وزراء السودان أن سوء التفاهم الذى قام بين أثيوبيا والسودان قد زال تماماً وأن مشكلة الجنوب سوف تحل نهائياً على شهر ديسمبر على أكثر تقدير... رد بقوله : أنا آسف... الصورة مختلفة تماماً

عما قيل لك... قلت له : غريبة... واستطرد مانجستو يؤكد لى حقيقة الموقف... قال:
الرواية ليست بهذه السهولة... إلا إذا كان الصادق المهدي سهلها لنفسه وهذا موضوع
آخر... ولم أشأ أن أعقب وظللت أستمع لكلام مانجستو... ولم تكن وساطتى لديه إلا من
أجل خاطر السودان أساساً... كانوا يطلبون منى ترتيب مقابلة بينه وبين الصادق
المهدي وكنت أتحدث مع مانجستو حول طلبهم ويستجيب الرجل بصدر رحب... ويؤكد
أنه مستعد للمقابلة... ولكن يحدث قبل موعد عقد المقابلة ببضعة أيام... أن يصدر
الطرف الثانى تصريحاً يعقد الموقف ويعيده إلى ما كان... ثم يعودون بعدها ويرجون أن
أتحدث مرة أخرى مع مانجستو... ولم أكن أناخر عن إجابة رجائهم رغم ما كان
يحدث... وبعدها استطاع الصادق المهدي بأسلوبه فى التعامل أن يعادى كل الأمة
العربية تقريباً... زار بلاد العالم وزار إيران وكان المنظر سيئاً للغاية... وآخر دولة زارها
مصر... وكان قد قام بتحسين علاقاته مع ليبيا. ورغم أننا لم نكن لنا علاقات مع ليبيا
وقتها.. قلت له من المصلحة العامة أن تكون لك علاقات وحسن جوار مع ليبيا... وليته
يأتى وقت نعمل فيه على أن تكون علاقاتنا أيضاً طيبة... نحن لا نريد أكثر من هذا...
أى أننى لم أقل له مثلاً لا لتحسين علاقاتنا مع ليبيا... المهم أن يضع الإنسان فى اعتباره
مصلحة بلده قبل كل شىء... لكننا اختلفنا حول موضوع نميرى... قال لى إن الشعب
السودانى يطلبه... لأنه ارتكب أشياء كثيرة... ويفهم من بقية كلماته أن نميرى سوف
يحكم عليه بالإعدام... أو شىء من هذا القبيل... فقلت له : اسمع... أنا أولاً لا أستطيع
أن أسلمه لأن الدستور يحرم ذلك... ثم ثانياً.. أنا عرضت أن أبعث إليكم يوم الانقلاب
ورفض المسؤولون وقتها... وكان أمراً بالغ الغرابة بالنسبة لى... بل أصابنى ذهول حين
سمعت أن الصادق المهدي رفع قضية ضدى فى مجلس الدولة... قلت له: حسنا أنت
اخترت القضاء... فلننتظر كلمته... ولا تكلمنى فى هذا الموضوع... والمهم أنه لم يجاملنى
القضاء... قضى بالحق وحده... لا بالمجاملة... ولا باتصال أحد بالقضاء... ونحن لا نفعل
هذا أبداً... لأننا نريد لقضائنا أن تكون له دائماً استقلاليته وأن يكون له كيانه... لكيلا
تقال كلمة عن قضائنا فى أية قضية فى الخارج أو فى الداخل. وانتهت المقابلة مع
الصادق المهدي على هذا النحو... ومضت فترة طويلة قبل أن يزور مصر... ومصر دائماً
سند السودان... فى أى مجال... ليس معنى هذا أننا نعطى له كل شىء... لكننا نحاول
المساعدة بالإمكانات المحدودة لظروفنا الاقتصادية... وبالاتصال بإخواننا فى العالم

الغربي أو العربي... وأحياناً نوظف اتصالاتنا لمصلحة السودان وشعب السودان... أى أننا نساعد بقدر ما نستطيع... وحين جاء المهدي وزير مصر... أكرمه أكثر من أية شخصية أخرى إلى حد أن دعوته على الإفطار في بيتي... وربما لم أفعل ذلك إلا مع قلائل... وعاد الصديق المهدي إلى السودان... ولكن لا فائدة... ذات الهجوم على مصر مستمر... كلام عن اتفاقية الدفاع المشترك... التقيت به مرة وقلت له : يا أخى الغها... وأنا سوف ألغيها بعدك بدقة... لكنى لا أريد أن أكون البادئ... لأنكم في السودان سوف تهاجمون مصر... وتقولون مصر ألغت الاتفاقية... ومصر تخلت عن مسؤوليتها الخ. أنت أولاً وأنا ألغى من بعدك... ولن أغضب فليس في ذلك شيء إطلاقاً... ولكن لا فائدة... وهذا الموضوع ظل مستمراً من عام ١٩٨٦... وأخيراً فقط قام بإلغاء الاتفاقية... وأرسل لنا خطاباً بذلك منذ شهر لا أكثر قبل أن يترك مكانه...

سألت الرئيس مبارك: أهم ما تضمنه خطابه من قضايا؟

الرئيس مبارك: بعث يقول إن الاتفاقية من عهد بائد... ودهشت... ما علاقتي بذلك... هل تسب لي السودانيون في خطابك... الخطاب مرفوض... لا ترسله لي... ابعث إلى رئيس الوزراء وقل له إنكم ترون الاتفاقية لا تحقق المصلحة... أو قل في حديث الأشقاء إلى بعضهم : إن الظروف في الجنوب تقتضى إلغاء الاتفاقية لأنهم يطلبون ذلك... ونرجوكم يا أشقاءنا في مصر أن تقدروا هذا... لتسهلوا لنا إنهاء مشكلة الجنوب... وبالقسط لن تعترض مصر... لأننا تهمنا مصلحة السودان... وقال المهدي إن هذه الاتفاقية عقدت بصورة فوقية وأنها لم تحقق شيئاً للسودان... وقلت إنه الأسلوب الذى عقد به اتفاقياته قبل ذلك... أى نقول له لا تتكلم كلاماً إعلامياً... أو كلام مصالح... أنت لم تفعل شيئاً جديداً... ولا شيئاً على الإطلاق معنا... بينما كنا حريصين على أن نساعد... وقال نلغى التكامل... وألغينا التكامل... وقلت أنا لا يهمنى... فعندما أقمنا التكامل والدفاع المشترك... كانوا هم الذين طلبوا ذلك من السادات من أجل السودان وليس من أجل مصر... ومعاهدة الدفاع المشترك هذه تلقى على عاتق مصر بالتزامات عديدة... وبالقسط لن نتأخر حتى لو لم تكن هناك اتفاقات... وعندما طلبوا فرقاً ودورات للعسكريين... لم نتأخر... اعتبرنا مصيرنا واحداً... وشرياننا واحداً... الذى نقدر عليه لا نتأخر عنه... والذى لا نقدر عليه... نحاول أن نساعدكم فيه شرقاً وغرباً...

عربياً وإسلامياً... ودولياً... لا نتأخر عنهم أبداً... بينما كان المهدي كلما يحدث شىء فى السودان يزج باسم مصر فى جملة مفيدة... وكأن مصر هى سبب التدهور فى السودان... وحتى عندما بعث له الضباط قبل ذلك بمذكرة علقها على مصر.. ولست أفهم ما علاقتنا بذلك... وكأنه يقول للشعب السودانى اكره مصر... وهو لا يعى أنه يجعل الشعب تتملكه حالة قرف من الحكام... لأن الشقيقتين مدركان تماماً لأبدية العلاقة بينهما... ولا أريد أن أخوض فى أمور عديدة غير طيبة تتابعت بعد ذلك... مثل موضوع قوارب الصيد وحبس الصيادين البسطاء بدون داع... قلت إننا لا نمسك بأحد... قالوا واحد دخل الحدود بدون إذن... قلنا حسن... ألا يدخل السودانيون ويخرجون هم وجمالهم من أيام درب الأربعين وحتى الآن دون أن نمسك بسودانى واحد ونسأله كيف دخلت؟ إن هذا لم يحدث أبداً... فضلاً عن أن طائراتهم تجىء وتعود مليئة ولا نقول شيئاً... وليس بيننا وبينهم تأشيرات دخول ولا شىء من هذا إطلاقاً... وحدث فى وقت من الأوقات أن أصدرنا تحقيق شخصية مصرياً سودانياً أيام نميرى وأقول لك الصراحة... إنه من التدهور الرهيب الذى كان يجرى فى السودان... كانت لدى حاسة سادسة بأنه لابد أن يحدث شىء فى السودان... لأن البلد كان مستمراً فى الانهيار من سيئ إلى أسوأ... الحقيقة أنا ليس لى دخل بالشئون الداخلية للسودان... لكن المهدي كان على أية حال جارى... ولذا قبلت التشاور معه... لكن كل مشكلة عنده كانت مصر... وحين نتوسط بينه وبين نميرى... يقول للبعض هى مصر حتلعب لعبة الوساطة. أنا سوف أخرجها وأطلب منها طلبات.. وفاته أنه حينما يطلب منى طلبات فوق طاقتى سوف أعتذر.. وحينما أعتذر يقول الناس إننى لا أريد أن أعطى... أى أنه يضحك على الشعب... لكن الشعوب ليست غبية... ومن هنا قلت له: أنا صريح وواضح... الذى أستطيعه لك سوف أفعله والذى لا أستطيعه سوف أقول لك. آسف لا أقدر بغير غضب... لكى تبحث عن طريق ثان... وإن كنت أملك مساعدة لك فيه فسوف أبادر بها لأنك شقيق... لكن الحقيقة أنه لم يكن يريد أن يحل ولا يريد أن يساعده أحد على الحل... فقط عندما يواجه الاختناق... يظهر للناس أنه يستخدم مصر للوساطة مع مانجستو... لكنه يختلف عن مقابلته مرتين وثلاث مرات... واشتكى لى مانجستو من الشكوى وكان محقاً فى شكواه. وكنت أقول لإخواننا السودانين الذين يأتوننى بتكرار طلب الوساطة... هل يعقل أن يحدث اتفاق فى نوفمبر من العام الماضى ساعدنا عليه بكل طاقتنا بين

الحزب الاتحادى وجارانج، وكنا سوف نقوم بنفس الدور لو أن حزب الأمة هو الذى ذهب إلى أديس أبابا وطلب المساعدة... لأننا لا نتعامل مع حزب واحد... ونترك بقية الشعب... هل يعقل أن يعقد هذا الاتفاق فى نوفمبر... ولا يوافق عليه مجلس الوزراء واللجان الدستورية... إلا فى أواخر مارس... خمسة شهور تمضى والقتال مستمر... لمصلحة من هذا؟... وكم ماتوا؟... وكم استهلك القتال من نفقات؟ لو أن النية كانت صادقة وحقيقية فى الإفادة من الاتفاق لثم التوقيع عليه فى اليوم التالى له... قلت لقيادتهم : هل لأن الاتحادى عقد الاتفاق... حزب الأمة يؤخر الموافقة عليه... ولو كان الأمة هو الذى عقده يقف أمامه الاتحادى بذات الأسلوب... يا جماعة هناك بلد اسمه السودان... لكن بدا لى أن السودان فى انهيار مستمر... انشغلوا كلية بالحديث عن الديمقراطية... والديمقراطية إن لم تكن لصالح الشعب... يكفر بها الشعب... وقد كفر بها فعلاً... وقامت الثورة... نحن لا دخل لنا بها... وقد سمعت بنبأ الانقلاب صباح يوم الجمعة مثل أى مواطن. أبعدوا قيادات... وجاءوا بقيادات... قلت خيراً... دم جديد يوقف من الانهيار الذى حدث... لكننا لا نتدخل... ولا نسهم فى أى انقلاب... كينا نساعد أية حكومة تتولى السلطة ونعتبرها إرادة الشعب... ولو سئلنا فى نصيحة نقول رأينا... يأخذ به قادة الثورة أو لا يأخذون... هذه مسألة ترجع إليهم... لأن السودان دولة مستقلة ذات سيادة لا نتدخل فى شئونها.

قلت: وتصور سيادتكم لمستقبل العلاقات مع مجلس قيادة الثورة فى السودان وقد شهد بدورك وتحرككم السريع للوقوف بجانب السودان؟

الرئيس مبارك: حتى الآن.. العلاقات طيبة... وارجوا أن تتحسن. نحن نساعد السودان بقدر ما نستطيع... رغم ظروفنا الصعبة... ونحاول أن نساعدكم فى المحافل الدولية... ونساعدكم مع إخواننا العرب... وكان أغلب العرب - إن لم يكن جميعهم بالأخص فى دول الخليج - قد وصلوا إلى حالة توتر بينهم وبين السودان... ويسبب تصرفات السيد الصادق المهدي مع إيران التى يكرر زيارته لها... فضلاً عن إحضار أعداد من الإيرانيين عنده... بينما إيران تضرب فى العراق والكويت. ورغم هذا ساعدنا بقدر ما نستطيع...

التأهب للقرن الحادى والعشرين.

مع اقتراب القرن الحادى والعشرين بكل ما يحمله من تحديات والتزامات، كان لابد من أن أجرى مع الرئيس محمد حسنى مبارك حواراً عميقاً للتأهب لدخول هذا القرن بكل تبعاته ومسئوليته، وكيف يجرى حشد الهمم والطاقات من أجل الوفاء بتطلعات وآمال المواطنين.

كذلك كان لابد أن أطرح على الرئيس أسئلة أخرى لا تقل أهمية، مثارة على صعيد الرأى العام العربى، خاصة أن المنطقة تواج من حولنا بأزمات كبيرة وتوترات عنيفة.

وقد نشر إبراهيم نافع هذا الحديث فى الأهرام يومى ١٥ و١٦ أغسطس ١٩٩٧، وكذلك فى مجلة الأهرام العربى التى تصدرها مؤسسة الأهرام.

- سيادة الرئيس: باق ثلاث سنوات تقريباً وندخل القرن الحادى والعشرين.. ما الذى تخطط وتعمل له سيادتكم لنصل به معكم إلى هذا القرن؟

- الرئيس مبارك: كل ما نقوم به هو من أجل المستقبل.. عملية الحياة مستمرة لا تقف عند عام ألفين.. نحن نقوم بتطوير أنفسنا فى الصناعة والزراعة، ونزيد صادراتنا، ونضبط ميزانيتنا، ونقلل العجز والتضخم، ونفتح الاستثمار، ونحسن إنتاجنا فى هذا النظام العالمى المفتوح.. كل هذا يجعلنا ندخل القرن الجديد بثقة كبيرة فى التقدم. التنمية ستكون قد زادت لكى نوجد وظائف أكثر.. ونحن نقوم بأقصى جهد لإيجاد وظائف. هناك من يقولون إن عندنا بطالة. نعم عندنا بطالة، ولكن ليس بالنسبة الكبيرة الموجودة فى الدول الأخرى. ونحن نقوم بأقصى ما يمكن لاستيعاب أكبر حجم من البطالة، ولكن لابد أن يغير الناس نمط حياتهم. أمريكا الدولة العظمى بها بطالة ٥%، أسبانيا ٢٣%، فرنسا ١٣%، ورغم كل هذا فإن لدينا من يعمل بالقطاع الخاص، ويضع نفسه فى خانة البطالة لأنه يريد العمل فى الحكومة رغم أن لدينا ٥ ملايين موظف فى الحكومة. ولاحظ أن المرتبات زادت (كل سنة بنسبة ١٠%) بأكثر من نسبة التضخم، ولا مانع لدينا من الزيادة بأكثر من هذا، وهذا يقتضى أن تزداد الموارد، نسبة الـ ١٠% سنوياً نعى مليار جنيه تقريباً، وإذا أردت الزيادة إلى ٢٠% فمعناه ٢ مليار جنيه، من أين نأتى بهذا المبلغ.. هل نطبع أوراق البنكنوت.. هذا معناه قفزة فى أسعار السلع، ولن

يتحملها أحد.. هل نفرض ضرائب جديدة على المستثمرين ورجال الأعمال والموظفين..
أبدأ لن يتحملوا.. إذن من أين الموارد؟ فى عام ١٩٨٣ كانت جميع المرتبات فى الدولة
ألفين وخمسمائة مليون جنيه، النهارده ٢٥ مليار جنيه (الموازنة ٨٠ مليارات) أى أكثر
من ربع الموازنة. ولاحظ أن عدد الموظفين فى الحكومة ضخم جدا.. قلت إنه ٥ ملايين
موظف مع أننا لا نحتاج لأكثر من اثنين أو ثلاثة ملايين، ويمكن أقل من هذا. هؤلاء
يتقاضون مرتبات من الدولة. كما لا يمكن الاستغناء عن بعضهم، مثلما طالبت بعض
الأصوات.. نحن نعمل أقصى ما فى جهدنا لإيجاد الوظائف.. الاستثمارات.. توشكى
وغيرها هدفها إيجاد فرص عمل..

عموماً لسنا وحدنا الذين نعانى من البطالة أو يوجد لدينا فقراء.. إن أغنى
البلاد تعانى هذا.. أمريكا نفسها بها فقراء، ومرضى بلا علاج مع أنها دولة غنية.. هذه
سمة فى العالم كله

ومع ذلك، فإن سيادتكم تضعون البعد الاجتماعى فى مقدمة أولوياتكم..

الرئيس مبارك: فى كل خطوة ستجد البعد الاجتماعى.. بقدر ما أستطيع
وحسب الإمكانيات المتوافرة، وراعينا هذا فى خطوات الإصلاح الاقتصادى.

بعد ذلك أتساءل ما هى مشكلتنا؟ إنها زيادة السكان، كنا ٤٣ مليون نسمة
عندما توليت الحكم.. النهارده نحن ٦٢ مليون نسمة. الفرق ١٩ مليوناً، أى تعداد دولة
فى حد ذاته. نحمد الله أننا - بكل هذه الزيادة السكانية - قادرون على العيش ونجد
المأكل والملبس.. لا أحد يبيت جوعان.. هل يوجد فى مكان آخر بالعالم رغيف العيش
بخمسة أو عشرة قروش؟

- ماذا بشأن اجتماع اللجنة العليا للتصدير؟

- الرئيس مبارك: سنجتمع بعد أغسطس نظراً لظروف سفر الأعضاء فى
الصيف. إن طوحتنا فى التصدير كبيرة جداً.. لقد قلت للجنة إننى لا أريد زيادة
الصادرات باثنين أو ثلاثة مليارات جنيه، أنا أريد أن اصل بحجم الصادرات إلى رقم
ضخم، هناك بلاد وصلت إلى ٨٠ مليار دولار وهى مثلنا عالم ثالث، وبعضها ٢ أو ٣٠
مليارات.. طلبت من الأعضاء أن يدرسوا كيف ارتفع بالصادرات التى هى مستقبلنا.

والحمد لله السياحة جيدة هذا الصيف.. فى شهر يوليو الماضى وحده دخل مصر حوالى ٤٥٠ ألف سائح.

- هل نستطيع القول بأن شعار دعم الصادرات مسألة حياة أو موت..؟

- الرئيس مبارك: هذا صحيح.. العالم كله يقاتل من أجل زيادة الصادرات.. هذا ما تفعله الآن أمريكا وفرنسا وإنجلترا.. وكل مجهودات حكوماتها فى هذا الاتجاه (زيادة التصدير) لكى تفتح خطوط إنتاج وتوجد وظائف. الهدف فى النهاية إيجاد وظائف، مع ملاحظة أن هذه الدول لا تحدث بها زيادة تقريباً من ناحية السكان. وعظيم جداً بالنسبة لنا أننا نقوم بكل هذه الاستثمارات فى ظل الزيادة السكانية التى تصل كل عام تقريباً إلى حوالى ٩٠٠ ألف نسمة.

٨٠٪ من الاستثمارات مصرية.

- بالنسبة لللائحة التنفيذية لقانون الاستثمار.. هل تتوقعون بعدها مزيداً من الاستثمارات المصرية والعربية والأجنبية؟

- الرئيس مبارك: الاستثمارات المصرية قائمة ومستمرة.. و٨٠٪ من الاستثمارات الموجودة مصرية والـ ٢٠٪ أغلبها عربى، والأجنبية محدودة، ويلاحظ أن المستثمرين العرب يزداد عددهم الآن، لأن مصر أربح لهم من أى مكان آخر للاستثمار فى توشكى هناك أكثر من مستثمر يرغب فى العمل، وهناك مصانع مشتركة مع بعض المستثمرين العرب.

- أقصد أن هناك أكثر من شهادة دولية بنجاح مناخ الاستثمار

- الرئيس مبارك: هذه الشهادات الدولية أحد العوامل التى تشجع المستثمرين.. ولكننا نسعى إلى زيادة الاستثمار بطرق كثيرة جداً. وهدف ذلك إيجاد فرص عمل للمواطنين الذين يزدادون دائماً..

- كلمة البلطجة أو ظاهرة البلطجة التى تسمى للشارع المصرى، بجانب ظاهرة التسريب والإهمال من جانب بعض الموظفين.. هل يتم مواجهة ذلك فعلاً بتشريعات؟

- الرئيس مبارك: دعنى أقل لك شيئاً.. لقد لاحظت أنه عندما ظهر اثنان من البلطجية وجدت أنكم كلكم بدأتهم تكتبون فى موضوع البلطجة، وكأن البلد كله بلطجية، هناك أفراد مجرمون والبوليس يعرفهم جيداً.. وعندما قيل لى عن موضوع فى شارع الهرم كلمت رئيس الوزراء ووزير الداخلية، ومحافظ الجيزة، وقلت لهم هذا الموضوع لابد أن ينتهى. وتم هذا بالفعل، ولاحظ أن وزارة الداخلية تقوم الآن بالقبض على مثل هذه النوعية فى كل مكان، وليس فى شارع الهرم وحده.

ثم إننا سنعدل التشريعات لى ندخل فيها أموراً معينة، لسد بعض الثغرات فى القانون التى يستغلها هؤلاء المنحرفون. هذا الأمر يجرى بحثه الآن، وسنتعامل مع هذه الظاهرة بكل حسم.

وجدنا رجل أعمال يستخدم سيارة بها "ثلاثة أو أربعة فتوت" وراه.. ما هى الحكاية.. تحمى نفسك من إيه؟! عندما تطردهم سيعملون ضدك.. هل هذه حراسة؟! لذلك أنا أطلب من رجال الأعمال البعد عن مثل هذه التصرفات الغريبة وأقول لكم منهم: ممن تحرس نفسك.. هؤلاء لن يحرسوك.. الذى يحرسك هما الدولة والقانون.

- متى نجد سياسة تعليمية مستقرة فى مصر خاصة فى التعليم الأساسى؟

- الرئيس مبارك: تطوير التعليم ليس مسألة سهلة، لأن البعض فى شعبنا يقف فى وجه أى تطور إذا وجده ليس فى مصلحته الخاصة.. خذ مثلاً الثانوية العامة بنظامها الجديد.. لقد قامت "ضجة" كبيرة ضدها مع أنها تخفف الضغط على الطلاب وأسرهم.

وزير التعليم الدكتور بهاء الدين وضع سياسة تعليمية للمراحل المختلفة ويمضى فى تنفيذها بالتدريج. يقوم بتحديث التعليم وتطوير المناهج، وإدخال الكمبيوتر فى المدارس، إلى جانب أن هناك تطوراً فى نظام "الفترات".

- لاحظنا أن بعض الاتجاهات الحزبية تحاول افتعال أزمة بالنسبة لقانون العلاقة بين المالك والمستأجر فى الأراضى الزراعية..

- الرئيس مبارك: هذا القانون أنتم تعرفون جيداً.. أنه ظل ٥ سنوات - قبل أن يدخل مجلس الشعب مفتوحاً لكل الآراء، وجمعوا كل الاتجاهات وبلوروها. والذين لم

يوافقوا عليه في المجلس، هم ضمناً موافقون نفسياً، ولكنهم يعملون "حساباً" للزراع الذين يستأجرون منهم الأرض لكي يضمنوا أصواتهم الانتخابية، وأما القانون فقد تم بحثه بشكل مستفيض، وأعطى فرصة ٥ سنوات للتطبيق، ولم يعترض أحد.. وعندما جئنا للتنفيذ، كل القوى التي تريد الإثارة والتهديد وجدتها فرصة للتحرك. أنا أرى أن القانون يتسم بالعدالة الكاملة، كما أن الحكومة أكدت أن من سيتترك أرضه ستدبر له بديلاً في أراضى الإصلاح أو غيرها، فماذا يريدون أكثر من هذا، هذا مع ملاحظة أنه حدث توفيق بين الملاك والمستأجرين في حوالى ٩٠٪ من الأماكن. وبعد ذلك نرى أن بعض العناصر من حزب العمل يقومون بإثارة الناس.. على غير أساس. إذا كنت حريصاً على مصلحة الوطن، فليس هذا هو الأسلوب، إن محاولة التآليب والإثارة سيدفع ثمنها الشعب.

الموقف من بناء الكنائس.

- هل تنوى الحكومة اتخاذ خطوات تشريعية لتعديل القوانين المتعلقة ببناء الكنائس لإزالة أسباب الشكوى التي استغلها البعض في الخارج باتهام الإدارة المصرية بسوء معاملة الأقباط؟

- الرئيس مبارك: أولاً نحن لا نعامل الأقباط معاملة يمثل هذه الادعاءات والافتراءات التي يتهموننا بها، هذا كله تشنيع، وعدم فهم.. والبابا شنودة يتكلم بصراحة ويرد عليهم. ثم إن هناك بعض أمور قد استقرت منذ فترة طويلة مثل القيام ببعض الإصلاحات أو التعديلات فى الكنائس نحن نسمح بها. وبالنسبة لهذا الموضوع عموماً أريد تأكيد أن الأمور الخاصة بالنسبة لبناء كنيسة واضحة جداً، وهى ضرورة من أجل مراعاة ألا يصطدم بعض المتشجنين بعضهم ببعض.. ولم يحدث أن رد طلب بناء كنيسة، ولم نوافق عليه. هذا كله من أجل عملية "التأمين"، وليس من أجل السيطرة على الأقباط. لقد أعطيت أذنونا ببناء كنائس جديدة أكثر من الأذن التى حصلوا عليها أيام السادات وعبد الناصر بكثير، ولم تحدث مشكلة لأننا تفاهم. أنا فى الواقع لا أرى مشكلة بين المسلمين والأقباط فى مصر وإذا كانت هناك مشكلة فهى بين متشددى من الطرفين، وأما الغالبية العظمى فالعلاقات بينها طيبة جداً.. أنا طول عمرى لى أصدقاء مسيحيون.. آخر رئيس تدريب للقوات الجوية كان مسيحياً وفى منتهى

الكفاءة.. أنا شخصياً لا أفاضل بين مسيحي ومسلم، المعيار عندي هو الكفاءة لأنه مصري.. مسلماً كان أو مسيحياً، فالكل أبناء وطن واحد، لا فرق بين مسيحي ومسلم. والذي يزايد يكون صاحب غرض أو مطمح أو هوى!!

— هل هناك عقبات حقا بالنسبة للخصخصة في شركات قطاع الأعمال العام؟

— الرئيس مبارك: ليس هناك عقبات. لا نريد أن نرمى بعض الشركات بأنها خاسرة ويدخل البعض ليشتريها بثمن رخيص.. ما يجري هو تقويم دقيق وليس عقبات. ما زالت لدينا بعض شركات قطاع الأعمال لم تتم خصخصتها.. هل إنجلترا أو فرنسا خصصت كل شيء.. أبداً.. لدينا قطاعات أساسية لا نستطيع خصخصتها.

وليسست القضية في صيغة البيع، وإنما نحن نهتم أولاً بأن تكون هناك الأموال مقابل البيع، فإذا كان على الشركة ديون نقوم بالتسديد للبنوك، ثم نستخدم ما يتبقى من ذلك، لأن شركات القطاع العام تخسر كثيراً، وعليها مديونية كبيرة للبنوك.. وكمثال فترسانة الإسكندرية عليها ديون حوالى ٩٠٠ أو ألف مليون جنيه، ثم يتساءلون أين سنذهب بالأموال، لو قمنا ببيعها الآن فلن تفي بثمنها ولا بالديون المستحقة عليها.

— بالنسبة لقضية الإسكان، وتوفير المسكن المناسب للشباب.. هل ستستمر هذه العملية، وأيضاً هل هناك جديد في مسألة العلاقة بين المالك والمستأجر في المباني السكنية؟

— الرئيس مبارك: فيما يتعلق بإسكان الشباب، أؤكد أنه سيستمر. وأما قضية المالك والمستأجر فستأخذ وقتها لأنها تمس فئة كبيرة من المجتمع التى هى فى مستوى دخل أقل من المتوسط، والمالك يتحدث عن ظلم.. هذه قضية - مثل قضية الأراضى - لا بد أن تأخذ حقها من الدراسة الكاملة حتى لا نصدر القانون ونكتشف أن به مشكلات، وهى متروكة للرأى العام للنقاش، حتى تتم بلورتها بدقة. أنا لست من أنصار الدخول بقانون فى قضية تمس قطاعاً كبيراً من الناس "لأضرهم"، أنا مهتمى أن أساعد الناس..

وأعود لقضية الشباب، وأقول إننا نقوم بالبناء.. ولا تنس أننا فى الـ ١٥ عاماً الماضية بنينا أكثر من ٣ ملايين مسكن مع ملاحظة الزيادة فى عدد السكان.

— ماذا يرى الرئيس فى المسئولية الملقاة على وزارة التنمية الريفية؟

- الرئيس مبارك: عندنا حوالي ٤ آلاف قرية.. ولذلك فإن التنمية الريفية والأسر المنتجة يجب أن نعطيها اهتماماً كبيراً جداً. هذه الوزارة أنشئت في إطار الاهتمام بالريف. أريد التركيز على تطويره بأقصى طاقة ممكنة.

- هل توافقون سيادتكم على تطبيق قانون الطوارئ على الفئات المنفلتة؟

- الرئيس مبارك: أى شىء يمثل خطورة على المجتمع لا أتورع فى استخدام هذا القانون ضده.. أنا عادة أترك الأمور للقانون العادى، ولكن الأمور الاضطرارية التى تهدد أمن المجتمع لا يمكن أن أتركها.. اتخذ معها جميع الإجراءات.

- هل ترى سيادتكم اتخاذ تكاليفات جديدة للحكومة والمحافظين حتى يتحقق التعاون المطلوب لخدمة جماهير الشعب؟

- الرئيس مبارك: الحكومة تضى فى عملها ومهامها بسرعة.. وأنا بالطبع أنشد التحسن.. والمحافظون يعملون بالفعل على إزالة العقبات. وما أؤكدته بالنسبة لهم أن المحافظ لابد أن ينزل إلى الشارع، وأن يستمع لشكاوى مواطنيه. قد يكون بعضها مرا، ولكن لابد عليه أن يشرح للمواطن الموقف، قد يحتاج التنفيذ لوقت طويل، ولكن لابد من وضع المواطن فى الصورة، وألا "نضحك عليه".. نحن جميعا نعمل من أجل الشعب من رئيس الجمهورية لأصغر واحد.. المحافظ له دور شعبى، لابد أن يمر على المواطنين، ويسأل عن احتياجاتهم. قد لا يمكننا تلبية كل المطالب، ولكن نسعى بأقصى ما نستطيع أن نوفر الاحتياجات الضرورية للمواطنين... فقط عليهم تقليل الزيادة السكانية. ضرورة الإعداد لأى قمة.

- ما هى الترتيبات اللازمة التى يجب أن تسبق عقد قمة مصغرة لتحريك عملية السلام تضم مثلاً نيتانياه ورئيس وزراء إسرائيل، والرئيس الفلسطينى ياسر عرفات، بحضور سيادتكم، والملك حسين ملك الأردن؟

- الرئيس مبارك: لم يتقرر بعد أى شىء فى هذا الموضوع.. والذى تحدثت عنه الصحف ليس له أساس.. ولكن إذا كانت هناك فكرة لاجتماع فلا بد أن يتم الإعداد له جيداً، وإلا فإنه سينعقد دون أن تكون له نتيجة، وفى هذه الحالة سيكون العائد سلبياً،

وسيؤدي إلى زيادة الإحباط. فلا بد إذن أن تتفق مسبقاً على الهدف المرجو من الاجتماع، وأن نتأكد من أنه ستكون له نتائج إيجابية، لأن الرأي العام العربي والعالمي سيكون في انتظاره، وسيتوقع أن يصدر عنه شيء له وزنه وتأثيره، وعندما لا يسفر عن نتائج، فإن ذلك سيؤدي إلى إحباط شديد للجميع، وسيزداد النقد للإقدام على تكرار خطوة كهذه مستقبلاً.

- سيادتكم رفضتم اجتماع واشنطن...

- الرئيس مبارك: الحقيقة لم تكن حكاية رفض.. لقد تحدثت مع الرئيس الأمريكي في الموضوع، وقلت له لن تخرجوا بنتيجة، إلا أن الإدارة الأمريكية كان لديها إصرار، وكانت متوقعة أن نيتانياهو من الممكن أن يفعل أو يقدم شيئاً. من جانبهم اعتبروا أنهم قد نجحوا من حيث إقناع عرفات ونيتانياهو بالاجتماع أو الجلوس معاً، ولكننا كنا نتوقع أن يخرج الاجتماع بنتائج تختلف عن هذا.

- تواصل إسرائيل الآن اتخاذ إجراءات أمنية مشددة تشمل فرض عقوبات جماعية على الشعب الفلسطيني. ألا يمكن أن تؤدي هذه السياسات إلى حدوث أعمال عنف أخرى في إسرائيل تؤدي بدورها إلى تصعيد الموقف الإسرائيلي؟

ثم إلى متى نبقى في هذه الحلقة المفرغة حتى نصل إلى عملية السلام؟

- الرئيس مبارك: بالنسبة لهذا الحصار، أبلغت وزير خارجية إسرائيل بأنني أخشى من أن يكون استمرار الحصار عقاباً للشعب الفلسطيني كله. وعقاب الشعب ومنع الأدوية عنه من أخطر ما يمكن، لأن الشعب عندما يجوع سيكون في وضع خطير للغاية.. وثورة الجوع رهيبه جداً ولا يستطيع أحد وقفها.. فما بالك بشعب هو بلا دواء أو طعام.. وأؤكد أنه يُخشى من استمرار هذه العملية إذ أنه من الممكن أن يؤدي إلى عنف أكثر من ذي قبل، ولن يوقف الإرهاب. وأكرر ما سبق أن قلته: الذي يوقف الإرهاب والعنف هو التقدم في عملية السلام.. انظر مثلاً في عهد رابين كانت تقع أحداث من هذا النوع فيقول الإسرائيليون: سوف نستمر في عملية السلام.. ولكن الأمر اليوم يختلف تماماً، ومن جانبي اتساءل: ما هي الحكمة في إيقاف عملية السلام؟ وما يخشى منه المرء فعلاً.. أن العنف لن يقف عند جزء بعينه في المنطقة، وإنما سيشملها كلها ويمتد إلى كل من يتعاملون مع عملية السلام.

- الخطورة ليست فى الطعام والدواء فقط بل فى الاقتصاد أيضاً..

- الرئيس مبارك: نعم.. فى التجارة ومنع انتقال العمال وتشريد من لهم أعمال أو تجارة.. هذا معناه أن حركة الحياة ستقف كلها، وإذا وقفت بهذا الشكل وطالت المدة.. فهنا مكن الخطورة.. هذا ما أوضحته جيداً لوزير الخارجية الإسرائيلى. وأعتقد أنهم تفهموا الوضع الآن ولذلك بدأوا فى فتح المنافذ "رفع وجسر الملك حسين..."، ويمضون فى إلغاء هذه الأوضاع بالتدرج.

- سيادتكم أريدتم مخاوفكم من محاولة إضعاف عرفات.. ما هى المخاوف التى يمكن أن تنجم عن ذلك؟

- الرئيس مبارك: عرفات يلفت حوله كل الفلسطينيين، ويثقون فيه. لو ذهب عرفات، فستندلع مشكلات رهيبة بين المنظمات الفلسطينية وهى منظمات كثيرة. لن يكون هناك "زعيم" كبير يستطيع كل الفلسطينيين الالتفاف حوله. أنت تسمع اليوم مثلاً أن هناك منظمات فلسطينية تقول لا تفاوض مع إسرائيل، وبالمقابل هناك منظمات أخرى تريد التفاوض مع إسرائيل، عندئذ من الذى ستكون له الغلبة.. سنجد أنفسنا أمام حالة فوضى، والفوضى مثل العنف تماماً.. ستضرب عملية السلام فى مقتل.

- نيتانياهو دائماً يتكلم عن الخطوات التى يجب أن يتخذها عرفات، ولكنه لا يتحدث أبداً عما يجب أن تقوم به إسرائيل لإعادة الثقة فى عملية السلام.. هل يعتبر هذا موقفاً متوازناً؟

- الرئيس مبارك: لا.. هذا ليس موقفاً متوازناً. إذا كان نيتانياهو يقول لعرفات عليك أن تفعل كذا وكذا، فهو أيضاً عليه أن ينفذ التزاماته. إن لم ينفذ نيتانياهو التزاماته فلن يكون هناك توازن على الإطلاق.

لقد أثارت مسألة "جبل أبو غنيم" ضجة، وعلى الرغم من ذلك فقد عادوا ليقولوا إنهم سيبنّون فى "رأس العامود". وهذا كله تحد للرأى العام.

- ما هى وجهة نظر أمريكا التى جعلتها تحجم عن القيام بدور فعال فى الفترة الماضية؟

- الرئيس مبارك: شوف.. الإدارة الأمريكية نقول: أنا لا أضغط على أحد، ولكن من جهة أخرى هي ترى الموقف واضحاً، حيث لن ينفذ نيتانياهاو التزاماته، وهناك اتهامات متبادلة بين الجانبين: الفلسطينيين والإسرائيليين.. أمريكا لا تريد أن تضغط لأنها تواجه ظروفًا داخلها.. هناك الكونجرس الذي لا أدري ما إذا كانت المعلومات التي لديه صحيحة ودقيقة أم لا؟ ومن هو مصدر هذه المعلومات ومدى صحتها؟.. الجميع يضغطون على عرفات، ولكن الضغط على جانب واحد لن يحل المشكلة.

ولكنني أتصور أن الخطاب الذي ألقته مادلين أولبرايت وزيرة الخارجية الأمريكية كان إيجابياً، وكذلك كلام الرئيس كلابنتون كان إيجابياً.. وأعتقد أن الرئيس كلابنتون من الأطراف التي تريد إيجاد حل فعلاً، وعندما قابلته هنا كانت لديه آمال كبيرة للحل.. وحل عادل.. إلا أن ظروفًا وأحداثًا كثيرة وقعت عقدت الأمور.. ولكنني أعتقد أن خطاب أولبرايت جيد للغاية، وهناك أنباء عن أنها ستأتي للمنطقة في أواخر هذا الشهر، أو أوائل الشهر القادم بعد أن تكون الصورة قد اكتملت أمام الإدارة الأمريكية، حتى توفق بين الطرفين الفلسطينيين والإسرائيليين لكي تمضي عملية السلام.

التنسيق الأمني ليس كل شيء.

- جهود التنسيق الأمريكي دنيس روس منصبه على التنسيق الأمني ومكافحة الإرهاب.. فهل هذا يجعل الفلسطينيين يوافقون على اللقاء مع الإسرائيليين؟

- الرئيس مبارك: لا أعرف رأي الفلسطينيين.. ولكن أرى أن التنسيق الأمني ليس هو كل شيء.. هو فقط من أجل العمل بقدر الإمكان لتفادي عمليات العنف..

- ولكن الضغط الأمريكي على الفلسطينيين - خاصة ضغط الكونجرس - يضعف في الواقع دور الإدارة الأمريكية في عملية السلام بالمنطقة.

- الرئيس مبارك: في أمريكا.. هناك - كما قلت - ظروف معينة تتعلق بالضغط الأمريكي على الفلسطينيين، وأنا لا أتفق معهم في هذا الموضوع.. من جهتي أفضل دائماً أن أكون "عادلاً" في هذا الأمر.. الإدارة الأمريكية تضغط على الفلسطينيين فقط، بينما يتعين عليها في الوقت نفسه اتخاذ موقف مماثل مع الإسرائيليين.. واتساءل: ما هو الهدف من الضغط على الفلسطينيين وليفعلوا ماذا؟.. وما هو المطلوب تنفيذه؟.. المنطق يقول إذا كان الطرف للآخر ينفذ تعهداته فهم - أي الفلسطينيون -

سينفذون تعهداتهم. نحن أمام موقف حرج: الطرف الإسرائيلي لا ينفذ ومطلوب من الفلسطينيين أن ينفذوا.. هذا موقف غير عادل.

- هل هناك أمل فى تغيير موقف حكومة نيتانياهاو من قضية الجولان ومفاوضات السلام مع سوريا؟

- الرئيس مبارك: أنا لا أفهم الكلام الذى يصدر من إسرائيل.. مرة يقولون إنه ليس لديهم مانع.. وبعدها بيومين أو ثلاثة يقولون إن الجولان إسرائيلية.. إن سوريا لن تقبل أن تبدأ عملية السلام إلا إذا فهمت فى النهاية • بطريق مباشر أو غير مباشر أن المفاوضات لا بد وأن تنتهى بعودة الأرض.. لن تتنازل سوريا عن شبر من الجولان، ولا يملك الأسد أو أى أحد أن يقبل التنازل عن شبر من أرضه.

- مرة أخرى، سيادة الرئيس، هل هناك حاجة إلى عقد قمة عربية فى ضوء المستجدات التى طرأت؟

- الرئيس مبارك: فى الوقت الحالى.. العقيد القذافى كان قد ذكر لى - عندما كنت فى زيارته - أن الرؤساء العرب وافقوا له على عقد قمة، وكان سؤالى له: هل أنت متأكد؟.. فكان رده : أنه متأكد، فقلت له: بناء على ما توافر لديك من موافقات سنبعث للرؤساء بهذا المعنى، وإننا نطلب الاتفاق على موعد للقمة. وفعلاً تم ذلك، وكانت ردودهم أنهم موافقون على القمة من حيث المبدأ، ولكن يجب أن توضحوا لنا أجندة القمة، العقيد القذافى لم يعجبه مطلب تحديد جدول الأعمال، ويرى أن هذا معناه عدم الحضور للقمة، وفى الواقع القذافى لم يعجبه مطلب تحديد جدول الأعمال، ويرى أن هذا معناه عدم الحضور للقمة، وفى الواقع إننى كنت متوقعاً هذا من أول الأمر، لأن القمة يجب أن يكون لها تحضير مسبق، وإلا فلن تحقق النتائج التى نسعى إليها، وهذا ما يقوله إخواننا العرب، وأنا أوافقهم عليه. وهذا ليس وقت إثارة الخلافات بين بعضنا بعضاً.

الموقف من قمة الدوحة.

- هل حددت مصر موقفها من قمة الدوحة؟

- الرئيس مبارك: ما زلنا ندرس الموضوع على ضوء الموقف بالمنطقة قبل هذه القمة.. نحن فى شهر أغسطس وبقا وقت طويل.. حتى نوفمبر.

- يميل الموقف مع السودان إلى الهدوء في الفترة الأخيرة.. ما هي آخر التطورات التي شهدتها العلاقات المصرية - السودانية؟

- الرئيس مبارك: لا جديد.. نحن لا نفتعل أية مشكلة مع السودان.. هم الذين بدأوا.. أغلقوا المدارس، وطرّدوا الموظفين، وأخذوا مبانينا وأغلقوا فرع جامعة الخرطوم الذي كنا نقوم بإلنفاق عليه من الألف إلى الياء.. علاوة على إيواء الإرهابيين.. ما الذي جنوه من هذا الموقف؟.. إنهم يعانون من التدهور.. وماداموا على هذا الخط فستزداد حالتهم سوء، وللأسف فإن من يدفع الثمن هو المواطن السوداني.. وأنا فكرتني الراسخة عن الشعب السوداني أنه شعب طيب لا يعرف العنف أو الإرهاب.. ولذلك ذهلت لهذه الظاهرة الجديدة التي أوجدها الترابي وأعوانه. الشعب السوداني شعب طيب يثق فيه، ولكني أعود وأقول إن الغالبية العظمى من الشعب مغلوقة على أمرها.

- وهل هناك أمل في حدوث انفراج في العلاقات المصرية - السودانية؟

- الرئيس مبارك: هذا يتوقف على النظام السوداني وليس علينا.. نحن طول عمرنا علاقاتنا بالسودان جيدة جداً، وحدودنا مفتوحة لهم.. وعندما جاء الترابي "لخبط العلاقات كلها" ليس معنا فقط، ولكن مع إريتريا ومع أثيوبيا وأوغندا وغيرها.. قطع الخيوط حتى مع العقيد القذافي.. لا تصدق أن العقيد يثق فيه..

- ما هو المطلب الأساسي لعودة علاقات طبيعية؟

- الرئيس مبارك: يلتزمون بالطلبات التي قدمناها لهم.. يقومون بتسليم الإرهابيين الذين لديهم، ووقف أن تكون بلادهم مرتعاً للإرهاب، هذا هو الأساس الذي بناء عليه ننظر في الموضوع.. وكذلك أن يعيدوا كل ما أخذوه..

في مصر لدينا ما بين ٤ إلى ٥ ملايين سوداني.. لهم رابطة كبيرة جداً.. وهم موجودون في الساحل الشمالي.. ووجدتهم في العريش.. كلهم يعملون..

- سيادتكم استقبلتم المهدي والميرغني أخيراً؟

- الرئيس مبارك : أستمع لهما فقط..

- ولكن هل جد جديد؟

- الرئيس مبارك : لا.. لا.. أنا أستمع فقط لأنه مضى وقت لم أرهما فيه.

وبالنسبة للبشير والترايبى لا جديد أيضاً.. الترايبى اعتقل ابن الصادق المهدي، ووالده قال لى إنهم اعتدوا عليه بالضرب، وجاء ليحكى لى الموقف.. فقط أنا أستمع لهما.. هو والميرغنى.. لقد وصفا لى موقفهما الراهن ونشاط التجمع الذى يربطهما وأنا أستمع ولا أحرص أحدا على الآخر.

- فى رأى سيادتكم.. إلى أى مدى سيستمر الحصار المفروض على ليبيا وشعبها؟.. هل هناك محاولات مصرية لفك هذا الحصار؟

- الرئيس مبارك: هذا الموضوع حيرنا كثيراً.. وعندما نتحدث فيه تقول بعض الأوساط فى أمريكا إن مصر تدافع عن ليبيا.. عليهم أن يقدرُوا أن ليبيا جار عريبى، وأن لنا نصف مليون مصرى يعملون هناك (بعائلاتهم يصبحون ٣ ملايين مواطن) فلا تطلب منى المستحيل.. وكثيراً ما أوضحت أننا لن نخالف القرارات الصادرة عن مجلس الأمن على وجه الإطلاق، شأن باقى الدول، كما أننى لا أستطيع الضغط على ليبيا بأن تسلم أفراداً لأن الليبيين لهم اعتباراتهم الداخلية.

الجديد بشأن السوق العربية المشتركة.

- فكرة السوق العربية المشتركة.. ماذا يجرى بشأنها؟

- الرئيس مبارك: أولاً هناك دراسات تجرى فى الجامعة العربية، وهناك بعض الاقتراحات من مجموعة الدول الثمانى التى ستجتمع فى سبتمبر المقبل.. ومن جانبنا نعمل على إقامة مناطق حرة بيننا وبين الدول الأخرى، ستهيئ لإقامة السوق كنواة، فليس من الضرورى أن تدخل كل الدول العربية السوق، وإنما نشكل نواة تتسع فى المستقبل.

وبالنسبة لدول مجلس التعاون الخليجى، فإنها خطت خطوتين فى طريق إقامة سوق بينها وسنرى ما فعلته لى ننضم إليها.

- السعودية تبارك هذه العملية..

- الرئيس مبارك: إنها لم تعترض.. وعموماً علاقاتنا بكل دول الخليج العربية ممتازة.

هل سيزور الشيخ زايد رئيس دولة الإمارات مصر قريباً؟

- الرئيس مبارك : نعم.. سيصل فى أواخر أغسطس أو أوائل سبتمبر.. هو فى إنجلترا، وأعتقد أنه سيزور أمريكا لإجراء فحوصات طبية ثم يزور مصر فى طريق عودته إلى بلاده..

- وبالنسبة للاتصالات بين مصر والسعودية؟

- الرئيس مبارك: علاقاتنا بالسعودية لا غبار عليها إطلاقاً. ليست هناك أية مشكلة بيننا وبين السعودية.. هناك بعض الأوساط تحاول افتعال مشكلة، ولكن هذا كلام فارغ لا أساس له.. فعلاقاتنا بالسعودية وبقية دول الخليج العربية علاقات ثابتة وراسخة وغير قابلة للابتزاز

- ما زالت قضية تحالف تركيا مع إسرائيل تشغل الرأي العام العربى.. ما الذى ستقولونه لديميريل عندما يزور مصر فى الشهر القادم؟

- الرئيس مبارك: نحن لا نعترض على قيام علاقة بين تركيا وإسرائيل، ولكن نحن ضد أى أحلاف.. الشكل كما هو معروف أن هناك تركيا وإسرائيل وبينهما سوريا.. ولأن العالم العربى متعاطف مع سوريا فإنه يشعر بأن ما يجرى موجه ضدها.

كانوا سيقومون بمناورة مشتركة، وقلت لهم إذا تمت المناورة بالإضافة إلى دخولكم أراضى العراق فهذا معناه أن المقصود طرف ما فى العالم العربى.. أظن أن المناورة تأجلت حتى نلتقى مع الرئيس ديميريل.

- هل ستناقشون كل هذه القضايا معه؟

- الرئيس مبارك: طبعاً.. ونحن حريصون على علاقاتنا بتركيا ونتناقش كأصدقاء من منطلق أننا نسعى إلى استقرار المنطقة وإقامة علاقات طيبة..

- بعد تولى الرئيس الإيرانى الجديد، محمد خاتمى، السلطة فى طهران.. هل ستشهد الفترة القادمة تقدماً فى العلاقات المصرية.. الإيرانية؟

- الرئيس مبارك : لا أستطيع أن أقول لك شيئاً الآن.. الرئيس الإيرانى الجديد تولى السلطة منذ فترة قصيرة جداً، ولا أستطيع القطع بأى موقف.

- أقصد التساؤل عن الموقف الإيرانى تجاه العرب... إلخ؟

- الرئيس مبارك: ليس هذا فقط، هناك قضايا كثيرة تجعلنا نترث لنرى التغير فى التوجهات الجديدة.. إنهم حتى الآن عندهم شارع باسم "خالد الاسلامبولى".. لقد قلت لولاياتى - عندما زار مصر - تتحدثون عما تسمونه بدولة كامب ديفيد.. وأنتم الذين نصحتهم السادات بأن يقوم بالمبادرة ويذهب إلى إسرائيل.. وكان رده: لن نكن نحن.. فكان قولى : وهل كنا نعرف من الذى سيأتى إلى السلطة عندكم أم من يبقى؟

- في العلاقات الأمريكية - المصرية هناك في الواقع تساؤلات وقضايا عديدة.. لقد لوحظ على سبيل المثال في الفترة الأخيرة أن هناك عناصر داخل الكونجرس تعتبر معادية تعمل ضد العرب ومصر، وامتدت موجة العداء إلى التدخل في أدق الشئون الداخلية لمصر، ومحاولة فرض نوع من الوصاية على الحرية الدينية، وحقوق الأقباط وما إلى ذلك.. ماذا وراء كل هذا؟ وما الذي يمكن عمله لمواجهة هذا الموقف العدائي؟

- الرئيس مبارك: شوف... على قدر علمي أن هناك أشخاصاً داخل الكونجرس يهاجموننا لأسباب نعرفها جيداً، ومع أن العضو الذي طرح اقتراح تخفيض المعونة يتفهم الأوضاع جيداً، لذلك عاد وأعلن أنه يسحب الاقتراح.. على الرغم من هؤلاء، فإن لدينا أصدقاء كثيرين جداً يعلمون الحقيقة تماماً، وهذا هو ما أفشل كل المحاولات.. ونحن نعلم طبعاً أن هذه المحاولات لها أسباب سياسية داخلية عندهم لا أود التطرق إليها، وفي الوقت نفسه نحن حريصون على العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية، وعلاقاتنا معها متينة للغاية رغم كل هذه المهاترات التي نعلم أسبابها، ولذلك لا نرد عليها.. أصدقاءنا هناك هم الذين يردون عليهم.. كما أن الإدارة الأمريكية كان موقفها إيجابياً.. قالوا إن مصر لا تلبى عملية السلام فردوا عليهم بأن مصر هي التي صنعت السلام.. نحن أول من بدأ عملية السلام، وتحملنا الصعاب من أجلها.. ليس من الكياسة القول إن مصر ابتعدت عن عملية السلام.

- اسمحوا لي أن أتساءل مرة أخرى.. هل هناك فتور في هذه العلاقات؟

- الرئيس مبارك: لا.. لا.. هناك بعض الأوساط في أمريكا - لأنها تحب الدفاع عن إسرائيل واليهود - تقوم بافتعال مثل هذه الأمور، ولكن علاقاتنا جيدة.

- وإذا كنت تريد الكلام عن المعونة، فقد قلت لهم مراراً إنني لا أتوقع استمرار هذه المعونة إلى الأبد، بل يمكن أن تنخفض في أي وقت، ولن تكون المعونة مصدر ضغط علينا في قرارنا إطلاقاً، لم تكن كذلك.. وأن تكون سبب ضغط.. فالعلاقات بين البلدين تقوم على مصالح مشتركة.

شكراً سيادة الرئيس.

إِفْطِيحُ السَّائِرِ

التَّحْقِيقُ الصَّحْفِيُّ

نقرأ في معاجم العربية في مادة (ح ق ق) :

"قال أبو زيد : حقّ الله الأمر حقاً : أثبتّه وأوجبه. وحقّ الأمر بنفسه حقاً وحقوقاً. وقال الكسائي : حقّقتُ ظنّه، مثل حقّقتّه. وأنشد :
فبذلت مالك لي وجذت به
وحقّقت ظنّي ثم لم تخب

وحقّقت الأمر وأحقّقتّه: كنتُ على يقين منه

وحقّقتُ الخبر فأنا أحقّه: وقفتُ على حقيقة

ويقول الرّجل لأصحابه إذا بلغهم خبر فلم يستيقنوه: أنا أحقّ لكم هذا الخبر، أي أعلمه لكم وأعرف حقيقة. فإن قلت : فما وجه قولهم: أنت حقيق بأن تفعل، وأنت محقّق به، وإلك لمحقّقة بأن تفعل، وحقيقة به، وحقّقت بأن تفعل، وحقّ لك أن تفعل؛ قلت: أما حقيق، فهو من حقّ في التقدير، كما قال سيبويه في فقير: إنّه من فقر مقدّراً، وفي شديد من شدّد، ونظيره خليق وجدير، من خلّق بكذا وجذّر به؛ ولا يكون فعلاً بمعنى مفعول؛ وهو محقّق لقولهم: أنت حقيقّة بكذا، وهذه امرأة حقيقّة بالحضانة. وأما حقّقت بأن تفعل، وأنت محقّق به، فبمعنى جعلت حقيقاً به وهو من باب فعلته ففعل، ويجوز أن يكون من حقّقت الخبر أي عرّفت بذلك. وتحقّق منك أن تفعله أن تفعله لشهادة أحوالك به. وهذا قول حقّ. والله هو الحقّ. وأحقّ الرّجل: إذا قال حقّاً وادّعه، وهو مُحقّق غير مُبطل. وأحقّ الله الحقّ: أظهره وأثبتّه ﴿وَيُحَقِّقُ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾. وحقّق قوله وتحقّقت الأمر وعرفت حقيقة؛ ووقفت على حقائق الأمور

وثوبٌ مُحقّق النسيج: مُحكمه، وكلام مُحقّق: مُحكم النظم. وفلانٌ حامى الحقيقة، وهو من حُمَاة الحقائق؛ أي يحمي ما لزمه الدفاع عنه من أهل بيته. قال لبيد:
أتيت أبا هند ومالكاً

بأسماء أنسى من حُمَاة الحقائق

وهكذا تظهرنا الدلالة اللغوية لكلمة "التحقيق"، على أنها تسعى إلى "اليقين" من الأمور؛ وإلى الوقوف على حقيقة الخبر؛ وهى الدلالة التى تشير إلى أن تعريب المصطلح Reportage بـفن "التحقيق الصحفي"؛ تعريبٌ يعود بهذا الفن إلى وظيفته الجوهرية؛

فى لغتنا العربية؛ وفى اللغات الأوربية؛ التى تستخدم هذا المصطلح للدلالة على الفن التحريرى الذى: "يتناول خبراً أو قضية أو فكرة بنوع من الشرح والتحرير والتفضيل وسرد البيانات والمعلومات والآراء ووجهات النظر المختلفة للوصول إلى قرار أو حل أو رأى فى القضية أو الموضوع المطروح. وهكذا يغدو "التحقيق الصحفى"؛ فناً من فنون الوصول إلى الحقائق حول موضوع من الموضوعات، وعرض هذه الحقائق على القارئ بالكلمة والصورة"^(١) ويعود مصطلح التحقيق أيضاً إلى مصطلح أساسى فى التحرير؛ ونعنى به مصطلح "التقرير الصحفى"؛ الذى يشير إلى وصف الأحداث الجارية بالتفصيل، وتطوراتها، ونتائجها وملابساتها حتى يتضح على ضوء المضمون والوقت والفراغ (تقريباً). وفى عمله هذا، يستفيد التقرير الصحفى من مختلف مناهج تقديم المعلومات (مثل الرد التقريرى والوصف).

ويتشابه التقرير الصحفى مع الفقرة الأخبارية وظيفياً، بينما يقترب من التحقيق الصحفى (الريبورتاج) من ناحية المضمون والمنهج. فالوظيفة الأساسية للتقرير الصحفى هى نقل الأحداث شديدة الأهمية والحيوية أو النموذجية بطريقة كاملة نسبياً، وكذلك العمليات الاجتماعية الكبرى وهكذا:

"ولا يقدم التقرير الصحفى نتيجة الحادثة فقط"، وإنما يعطى تفاصيل الظروف الزمنية المؤدية إليها (فهو لا ينقل مثلاً نتيجة مؤتمر فحسب، وإنما تطوراتها أيضاً). ووجود عدد كبير من فقرات المعلومات الفردية (التفاصيل) التى يربطها جانب مركزى واحد (فكرة أساسية) يمكن المتلقى من تقييم أى حادثة فى سياقها على نحو صحيح.

إن أصالة التقرير الصحفى، وكذلك طريقته التوثيقية الأصلية فى التقديم عنصر جوهري من عناصر فاعليته. وباعتبار الكاتب وكيلاً نائباً للمتلقى، فهو يقوم بوظيفة المراقب وشاهد العيان لآى حادثة (كالحادثة الرياضية أو المؤتمر).

وهناك نوعان أساسيان من التقرير: التقرير المتصل بالموضوع، والتقرير المتصل بالتجربة (إعلان الحقائق، ونقل التجارب، على التوالى)، ويركز إعلان الحقائق على الوقائع دون اهتمام خاص بموقف كاتب التقرير. فالمهم هو الواقعة نفسها، وليس

(١) د. كرم شلبى : معجم المصطلحات الإعلامية؛ ص ٨٢٥.

التجربة التي تعكسها للكاتب. وتنعاً لذلك فإن الكاتب يجمع ويختار ويرتب التفاصيل. وهكذا يعبر عن وجهة نظره في الواقعة. ومن السمات الأخرى للتقرير المتعلق بالموضوع اهتمامه بتفصيل الحادثة. وفي تقرير التجارب، لا يعبر الكاتب عن الموضوع فحسب، وإنما عن وجهة نظره الشخصية وموقفه، فهو يتطلع إلى أن ينقل إلى المتلقى مباشرة مدرجات وانطباعات معينة خبرها بنفسه. ويتحقق هذا عن طريق التصوير التفصيلي للأماكن والملابس، والأشخاص المشتركين، وبتعميمات تهدف إلى كشف جوهر العملية التي يكتب تقريراً عنها.

ولابد أن تكون التفاصيل المنقولة صحيحة بصفة عامة، ووثيقة الصلة بالموقف المعطى. وتنتج الأنشطة الاجتماعية المختلفة بمتطلباتها المعينة من ناحية المضمون أشكالاً خاصة من التقارير الصحفية التي تتضح فيها واحدة أو أخرى من الصفات المنهجية المميزة (كالتقرير القانوني، والكتابات الرياضية، وتصوير الأسفار والرحلات) ^(١).

أما التقرير المكثف: Pony Service فيشير إلى أحدث الأخبار اللاسلكية المنقولة بالهاتف أو البرق من وكالات الأنباء إلى الصحف المحلية.

التقرير المصور: Picture Story

يقصد به "الجمع بين الصور والنص في التقارير المكتوبة حول الأحداث الجارية أو الحقائق، وهو نوع مختلف من أنواع التقارير، ففيها تعبر مجموعة من الصور عن التشابه على ضوء زمان ومكان المكونات الأساسية للموضوع المصور. بينما يشرح النص المعلومات التصويرية ويقيم علاقات، ويفسر الخلفية ويكمل جوانب الحادثة المصورة التي لا يمكن ظهورها في صورة، ويعلق على الصور إذا لزم الأمر.

والمكونات الأساسية للتحقيق المصور هي العنوان، والصورة الرئيسية، والصورة التكميلية، والنص الأساسي والتعليقات، مع تعديلات معينة ممكنة في واحد أو آخر من هذه العناصر. ويشير هذا خصوصاً إلى الفرق بين الصور الأساسية، والصور التكميلية التي يمكن أن تكون ممتعة بدرجة متساوية، في الحقيقة، حتى أنه لا يمكن التمييز بينهما. ^(٢)

(١) قاموس الصحافة، ترجمة محمد أحمد حمد ص ٧٥.

(٢) نفسه ص ٧٦.

من المصطلح إذن؛ يتبين لنا أن فن التحقيق ينبع من طبيعة عمل الصحفي في ملاحقة الأحداث التي تحتاج إلى "تحقيق" لبعض جوانبها الخفية؛ كما أن الصحفي - كما يقول "جوبار"^(١) قد يصنع الحدث بنفسه "دون أن يحدّ نفسه بما يحدث، كأن يثير بعمق القضايا الكبرى: الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية والثقافية. وينطبق هذا، على الصحف الأسبوعية. كما ينطبق على الصحف اليومية التي تهتم بإكمال الحدث الذي ينقله الراديو أو التلفزيون، كما هو، ثم الكشف عن أسبابه والدوافع إليه.

التحقيق الذي يعالج موضوع الساعة أو الريبورتاج الكبير، هو ذلك النوع الصحفي حيث الموضوع لا يرتبط بالأنية. ووجوده يضيف قيمة خاصة على الصحيفة، لكن غيابها "يسئ إلى مركزها إلى حد كبير".

وتشبه طريقة معالجة التحقيق الصحفي، طريقة معالجة التحقيق الاجتماعي (البحث). أى أن المبادئ هي ذاتها، لكن الوسائل تختلف، مما لا يتيح الوصول إلى الدقة المطلوبة كما نريدها. ومن المهم، قبل بدء التحقيق، دراسة ما نشر عن الموضوع واستشارة الأخصائيين، قبل وضع خطة العمل. وبعد، فإن اختيار الأشخاص، الذين سنقابلهم، يراعى فيه اختيار أخصائيين وأشخاص على علاقة مباشرة بالموضوع.

فالتحقيق الصحفي يتخذ من البحث منهاجاً في التفكير؛ ويسلك لنفسه طرقاً صحفية في التعبير. والطابع البحثي للتحقيق الصحفي يعنى عمليات مستمرة في التعرف على المشكلات والقضايا المطروحة في المجتمع، وفي تكوين الفروض والحلول المختلفة، وفي الحصول على البيانات وتصنيفها وتبويبها واستخلاص النتائج؛ وفي النهاية تحرير هذه النتائج تحريراً صحفياً.

والدالة اللغوية للتحقيق؛ تصل بينها وبين البحث؛ باعتبارها عملية من عمليات تقصى الحقائق ومعانيها وتطبيقاتها بالنسبة لمشكلة معينة. ومعنى ذلك أن التحقيق الصحفي عملية فحص دقيقة محايدة وغير متحيزة لمشكلة من المشكلات. وتبنى هذه العملية وتقوم على تقصى الوقائع، والبيانات؛ والتصريحات؛ وتحريرها بدقة؛ وتبويبها وتحليلها والوصول إلى "نتائج من هذا التحليل قد تؤدي إلى إظهار حقيقة المشكلة وأسبابها وما يناسبها من حلول"^(٢)

(١) تقنية الصحافة، السابق ص ٨٤.

(2)Whittney : Elements of Recherche, P.21.

ويصّور "ديوى" عناصر عملية التفكير؛ وما يحدث في كل خطوة من خطواتها؛ على النحو الذي يفيد منه "الباحث"^(١)، كما يفيد منه "المحقّق الصحفي"؛ وهذه الخطوات هي^(٢):

أولاً: شعور الفرد بموقف يصعب عليه الاستجابة له؛ مثل:

أ - عدم القدرة على تحقيق هدف ما بالوسائل المعروفة للفرد أو حتى عن طريق تعديلها لتناسب الموقف الذي يواجهه.

ب - عدم إمكان الفرد التعرف على صفات وخصائص شيء جديد بالنسبة له.

ج - عدم القدرة على تفسير حادث أو ظاهرة غير متوقع حدوثها.

ثانياً: تحديد الصعوبة التي تواجه الفرد في إطار عام على صورة مشكلة.

ثالثاً: وضع تفسير أو حل عن طريق التخمين أو استنتاج أو فرض أو نظرية - مستمدة من خبرات الفرد السابقة.

رابعاً: دعم الفكرة أو التفسير عن طريق جمع القرائن أو المعلومات التي تؤيدها.

خامساً: الربط بين الفكرة أو التفسير والمعلومات من أو القرائن التي حصل عليها في سبيل التأكد من صحة الفرض الذي وضعه كحلّ للموقف الذي يواجهه.

سادساً: ويعتبر "كيلى" أن التأكد من الحل الذي وصلنا إليه قد نجح في حل المشكلة؛ يقود إلى خطوة أخرى تهدف دائماً إلى التطلع إلى مدى إمكان تعميم هذا الحل وتقويمه على ضوء اعتبارات احتياجاتنا في المستقبل.

ويبين "ميلتون فارتشيلد"^(٣) ست خطوات للمنهج العلمى:

١ - جمع البيانات عن المشكلة أو في مجال ميدان يختاره الباحث (أو المحقّق الصحفي) طبقاً لخطّة موضوعة وعن طريق الملاحظة ووسائل أخرى دقيقة، مع

(١) د. جمال زكى؛ د. السيد يس : أسس البحث الاجتماعى ص٦.

(٢) نفس المرجع ص٦ John Dewey: How We Think, P.12

(٣) نفس المرجع ص٨؛ Milton Fairchild: The Scientific Method.

تسجيل هذه البيانات والتأكد من صحتها، وملاحظة أن يتم عملية جمع البيانات داخل إطار محدد يخدم هدف البحث أو التحقيق.

٢ - تصنيف وترتيب البيانات على أساس التشابه؛ أو الاختلافات، أو التباين، أو الأساس أو الأسباب، أو النتائج، ومحاولة التمييز بين الصفات الأساسية الهامة، والتي لها علاقة مباشرة وتخدم أهداف البحث أو التحقيق، والأخرى السطحية البعيدة عن التأثير على هذه الأهداف.

٣ - التعميم لمحاولة استنباط مبادئ أو نظريات في صورة مبدئية. وتعتمد هذه الخطوة على خيال الباحث وقدرته على التصور ومعرفته بالمبادئ والنظريات التي لها علاقة مباشرة بمجال بحثه.

٤ - التحقق من صحة النظرية وصلاحياتها عن طريق التجربة.

٥ - وضع البيانات والنتائج في صورتها النهائية.

وهذه الخطوات تتشابه إلى حد كبير مع خطوات التفكير على أن القيام بالتحقيق يستدعي اختيار عناصر مختلفة، ومتعددة، مما لا يتاح للصحفي في أغلب الأحيان، لذلك لا يستطيع التوصل إلى نتيجة مقبولة علمياً. وأخيراً، فإن توجيه النقد إلى هذه العناصر في التحقيق الصحفي يكون أشد تطرفاً منه في التحقيق العلمي. ويظهر الفرق بين النوعين في مرحلة النشر، فالصحفي يحذر دائماً من استعمال الألفاظ الصعبة والثقيلة؛ وكل ما يضيف على تحقيقه طابعاً "علمياً". ويتلخص منه الصحفي في الواقعية والحيوية التي لا يمكن أن تتوفر إلا جزئياً؛ ولكنه يسعى إلى أن يتوصل، من مجمل العناصر التي ينقلها، إلى خلاصة أو نتيجة. يقول الأستاذ جويار:

"ليس لدى المندوب الكبير، الذي يعالج موضوعاً أوسع مما يعالج المحققون، أحياناً كوضع دراسة عن بلد من مختلف جوانبه، الوقت الكافي ليهتم بالجزئيات، إذ أنه يتحتم عليه أن ينقل في "تحقيق" واحد أو سلسلة "تحقيقات"؛ أهم الخصائص التي يجدها، بحيث يتمكن من تزويد قرائه بفكرة واضحة عنه".

ويقول "أل هيوستر"^(١): "تعد صحافة التحقيقات نمطاً من الصحافة يصعب ممارسته في أي مكان. وتزيد ممارستها صعوبة في الكثير من دول العالم الثالث حيث الأنظمة

(١) أل هيوستر: صحافة التحقيقات؛ في: دليل الصحفي في العالم الثالث ترجمة كمال عبدالرؤوف ص ١١١.

الصحفية جزء لا يتجزأ من الحكومة الوطنية. وحتى عندما تكون الصحافة منفصلة عن الحكومة في العالم الثالث، فإن فكرة "التحقيق في أى شيء تقابل بدهشة كبيرة.

ويعود جانب من التشكيك في قدرة الصحفيين على ممارسة هذا النمط من الصحافة، أو بشأن السماح لهم بذلك في ظل أنظمة الحكم بالعالم الثالث، إلى الطريقة التي يتم بها تعريف "صحفي التحقيقات". ذلك أن الكثيرين لديهم تصور عن صحفي التحقيقات بأنه مزيج من المقاتل العنيد، ورجل البوليس السري، والكلب البوليسي الذي يتعقب الرذيلة والجريمة والفساد والأخطاء الإنسانية على الدوام.

ولو أننا أمعنا النظر في هذا التصور لوجدنا أن أصحابه يعتقدون أن صحفي التحقيقات هم أناس ميالون إلى النقد العنيف والسخرية، ومتعنتهم الوحيدة في الحياة هي "تقليب كل الصخور رأساً على عقب، ليرى ما يمكن أن يخرج من تحتها من هوام".

وكل هذه التصورات النمطية عن صحافة التحقيقات تضم جانباً من الحقيقة. ولكن لسوء الحظ فإن الجمهور، والكثير من الصحفيين لا يفكرون في مثل هذا النوع من الصحافة إلا من حيث "الفضح" الذي يتم دائماً على حساب موضوع التحقيق الصحفي. وإننى أرى أن صحافة التحقيقات يمكن أن تكون أوسع نطاقاً، كما يمكن أن تشمل تغطية صحفية تفسيرية متعمقة".

غير أن معظم ما نسميه "صحافة التحقيقات: يختلف من عدة زوايا هامة عن التغطية الإخبارية الروتينية.. وتشمل هذه الاختلافات^(١):

(١) أن التحقيقات الصحفية تتم عادة على أساس أنها ينبغي أن ينتج عنها عمل ما، وأن تغييراً ما يجب أن يحدث. وسوف نرى أنه توجد أحياناً استثناءات لهذه القاعدة.. بمعنى أن قد يؤدي تحقيق صحفي شامل أحياناً إلى تأكيد ما تم إنجازه بالفعل وإظهار تقدير الجمهور له.

(٢) أن التحقيقات الصحفية عادة ما تشغل مساحة أكبر، وتستغرق وقتاً أطول للإعداد لها ولجمع المعلومات. كما تستغرق وقتاً أطول في كتابتها.

(١) نفس المرجع ص ١١٢.

(٣) أن التحقيقات الصحفية تتطلب دائماً وفي الغالب موارد مالية أكبر، كما تستغرق وقتاً أطول من جانب من يقومون بها، لأن التحقيقات ينظر إليها على أنها ذات أهمية أكبر من العمل الصحفي الروتيني.

(٤) أن التحقيقات الصحفية يتم كتابتها، في كثير من الأحيان، ليس بقصد كتابة تقرير واقعي عن أحد الموضوعات، ولكن لأن كاتبها يضع في ذهنه أن ثمة حاجة إلى تغيير ينبغي أن يحدث، وإلى إصلاحات يجب أن تتم، أو أخطاء ينبغي أن تمتد إليها يد الإصلاح. ومن ثم فإن إدارة الجريدة أو المجلة ورئيس تحريرها والمحررون ينبغي أن يكونوا متففين على إنفاق الوقت وتخصيص المال لمثل هذه التحقيقات قبل البدء فيها.

(٥) أن التحقيقات الصحفية تتضمن عادة أيضاً معالجة خاصة تجعل مادة التحقيق جذابة بصفة خاصة، كما تتطلب أحياناً إصدار طبعات خاصة.

(٦) ويتم توجيه دور أكبر من الاهتمام عادة بتزويد التحقيقات الصحفية بالصور الجيدة والرسومات، والرسوم البيانية، والرسوم التخطيطية، والخرائط والجدول.

(٧) أن التحقيقات الصحفية يسند القيام بها عادة إلى أكثر الصحفيين والمحررين خبرة، لأن كتابتها بنجاح تعد من أصعب أنماط الكتابة الصحفية.

(٨) وينبغي دائماً أن يتم اتخاذ قرارات على أعلى المستويات في الجريدة أو المجلة أو الإدارة الحكومية، للموافقة على مشروع التحقيقات الصحفية، وذلك لأن الصحيفة أو المجلة تتخذ - على نحو ما - موقف النقد أو الاستحسان للموقف أو الوضع الذي سيجري كتابة تحقيق صحفي بشأنه.

ومن المتوقع في كثير من الأحيان أن يبلور الصحفي أفكاراً لمشروع التحقيق الصحفي، والصحفي يختص عادة بمسؤولية تغطية مجال معين يتطلب منه غالباً أن يقدم أفكاراً للتحقيقات الصحفية التي تكتب في إطاره. وفي بعض الأحيان فإن فكرة التحقيق الصحفي تكون من وحى مسؤولين على مستوى عال ممن يقابلون الصحفي ويعطونه كمّ التوجيه اللازم. ويكون الصحفي محظوظاً إذا لم يحاول هؤلاء المسؤولين أن يخنقوا مقدماً ما هي نتيجة التحقيق الصحفي. ومن وجهة النظر المثالية، فإن الصحفي أو مجموعة الصحفيين المكلفين بالقيام بالمشروع ينبغي أن يكونوا قادرين

على التخطيط لمشروع التحقيق الصحفي (وذلك بالتعاون مع رؤساء التحرير وغيرهم) ثم يجمعون المعلومات التي يبنون عليها استنتاجهم.

وينبغي أن يتعلم الصحفيون بسرعة إلا يحاولوا كتابة تحقيقات تثير الجدل والخلاف، دون الحصول على موافقة المؤسسة التي يعملون بها. وإذا لم يتلق مثل هؤلاء الصحفيين تأييد رؤسائهم لمشروع التحقيق مقدماً، فإن من الممكن أن تحدث ضغوط مؤثرة على رؤسائهم لإلغاء مثل هذه التحقيقات. والصحفي الذي لا يحصل على تأييد مؤسسته، يمكن أن يجد نفسه وقد وقع في مأزق. ويجب أن يحذر الصحفيون من أنه إذا أحدث تحقيق صحفي عكس ما يرجى منه فقد يجد كل منهم نفسه وقد تحول إلى كبش فداء: فقد يحدث مثلاً ألا يستطيع أحد كبار المسؤولين أن يتحمل حدة النقد فيقول: "إن الصحفي فلانا قد انجرف واندفع وكتب دون كفاءة أوفهم. وسوف نتخذ إجراءات تأديبية ضده. إننا في غاية الأسف".^(١)

"كما ينبغي تحذير الصحفيين بأن عليهم أن يتحسسوا طريقهم بحرص عندما يقدمون على كتابة التحقيقات الصحفية الحساسة أو المثيرة للجدل والخلاف.. وذلك لأن مثل هذه التحقيقات هي التي يمكن، على الأرجح، أن تهدد مصادر الأخبار والمسؤولين. ومن الضروري وجود خطة جيدة لإجراء التحقيق الصحفي إذا أردنا تجنب ضياع الوقت والمال. ويجب على الصحفي . بالاتفاق مع رؤساء التحرير وغيرهم - أن يسأل أولاً: "ما هو الشيء الذي يرغب في إجراء تحقيق بشأنه أو نرغب في اكتشافه؟" والخطوة الثانية هي أن يحدد بدقة، بقدر الإمكان: الأسئلة التي يمكن أن تساعد على الحصول على إجابات في التحقيق. وبعدها فإن على الصحفي أن يضمن أي المصادر التي يمكن أن يكون لديها المعلومات المطلوبة، وما إذا كانت هذه المصادر ستسمح له بالإطلاع على هذه المعلومات أو الحصول عليها. والمقابلات الصحفية، والملاحظة الفعلية لأحداث بعينها؛ ومحاولة تكوين خلفية بالقراءة في المكتبات العامة، أو تصفح المطبوعات المختلفة.. كلها أمور قد تكون ضرورية للحصول على المعلومات المطلوبة للتحقيق الصحفي.

(١) المرجع نفسه ص ١١٤.

وعلى الصحفي، بالتعاون مع رؤساء التحرير وغيرهم، أن يحاول أيضاً أن يضمن ما إذا كان التحقيق الصحفي يمكن أن يقوم به صحفي واحد أو مجموعة من الصحفيين. وإذا كان الأمر يتطلب إشراك أكثر من صحفي، فمن الضروري اتخاذ قرارات تحدد المسئول عن كل مرحلة من مراحل التحقيقات. وقد يحدث أن يُسند إلى صحفي بعينه أيضاً مهمة الإشراف على بقية المجموعة. وإذا كان الأمر يتطلب استخدام مصورين صحفيين فإن من الضروري أن يحضروا عند التخطيط للتحقيق الصحفي حتى يتمكنوا من تقديم اقتراحاتهم بشأن الصور الجيدة. وهذا ينطبق أيضاً على الفنانين أو رسامي الكاريكاتير أو غيرهم من الأشخاص الذين سيتطلب الأمر الاعتماد على مهاراتهم المختلفة.

وربما يحتاج الصحفي أو رئيس التحرير الذي يشرف على مشروع التحقيق الصحفي إلى أن يضع مذكرة تفصيلية تحدد موضوع التحقيق، وأهم الأسئلة التي سيتم توجيهها (كلما أمكن ذلك مقدماً)، والمصادر التي سيتم إجراء مقابلات معها، والخلفية التي ينبغي الحصول عليها، والشكل الذي سيقدم التحقيق به.. كأن يكون مثلاً فى شكل سلسلة أو على صفحتين متقابلتين أو أى شكل آخر^(١).

أنواع التحقيق الصحفي:

يميز علماء الصحافة بين "التحقيق المتخصص"؛ أو "الموضوع المفكرة" La chronique والماجريات البرلمانية؛ والقضائية؛ والموضوع الرياضى؛ والثقافى؛ والسينمائى؛ والنسائى؛ والتليفزيونى؛ وهذه يطلق عليها تعبير Chronique.

ويتم التمييز بين نوعى: التحقيق المتخصص أو "موضوع المناسبات أو المفكرة" على أساس من التقويم الصحفى؛ ومعيار الحالية الزمنية بصفة خاصة؛ وهو معيار أساسى فى الأعمال الصحفية بصفة عامة.

التحقيق السياسى والقضائى والرياضى:

يلزم على المخبر السياسى أو القضائى أو الرياضى أن يأخذ بسلسلة متتالية من الأحداث المتوقعة. وفى حال وقوع أحداث طارئة، لا يتردد الصحفى فى معالجتها

(١) نفس المرجع ص ١١٤.

لإطلاعه مسبقاً على جميع حيثياتها. فالمخبر المتخصص، على اطلاع دائم على الأحداث التي تدخل في نطاق اختصاصه، ويلاحقها ويتابع تطوراتها وإن لم يكن مدعواً إلى تغطيتها. يقول "جويار":

"باستثناء المخبرين المتخصصين، فإن مهمة الصحفي هي انتظار الأحداث المهمة ومتابعة تطوراتها بين وقت وآخر. وهذه المراقبة تضاف على تحقيقاتهم الواضحة وتجعل عرضها جيداً، إذ يقومون بتحليل الموقف السياسي، كلما رأوا ذلك مناسباً، ودون انتظار وقوع حدث مهم؛ أو يقومون بدراسة أولية يستعرضون فيها ملف دعوى سينظر فيها في اليوم التالي، أو يتابعون تطورات نشاط ناد رياضي. فنشاط هؤلاء الصحفيين لا يتوقف؛ لأن لديهم دائماً عملاً متواصلاً من السعي وراء المعلومات ومعالجة التحقيقات إجمالاً مع شخصيات مطلعة. فالمرح أو المندوب السياسي يحضر دائماً في قاعات المجالس، ومكاتب الوزراء، وسكرتارية الأحزاب مراقباً ما يجري فيها. وهو يجهد نفسه دائماً ليلم بما يدور في اللجان، وما يُهَيَّأ في الدوائر، وما ترتب عليه الجماعات. أما المندوب القضائي فيذهب بانتظام إلى دور القضاء والمحاكم، حتى في غياب الدعاوى، وهو يتابع، بالحوار مع القضاة والمحامين وكتاب المحاكم، تطور التحقيقات القضائية. ويلحق المندوب الرياضي تدريب الفرق، ويقابل مديري الأندية بانتظام^(١).

"وعلى الصحفي، ليمارس هذه الوظائف، أن يتصف بحب الإطلاع والفضول، وبالاحساس المرهف واحترام السر أيضاً.

فالاطلاع، صفة تفرضها ضرورة احترام القارئ؛ والاطلاع سلاح يسهل مهمة البحث عن الأنباء. فالذي يقول عنه زملاؤه أنه محظوظ لحضوره الدائم في المكان المناسب وفي الوقت المناسب، هو صحفي مطلع على مجرى الأحداث، ويتفهم مباشرة؛ فأقل مؤثر يمكن أن يتيح الحصول على وثيقة هامة. ويفضل النواب التوجه في أحاديثهم إلى الصحفيين البرلمانيين المطلعين، ليحصلوا منهم على بعض المعلومات.. "والخدمة يقابلها دائماً خدمة أخرى".

(١) جويار: تقنية الصحافة، السابق ص ٧٥.

إن الفضول والحس المرهف لا ينفصلان. فالأول هو المحرك لكل باحث عن الأنباء، والثانى هو المكبح الذين يمنح الصحفى من أن يصبح شديد الإلحاح، الصفة التى يمكن أن تفقده مصدر أخباره.

والمحافظة على السر تبدو وكأنها صفة تناقض تماماً وظيفة الصحفى. لكن يجب أن لا نتردد فى تصنيفها بين الصفات المهنية؛ لأنها تساعد على نيل ثقة الأشخاص الذين يعتمد عليهم الصحفى فى الحصول على أخباره.

وعندما تنشأ مثل هذه العلاقة من الثقة المتبادلة، يحصل الصحفى أحياناً على اعترافات شخصية تساند معلوماته الخاصة. والبوح بهذه الاعترافات، لا يعبر عن سوء لياقة فحسب، بل قد يؤدى إلى خسارة مستقبل الصحفى المهنى. وهو بذلك، لا يفقد مصدر أخبار واحد فحسب، بل يبتعد عنه جميع من يعتمد عليهم فى الحصول على الأنباء.

وقد لا ندرك، للوهلة الأولى، أهمية هذه الاعترافات. ونحن ننسى أن الصحفى، إذا لم يستطع البوح بها مباشرة، فهو يستفيد منها بطريقة أخرى؛ فيبتعد أولاً عن نشر نبأ يتعارض مع هذه الاعترافات، لأنها تسمح بإطلاع أفضل على موقف ما، وتساعد على مراقبة حدث منتظر. فإذا أطلع صحفى، من أحد الدبلوماسيين، على الاستعدادات الجارية لعقد اتفاق دولي؛ فيتفوق بهذا الإطلاع على زملائه بالقدرة على درس ظروف الاتفاق قبل إعلانها، أو نشره، قبل إعلان الإتفاق، بعض المعلومات التاريخية أو التفسيرية أو المكملة. وإذا ما أسرّ رئيس ناد رياضى لأحد المندوبين الرياضيين بنية أحد الأبطال تحطيم رقم قياسى، فإن المجال يتسع أمام الصحفى ليرسل إلى مكان المباراة العدد الكافى من المخبّرين والمصورين لتغطية الحدث، مما لا يتاح لسواه من الصحفيين غير المطلعين على مجريات اللعبة.

وفى النهاية وكقاعدة عامة، فإن محافظة الصحفى على الأسرار، عنصر ضرورى لاستمرار الثقة المتبادلة بين مصدر الأخبار ورجل الصحافة.

وتعتبر تغطية دورة نيابية أو جلسة محكمة أو مباراة رياضية، فى قمة نشاطات المحرر البرلمانى أو القضائى أو الرياضى، وإن كانت لا تشكل إلا جزءاً من هذه النشاطات. ولقد رأينا أن دور الصحفى هو التهيئة لهذه اللحظة الحاسمة. وأصبح

ترداداً لا فائدة منه أن نشدد على أهمية الإطلاع، قبل وقوع الحدث على المسائل المطروحة وظروفها: كأخذ تصريحات من الكتل النيابية الكبيرة غير المشتركة في الحكم، اتجاهات الآراء المطروحة. وعلى الصحفي أن يتمتع، في هذا المجال، بانتباه ثابت؛ فلا ينجذب إلى المظاهر التي قد تحول الانتباه عن الموضوع الرئيسى، فالمحامى يحاول أن يلفت انتباه لجنة المحلفين وهيئة المحكمة ورجال الصحافة إلى تفاصيل تخدم مصلحة المتهم، أو إلى تفاصيل نافهة ومسلية، وهدفه من وراء هذا التصرف إخفاء العناصر الاتهامية التي قد تورط موكله، ويحاول الوزير أو النائب أسر المستمعين بسحر بيانه ليخفى نقاط الضعف فى حجته. وإذا كانت هذه المظاهر تدخل فى صميم الحدث، إلا أن الشجرة يجب ألا تخفى الغابة. لذلك يجب على المندوب أن يحافظ على تقديره لنسبة أهمية كل جزء من الحدث. فإذا ألقى أحد المتفرجين "مفاجأة" أثناء جلسة برلمانية، يأخذ هذا الحادث الطريف مكان الصدارة، إذا كانت الجلسة مملة وتدور حول موضوع تقنى. ويمر هذا التصرف ذاته على هامش الموضوع الذى يتناول تغطية وقائع جلسة مهمة، يجرى التصويت خلالها على فرض قيود معينة^(١).

ويلاحظ "جويار": أن التحقيق البرلمانى أو القضائى يجب أن يتصف بالموضوعية؛ بينما يفسح التحقيق القضائى فى المجال أمام المعالجة الشخصية. إذ أن الجمهور الرياضى لا يكتفى بقراءة الأحداث الموضوعية فى الصحيفة، فهو يستطيع متابعة وقائع المباريات، كما تحدث، على شاشة التلفزيون. كما يلاحظ أن هذا الهامش المتروك لتدخل المحرر الرياضى الشخصى لا يسهل عمله؛ بل على العكس، إذ أن عليه أن يتصف بالحدز، لأن الجمهور الرياضى حساس، إجمالاً، ولا يسمح بوقوع أى خطأ فى نقل الوقائع وتحليلها.

ريبورتاج المنوعات:

ويتطلب هذا التنوع فى الأحداث، من الصحفي مرونة فائقة تتيح له التكيف مع الأحداث ومع المحيط المتغير. ولا يسمح هذا التنوع بوضع تعريف مطلق للمنوعات. ويعرفها "جويار" بقوله: "إنها التحقيقات التى لا تعالج موضوعات سياسية أو دبلوماسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو قضائية أو رياضية أو ثقافية".

وتتناول هذه الريبورتاجات إجمالاً موضوعات الحوادث والحرائق والأحداث الطارئة. ويدخل ضمن نطاقها الكوارث الجوية والزلازل والاعتقالات، ويفرض هذا التنوع على الصحفي أن يتواجد في اليوم نفسه أحياناً، في المخافر ملاجئ الفقراء والحفلات الاجتماعية.

والقاسم المشترك الذي يربط بين مختلف أنواع التحقيق الصحفي المنوعة، هو أن على الصحفي أن ينصرف إلى مهمته في أقصر وقت ممكن؛ فأغلب الأحداث المنوعة تكون غير مرتقبة. وبعد أن يطلع عليها الصحفي، عليه أن يبادر بالذهاب إلى مسرح الحدث ويستكمل البحث عن الحقيقة؛ لينصرف بعدها إلى كتابة موضوعه بالسرعة اللازمة. وإذا كانت سرعة الانتقال تستوجب حسن اختيار وسيلة النقل، فإن سرعة القيام بالتحقيق تستوجب تطبيق القواعد العامة في رباطة جأش. وفيما يتعلق بإيصال الوقائع إلى سكرتارية تحرير الصحيفة، على المندوب أن يعرف كيف يتصرف ليجد هاتفاً في مكان مقفر والأكثر تعقيداً هو معرفة وقوع الحدث غير المتوقع، فالمخبر لا يستطيع الاعتماد على المصادفة ولا على الحظ وحدهما.

وفي هذا المجال من السعى وراء الأخبار المنوعة، تزداد المخاطر من أن يتفوق علينا منافس، فنفاجأ بالخبر منشوراً في صحيفة أخرى. ولتجنب هذا الخطأ، يبادر محررو المنوعات إلى تنظيم وتنمية شبكة متكاملة من الخبرين المتطوعين. وفي انتظار وقوع حدث طارئ، لا يكتفى المحررون بترقب اتصال هاتفي من أحد المتطوعين، بل ينصرفون إلى ملاحقة الأخبار ومعرفة مصادر أخرى، وتتميز هذه المصادر بالتنوع؛ ومنها ما هو ضروري، كالأشخاص الذين يؤدون مهمات تتيح لهم الإطلاع على الحوادث حين وقوعها: من رجال الشرطة والاطفاء والمستشفيات.

ومن الضروري أن يقوم المخبر الذي يلاحق هذه الموضوعات بجولة يومية على مخافر الشرطة. وعليه أن يجهد نفسه في الحصول على مزيد من التفاصيل من ضباط الأمن وكتاب النظارات.

وقد لا يتوصل المخبر إلى الحصول على معلومات من رجال الشرطة؛ ولهذا يفضل أن يصل إلى مكان الحادث قبل وصولهم أو برفقتهم. كما يجب أن نتذكر أنه يوجد آخرون، غير رجال الشرطة، مطلعون على الأحداث، كالمعتدى عليهم ومرتكبي الجريمة

والشهود. وإذا كنا لا ننتظر الحصول على المعلومات من المعتدى عليهم أو مرتكبي الجريمة، فإنه يجب أن نعتمد على الشهود مباشرة أو نسترشد بواسطة المخبرين المتطوعين المحليين؛ مثل عمال البارات وموزعي الصحف والتجار وحراس الأبنية. ولهؤلاء الحظ بأن يطلعوا بسرعة على الأمور غير الطبيعية التي تجرى في النطاق الذي يوجدون فيه. ويكافأ المتطوعون بجوائز أو خدمات صحفية مجانية. وإجمالاً يكتفى المتطوعون بما يوحيه إليهم المحرر من شعور بأهمية دورهم. لكن على الصحفي ألا يكتفى بالاعتماد على هؤلاء المتطوعين الذين لا ينفعون إلا في حال وقوع أحداث مرئية أو دامية. فخير وفاة شخصية مرموقة، داخل منزلها، يبقى محصوراً في نطاق العائلة وفي محيط عملها. ومن هنا تتضح أهمية شبكة المخبرين المتطوعين الذين يعملون في الإدارات والمؤسسات والشركات المختلفة، والتي يتعاون معها المحررون في مختلف أقسام الصحيفة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

بين "الحديث" والتحقيق الصحفي:

وكما تبين في دراستنا للحديث الصحفي؛ أنه قاسم مشترك بين فنون التحرير؛ وهو في التحقيق الصحفي وسيلة أساسية من وسائل جمع المعلومات والآراء؛ وحظه من الوقت "أوفر" من حظه في الأخبار والقصص الخبرية؛ ذلك أن إنجاز التحقيق الصحفي وكتابته تتم قبل يوم أو أكثر من نشره. ونظراً إلى أن التحقيق الصحفي ينشد عادة الكشف عن حقيقة شخصية ما أو جو ما، فإن المجرى الكلى للمقابلة يتأثر بذلك. فيصبح المخبر كثير التدقيق في الاختيار. ويسعى في المقام الأول إلى المادة التي من شأنها أن تسهم في رسم صورة جيدة للشخصية أو المادة التي من شأنها أن تجعل للجو عمقاً. ونتيجة لذلك يتحدث مطولاً بقصد اختيار المواد المفيدة بعد المقابلة. فإذا كان يستجوب مثلاً أحد عمال مناجم الفحم بقصد إظهار شظف حياته جاز أن يسأل أسئلة كثيرة خارجة عن الموضوع من أجل أن يدرس وجه العامل وهو يجيب. وإذا كان يكتب عن الحياة على سفينة نهريّة أمكنه أن يطرح الكثير من الأسئلة على طاقم السفينة لمجرد استيعاب الجوامع المهيمن عليها. وهكذا فإن الاستجواب المتعلق بالتحقيق الصحفي غالباً ما يكون أشبه بمحادثة بين صديقين منه بإجراء السؤال والجواب^(١).

(١) فريزر روند : السابق ص ١٤٦.

ويلاحظ "توماس بيرى" اختفاء شخصية الكاتب في الموضوع الإخبارى الذى يخلو بكامله من العنصر الشخصى الذاتى. فالحقائق المجردة الصرف تروى بطريقة موضوعية، فليس فيها من ظن أو تخمين أو رأى أو تنقيب وراء المظهر عن زاوية ذات طابع إنسانى. وهكذا ليس فى الموضوع الإخبارى، باستثناء أساليب كتابية ثانوية الأهمية، ما يكشف عن ملامح شخصية الكاتب.

أما فى التحقيق الصحفى فإن اللهجة كلها تصبح شخصية، فنجد فيه معالجة ذاتية متميزة للجوانب ذات السجية العاطفية أو الدرامية أو الشخصية – الجوانب التى تنطوى على جاذب مثير للاهتمام الإنسانى. وبالاختصار يتبنى الكاتب هنا طريقة ذاتية من أجل أن يصور الصفة الإنسانية فى الموضوع. وهكذا فإن الفارق بين الموضوع الإخبارى والتحقيق الصحفى يكمن فى الاختيار والمعالجة. فکاتب الموضوع الإخبارى لا ينتقى إلا الوقائع الصرف ولا يعالجها إلا موضوعياً، أما كاتب التحقيق الصحفى فإنه يركز فى زاوية الطابع الإنسانى للموضوع ويعالجها معالجة ذاتية.

وبالطبع ليست الأخبار كلها طوع المعالجة كتحقيق صحفى. فالكاتب خلیق مثلاً بأن يقاسى عنثاً شديداً فى اكتشاف مادة التحقيق الصحفى فى بيان روتينى يعلن أن المؤسسات العامة ستغلق أبوابها، كما هى العادة يوم عيد من الأعياد. ولكن بعض الموضوعات الإخبارية يحفل بداهة بما يجعل منه مادة تحقيق صحفى وبشكل يحمل المرء على معاناة العنت الشديد فى معالجتها كأخبار صرف. فلا شك مثلاً فى أن قصة المرأة العجوز التى تتحدى السلطات برفضها إخلاء بيت حكم عليه بالهدم، تشكل مادة لتحقيق صحفى. وكذلك الحال فى نبأ رجل يتلقى إعانة خيرية تعوله فاشترى انسجماً مع حدسه بطاقة يانصيب وريج الجائزة الكبرى، فأخبار كهذين الخبرين تؤلف، بداهة، مادة لتحقيق صحفى، لأن زاوية الطابع المثير للاهتمام الإنسانى يجب أن تتقدم على الحقائق الصرف. ولا شك فى أن الجوانب الشخصية فى هذه الحوادث ادعى إلى إثارة القارئ من الحقائق المجردة للخبر.

وهنا لابد بالطبع من اتخاذ قرار فاصل فى الحالات التى يمكن فيها استخدام الخبر كخبر صرف أو مادة لتحقيق صحفى. ويستند هذا القرار عموماً إلى السياسة التحريرية للصحيفة، ويتوقف على عدد التحقيقات التى سبق استخدامها، ثم على

قيمة الموضوع كخبر صرف مباشر بالقياس إلى قيمته كتحقيق صحفي. وتبعاً لذلك فقد تستخدم هذه الصحيفة مجموعة معينة من الوقائع والحقائق كخبر صرف، بينما تستخدم تلك الصحيفة الصادرة في المدينة ذاتها تلك المادة موضوعاً لتحقيق صحفي. ويمكن إيجاد مثال على هذا التباين في اختلاف طريقة معالجة الموضوعات المتعلقة بشراء الإدارة المحلية لمعدات جديدة. فبعض الصحف يطلب في إيراد النبأ (بتسجيل ردود فعل الموظفين والتغيرات المترتبة على ذلك الخ) بينما تقتصر صحف أخرى على إيراد تفصيلات صفقة الشراء بطريقة مقتضبة.

وثمة نقطة أخرى تجدر ملاحظتها في التمييز بين الخبر الصرف والتحقيق الصحفي، هي أن كثيراً من الأخبار يكون بين بين. فقد يطلب رئيس التحرير عندما يعهد في موضوع إلى كاتب أن يعطيه طابعاً مسلياً أو طابعاً فكاهياً أو طابعاً تهكمياً. وهذه الموضوعات التي تقع بين بين هي، باختصار، ليست من قبيل الخبر الصرف ولا من قبيل التحقيق الصحفي الصرف، إنما تنطوي على بعض من خصائص كل منهما^(١).

ومن الأنماط الفنية في تحرير التحقيق الصحفي:

- ١ - النمط العرضي Exposition.
- ٢ - النمط القصصي Narration.
- ٣ - النمط الوصفي Discription.
- ٤ - النمط الاعترافي Congession.
- ٥ - النمط الحوارى Interview.

(١) توماس بيرى: الصحافة اليوم، السابق ص ١٦٣.



الفصل السابع



المقال الصحفي

لعلنا نذكر المسيو جوردان، ذلك البطل الثرى الجاهل فى مسرحية "موليير" المسماة: "الجنّتلان البورجوازي"، ذلك أن جوردان هذا استأجر كثيراً من المعلمين ليعلموه فنون المجتمع الراقى، وفى أحد المشاهد نجد جوردان يتلقى درسه الأول من أستاذ الفلسفة ولكنه يقاطع الدرس ملتسماً طلباً خاصاً:

جوردان : أريد أن أفضى إليك بسر عظيم يقتضى الكتمان. إننى واقع فى حب سيدة من الطبقة الراقية وأريدك أن تساعدنى على أن أكتب لها رسالة أثبت فيها لواعج غرامى.
المعلم : حسناً.

جوردان : أريدها رسالة فى غاية الطرافة والكياسة.

المعلم : بكل تأكيد – وتريدها بالطبع شعراً؟

جوردان : كلا.. كلا – ليس بالشعر.

المعلم : إذن لا شئ سوى النثر؟

جوردان : كلا لا أريدها مكتوبة لا بالشعر ولا بالنثر.

المعلم : ولكن يا سيدى – لابد لها وأن تكون إما شعراً وإما نثراً.

جوردان : ماذا تعنى بذلك.

المعلم : لأن كل شئ يا سيدى لا يكون نثراً فهو شعر، وكل ما ليس بشعر فهو نثر.

جوردان : وعندما يتكلم المرء – فماذا يكون ذلك؟

المعلم : ذلك نثراً يا سيدى.

جوردان : ماذا تقول؟ هل إذا ناديتُ خادمى وقلت له "أحضر خفى يا نيكول وناولنى قلنسوة النوم" – فهل هذا نثر؟

المعلم : نعم يا سيدى.

جوردان : حسناً.. حسناً.. حسناً.. إذن لقد ظللت أتكلم نثراً طوال فترة تزيد على أربعين عاماً وأنا لا أدري شيئاً عن ذلك.. إننى شاكر لك جداً أن علمتنى ذلك!!

ولكن ما لم يعرفه السيد جوردان أن هناك ثلاثة مستويات للتعبير اللغوى:

أولها: المستوى التذوقى الفنى الجمالى فى الأدب والفن.

والثانى: هو المستوى العلمى النظرى التجريدى ويستعمل فى العلوم.

والثالث: هو المستوى العملى الاجتماعى العادى وهو الذى يتسخدم فى الصحافة والإعلام بوجه عام. وهذه المستويات الثلاثة كائنة فى كل مجتمع إنسانى، والفرق بين المجتمع المتكامل والسليم، والمجتمع المنحل المريض هو فى تقارب المستويات اللغوية فى الأول... وتباعدها فى الآخر. فتقارب مستويات التعبير دليل على تجانس المجتمع، وتوازن طبقاته، وحيوية ثقافته، ومن ثم إلى تكامله وسلامته العقلية، فمن الثابت أن العصور التى يسودها نوع من التآلف بين المستويات العلمية والأدبية والعملية، هى غالباً أزهى العصور وأرقاها^(١).

وفن المقال الصحفى - تأسيساً على هذا الفهم - ثمرة من ثمار التقدم الحضارى، فهو بطبيعته لا يزكو إلا فى بيئة يتكون فيها الرأى العام، ويتقدم فيها العمل السياسى وتتصارع بها الآراء والاتجاهات، وينتشر فيها التعليم، وتنهض الفنون، وتصبح الديمقراطية اتجاهها مقبولاً لدى الجميع، وينتقل التفكير من الذاتية والأسطورية إلى الواقعية والموضوعية.. فإذا نظرنا إلى فن المقال الأدبى نفسه وجدنا أنه قد ظهر فى بيئة ملائمة لنشأته وجد فيها جواً صالحاً للنمو والازدهار، فمن الثابت أن فن المقال قد رأى النور فى عصر النهضة الأوربية^(٢).

ماهية فن المقال.

أطلق "مونتاني" على مقالاته اسم "المحاولات" Essay كأنه - على حد تعبير العقاد - يعتذر من ترسله فيها بغير تقيد بموضوع واحد أو تعمق فى التفكير، وكانت المحاولة فى اصطلاح الفنانين هى معالجة صنع التمثال من مادة رخوة كالشمع وما إليه قبل صبه فى قوالب النحاس أو نحته من الرخام. فأراد "مونتاني" بمقالاته أن تكون محاولات "رخوة" من هذا القبيل، وقصرها على الأحاديث المستخفة والتجارب الشخصية التى يتناجى بها الإخوان فى ساعات السمر وتزجية الفراغ.

فلما تناول "باكون" الكتابة المقالية أقل فيها من الناحية الشخصية وزاد فيها من الناحية الدراسية فأصبحت مقالاته أقرب إلى التركيز والإدماج منها إلى التبسط والفكاهة، ولقيت مع ذلك رواجاً أى رواج، ثم نشأت الصحافة فاستقرت المقالة فى

(١) د. إبراهيم إمام. دراسات فى الفن الصحفى ص ١٧٨.

(2) Imam. I. The Language of Journalism (1969).

مكانها الذى لا غنى عنه بنوع آخر من أنواع الكتابة الوجيزة، بعد أن كانت محاولة مترددة بين القبول والإهمال.

"وانقسمت موضوعات المقالات على حسب الصحف والمجلات، فما كان منها للتسلية والقراءة العامة فقد التزمت فيه طريقة مونتاني وتابعيه، وما كان للدرس والقراءة الخاصة فقد غلبت عليه صبغة الجد والإتقان، وقيل فى تعريف النمط الأول إنه أشبه شئً بحديث شخصى تفاجئه على غير انتظار فهو مزاج من التفتح والحيطة العارضة على مسمع من المترقبين المتطلعين.. وقيل فى تعريف النمط الآخر إنه درس يلاحظ فيه تلخيص المطولات وتقريب المتفرقات، وقد يبلغ الغاية من التركيز والإدماج^(١).

ويذهب العقاد^(٢) إلى أن "المقالة" ينبغى أن تكون "مشروع كتاب فى موضوعها لمن يتسع وقته للإجمال ولا يتسع للتفصيل، فكل مقالة فى موضوع فهى كتاب صغير يشتمل على النواة التى تنبت منها الشجرة لمن شاء الانتظار".

أما الدكتور جونسون، فيذهب إلى أن المقال "وثبة عقلية لا ينبغى أن يكون لها ضابط من نظام، وهو قطعة إنشائية لا تجرى على نسق معلوم، ولم يتم هضمها فى نفس صاحبها، أما الإنشاء المنظم فليس من المقال فى شئ" وفى تعريف آخر: "المقال هو الإنشاء المتوسط الطول، يُكتب نثراً عادة، ويعالج موضوعاً بعينه بطريقة بسيطة موجزة على أن يلتزم الكاتب حدود هذا الموضوع، ويكتب عنه من وجهة نظره هو".

لقد تواضع رجال النقد على أن يطلقوا كلمة "مقالة" على كل ضروب الكتابة النثرية إن قصر طولها وعالجت موضوعاً واحداً، ويذهب "تشارلتن" إلى أن المقالة قد تكون نظماً، ولذلك أمثلة قليلة، نجدها فى العمود الشعرى، ولهذا كان مدى التفاوت بعيداً جداً بين مختلف صنوف التحرير التى تقع تحت هذا الاسم، فالبحث العلمى القصير مقالة، كالرسالة العلمية التى كتبها "لوك" عن طريق اكتساب الإنسان للمعرفة وأطلق عليها "مقالة فى العقل البشرى" والقطعة الأدبية الفنية مقالة، ومثال ذلك مقالات "لام" و"أيام" طه حسين، وهذا النوع من المقالة لا يضيف إلى العلم الإنسانى علماً جديداً ولا يقدم للمقارئ معرفة، إنما يقصد إلى إمتاعه ولذته بما فيه من فن جميل، وبين هذين الطرفين — المقال العلمى من ناحية والمقالة الأدبية من ناحية أخرى —

(١) عصر العقاد؛ للمؤلف؛ السابق ص ٧٠.

(٢) نفسه ص ٧١.

تتفاوت المقالات درجات في دنوها من هذا الطرف أو ذاك، فمنها ما هو إلى العلم الخالص أقرب، ومنها ما هو إلى الفن الخالص أقرب، ومنها ما يجمع الغايتين معاً. على نحو ما نجد في، مقالات "ماكولي" التي يحاول فيها أن يكون مؤرخاً علمياً يتوخى الحق وصدق الرواية، أن يكون فناناً في ألفاظه وعباراته في وقت واحد^(١)، شأنه في ذلك شأن طه حسين حينما يحاول في مقالاته ما يحاول الخطيب بأسلوبه، يظهر للناس كأنما هو يدير القول في موضوع عقلى منطقي، لكنه برغم ذلك لا يرجو أن يؤثر عليهم بحجته بقدر ما ينفذ إلى قلوبهم بقوة العبارة وحسن البيان. هذا عن المقال الأدبي، أما المقال الصحفي فيرتبط بوسائل الإعلام، التي تحتوى على ثلاثة أنواع رئيسية من المضمون الإقناعي.

أولها: الإعلام وثانيها الدعوة المقصودة: كالمقالات الافتتاحية، والرسوم الكاركاتيرية والأعمدة والمقالات التفسيرية التي تؤدي بالقارئ إلى الوصول إلى استنتاج. وثالثها ذلك المضمون الذي يراد به أساساً، الترفيه أو الإعلام بحيث يكون الإقناع منتجاً فرعياً محتملاً.

ويذهب ريفرز وزميلاه في كتاب "وسائل الإعلام والمجتمع الحديث" إلى أن المضمون الإخباري لوسائل الإعلام قد يكون له تأثير أكبر في الرأي العام من الإقناع الصريح، بمعنى أن الأخبار قد تكون ذات قوة أكبر في تشكيل الاتجاهات العامة من المقالات والأعمدة السياسية، والأخبار تسجل الأحداث، وقد تغير الأحداث التي تقدمها الصحيفة عقولاً أكثر مما تغيره الدعاية.

ويقدم هودلي كانتريل في كتابه "قياس الرأي العام" قاعدة عامة تقول: "إن الرأي يتحدد عموماً بالأحداث أكثر مما يتحدد بالكلمات – ما لم تفسر هذه الكلمات ذاتها على أنها حدث" ويضيف "ريفرز" إلى ذلك، أن الأحداث تنزع إلى ترسيخ تغيرات الرأي العام الناتجة عن الكلمات، وقد يكون التغير في الرأي قصير العمر، ما لم تساند به بعض الأحداث.

ولكن هذه القواعد العامة – كما يذهب إلى ذلك برنارد بيرليون – تستدعى تعليقيين: أولهما أنه يكون من الصعب التمييز بين الأحداث والكلمات. فهل الخطاب الهام الذي يقدمه رئيس الجمهورية حدث أم مجرد كلمات؟ وثانيهما: أن كثيراً من

(١) هـ.ب. تشارلتن (تعريب وشرح د. زكى نجيب محمود) فنون الأدب.

الأحداث لا تحدث تأثيرها نتيجة حدوثها فحسب، وإنما بمعاونة من الكلمات أيضاً، أى أن أهمية الحدث فى إقناع الجمهور قد تشحذ كثيراً من خلال التفسيرات التى يقدمها معلقوا التليفزيون، وكتاب المقال الصحفى.

المقال الأدبى والمقال الصحفى.

وإذا كان عصر النهضة هو البيئة المواتية لظهور فن المقال الأدبى، فقد كانت عصور التقدم العلمى، والتنوير الفكرى، وتكون الرأى العام وظهور الطبقة الوسطى التى تمتاز بعقلية واقعية، وتهتم بمشكلات المجتمع العملية من أهم عوامل ظهور فن المقال الصحفى.. الذى يختلف - كما يذهب إلى ذلك الدكتور إمام - عن فن المقال الأدبى اختلافاً جوهرياً من حيث الوظيفة والموضوع واللغة والأسلوب جميعاً : "فالمقال الأدبى يعبر قبل كل شئ عن تجربة معينة مست نفس الأديب، فأراد أن ينقل الأثر إلى نفوس قرائه، ومن هنا قيل أن المقال الأدبى قريب جداً من القصيدة الغنائية، لأن كليهما يغوص بالقارئ إلى أعماق نفس الكاتب أو الشاعر، ويتغلغل فى ثنايا روحه حتى يعثر على ضميره المكنون، ولك الفرق بين المقال الأدبى والقصيدة الغنائية هو فوق فى درجة الحرارة. تعلقو وتتناغم فتكون قصيدة، أو تهبط وتتناثر فتكون مقالاً أدبياً "على حد تعبير الدكتور زكى نجيب محمود" أما المقال الصحفى فيتصل أكثر ما يتصل بأحداث المجتمع الخارجية عامة، كما يفترض وجود رأى عام يخاطبه ويتحدث إليه. أو كما يقول الدكتور إمام، إن المقال الأدبى يدخل فى اعتباره عواطف الفرد ووجدانه، أما المقال الصحفى فيهتم بما يسمى "الوجدان الجماعى".

وفى دائرة المعارف البريطانية إفاضة فى تعريف المقالة الأدبية تحت مادة Essay (ط ١٩٢٩م ٨): "المقالة الأدبية عبارة عن قطعة مؤلفة متوسطة الطول، وتكون عادة منثورة فى أسلوب يمتاز بالسهولة والاستطراد، وتعالج موضوعاً من الموضوعات، ولكنها تعالجه - على وجه الخصوص - من ناحية تأثر الكاتب به" ويرى "سوارس" فى كتابه "مقدمة لدراسة الأدب" أن هناك قسمين من المقالات:

الأول: قطع إنشائية فى موضوع من موضوعات العلم أو الفلسفة أو التاريخ أو النقد. وعرضها الأول عرض طائفة من "المعلومات"، ومثل هذه المقالات قابلة لأن تكبر حتى تصبح "بحوثاً".

الثاني: عبارة عن قطع قصيرة، فى أسلوب استطرادى، تشمل على وجهة نظر الكاتب فهى محاولة منه أن يسجل الآراء التى يثيرها الموضوع فى فكره. والموضوعات لا تقع تحت حصر، ولكنها يجب أن تصطبغ بانفعالات وشخصية الكاتب. ولعل مقالات "تشارلس لام" المسماة مقالات "إليا" هى خير مثال لهذا الطراز من المقالات.

ويشتمل المقال الأدبى على : المقال الوصفى أو العرضى، والمقال النزالى، والمقال النقدى، والمقال الكارياتيرى، والمقال القصصى، والمقال الاعترافى.. إلخ.

أما المقال الصحفى فينقسم إلى أنواع منها: المقال الافتتاحى أو العمود الرئيسى، والعمود الصحفى، وفن اليوميات الصحفية.

ونحن نذهب إلى أن الفصل بين المقال الأدبى والمقال الصحفى فصل تعسفى فى كثير من الأحيان، ذلك أن المقال الصحفى قد وظف فنون المقال الأدبى لأداء مهام الفن الصحفى، وطبعها بطابعه كفن تطبيقى وليس فناً تجريدياً، وهو لذلك يقوم على أداء وظائف الإعلام والتفسير والشرح والتوجيه والإرشاد والإمتاع والتعليم والتنشئة الاجتماعية. فالمقال الصحفى مسئول عن تقديم المعلومات إلى الجماهير بصورة مبسطة مستساغة، وخالية من التفاصيل المعقدة، ولذلك يجب أن يكون المقال الصحفى جميل الأسلوب، مشرق الديباجة، متفرداً فى موضوعه وهدفه، قوياً فى تعبيره عن الرأى.. وإذا كان المقال يدعولقضية، فلا بد أن يفعل ذلك دون إبهام، وإذا كان يشرح أو يفسر أو يحلل فعلى الكاتب أن يقدم أكثر مما يستطيع المندوب الصحفى أن يقدمه فى أعمدة الأخبار، بحيث يقدم أعقد المشكلات السياسية والاقتصادية والثقافية باصطلاحات الإنسان العادى.

فن المقال الافتتاحى.

ويعتبر هذا الفن من أهم فنون المقال الصحفى لاعتماده فى الشرح والتفسير والايضاح على الحجج والبراهين، والإحصاءات والبيانات للوصول فى نهاية الأمر إلى اقناع القارئ وكسب تأييده ذلك أن المقال فى مدلوله الإصلاحي Leading Article، يقود غيره من المقالات ويتقدمها من حيث تعبيره عن رأى الصحيفة كمؤسسة، ومن حيث تناوله لأهم الموضوعات بالقياس إلى سياستها التحريرية، ومن حيث المساحة الثابتة الممنوحة له. ولذلك فإن المقال الافتتاحى كثيراً ما يكون غفلاً من التوقيع.

غير أن اتجاه هذا المقال إلى التعبير "اللاشخصي" ليس معناه الجفاف في التعبير، أو الجفاء في موقف الكاتب من القارئ، إذ أن خاصية التبسيط في الحديث والإنسياب في السرد لا تزال أهم مميزات فن المقال الصحفي. وهى المميزات التى يتسم بها أدب المقالة فى نماذجها الماثورة حتى "ليشعر القارئ" لقال من مقالات كتابها أنه إنما يجلس إلى صديق من أصدقائه، ويستمع إلى بعض إخوانه، ويدور معه حيث يدور، ويدخل معه فى شجون من الحديث لا يجب أن يصل إلى نهايتها. وهى المميزات التى تجعل مقالة الصحفي يقوم على "روح المشاركة"، وهى روح الديمقراطية الحقة التى تفترض المساواة بين الجميع، ومن هنا فإن هذا الفن المقالى فى الصحافة المعاصرة يتسم بالهدوء والابتعاد عن الاستعلاء أو الخطابة. ذلك أن المقال الافتتاحى يهدف إلى الإقناع لا مجرد الاستمالة العاطفية. فالشواهد والأدلة والبراهين، سواء بالنصوص أو الإحصاءات أو المقارنات ضرورة لازمة للتعليق على الأخبار والمجريات. وكثيراً ما يكون المقال الافتتاحى بمثابة تعليق على الأخبار والأحداث الجارية، مع الاستشهاد - بطبيعة الحال - بأمثلة تاريخية وتقارير إخبارية، ولذلك فإن كاتب المقال الافتتاحى يعتمد اعتماداً كبيراً على الأرشيف الصحفى، وعلى مذكراته الخاصة، بالإضافة إلى ذاكرته القوية. ولذلك نجد كاتب المقال الافتتاحى - فى نهاية الأمر، رغم عدم توقعه باسمه، معروفاً لدى جمهور القراء الذين تألفوا مع أسلوبه وتعودوا على فتح الصحيفة فى صفحة معينة لقراءة ما يكتبه كاتبهم المفضل البسيط الأسلوب والمقنع فى حجته.

ومن أجل ذلك وجدنا الصحف العالمية تسجل على كل صفحة من صفحاتها، ما عدا واحدة، ما يجرى فى العالم الواسع من أحداث وما يدور فيه من أفكار وآراء. وتستبقى صفحة واحدة فقط، وفى بعض الأحيان عموداً واحداً فحسب، لتجهر بآرائها هى وأفكارها. فحق الصحيفة فى الإعراب عن رأيها فى الأنباء التى تنشرها أمر طبيعى جداً، فالنبا والرأى رفيقان يظهران جنباً إلى جنب ذلك أن أول سؤال يبدر إلى أذهاننا عندما يأتينا شخص ما بأى معلومات تثير اهتمامنا هو: "ما رأيك فى هذا الأمر؟". ولذلك كانت الصحف فى أيامها الأولى تنشر الأنباء على حدة والآراء على حدة، فتصدر إحداها فى رسائل الأنباء، والأخرى فى كراسات. وكان "دانيال ديفو" هو أول من وحد بين هذين التيارين الصحفيين فى مطبوع واحد أسماه "ذى ريفو" أصدره فى لندن عام ١٧٠٤^(١).

(١) الدكتور إبراهيم أمام : تطور الصحافة الإنجليزية ص ١٩٦.

وينسب إلى ديفو أولية كتابة ما كان يسمى بالخطاب الافتتاحي **Letter Introductory** وهذا أول مقال حول موضوع سياسى أو اجتماعى هام تعليقاً على الحوادث الجارية يكتب بأسلوب شائق جذاب ويظهر عادة فى صدر الصحيفة وكأنه خطاب رقيق لطيف من الكاتب إلى القارئ، فسمى بالخطاب الافتتاحي وكان نواة للمقال الافتتاحي الذي نعرفه فى الصحافة الحديثة.

وقد كان المقال الافتتاحي فى القرن الماضى يشغل الصفحة الأولى وبعض أجزاء من الصفحات الأخرى. ولم يتزحزح عن مكانه الممتاز فى الصحف الأولى إلا فى وقت قريب - أى منذ إنجازات الصحافة الحديثة فى الفترة الأخيرة إلى الخبر، وقلت عنايتها نوعاً ما بالمقال. وليس أدل على أهمية المقال الافتتاحي منذ نشأة الصحافة من أن كتاب هذا المقال كانوا ولا يزالون - نوابغ الصحافة فى كل أمه من الأمم، بل فى كل فترة من فترات التاريخ. ففى الصحافة العربية اشتهر من كتاب المقال : محمد عبده، وأديب اسحق، وعبدالله نديم، والزعيم مصطفى كامل، وأحمد لطفى السيد، وعبدالقادر حمزة، وأمين الرافعى، وإبراهيم المازنى، وحسين هيكل، والعقاد، وطه حسين، وغيرهم من أساطين الفكر والأدب والصحافة. وفى الصحافة الإنجليزية لمعت أسماء كتاب المقال من أمثال ديفو واريون وستيل، وجونسون وويلكينز ويدكنز ولامب وبرناردشو ووب وغيرهم. وكذلك كان كتاب المقال من الأمريكيين من المع رجال الفكر والسياسة والأدب ومنهم صمويل آدمز وجون آدامز وجوزيف وارن وصمويل مبرورالف امرسون والتربلمان وغيرهم.

وقد كان المقال الافتتاحي ينهض بمهمة القيادة والزعامة، وكان وسيلة التوجيه والإرشاد والتنشئة الاجتماعية، كما كان الوسيلة المؤثرة لتكوين الرأى العام. ولا يزال المقال الافتتاحي يقوم بدور رئيسى فى الصحافة الرفيعة أوصحافة الرأى العام المستنير كصحيفة التيمس الإنجليزية والنيويورك تايمز الأمريكية والموند الفرنسية وغيرها. بل إن مقالات هذه الصحف قد تتجاوز فى أهميتها وتأثيرها حدود البلاد التى تنشر فيها الصحيفة إلى بلاد أخرى.

ويطلق الإنجليز والأمريكيون على المقال الافتتاحي اسم **Leading Article** أو اسم **Editoarial Article**، وهو المقال الرئيسى للصحيفة، وله فن خاص به من حيث الصياغة : وأساس هذا الفن هو الشرح، والتفسير والاعتماد على الحجج المنطقية حيناً، والعاطفية حيناً آخر للوصول إلى غاية واحدة فقط، هى إقناع القارئ.

كما أن كاتب المقال الافتتاحي في الجرائد الكبرى مثل (التيمس) و(الهيرالد تريبيون) يكون معروفاً لدى جمهور القراء. بمعنى أنهم قد تعودوا على أسلوب كاتب المقال الافتتاحي الذي يجب أن يتميز بالسلاسة والبساطة والوضوح والإيناس بين الكاتب والقارئ. ولذلك نجد كاتب المقال الافتتاحي - الذي لا يوقع باسمه؛ معروفاً لدى جمهور القراء الذين تألفوا مع أسلوبه، وتعودوا على فتح الصحيفة في صفحة معينة لقراءة ما يكتبه كاتبهم المفضل البسيط الأسلوب والمقنع في حججه.

ومن أجل ذلك وجدنا الصحف العالمية تسجل على كل صفحة من صفاتها ما عدا واحدة، ما يجري في العالم الواسع من أحداث وما يدور فيه من أفكار وآراء. وتستبقى صفحة واحدة فقط، وفي بعض الأحيان عموداً واحداً فحسب، لتجهر بآرائها هي وأفكارها. فحق الصحيفة في الإعراب عن رأيها في الأنباء التي تنشرها أمر طبيعة جداً، فالنبا والرأي رفيقان يظهران جنباً إلى جنب. ذلك أن أول سؤال يدر إلى أذهاننا عندما يأتينا شخص ما بأى معلومات تثير اهتمامنا هو "ما رأيك في هذا الأمر؟" ولذلك كانت الصحافة في أيامها الأولى تنشر الأنباء على حدة والآراء على حدة، فتصدر إحداها في رسائل الأنباء، والأخرى في كراسات. وكان "دانيال ديفو" هو أو من وحد بين هذين التيارين الصحفيين في مطبوعة واحدة اسمها "نزي ريفيو" أصدرها في لندن عام ١٧٠٤^(١).

وقد أوحى لغة الصحافة المتطرفة في حزبيتها، الصاخبة في أسلوبها وعباراتها إلى عبقرية هذا الصحفي الفذ - ديفو بإبتداع المقال الهادئ المتزن، الذي يحجر الآراء ويختبر الحقائق ويناقش سياسة الحكومات في هدوء وروية، وهكذا أنشأ ديفو أول مرة في تاريخ الصحافة الإنجليزية مقالات سياسية معتدلة، ومنطقية متزنة. ثم تطور فن المقال الافتتاحي في الصحف السياسية التي اشترك فيها ديفو حتى بلغ مرحلة الفن الناضج الذي يقوم على أسس معينة وتقاليد محترمة. وبفضل ديفو عرفت الصحافة أن المقال الافتتاحي ليس تعبيراً عن رأي الكاتب وحده أو وجهة نظره الخاصة، كما هي العادة بالنسبة لأضرب المقال الأخرى وفنونه المتعددة، بل إنه على العكس من ذلك ينبغي أن يكون تعبيراً دقيقاً عن رأي الصحيفة وسياستها كمؤسسة اجتماعية عامة. فإذا كتب رئيس التحرير مقالاً افتتاحياً فلا يجوز أن يضمّن رأياً شخصياً، وإنما يعبر عن سياسة الصحيفة وموقفها العام بالنسبة للشئون السياسية والاجتماعية. فالمقال

(١) د. إبراهيم أمام : تطور الصحافة الإنجليزية، ص ١٩٦.

الافتتاحي لا يمكن أن يذيل بتوقيع كاتبه وإلا كان التوقيع متعارضاً مع فكرة المقال نفسه ووظيفته كتعبير عن السياسة العامة للصحيفة، لا رأى الكاتب وحده. وتأسيساً على هذا الفهم لوظيفة المقال الافتتاحي ذهبت الصحافة الحديثة إلى تخصيص صفحة للافتتاحيات، تجعلها مؤلفة من آراء الصحيفة نفسها، معبراً عنها قولاً في افتتاحيات، ورسمياً في صورها الكاريكاتورية، وكذلك من آراء الآخرين. وقد تكون هذه الآراء الخارجية هي أفكار قراء الصحيفة ترد إليها على الطريقة المعروفة "رسائل إلى المحرر" أو مقتطفات موجزة من أعمدة الرأي المنشورة في صحف أخرى، تنقلها تحت عنوان مثل "من أقوال الصحف" مثلاً.

ويتحمل كتاب الافتتاحيات مسؤولية كبرى تجاه الجمهور إذ يتحتم عليهم أن يكونوا من ذوى الإطلاع الواسع، وأن يجعلوا من أنفسهم اختصاصيين في الموضوعات التي يكتبون فيها، وأن يكونوا منصفين في الآراء التي يكونونها أو يعبرون عنها : فليس هناك في هذه الأيام، إنسان واحد يستطيع أن يقتدى بفرنسيس بيكون و"يجعل المعرفة كلها ملك يديه". على أن الأمر، كما يقول جافري بارسونز عندما كان المستشار الرئيسي لجهاز تحرير الافتتاحيات في صحيفة نيويورك هيرالد تريبيون، هو ما يلي :

"كلما ازداد أساس المعرفة عند الكاتب متانة، ازدادت مقدرته على استنهاض الفكر في أى موضوع. فإن كاتب المقال الافتتاحي المجيد يخاطب من الناس عدداً أضخم بكثير مما توصل إليه أى مدرس أو فيلسوف أو ناقد إطلاقاً... وليس كثيراً عليه أى قدر من المعرفة، إذا كان عليه أن يستوقف انتباه جمهوره". وإدراكاً لهذه الأهمية، ذهب علماء الاجتماع إلى القول : إن الظروف والأحداث التي تمر بالإنسان والتغيرات التي تطرأ على المجتمع لا يمكن أن يكون لها دلالة ما، أو يكون لها في كيان الفرد أو المجتمع أثر ما إلا إذا وعاه الفرد وأدركها وقدرها وكيفها فإذا لم يحدث من ذلك شيء ظلت هذه الظروف والأحداث التغيرات بعيدة عن وجدان الناس. بل أصبحت وهي في حكم العدم.

وينعكس أثر هذه المعرفة التي يحصلها كاتب المقال الافتتاحي على ما يكتبه تحليلاً للأخبار وما وراءها، وعما يحمل كل خبر منها من مغزى. وبهذه الطريقة يستطيع الأفراد كما يستطيع الجماعات أن تحل مشاكلها التي تعرض لها، سواء أكانت هذه المشكلات نفسية، أم اقتصادية، أم سياسية، أم اجتماعية. ويكون الفضل في ذلك راجعاً إلى الصحافة، أو إلى ذلك الكاتب الذي انبرى للكتابة في الوقت المناسب وأخذ يزوج بنفسه في تلك المشكلات، وأن لم يكن من الأفراد الذين تناولتهم كل مشكلة منها،

أو اشتركوا في إحداها على أية صورة من الصور. بينما لا يشعر أصحاب هذه المشكلات التي أحاطت بهم وأصبح لها أثر في حياتهم، وذلك لانعدام الوعي من جهة، وعجزهم عن تصور حياة أفضل، أو حالة أحسن من جهة ثانية.

ولذلك يرتبط المقال الافتتاحي - شأنه شأن فنون المقال - عند الكتاب المقيمين في الصحافة الحديثة؛ بقيادة الفكر، التي تتوزع في العصر الحديث بين أمور مختلفة، لأن ظروف الحياة نفسها قد وزعتها بين هذه الأمور، قلم تستأثر الفلسفة، ولم تستأثر الشعر، ولم تستأثر السياسة، ولم تستأثر الدين، بقيادة الفكر في فصل من فصول هذه القصص التي يكونها العصر الحديث، وإنما اشتركت هذه الأمور كلها في قيادة الفكر. وأخذ كل منها بنصيب من توجيه العقل الإنساني والتأثير في الحياة والشعوب : "وآية ذلك أنك تنظر في أي وقت من أوقات هذا العصر الحديث، فإذا أنت أمام فلسفة تجاهد لتسيطر على الحياة، وسياسة تجاهد لتصوغ الحياة كما تحب، ودين يناضل ليحفظ بمكانته سلطانه، وأدب يجدد ليكون له التفوق والفون ولكل واحد من هذه الأشياء زعماء وممثلوه والداعون اليه والزائرون عنه، حتى في الأوقات التي يخيّل اليك فيها أن أمراً من هذه الأمور قد ظهر تفوقه واستأثر بالفوز والغلبة. فقد يخيّل إليك أن عصر الثورة الفرنسية مثلاً كان عصر سياسة ليس غيره ولكن فكر قليلًا واتقن درس هذا العصر، تجده عصر سياسة وعصر حرب، وعصر علم، وعصر فلسفة، وعصر تشريع، بل عصر دين أيضاً؛ وتجد كل هذه الأمور تزدهم وتتنافس وتستبق إلى قيادة الفكر تريد أن تستأثر بها وتسيطر عليها".

ولا شك أن توزع قيادة الفكر، وتنوع الموضوعات يؤدي خدمة جليلة للصحافة الحديثة، واسعة الانتشار، والتي يختلف قراؤها اختلافاً كبيراً في الأذواق والأمزجة، فهناك مقالات حول الرياضة وأخرى حول الفن بالإضافة إلى السياسية والاقتصاد والشئون العامة. على أن الصحافة لم تفد فحسب من هذا التوزع في قيادة الفكر ولكنها كانت سبباً في توزع هذه القيادة؛ ذلك أن الكاتب أو العالم أو الفيلسوف لم يكن يظفر بانتشار كتبه في العصور الأولى، إلا إذا ظفر بشيء من الشهرة وبعد الصيت يرغب الناس في آثاره، ولم يكن الظفر بهذه الشهرة سهلاً ولا يسيراً. أما الآن فقد يسرت المطبعة على كل ذي رأى أن يذيع رأيه ويناضل عنه، وعلى كل باحث أن ينشر ثمرات بحثه بين الناس. ولم تكد تظهر المطبعة، وتأخذ فيما أخذت فيه من النشر والإذاعة، كما يقول طه حسين؛ حتى "ظهرت آثار ذلك قوية في حياة العصر الجديد، فكثرت الآراء

واختلفت، أو قل ظهرت كثرة الآراء واختلافها، واستطاعت أن تجاهد وتختصم وتتنافس في قوة وسرعة لم يكن للناس بهما عهد من قبل". ذلك أن المطبعة استتبعَت شيئاً آخر غير الكتب والرسائل، استتبعَت الصحف اليومية والدورية، وقد قوى ظهور "الصحف السياسية والعلمية لأدبية توزيع قيادة الفكر، وانتهى به إلى حد غريب فقد كان العلماء والكتاب والفلاسفة والساسة ينشئون كتبهم وينشرونها، فيستغرق ذلك منهم الأشهر ولأعوام، ويستتبع ذلك بطلاً فيما يكون بينهم من النزاع والنضال والاستباق إلى قيادة الفكر. أما بعد أن ظهرت الصحف فالنزاع يومي. أو أسبوعي، أو شهري، هو عنيف، وهو سريع، وهو متصل، وهو مؤثر في توزيع قيادة الفكر، بمقدار ما يشتد ويسرع ويستمر".

وينعكس أثر تورُّع قيادة الفكر في العصر الحديث، والذي جاء نتيجة للصحافة، على ما تكتبه الصحف من تحليل للأخبار وما وراءها، وعما يحمل كل خبر من مغزى، حتى يتمكن نفسية الأفراد والجماعات من حل المشاكل التي تعرض في الحياة، سواء كانت مشكلات نفسية أم اقتصادية أم سياسية أم اجتماعية. وفي ذلك ما يؤكد مسئولية كاتب المقال الافتتاحي تجاه الرأي العام، فهو يدرك تمام الإدراك أن صياغته للمقال ليست صياغة أدبية، ولا هي صياغة غير ملتزمة، وإنما هي صياغة ترتبط بسياسة الجريدة من ناحية واهتمام القراء وميولهم من ناحية أخرى. لهذا نجد أن افتتاحيات الصحف الكبرى تعكس توزيع قيادة الفكر فيما تحتوى عليه من "تعليق سياسي، وآخر اقتصادي، وثالث اجتماعي، ولا تهمل التعليق الطريف أو الخفيف الذي يقوم بالتسلية.

وتتصل مهمة الإقناع بهذه الخصيصة التوجيهية في المقال الافتتاحي حين ينقل الإيمان بأفكاره يحتل دوراً قيادياً في توجيه الرأي العام بأن لا يكتفى بنقل الأفكار وتفسيرها، ولا ينقل إيمانه وأفكاره بمجرد حرارة العاطفة، ولكنه يؤثر ويدوم لتعلقه "بحرارة الفكر". ذلك أن المقال الصحفي لم يعد مجرد توجيه بلاغي كما كان في طور التكوين الصحفي؛ بل إنه على العكس من ذلك ينهج منهجاً خاصاً في التحرير يقوم على الدليل والبرهان، ويعتمد على الحقائق والأرقام والبيانات والإحصاءات الدقيقة، وهذه هي وسائل الإقناع والتوجيه والإرشاد، وهي التي تعطيه من القوة والتأثير ما لا يمكن أن تحققه الألفاظ الضخمة الجوفاء^(١).

(١) د. إبراهيم أمام: السابق، ص ٦٨.

وفى ذلك ما يؤكد مسئولية كتاب المقال الافتتاحى كصاغة للرأى العام، الأمر الذى تشهد به لهجة القواعد والمبادئ التى نسفها وانتهجها المؤتمر الوطنى لكتاب الافتتاحيات فى الولايات المتحدة، فقد جاء فى فذلكة هذه القواعد "إنه يجب على كاتب المقال الافتتاحى، إذا كان يتوخى الأمانى لمهنته ومجتمعه، أن يجد فى أثر الحقيقة أنى أدى به المطاف".

وفيما يلى النقاط الأساسية لهذا القانون :

- ١ - ينبغى على كاتب المقال الافتتاحى أن يعرض الحقائق بأمانة واكتمال.
- ٢ - ينبغى عليه أن يخلص من الحقائق التى يوردها إلى نتائج موضوعية، وأن يدعمها بالبيانات، وأن يقيمها على مفهوم الخير الأعم.
- ٣ - ينبغى عليه ألا يكون مدفوعاً أبداً بمصلحة شخصية.
- ٤ - ينبغى عليه أن يدرك أن ليس معصوماً من الخطأ، وأن يفسح مجال القول لمن يخالف رأيه، فى عمود رسائل الجمهور وغير ذلك من الوسائل الملائمة.
- ٥ - ينبغى عليه أن يعيد النظر فى استنتاجاته الخاصة وأن يصححها إذا وجدها مرتكزة على مفاهيم خاطئة سابقة.
- ٦ - ينبغى أن يكون من الشجاعة بحيث يصمد لما يقتنع به على أسس متينة، وألا يكتب أبداً أى شىء ضد ضميره. وعندما تكون صفحات الافتتاحيات نتاج أكثر من ذهن واحد، فإن الوصول إلى رأى جماعى سديد لا يتم إلا عن طريق الآراء الفردية السديدة، لذلك ينبغى احترام الآراء الفردية الصادرة عن تفكير.
- ٧ - ينبغى عليه أن يؤازر زملاءه فى تمسكهم بأعلى مستويات الاستقامة المهنية. ونتيجة لهذه الأهمية التى أحرزها المقال الافتتاحى منذ نشأة الصحافة، أن احتل الصفحة الأولى من صفحات الجريدة، بحيث يكون أول شىء يطالعه القراء فيها. ولم يتزحزح المقال الافتتاحى عن مكانه الممتاز فى الصفحة الأولى إلا فى وقت قريب - أى منذ إنجازات الصحافة الحديثة فى الفترة الأخيرة إلى الخبر، وقلت عنايتها نوعاً ما بالمقال^(١).

وليس أدل على أهمية المقال الافتتاحي منذ نشأة الصحافة من أن كتاب هذا المقال كانوا ولا يزالون — نوابغ الصحافة في كل أمة من الأمم، بل في كل فترة من فترات التاريخ.

ففي الصحافة المصرية كان يكتب المقال الافتتاحي للمجلة أو الصحيفة، أمثال: محمد عبده، وأديب اسحق، وعبدالله النديم، وإبراهيم المويلحي، والسيد على يوسف، والزعيم الشاب مصطفى كامل، وأحمد لطفى السيد. وعبدالقادر حمزة، وأمين الرافعى، وإبراهيم الماذنى، وحسين هيكل، وغيرهم من أساطين الأدب والفكر والصحافة جميعاً. وفي الصحافة الإنجليزية وجدنا المقال الافتتاحي مكتوباً بأقلام ديفو، وأديسون، وستيل، وجونسون، وويلكن، وسويفت وغيرهم^(١).

وقد أصبح للافتتاحية في الجريدة المعاصرة صيغة صحفية مميزة. وأقرب الكتابات إليها هو المقال إلا أن الفرق بينهما هو أن الافتتاحية موجزة وذات طبيعة معاصرة. أما المقال فهو اليوم على قدر من الازدهار ويسر المطالعة مثله يوم خطه قلم الكاتب لأول مرة. فما كتبه أديسون أو ستيل في القرن الثامن عشر لم يفقد قيمته اليوم؛ لأنه يعالج كقاعدة، موضوعاً ذا قيمة لازمة، أما الافتتاحية التى كتبت فى القرن الثامن عشر فإنها لا تستوقف الاهتمام اليوم إلا لمجرد ما تنطوى عليه من قيمة أثرية، ذلك أنها تكون قد عالجت موضوعاً ذا علاقة آنية بذلك الوقت فحسب.

وتأسيساً على ذلك يمكن تعريف المقال الافتتاحي بأنه مقال قصير وثيق الارتباط بالزمن الذى يصدر فيه.

أما الغرض الذى يرمى إليه هذا المقال الافتتاحي فهو عرض الرأى الذى تراه الصحيفة نفسها، ولها عدة طرق لبيان هذه الأفكار والآراء.

ومما يذكر فى هذا الصدد أن آرثر بريسبين، الذى كان له أتباع كثيرون فى أيامه، كان يعتقد أن مجال كاتب الافتتاحية يقوم على أداء أغراض؛ أن يعلم، وينازل ويدافع، ويمتدح.

والتعليم هو أهم هذه الأغراض وأصعبها. والنزال أسهلها وأبغضها إلى النفس، وإن تكن ضرورية فى بعض الأحيان.

(١) أمام : تطور الصحافة ص ١٣٥، ١٢٦، ١١٥.

أما الدفاع عن القضايا الخيرة، وعن الضعيف ضد القوى، وعن الفكرة الجديدة والحيلولة دون تسفيهاها، فأمر مهم ويهمله كتاب الافتتاحية عادة.

وكذلك الثناء مهمل أيضاً إلا على الصعيد الحزبي دون أن يكون له معنى ما^(١)..

إن وظيفة الافتتاحية، من وجهة نظر مثالية، هي إعلام الرأي العام والأخذ بيده، فهي تفسر النّبأ السائر للقارئ وتبين ما له من دلالة. وتقول في ذلك جريدة "نيويورك تايمز": "إذا ضلّت الوظيفة القيادية طريقها في بعض المواضع بين وقت وآخر، فإن العامل المعتمد عليه في التصويب جاهز دائماً في متناول اليد إذا كانت أعمدة الأنباء تعرض الحقائق بأمانة".

ونخلص مما تقدم إلى أن الخصائص التي يتميز بها المقال الافتتاحي في الصحافة المعاصرة فيما يلي^(٢):

أولاً: خصيصة الثابت على سياسة واحدة هي سياسة الصحيفة؛ إذ لا يصح لهذه الصحيفة أن تكون مذبذبة بين سياسات كثيرة لأنها بذلك تفقد أهميتها كصحيفة من صحف الرأي.

ومن أجل هذا يراعى في المقال الافتتاحي عادة ألا يكون مذيلاً بتوقيع كاتبه، لأنه مقال منسوب إلى الصحيفة نفسها بوصفها هيئة من هيئات الإعلام، لها سياستها وهدفها من وراء هذا الإعلام.

ثانياً: خصيصة الحذر والاحتياط في إبداء الرأي لأنه ما دام رئيس التحرير أو كاتب المقال الافتتاحي لا يعبر عن رأيه الشخصي، بل عن رأي الصحيفة باعتبارها مؤسسة اجتماعية وظيفتها - الإعلام - وجب عليه أن يصطنع الحيطة فيما يكتب من مواد باسم الصحيفة؛ وألا عرضها للخطر.

وهنا تثار مسألة تتصل "بضمير الكاتب" فهل معنى ما تقدم أن الكاتب ينبغي أن يخالف ضميره فيما يقدم للقراء من هذه المادة الصحفية الهامة التي قلنا إنها ملك للصحيفة قبل أن تكون ملكاً لكاتب من كتابها؟

(١) بوند : مدخل ص ٢٩٣.

(٢) حمزة المدخل ص ٢٢٠، Spencer; M.Hyle: Editorial Writing P.P. 157-159.

والجواب عن ذلك - كما يقول الدكتور سبنسر - هو أن الكاتب الذى يختلف فى وجهة نظره عن وجهة نظر الصحيفة يجب ألا يجعل من المقال الافتتاحى مجالاً لإظهار ذلك. وباختصار يجب أن يعرف المحرر الصحفى للمقال الافتتاحى أن هناك ثلاثة أشياء يؤثر بعضها فى بعض ويعتمد بعضها على بعض ويتداخل بعضها فى بعض، وهذه الأشياء الثلاثة هى:

- سياسة الجريدة، وصياغة المقال، واهتمام القراء^(١).

- والواقع أن وظيفة كاتب الافتتاحية تظل هى كما كانت دائماً : تفسير الأنباء، وإرشاد الرأى، والقيام بالحملات من أجل مساندة القضايا العادلة، ولكن النطاق الذى يعمل ضمنه قد اتسع.

وليس الترفيه أقل خصائص المقال الافتتاحى شأنًا. فإن كاتب المقال الافتتاحى كثيراً ما يجد هذه المهمة أصعب من مجرد مناقشة قضية ما أو عرض عقيدة سياسية ما. بيد أن الاتجاه الحديث المتزايد هو نحو إشاعة الإشراف على صفحة الافتتاحية بما يسمى الافتتاحيات "الرشيقة المرحية" المختلفة عن الافتتاحيات التقليدية، كالبحث فى قاعدة لغوية ومداعبة الغريب منها أو المتمسك بأصولها حتى التعصب^(٢).

تلك فى إيجاز شديد؛ هى أهم خصائص المقال الافتتاحى فى الصحافة العالمية، والتى استمدها نتيجة لتطور الصحافة نفسها، فأصبحت الصحافة الحديثة تعتمد إلى كتابة العمود الرئيسى أو المقال الافتتاحى على نحو من الإيجاز فى عمود واحد من أعمدة الصحيفة، وفى هذا العمود مقال واحد حيناً، ومقالان أو ثلاثة حيناً آخر.

وذلك لى تفسح المجال لبقية المواد الصحفية الأخرى التى لم تعرفها الصحافة القديمة؛ أو كانت معرفتها بهذه المواد قليلة.

٢ - الوحدة العضوية فى تحرير المقال الافتتاحى:

ونخلص مما تقدم إلى أن المقال الافتتاحى "وحدة" مستقلة، وليس مجرد سرد للحقائق، أو إتيان بالشواهد، أو إيراد للأمثلة، ولكنه وسيلة للتعبير عن رأى من آراء الصحيفة، أو مذهب من المذاهب التى تروج لها فى الاجتماع أو السياسة أو الفكر،

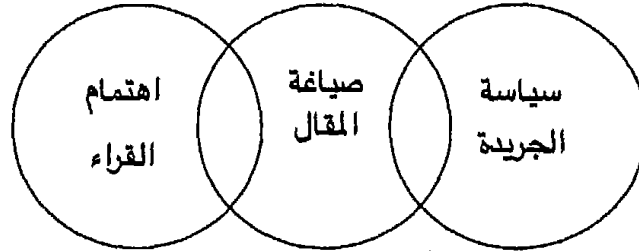
(١) حمزة : المدخل ص ٢٣١.

(٢) بوند : مدخل ص ٢٩٧.

ولذلك نجد الكاتب المقالى يبسط هذه الآراء والمذاهب ويبسط الحقائق التى يوردها لقرائه، بحيث تدعم فكرة المقال، وموضوعه وغايته التى تنصب دائماً حول غرض واحد. وأغلب الظن أن هذه "الوحدة" التى تربط بين أعضاء المقال الصحفى أو وثق ارتباطاً بما ذهب إليه نقاد الأدب من الدعوة للوحدة العضوية، فلاحظنا فيما سبقنا من نماذج وما اطلعنا عليه من التراث الصحفى^(١) أن المقالين يراعون النسب بين الأفكار والشواهد وبين الشكل الخارجى للمقال أو البناء الفنى، بحيث يخرج المقال الصحفى متكامل الأجزاء متناسق الشكل والمضمون.

وفى هذا الإطار الفنى مهد الكتاب المقاليون فى أدبنا الحديث لتحقيق شكل جديد للمقال الافتتاحى فى الصحافة العربية؛ يؤدى عنها أفكارها الجديدة فى السياسة والاجتماع؛ فتوافر للمقال الصحفى التجديد والتحرر البيانى، كما تظهرنا الدراسة الأسلوبية لمقالات طه حسين وهيكى والعقاد^(٢).

ويذهب علماء الفن الصحفى إلى أن كاتب المقال الافتتاحى فى الصحيفة؛ يجب أن يتمثل فى رؤياه الإبداعية ثلاثة عناصر متداخلة؛ يؤثر بعضها فى بعض، ويعتمد بعضها على بعض، ويتداخل بعضها فى بعض؛ يصورها أستاذنا د. حمزة رحمه الله على النحو التالى^(٣):



ويمكن صياغة العناصر رياضياً على النحو التالى:

$$\text{سياسة الجريدة} + \text{صياغة المقال} + \text{اهتمام القراء} = \text{المقال الافتتاحى}$$

(١) انظر للمؤلف: فن المقال الصحفى، دار قباء للطبع والنشر ١٩٩٩.

(٢) فن المقال الصحفى فى أدب طه حسين، القاهرة هيئة الكتاب.

(٣) فن المقال الصحفى فى أدب محمد حسين هيكى، القاهرة هيئة الكتاب.

(٣) عصر العقاد، صفحات مطوية فى تاريخ الصحافة المصرية، القاهرة مؤسسة مختار.

(٢) التفسير الإعلامى لأدب المقالة؛ مؤسسة مختار.

(٣) د. عبد اللطيف حمزة: المدخل ص ٢٩٦.

وهي كما يبين من النموذج عناصر متداخلة يصدر عنها الكاتب في رؤياه الإبداعية، ليصل بالمقال الافتتاحي إلى هدف الصحيفة المنشود؛ وإفادة القارئ الذي تتوجه إليه.

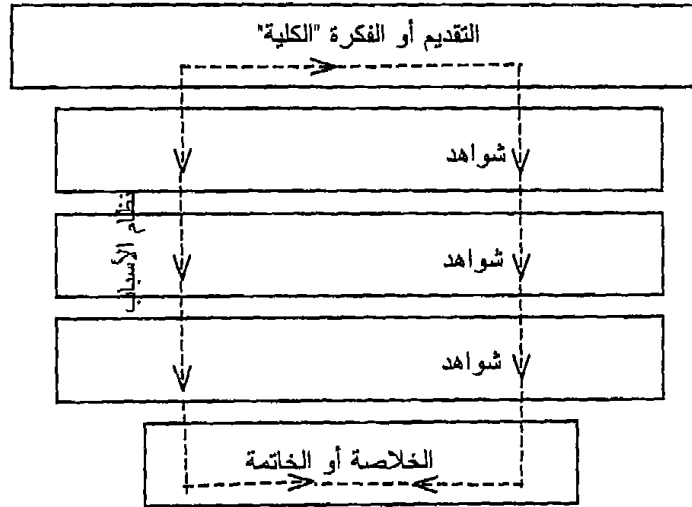
أما بناء المقال الافتتاحي : فتقوم على ثلاثة عناصر هي (١):

١ - عنصر التقديم أو الفكرة الكلية المثيرة لاهتمام القارئ.

٢ - عنصر الحقائق والشواهد المؤيدة للفكرة الكلية.

٣ - عنصر الخلاصة التي يخرج بها القارئ من المقال.

وهذه العناصر يتألف منها "بناء" المقال الافتتاحي؛ على النحو الذي يوضحه النموذج التالي:



أولاً: عنصر التقديم أو الفكرة الكلية في المقال الافتتاحي:

يرتبط هذا العنصر ارتباطاً "عضوياً" بعنوان المقال، الأمر الذي يؤكد ما ذهبنا إليه فيما يتعلق بالوحدة التي تربط بين أجزاء المقال، فالتقديم لا يمكن أن ينفصل عن عنوان المقال بحال من الأحوال، بل إن كليهما متمم للآخر، ولعل في ذلك ما يفسر إثار كاتب مقال كبير مثل طه حسين لاختيار كلمة واحدة يعنون بها المقال، وهي كلمة

مشعة موحية بمضمونه، لا تنفصل عن مقدمته أو صلبه أو خاتمته، ومن ذلك مقال بعنوان: "شجاعة"^(١).

"شجاعة نادرة باهرة هذه التى يتخذها بعض النواب إذا تحدثوا عن خصومهم أفراداً وجماعات تحت قبة البرلمان، فهم يطلقون ألسنتهم فى هؤلاء الخصوم بالحق والباطل، وبالخطأ والصواب، والجد والهزل، لا يقدرّون شيئاً، ولا يحسبون حساباً، وإنما ينطلقون وكأنما خلى بينهم وبين الحكمة، فليس إلى تسكيتهم ولا إلى تهدئتهم من سبيل"^(٢).

ثانياً: عنصر الحقائق والشواهد:

ويرتبط العنصر الثانى من عناصر تحرير المقال الافتتاحى، ونعنى عنصر الحقائق والشواهد المؤيدة للفكرة، بعنصر التقديم ارتباطاً عضوياً وثيقاً، ولكن هذه الوحدة "العضوية" فى المقال الافتتاحى، لا تقوم على الترتيب الاحتمالى، بقدر ما تقوم على ترتيب المنهج الاستقرائى، ويقصد بالوحدة العضوية فى المقال الافتتاحى: وحدة الموضوع، ووحدة الأفكار والآراء التى يثيرها الموضوع، وما يستلزم ذلك من ترتيب الشواهد المؤيدة لهذه الأفكار والآراء ترتيباً استقرائياً به يتقدم المقال شيئاً فشيئاً حتى ينتهى إلى "خلاصة" تمثل العنصر الأخير من عناصر التحرير فى مقال طه حسين، يستلزمها هذا الترتيب الاستقرائى للأفكار والشواهد والصور، بحيث تبدو عناصر المقال كالبنية الحية، لكل جزء وظيفته فيها، ويؤدى بعضها إلى بعض عن طريق التسلسل فى التفكير والمشاعر.

وتقوم هذه الوحدة فى المقال الصحفى على التفكير الإبداعى النابع من رؤيا الكاتب المقالى فى منهج المقال. وفى الأثر الاقناعى الذى يريد أن يحدثه فى قرائه، وفى الأجزاء التى تندرج فى إحداث هذا الأثر الوظيفى بصفة عامة، بحيث تتمشى مع بنية المقال بوصفها وحدة حية، ثم فى الأفكار والآراء والشواهد التى يشتمل عليها كل جزء، بحيث يتحرك به المقال إلى الأمام لإحداث الأثر الوظيفى المقصود منها، عن طريق التتابع الاستقرائى، وتسلسل الشواهد أو الأفكار، ووحدة الطابع. والوقوف على المنهج على هذا النحو - الذى تعرفنا عليه عند الحديث عن الرؤيا الإبداعية فى مقال طه حسين - يساعد على ابتكار الأفكار الجزئية والشواهد التى تساعد على توكيد الأثر

(١) كاتب مقال كبير مثل طه حسين.

(٢) صحيفة كوكب الشرق فى ٢٠/٤/١٩٣٤.

الوظيفي المراد في المقال، ذلك أن هذه الرؤيا الإبداعية في المقال الصحفي، تظهر لنا إدراك الكاتب لمنهجه جملة وفي وضوح قبل الشروع في الكتابة والتحرير، وهو المنهج الذي يشبه ما قاله ابن طباطبا في وصف عملية الشعر على الطريقة العربية، إذ يقول: "فإذا أراد الشاعر بناء قصيدته فحص المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه في فكره نثراً، وأعد له ما يلبسه إياه من الألفاظ التي تطابقه، والقوافي التي توافقها، والوزن الذي يسلس له القول عليه. فإذا اتفق له بيت يشاكل المعنى الذي يرومه أثبتته، وأعمل فكره في شغل القوافي بما تقتضيه من المعاني، على غير تنسيق للشعر وترتيب لفنون القول فيه، بل يعلق كل بيت يتفق له نظمه، على تفاوت ما بينه وبين ما قبله، فإذا أكملت له المعاني، وكثرت الأبيات، وفق بينها بأبيات تكون نظاماً لها، وسلجاً معها لما تشتت منها.. ويسلك الشاعر منهاج أصحاب الرسائل في بلاغاتهم، وتصرفهم في مكاتباتهم، فإن للشعر فصلاً كفصول الرسائل"^(١)، وإذا صح هذا المنهج في الشعر فإنه من باب أولى يصح على منهج تحرير المقال، وهو الأمر الذي يضمن للمقال وحدة محكمة بين عناصره، صادرة عن ناحية وحدة الموضوع ووحدة الفكرة، ووحدة الشواهد التي يتضمنها، ذلك أن المقال الصحفي ليس مجرد سرد للحقائق، ولكنه وسيلة وظيفية للتعبير عن الرأي أو المذهب، أي أن الوحدة في المقال الصحفي تقضى بها طبيعة الموضوع، ووحدة الأثر الوظيفي الناتج عنه، الأمر الذي يفرض معالجة تحريرية يظهر بها المقال كأنه له وحدة مستقلة بذاتها، وتقضى هذه الوحدة استيفاء كل شاهد من شواهد المقال وكل فكرة من أفكاره في موضعها المحدد لها من بنيته، قبل الانتقال إلى الشاهد التالي أو الفكرة التالية، وهو الأمر الذي يحققه الترتيب الاستقرائي في بنية المقال، كما تقدم. ويتفق هذا الترتيب الاستقرائي لعناصر المقال الصحفي مع الترتيب الذي يضعه الباحثون في الصحافة، ونعني بالترتيب الاستقرائي ما يسميه "ديكارت" "بنظام الأسباب" الملائم، والذي يعنى السير بالأفكار والشواهد بنظام، فيبدأ المقال بأبسط الموضوعات أو الشواهد ويرتقى بالتدريج إلى معرفة أكثر الموضوعات تركيباً، ولكنه يفرض "نظام الأسباب" الديكارتي حتى بين الموضوعات أو الشواهد التي لا تالي بالطبع، وهذا النظام هو الذي يضع إطار الوحدة العضوية في المقال تشمل البداية والتمهيد والصلب والخاتمة.

(١) محمد بن أحمد طباطبا العلوي : عيار الشعر ص ٥-٦.

وللوحدة أثر في الشواهد والحقائق المؤيدة للفكرة، إذ تصبح كالبنية الحية في تحرير المقال، وإنحاء الإقناع فيه، فهي تتعاون جميعاً لرسم الصورة العامة للمقال، وتقدمها فيه على حسب المنهج الاستقرائي المقالى في الإقناع. ولنضرب مثلاً هنا بمقال رئيسى فى "حديث المساء"، وعنوانه: "صراع..."^(١) وفيه يصور "الصراع بين القومية المصرية والتسلط الأجنبى"^(٢) فى الثلاثينيات، فيبدأ مقدمة المقال بهذه الفقرة التى لا تنفصل عن العنوان:

"بدأ منذ أسابيع — (أى الصراع)، ولسنا نعرف متى ينتهى، ولا كيف ينتهى، وإن كنا نعرف حق المعرفة كيف نريد، وكيف ينبغى أن ينتهى. وهو هذا الصراع بين القومية المصرية، والتسلط الأجنبى. والحق أن هذا الصراع قائم منذ أمد بعيد، ولكنه لم يأخذ شكله الحاد العنيف إلا فى هذه الأيام، كما أنه يم يختل لنفسه ميداناً معيناً مرسوم الحدود إلا فى هذه الأيام أيضاً"^(٣). ثم ينتقل إلى صلب المقال، فيصل بين التقديم وبين الشواهد: "فى هذه الأيام ظهر الصراع بين القومية المصرية والتسلط الأجنبى حاداً عنيفاً فى المحاكم المختلطة. وهو قد اختار لنفسه إلى الآن ميدانين واضحين كل الوضوح، محددين كل التحديد. فأما أولهما فرياسة الدوائر، وأما ثانيهما فاصطناع اللغة العربية فى كتابة الأحكام"^(٤).

ومن ذلك يبين المنهج الاستقرائى فى بنية المقال، فهو يقسم المشكلة إلى ميدانين واضحين، ويبدأ من "الكلى" إلى "الجزئى"، فالكلى فى تقديم المقال هنا هو "الصراع بين القومية المصرية والتسلط الأجنبى، والجزئى هو ما يتفرع عن تقسيم المشكلة من شواهد، يقوم فيها بإحصاءات شاملة، وفقاً للمنهج الديكارتى، سواء فى الفحص عند الحدود الوسطى أو فى استعراض عناصر المسألة بحيث يتحقق أنه لم يغفل شيئاً. فالمنهج التحريرى فى مقال طه حسين أذن استنباطى استقرائى يضع المبادئ البسيطة الواضحة ويتدرج منها إلى النتائج.

(١) كوكب الشرق فى ٢٠ إبريل ١٩٣٤.

(٢) كوكب الشرق فى ٢٠ إبريل ١٩٣٤.

(٣) كوكب الشرق فى ٢٠ إبريل ١٩٣٤.

(٤) المرجع السابق.

وفى المقال المتقدم، يتدرج الكاتب فى استقصاء شواهد، ثم يتدرج فى تصوير الصراع بين، القومية المصرية والتسلط الأجنبى، من خلال الشواهد والحقائق التى تؤيد فكرته الكلية التى طرحها فى مقدمة المقال. يقول طه حسين فى صلب المقال:

"أما فى الميدان الأول فكان من حق القومية المصرية أن تنتهى إلى ما تريد فى غير جدال ولا حوار، وفى غير أخذ ولا رد طويلين، فليست هناك موانع من نص القانون تحول بين القضاة المصريين وبين رئاسة الدوائر حين تتاح لهم هذه الرئاسة، ولكن القومية المصرية مع ذلك لم تظفر بشيء إلى الآن، والله يعلم متى تظفر بما ينبغى لها من الفوز والغريب أن امتناع الفوز عليها لم يأت من ضعف القضاة المصريين فى الاستمسك بها ولا من ترددهم فى الذود عنها، وإنما جاء من أن الوزارة التى كان يجب أن تحمى ظهر هؤلاء القضاة قد انكشفت وأسلمت، ولم تستطع أن تثبت فى موقفها، ولا أن تحتفظ بحقها، بل لم تستطع أن تنظم انكشافها تنظيماً ملائماً للحق والكرامة. فقد كان وزير الحقانية يؤيد القضاة كل التأييد، يعلن ذلك فى مجلس النواب ويؤكد ذلك فى مجلس الوزراء، يكتب فى ذلك إلى رئيس محكمة الاستئناف فما هى إلا أن يرد عليه الرئيس رده القاسى المعروف حتى ينكشف عنه زملاءه، ثم ينكشف هو عن القضاة، وإذا الناس يشيعون أنه هم بالاستقالة، وإذا رئيس الوزراء يكذب هذه الإشاعة، وإذا هو يهين رده على رئيس الاستئناف، ثم ينتظر بهذا الرد أياماً، ثم يقال أن هذا الرد محص تحيصاً، ونقح تنقيحاً، وإذا قضية المعاشات تؤجل أشهراً طويلاً وتنقل إلى دائرة أخرى، ثم يرسل رده بعد الأناة والانتظار، ثم تتقدم الوزارة إلى مجلس الشيوخ، فيعلن، رئيس الوزراء الوزير، أن المسألة ستحل بالمفاوضات أى كما رأت الجمعية العمومية لمحكمة الاستئناف المختلطة... الخ" (١).

ويخلص من استعراض هذه الشواهد وفق "نظام الاسباب"، بالنسبة للميدان الأول من ميادين الصراع بين القومية المصرية والتسلط الأجنبى، إلى نتيجة طبيعية لتسلسل الشواهد التى ساقها المقال، يقول :

"لم تظفر القومية المصرية إذن بشيء فى هذا الميدان، لا لأن القضاة قصرُوا، ولا لأن الأمة قصرت، ولا لأن الصحف قصرت، بل لأن الوزارة آثرت أن تتراجع، وأن تختار أيسر الأمرين، وأقلهما كلفة وابعدهما عن الجهد والعناء، وأضمنهما للراحة والسلام وطول البقاء" (٢).

(١) كوكب الشرق فى ٢٠ إبريل ١٩٣٤.

(٢) كوكب الشرق فى ٢٠ إبريل ١٩٣٤.

ثم ينتقل من هذه الخلاصة، إلى القسم الثاني من "المشكلة"، مرتقياً بمقاله تدريجياً إلى معرفة أكثر الموضوعات تركيباً، من خلال نظام الأسباب الذي يصل بين أجزاء المقال : "وأما في الميدان الثاني فمن حق القومية المصرية أيضاً أن تنتهي إلى ما تريد من غير حوار ولا جدال ومن غير أخذ ولا رد، وأكبر الظن أنها تنتهي إلى ما تريد، لا لأن الوزارة ستثبت في الذود عنها أكثر مما تثبت في الميدان الأول، بل لأنها ليست في حاجة إلى أن تؤيدها الوزارة، وإنما هي في حاجة إلى أن يؤيدها القضاة المصريون، ولم يعرف أحد عن القضاة المصريين إلى الآن أنهم دخلوا على قوميتهم بالنصر والتأييد مهما تكن الظروف. ذلك أن القوانين صريحة في أن لغة القومية المصرية إحدى اللغات الرسمية للمحاكم المختلطة، وقد أراد أحد المستشارين المصريين الأستاذ عبد السلام ذهني بك أن ينفذ نص القانون، فكتب أحكاماً باللغة العربية، وليست هناك قوة تستطيع أن تحول الأستاذ المستشار وزملاءه عن رأيهم إلا أن تكون هناك قوة تستطيع أن تلغي القانون أو أن تغيره، أو أن تحمل القضاة على ألا ينفذوه حملاً.

"وإذن فالقومية المصرية ظافرة من غير شك في هذا الميدان إلا أن تتكشف الأيام والحوادث عن بعض ما تتكشف عنه في هذه الظروف البديعة من الأعاجيب.. الخ".

وينتهي من تسلسل هذه الشواهد إلى سوق رأيه في هذه المسألة:

"على أننا نعتقد أن الصراع بين اللغة العربية واللغات الأجنبية في المحاكم المختلطة لا ينبغي أن تنتهي عند الحد، بل ينبغي أن يتسع ميدانه، ويخيل إلينا أن المستشارين ليسوا إلا قادة في هذا الصراع. ولا بد من أن يتبعهم غيرهم، فيجب أن تكون اللغة العربية أداة عملية لا لكتابة الأحكام فحسب، بل للمرافعات أيضاً يجب أن يخاصم المحامون المصريون والشرقيون باللغة العربية. ويجب أن تخاصم النيابة باللغة العربية أيضاً. ثم لا ينبغي أن يكون هذا مقصوراً على محكمة الاستئناف، بل يتجاوزها إلى المحاكم الابتدائية. فيجب أن تكتب أحكام وأن تكون مرافعات باللغة العربية فيها. ومادام القانون الذي لا سبيل إلى الخروج عليه يقر اللغة العربية على ما يراد لها من الحق، فنحن واثقون بأن رجال القضاء، والنيابة، والمحاماة من المصريين والشرقيين لن يبخلوا على لغتهم بهذا الحق ولن يقصروا في الذود عنه حتى تفرض هذه اللغة على المحاكم المختلطة فرضاً".

هذا، وقد يستهل المقال بعنصر "الشواهد" المشتقة من الواقع، والمعتمدة على الأخبار والمجريات، والتقارير الإخبارية، وفي هذا النمط من أنماط التحرير للمقال الافتتاحي في الصحافة العربية الحديثة، إلى أن يصبح "أخبارياً في جوهره، بمعنى أن ما فيه من رأى ومن توجيه ومن ترفيه يعتمد على الأخبار وتفسيرها واستغلالها في تأييد رأى سياسى أو آخر، على أن هذا النمط الإخبارى فى تحرير المقال الصحفى، يرتبط ارتباطاً وثيقاً كذلك بقواعد المنهج الديكارتى، الذى يعتمد على تقسيم المشكلة ما وسعه التقسيم طلباً للوضوح، ولذلك يضع المبادئ البسيطة الواضحة، التى يشتقها من التقارير الإخبارية، ويتدرج منها إلى النتائج.

فن العمود الصحفى.

ويجئ فن العمود الصحفى فى مكانه من الجانب المقالى الذى احتل حيزاً كبيراً من الصحافة لما يمتاز به من وصف واقعى ورجوع إلى مصادر الأنباء، وأسلوب صحفى اجتماعى بسيط، فضلاً عن تنوع أساليب التحرير فى المقال.

وعلى الرغم من تنوع أن لفن العمود الصحفى فى الجريدة اليوم منزلة الباب الصحفى الثابت فى العالم، وعلى الرغم من أن عدد قرائه يزيد كثيراً على عدد قراء الافتتاحية غير الموقعة، فإن تكامل العمود وشعبيته حديث عهد نسبياً. ذلك أن الصحف اهتمت فى حياتها بالخبر ثم بالمقال، بينما لم يتسع المجال للعمود الصحفى فلم يظهر إلا متأخراً، وإذا جاز أن يختار تاريخ لظهور أهمية العمود الصحفى فى الصحف، فإن من المرجح أن يكون ذلك التاريخ منحصراً فى أوائل القرن العشرين. فالصحف العربية والمصرية خاصة، كانت تعتمد على المقال الافتتاحى، الذى كان طويلاً فى البداية، ثم أخذ يقصر شيئاً فشيئاً، كما كانت موضوعات هذا المقال تدور حول موضوعات جادة فى أغلب الأحيان، وإن كانت تتناول أحياناً بعض الموضوعات الطريفة. غير أن الصحف المصرية قد أخذت عن الصحافة الغربية فن العمود الصحفى، الذى يتجه فى أوائل العشرينيات إلى العمود المتخصص، أو الثقافى فى "حديث الأربعاء".

ومن ذلك يبين أن ظهور العمود الصحفى فى الأدب العربى الحديث، يعكس حاجة التجاوب بين الصحافة وطبقات الشعب المصرى بعد ثورة ١٩١٩، والتى دفعت الكتاب إلى أنحاء من التصوير والتعبير يطمحون إلى أن تكون "مرآة صافيه صقيلة لحياة الشعب، يرى فيها الشعب نفسه فيحب منها ما يحب ويغض منها ما يبغض، ويدفعه حبه إلى التماس الكمال، ويدفعه بغضه إلى التماس الإصلاح".

والعمود المقالى إذن، ثمرة من ثمار الروابط الثقافية والاجتماعية، التى ظهرت بظهور الترابط الاجتماعى متعدد الوجوه، وتجاوب الصحافة مع الطبقات الجديدة فى المجتمعات المختلفة. وهو كما يقول طه حسين يحقق الصلة بين "الشعب وحياته الواقعية العامة، وهذه الحياة الواقعية" شعبية أو تريد أن تكون شعبية لا يستأثر بها فريق من الناس دون فريق.

وفى ضوء هذه الرؤيا، تتعدد أذواق قراء الصحف ومشاربهم ومستوياتهم، طبقياً واجتماعياً، واقتصادياً وثقافياً، وفى مواجهة هذه الحياة الواقعية الجديدة ليس للصحافة بد من أن تتطور وتغير من أسلوب تحريرها واختيار موضوعاتها، فاتجهت المقالات إلى الاهتمام بمصالح الأفراد والجماعات المتعددة المذاهب والاتجاهات والأهداف.. ونشأ عن هذا الاتجاه: المقال الافتتاحى القصير ثم فن العمود الصحفى تفاعلاً مع الصحافة الحديثة.

ولكن هذا الفن يرتبط بما اتصف به النصف الأول من هذا القرن فى نهايته من عامل السرعة من جهة، وبالضغوط التى تعرضت لها الصحافة المصرية، كما يبين من التشريعات الخاصة بالنشر من جهة أخرى، بحيث أصبح المقال الموقع فى الصحف اليومية فى مواجهة ضغوط لا تتبع كلها من داخل صناعة الصحف وإنما تنبع من عمال الرقابة الإدارية على الصحف كذلك. ولعل فى هذا ما يفسر اتجاه فن العمود إلى التوسل بالرمز، لمواجهة المصادرة التى فرضت على الصحف والكتب، وهنا نجد طه حسين — مثلاً — يكتب "جنة الشوك" ويشهرها على شكل عمود فى "الأهرام" فى الأربعينيات قبل جمعها فى كتاب ينشر لأول مرة عام ١٩٤٥. وظل هذا العنوان اسماً لعموده الصحفى "الجمهورية" فى الستينيات.

ومقال العمود حديث شخصى يومية أو اسبوعية لكاتب معين يوقعه باسمه وتحت عنوان ثابت مثل "فكرة" لمصطفى أمين بالأخبار، والتى كان يكتبها من قبل المرحوم على أمين، و"مواقف" لأنيس منصور بالأهرام و"مجرد نصيحة" لصالح منتصر بالأهرام و"من قريب" لسلامة أحمد سلامة بالأهرام، و"صندوق الدنيا" لأحمد بهجت فى الأهرام؛ ونصف عمود لأحمد رجب فى أخبار اليوم و"الموقف السياسى" لإبراهيم سعدة فى أخبار اليوم.

والعمود الصحفي يمثل فكرة أو رأياً أو خاطراً للكاتب، حول واقعة أو ظاهرة اجتماعية، أو سياسية أو ثقافية. ذلك أن الغاية الأساسية من هذا الفن المقالى هي ربط القارئ بالكاتب وبالصحيفة. ويعتبر العمود رأياً شخصياً للكاتب قد يختلف مع سياسة الصحيفة فى موضوع معين، غير أن بعض علماء الصحافة مثل "ليبلىنج" يذهبون إلى أن كاتب العمود لا يختلف عن كاتب المقال الافتتاحى، لأنه يعرض وجهة نظر الصحيفة لا وجهة نظره هو، على أن معظم الصحف الكبرى فى العالم تؤثر أن يكتب الكاتب بحرية كافية معبراً عن رأيه الشخصى.

فالقارئ لعمود أنيس منصور: "مواقف" يتمثل قول ابن العميد فى الجاحظ؛ وكأنه يقصد بذلك صاحب "المواقف" حين "يعمل العقل أولاً والأدب والسياسة بعد ذلك". وهو بذلك يوظف المقالة الأدبية، لمقتضيات العمود الصحفى على النحو الذى يجعلنا ندرك ما يعنيه أستاذنا د. زكى نجيب محمود؛ حين قال إن المقالة الأدبية يجب أن تصدر عن قلق يحسه الأديب مما يحيط به من صور الحياة وأوضاع المجتمع. على شرط أن يجئ السخط فى نعمة هادئة خفيفة، هى أقرب إلى الأنين الخافت منها إلى العويل الصارخ، وهى سخط مصطبغ بفكاهة لطيفة؛ وليس سخطاً مما يدفع الساخط إلى تحطيم الأثاث وتمزيق الثياب.. كما يشترط فى المقالة أن تكون على غير نسق من المنطق، أن تكون أقرب إلى قطعة مشتقة من الأحرار الوحشية منها إلى الحديقة المنظمة، فلا نقط فيها ولا تبويب ولا تنظيم^(١).

وهذا التعريب للمقالة الأدبية؛ يفيدنا بصفة خاصة حين ننظر فى المقال العمودى أو العمود الصحفى - الذى يزداد شيوعاً كلما شاعت الصحافة. ولكن هذا التعريف - كما يقول العقاد - لا يحصر جميع المقالات الأدبية، ولا يصدق جميع الفصول التى تكتب فى خبر المقالة المستقلة. فالكلمات التى تطلق على المقالة فى اللغات الأوروبية توشك أن تفيد كلها معنى المحاولة والمعالجة فكلمة Essay وكلمة Sketch وكلمة Treatise بل كلمة Study وهى تترجم أحياناً بمعنى الدراسة لا يعدو أن يكون القصد منها فى بداية وضعها أن تفيد معنى المحاولة التى يعوزها الصقل والإنجاز وكلها مستمدة من أساليب معامل النحت والتصوير، يريدون بها الرسم الذى

(١) د. زكى نجيب محمود : جنة العبيط، دار الشروق ص ٨-١١.

يخطط الصورة قبل تلوينها، أو النموذج الذي يُصب التمثال على مثاله، وينقلونها إلى الموضوعات الأدبية على سبيل الاعتذار لا على الاشتراط، كأنهم يتقون نقد الناقد بهذه التسمية، فلا يحاسبهم على كتابتهم بحساب العمل المتمم الذي استوفى نصيبه من الإتيان. وكلمة Article وهي أبعد قليلاً من الغرض تفيد معنى الفاصلة أو الجزء، ويقابلها عندنا (الفصل) الذي يستقل بموضوعه، ولا يشترط فيه أن يكون فصلاً في كتاب مطول تتممه فصول.

ويخلص العقاد إلى أن هذه المعاني لا تستوعب أغراض المقالات كلها في الكتابة الأوربية أو في الكتابة العربية، فمقالات "باكون" و"ماكولي" و"أرنولد" و"سان بيغ" ليست كلها من هذا القبيل، بل مقالات "وليام هازليت" نفسه على إسهامه في أدب المقالة كما يعرفها د. زكي نجيب لا تجرى كلها على هذا النسق، وفيها ما هو أشبه بالبحوث والرسائل في حيز صغير وأن البحث لا يشترط أن يكون كتاباً ضخماً أو كتاباً صغيراً في عدد من الصفحات، فإذا جاز أن يتم البحث في حيز مقالة فليس ما يمنع انتظامه في عدد المقالات^(١). وفي موضع آخر يذهب العقاد إلى أنه ليس "من اللازم أن تتوافى المقالات جميعاً على السنة الشائعة في عرف النقاد والقراء، ففي غير النمط الشائع مجال للخصوصيات المنفردة على حسب القرائح والطبائع والموضوعات"^(٢).

والكتاب العموديون في الصحافة العربية المعاصرة يمثلون ما وصلت إليه المدرسة الحديثة من ترسل صحفى يتسم بالبساطة والوضوح وحرية التعبير القائم على التعقيل الصحيح. ونجد منهم من يأخذ نفسه بموضوع سياسى معين لا يحاول الخروج عنه، بحيث تقترب مقالاته العمودية فن "أديسون" الذى جمع بين الفلسفة العقلية وإجازة الأسلوب الصحفى، فى حين تقترب البعض الآخر مثل أنيس منصور من فن "مونتاني" الذى يجعل العمود الصحفى قريباً من القصيدة الغنائية؛ وفى عمود "سلامة أحمد سلامة" "من قريب"؛ و"إبراهيم سعدة"؛ "آخر عمود" و"صلاح منتصر"؛ "مجرد رأى" نزوع إلى التحليل؛ والاعتماد على تذوق الحوادث اليومية، والشواهد العملية؛

(١) عباس محمود العقاد : "أدب المقالة" فى مجلة الرسالة ع ٧٨٧ بتاريخ ٢ أغسطس ١٩٤٨؛ د.

عطاء كفاى: المقالة الأدبية ووظيفتها فى العصر الحديث؛ القاهرة ١٩٨٥، ص ١١.

(٢) العقاد: فرانسييس باكون ص ٣٥٣، عصر العقاد ص ٢٥٠.

وينتجه أحمد رجب؛ ومحمود السعدنى وأحمد بهجت نحو توظيف المقال الكاريكاتيرى الأدبى لأغراض فن العمود الصحفى؛ حيث يفترض الكاتب الساخر دائماً وجود "الآخر" الذى يسخر منه؛ أو يشترك معه فى السخرية، أو يتبادل معه النكتة؛ ولكنه يوظف هذه السخرية لأداء وظائف الصحافة فى اتخاذ السخرية سيفاً مسلطاً تسلطه على رقاب الخارجين على المعايير العامة.

و"روح الفكاهة" هى السمة الرئيسية لأعمدة هؤلاء الكتاب، الذين يوظفون العمود الصحفى للسخرية اللاذعة والضحك الموجه من الخارجين على قوانين المجتمع؛ والكاتب الساخر وهو بفعل ذلك يصدر عن الشخصية المصرية فى اتخاذها لسخرية وسيلة للنقد والإصلاح بالنسبة إلى المجتمع المصرى ذاته؛ ذلك أن الضحك - كما يقول برجسون - وسيلة فعالة لتصحيح أو تعديل تلك الآليات الضارة التى تنطوى عليها حياتنا الاجتماعية العادية بإظهارنا على ما فيها من سخف وعبث وتفاهة.

ولذلك نرى أن مقالة العمود الصحفى؛ أقرب فى كتابتها إلى ما يسميه العقاد بنمط "المناجاة والأسمار" - وأحاديث الطريق بين الكاتب وقرائه، وأن يكون فيها لون من الإفشاء بالتجارب الخاصة والأذواق الشخصية^(١).

على النحو الذى يقترب بفن العمود من فن الشعر أو القصيدة الغنائية؛ ومن ذلك فى عمود "شوارد" الذى يكتبه المؤلف فى ملحق الجمعة بجريدة الأهرام بتوقيع مستعار "سندباد":

(١) العقاد : فرنسيس باكون، المجلد ١٩ من المجموعة الكاملة لمؤلفات العقاد، دار الكتاب اللبنانى ١٩٨١، ص ٣٥٠، فن المقال الصحفى فى أدب العقاد؛ هيئة الكتاب.

شوارد

الغريب^(١).

١ - في هذه المدينة
نموت في الصباح والمساء
مرتّين
وربما نضيع
نصير تائهين
وفي المساء عندما نعود
بالهموم مثقلين
نريد أن تضمنا البيوت
بحسرة نموت
لأننا سحاب
رغم أنفه يسير
لأنه في مثلنا طريد

* * *

نسجت من قصائدي
البيوت
تعيش في القلوب تزرع
السلام
وتزرع الحنين
لكنها لا تمنح الجياع
كسرة الطعام
لأننا نحب

(١) جريدة الأهرام - ملحق الجمعة عمود شوارد - ١٩٩٧/١٧/٧.

نموت مرتين
فصدر هذه المدينة
يضيق قلبه
بالوافد الغريب.
يعيش فى أسوارها كما
الغريق
وفى المساء نلتقى ونشرب
الدخان
فى "قهوة" صغيرة
من غير ما جدران
نظل للصباح شاربين
لأن قلب هذه المدينة
يضيق بالغريب حتى لو
أحيل اثنين..
يضيق بالغريب يلفظ
الغريب.
لكنّ بسمتى ضياء
يبدد الظلام فى المدينة
إذ تضج بالصراخ والعويل
والكلام
٢ - بعيداً.. بعيداً
وعبر خطوط المحال
وعبر حوار الخيال
سألقاك يوماً
وأمنح روى الظلام

وأنسى دروب الضلال
وأزري يوماً بنفسى
أمانى الرجال
برغم ظلام الخريف
تمزق نفسى بحزن أسيف
سيمضى سيزيف
وروحى تعانق روح
الخميلة
ترينى اللحن الجميله
وشدو الليالى وعطر
الطفولة
تغنى أغاريد شعبى
وتقرأ مثلى
بكف الزمان أمانى الرجال
ويولد مثلى
ويحمل عمراً كأعلى الجبال
ويقهر سوط المحال
ولن أذرف الدمع يوماً
لأنى بدأت وحيث انتهيت
ولكن سأحلم أحلم
أنى أعانق سر المحال

"سندباد"

حلم إيزيس (١)

في الأرض والسماء

وحينما تصطبخب الأمواه في الضياء

تجئ في ثيابها

الوضاء

وتعلن الأنباء

فتمسح الدموع من

عيون حبّها المقهور

يعانق الأمواه شوقها

المهجور

وترتعد الغابات

تزيد البحور

لأجل حزنك الكبير

يا إيزيس

لأجل حبّك المقرور

تذوب كل قطرة في

وجهك المسحور

وفي معالم السطور

يجيئك العصفور

مُحمّلاً بأسعد الأنباء

توجد الشيطان

تحتفل المياه من جديد

بعيدها الذي يشع من

بعيد

تعانق الصفاء في

السماء

تعانق الإسلام

حلمك الوحيد

يا إيزيس

عيون إيزيس

عيون إيزيس التي
تعم في بحر
بلا أعراف
تجوب في أمواها
مرآة كل القادمين
من قبل أن يلزموا
سفائن الشمس
مسافرين للنهار
لا وجه للسكون
لا ضفاف
والذكريات حولهم تطل
من بعيد
كأنها المجدف
عيون إيزيس أيا عيون
إيزيس
عيون أيزيس وطن
عيون أيزيس زمن
وفي سفائن الشمس
تحيط بي أمواجها
وأركب الضياء
وفي عيونها الظليلة
السواد
أرى بها عاشقة النهار
حين تغزل الثياب
للعاشق العظيم

"سندباد"

عبد العزيز شرف

وإذا كان د. نجم يذهب إلى أن المقالة الأدبية "قطعة نثرية محدودة في الطول والموضوع، تكتب بطريقة عفوية سريعة خالية من الكلفة والرهق. وشرطها الأول أن تكون تعبيراً صادقاً عن شخصية الكاتب"^(١). فإننا نرى في هذا التعريف ما يصدق على فن "العمود" الصحفي؛ الذي اكتسب من خصائص المقالة الأدبية : "الإيجاز في كتابتها، وتجنب الإطالة، والبعد عن التوغل في البحث عن الظواهر، وعرض التفاصيل وإيراد الاستقرءات الدقيقة لجزئيات الموضوع وترتيبها للوصول بها إلى نتائجها كما هو الشأن في تأليف الكتب وكتابة المباحث العلمية"^(٢). ولذلك يشعر قارئ العمود "الصحفي، نحو المقالة وكاتبها أنه تجاه حديث ممتع لمحدث لبق يستهويه بحسن عرضه، فكتابته للمقالة من نوع التعبير الوجداني عما يعرض له من مشاهد الحياة ومواقف الأحياء. ويذهب د. كفاي إلى أن التعبير الوجداني في المقالة الأدبية ليس مضاه حصر موضوع المقالة في الكاتب نفسه، ولكن المراد أن ما يعرضه الكاتب في المقالة إنما يعرضه من خلال رؤيته الخاصة وطابعه المميز عن سواه من الكتاب. ومن التجارب الفنية في المقالة الأدبية، ما هو ذاتي محض، ومنها ما يتجاوز حدود الذاتية الخاصة بالكاتب إلى آفاق عامة: إنسانية أو اجتماعية أو دينية أو وطنية ينفع بها الكاتب انفعالاً صادقاً لا تزييف فيه ولا تقليد، كما ينفع بها الشاعر في شعره والقصص في قصصه"^(٣). وكما وجدت الكاتب أدنى إلى أن يحدثك عن تاريخ نفسه فيما يكتب - كما يقول د. زكي نجيب محمود - ابن رأيه "يرسل الخواطر إرسالاً هيناً فيستشف منها ما وراءها من حالته النفسية فاعلم أنه قد أجاد، أما إن وجدته يعالج موضوعاً لا يتصل بمكنون نفسه، ويعنى بتنظيمه وثبوته كما ينظم البحث العلمي فاعلم أنه عن الجودة بعيد".

وبجمل د. كفاي عناصر المقالة الأدبية الرئيسية في : صدق إحساس الكاتب؛ والأصالة بمعنى التعبير عن التراث، ووجهة نظر خليقة بالتأكيد وجمال التعبير، ثم قوة الإثارة أو الإمتاع. وهي العناصر التي تكسب المقال "العمودي" أدبية؛ بين فنون المقال الصحفي.

(١) د. محمد يوسف نجم : فن المقالة، بيروت، ١٩٥٧، ص ٩٥.

(٢) د. عطاء كفاي : السابق ص ١٢-١٤.

(٣) نفسه، ص ١٤.

شواره

فى ذكرى الحكيم

قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ: فى مثل هذه الأيام رحل عن عالمنا "حكيم الأدب العربى" ومع توفيق الحكيم تتجدد الذكريات، والذكريات ذات شجون!

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى: حسبك يا بنى أن تفخر بأنك عشت "عصر الحكيم".. كما يفخر تلاميذ "سقراط" بأنهم عاشوا "عصر سقراط"! وكلاهما عانى من أساليب الحرب النفسية؟ صناع الشائعات! ولتقرأ قول الحكيم عن "شخص الفنان" فنجد فيه تعبيراً كامناً يؤكد ما أقول: "اذكر أنى فى مستهل العمر تمنيت لو أن كان الاولى بى أن أكون على الأقل فناناً – ولكن الحياة جرفتني فى نهريها الضيق!..

قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ: كم من الفنانين استطاع أن يحتفظ بقيمه العليا رغم حصار شياطين الحرب النفسية!

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى: فى حديث الحكيم ما يغنيك، حيث يقول: "قرأت يوماً لأحد الأدباء الغابرين هذه العبارة: حبذا لو قرأ الناس مؤلفاتي كما لو كانت وجدت داخل زجاجة مختومة ملقاة بين أمواج اليم!.. هذا أديب يتمنى أن [لقى إلى الناس بإنتاجه، ولا يلقى إليهم بشخصه!..

ويصرح لنا الحكيم أن هذه كانت خطته دائماً فى مطالعة آثار الفن! وكان يتجاوز مقدمات الكتب بالتخطى إلى العمل ذاته، ويقول: "انى لا أعرف شيئاً كثيراً عن حياة شكسبير ولم أعن بالنظر فى حياة الفردوسى أو الجاحظ.. ولم أحاول أن أقرأ حياة جوتة أو موليير.. كل هؤلاء تغذيت بكثير من إنتاجهم – قبل أن أعرف من هم – بل لقد منعت نفسى منعاً صارماً عن قراءة حياة "فاجنر" بقلمه، وهى فى ثلاثة أجزاء ملأى بالطريف الغريب، ولم تهزنى حياة بتهوفن ولا حياة موزار.. ولكنى حفظت الكثير من موسيقاهم عن ظهر قلب! إنى أريد أن أكتشف الكنوز بنفسى، ولا أريد غوصاً معى يخنق أنفاسى، أو دليلاً يقودنى حسب هواه!

قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ: ولكن كيف يستطيع الناس أن يقدرُوا الأثر الفنى دون أن يعرفوا صانعه حياة وفكراً وسلوكاً واتجاهاً وبيئة؟!

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى: فاقراً إذن قول الحكيم: "لو علمت كيف يكتب التاريخ لألقيت فى هذا البحر بكل كتب التراجم ثق أنه ليس اصدق من "الأثر الفنى"

وحده.. هو صورة الفنان التي لا تشوه.. هو روحه المنطلق من جوف رداءه الدنيوى.. هذا الرداء الذى لا يستطيع الناس أن يتقولوا فى تفصيله.. بما شاء لهم تحمسهم أو إغراقهم.. العمل الفنى.. هو وحده الذى يخلق فوق الأجيال حراً سليماً، بعيداً عن أيدي العابثين.. هنا حرية الفنان التى ليس له حرية سواها..". رحم الله الحكيم، فقد بقيت آثاره علماً على نهضة الأدب العربى الحديث.. وفى ذكره يتجدد الدرس الذى علمنا إياه :- عش لا إنساناً صحيحاً، لتستطيع بعد ذلك أن تفكر للناس تفكيراً صحيحاً!.

"سندباد"

عبد العزيز شرف

ومن أجل ذلك يذهب العلماء إلى أن خصائص العمود من حيث التعبير تشمل : جمال الأسلوب وروح الفكاهة والذاتية التى تميزه عن المقال الافتتاحى؛ واتخاذ شكل الهرم المعتدل فى الصياغة والإيجاز فى العبارة، وربما كان أهم من ذلك كله أن كتاب العمود الصحفى ينبغى لهم ألا يضيعوا من وقتهم ومن وقت القراء - على حد تعبير ريفرز - فى تقديم قضية من القضايا بطريقة القصة الخبرية، ثم يلصقون فى نهايتها فقرة قصيرة من المدح، أو القدح.

ثالثاً: فن اليوميات الصحفية:

يقرب فن اليوميات الصحفية من روح العمود الصحفى من حيث التعبير عن خوالج النفس وروح المذهب الذى يعتنقه الكاتب، ونظرتة إلى الحياة، حيث يسجل فى هذا الفن المقالى خواطره المتناثرة التى تؤثر فى القارئ، وهى خواطر تتصل بصلات من العاطفة أو الخيال، ذلك أن فن اليوميات يتضمن خاطراً يلحق خاطراً ويتبعه - لا لأن بينهما علاقة منطقية كالتى تأتى بالنتيجة وراء سببها بل لأن هذين الخاطرين مرتبطان فى خيال الكاتب أو يتصلان بعاطفته، كما يذهب إلى ذلك "تشارلتن".

فكاتب اليوميات الصحفية يكتب "وكأنه يتحدث فى سمر حديثاً مطلقاً من كل قيد، فيدع الخواطر يسوق بعضها بعضاً بما بينها من روابط تستدعى متابعتها وتداعيتها دون أن يعمل فى ذلك عقله ومنطقه لينظم الترتيب والسياق.. هكذا بدأ مونتاني أدب المقالة على وجهه الصحيح".

ويذهب بعض علماء الصحافة إلى أن المحرر الصحفى ينبغى أن يترك آراءه الخاصة عند باب غرفة التحرير، ويخلعها دائماً كما يخلع معطفه عند هذا الباب حتى

إذا ما انتهى عمله، وعاد إلى معطفه عادت إليه آراؤه الخاصة التي يمكنه أن يحتفظ بها لنفسه، غير أن هذا الرأي لا يمكن أن ينطبق على كاتب اليوميات بصفة مطلقة، وذلك . كما يقول الدكتور إمام . لأن اليوميات أشبه بالمقال الأدبي من بحث العناية باختيار الألفاظ والاحتفاظ بطلاوة الأسلوب، بل لعلها أقرب إلى مقالات الاعترافات بصفة خاصة، فهي تقدم صوراً نابضة بالحياة، زاخرة بالمعاني، وهي تتطلب سيطرة تامة على اللغة والتعبير بالأسلوب السهل الممتنع، ولاشك أن طواعية اللغة لا تتيسر إلا للعارفين بها، والقادرين عليها. على نحو ما نجد في "يوميات الأخبار" التي كان يكتبها العقاد رحمه الله؛ والتي لا يزال يكتبها نخبة من الكتاب من أمثال: محمد مصطفى غنيم، وسناء فتح الله، وإسماعيل النقيب، وجمال الغيطاني وعبد الرحمن الأبنودي؛ ووجيه أبو ذكري، وكما نجد في "مفكرة" الأهرام التي كان يكتبها حشد من الأدباء والمفكرين من أمثال: عبد الرحمن الشرقاوي – ثروت أباظة – زكي نجيب محمود ود. يوسف عز الدين عيسى. وسعد الدين وهبه.

وفي مقالات "اليوميات" بالأخبار و"المفكرة" بالأهرام، يبين لنا أن فن اليوميات الصحفية إنما يتلخص في أنه يتناول الفكرة والأداء في وصل جماهير الناس بالحضارة ومعطيات العصر: آرائه وأفكاره وأدواته وآلاته وتشوقه وتطلعاته، عن طريق تطوير اللغة لمعطيات الحضارة.

بناء المقال:

وإذا كنا نتفق على أن التحرير بكافة أنواعه يقوم على "التفكير" و"التعبير" معاً؛ فإننا سوف ننظر إلى ما يشيع في تعريف المقالة منذ "جونصون" واعتبارها "ثروة عقلية لا ينبغي أن يكون لها ضابط من نظام"؛ نظرة مغايرة؛ ربما تتفق مع "جونصون" نفسه؛ إذا اعتبرنا ما يقوله ينبع من "النظام النسبي" إذا جاز التعبير؛ قياساً إلى الفنون الأدبية الأخرى للتمييز بينها؛ وإذا نظرنا إلى تعريف "جونصون" أيضاً؛ على أنه يريد للنظام في المقالة أن يتجاوز نفسه؛ حتى ليبدو في سياق غير منظم؛ لا يجرى على نسق معلوم؛ ذلك أن عنصر "التفكير" في التحرير المقال؛ يختط له التنسيق الملائم؛ النابع من الرؤيا الإبداعية للكاتب نفسه؛ ومن طريقة "تفكيره" المتميز بها؛ وهي الطريقة التي تؤكد أنه لا يكفي أن يكون هناك خاطر في المقالة، بل لابد من ملاحظة

النظام فى كيفية إيضاحه؛ إذ لا جلاء بدون تنسيق أو كما يقول عمر الدسوقي — فلا بد قبل الكتابة من "وضع رسم ولورءوس أقلام، فإنه إذا لم يوضح الرسم يرتبك الذكى ولا يعرف كيف يبتدىء وكذلك يدخل فى تفاصيل مملة، ويضيع المسألة المهمة، ويصير مظلماً كلما اجتهد فى الإيضاح. ومن أين له أن قارئيه يصبرون إلى أن يعود ليتهدى سبيله؟. وفى الكتابة القصيرة لا يستغنى البتة عن هذا الرسم، ولكن العادة تجعله مصوراً فى الذهن على الفور، وكيف كان ففى التنسيق ثلاثة أمور ضرورية : وحدة الموضوع، وتلاحم الأجزاء، واستقلالها التدريجى".

فعنصر "التفكير" إذن - فى التحرير المقالى يؤدى إلى البناء الداخلى فى المقالة؛ وفقاً لنظام نابع من رؤيا الكاتب الإبداعية؛ ولذلك يرى النقاد أن كاتب المقالة ملزم بالتفكير فيما يريد أن يكتب قبل أن يتناول القلم؛ ثم يسير موضوعه سيراً منطقياً متجنباً الفضول، ومركزاً فكره فى النقاط الرئيسية، على أن يكون لموضوعه وحدة تربط بين أجزائه، وأن يكون واضحاً فى تعبيره، منتخباً لكلماته، ولأسلوبه طلاوة، وعليه جمال.. فضلاً عن تنسيق الأفكار^(١) الذى يعد شرطاً أساسياً من شروط الاتصال المؤثر.

ولذلك نذهب مع الأستاذ عمر الدسوقي إلى أن هذه الشروط ليست هى شروط الإنشاء المدرسى. وشتان بين هذا وبين المقالة الأدبية، فإن الفكرة التى يراد التعبير عنها سواء كانت فى نفس طالب مبتدىء أو كاتب نابغ محتاجة إلى الوضوح، وإلى التمهيد، ثم عرضها عرضاً جيداً منطقياً يفهمه القارئ بيسر، لا أن تكون مشبعة غامضة تسير على غير اتساق ونظام، فإن ذلك يعوق عملية الاتصال ولا يتفق مع جوهر البلاغة نفسها.

﴿وَأَخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

(١) د. عطاء كفاوى : السابق ص ١٢.

هذا الكتاب

يتناول هذا الكتاب الأساليب الفنية فى التحرير الصحفى؛ ويقدم عرضاً جديداً للشكل والمضمون فى الصحف والمجلات. تأسيساً على أن هذا الفن إنما يقوم فى جوهره على صوغ الأحداث والمعلومات والثقافة، والفلسفة والعلم لتكون فى متناول جميع القراء، بطريقة واضحة سلسلة مشوقة.

وهذا الكتاب الجديد للدكتور عبد العزيز شرف يتواصل مع كتب أخرى له فى السبعينيات والثمانينيات وهى: فن التحرير الإعلامى، وفن المقال الصحفى، والتفسير الإعلامى لأدب المقالة. ثم فنون المقال بين الصحافة والأدب؛ فى التسعينيات.

ويتناول هذا الكتاب أيضاً: تحرير الخبر، والمقال، والحديث، والتحقيق الصحفى، وقد أعد هذا الكتاب ليكون مساعداً لطلاب الإعلام والآداب فى جامعاتنا المصرية والعربية ودليلاً لزملاء المهنة الصحفية فى الوطن العربى.

فالى هؤلاء الدارسين والزملاء نهدي هذا الكتاب.

أحمد غريب

To: www.al-mostafa.com